

منشورات جمعية تطاون أسمير

محمد داود

تاريخ تطوان

المجلد الثاني عشر

مراجعة و إضافات
حسناء محمد داود

مطبعة الخليج العربي - تطوان

1431 هـ - 2010 م

محمد داود

تاريخ تطوان

المجلد الثاني عشر

تخريج ومراجعة:

حسناء محمد داود

اسم الكتاب ، تاريخ تطوان - المجلد الثاني عشر

تخريج ومراجعة ، حسناء محمد داود

الناشر ، جمعية تطاون اسمير

الطبعة الأولى ، 2010

الايداع القانوني ، 2598MO2009

الطباعة ، مطبعة الخليج العربي، شارع الحسن الثاني - تطوان

الهاتف ، 05.39.71.02.25 / الفاكس ، 05.39.71.05.37

الباب العاشر

2- تتمة أخبار تطوان في القرن الرابع عشر الهجري

وبه فصلان:

الفصل السابع: من قضاة تطوان وعدولها في القرن الرابع عشر

الفصل الثامن: من تراجم رجالات تطوان في القرن الرابع عشر

تقديـــــــــــــــــــــــــــــم

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفني أن أقدم بين يدي القارئ الكريم، المجلد الثاني عشر من كتاب "تاريخ تطوان" لوالدي المنعم الأستاذ محمد داود ، وهو آخر ما تضمنه هذا الكتاب من المجلدات، فالحمد لله على فضله، والشكر لله على نعمه، ورحمة الله على مؤلف الكتاب، وجزاه خيرا عما أسداه لهذه المدينة من جهد وعطاء، وجعلني عند حسن ظنه فيما أقدمت عليه من إتمام ومراجعة وإخراج لهذا الكتاب، وما توفيقي إلا بالله.

وخير ما أختم به، قول الله تعالى:

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»

صدق الله العظيم

حسناء داود

الفصل السابع من الباب العاشر
من قضاة تطوان وعدولها في القرن الرابع عشر

القاضي محمد بن علي عزيمان:

تقدم لنا أن الفقيه العلامة السيد محمد بن علي عزيمان، قد ولي قضاء تطوان في 14 جمدى الأخيرة عام 1273، ثم أخر عنه في 27 جمدى الأخيرة عام 1276، ثم أعيد إليه في شهر ذي القعدة الحرام عام 1278، واستمر قاضيا بقية القرن الثالث عشر.

وقد دخل القرن الرابع عشر وقاضي تطوان هو الفقيه عزيمان المذكور، وقد بقي في وظيفه غير منازع بالرغم من تقدمه في السن تقدما كاد يعجز معه عن مباشرة شؤونه، حتى صارت كتابته لا تكاد تقرأ.

سيدي التهامي أفيلال نائب القاضي عام 1308:

كان الفقيه العدل الشريف سيدي التهامي بن محمد أفيلال ينوب عن القاضي عزيمان، وقد وقفت على شهادة كتبت في شهر رجب عام 1308، وتحتها بخط الفقيه المذكور ما يلي: "الحمد لله أدى الشهود الستة أعلاه فثبت وأعلم به نائب من يجب لموجبه التهامي أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

وفاة القاضي عزيمان عام 1313:

واستمر الفقيه عزيمان متقلدا لوظيفه إلى أن توفي بتطوان يوم الأربعاء فاتح رجب سنة 1313.

وكان من عادته أنه يقبض مبلغا ماليا عن كل رسم يؤديه، وبموته انقرضت هذه العادة من تطوان إلى الآن.

تعليمات من السلطان لقاضي تطوان عام 1306:

وهذه رسالة كتبها السلطان مولاي الحسن بن محمد إلى قاضي تطوان، وفيها إرشادات وتعليمات تتعلق بالعدول وشهاداتهم الخ. وقد نقلتها من نسخة بخط الفقيه العدل السيد عبد القادر بن عبد الواحد الفاسي التطواني رحمه الله، ونصها:

"الفقيه الأرضى القاضي بتطوان المحروسة السيد محمد عزيمان، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد فالذي يكون عليه عمل العدول في الشهادات الراجعة لما سيذكر من القضايا، هو التمشي على مقتضى الضوابط التي سنبينها، لما فيها من الاحتياط وإحكام زمام المناط والسلامة من الخلل حالا

ومآلا، وحتى ما لم يكن جرى به العمل منها، فالسند هو تحدث للناس أقضية وكل ذلك جار على المناهج الشرعية، فألزمهم الوقوف عند صدوره في جميع ذلك، ومن حاد عن شيء منه يرد عليه ويضرب على يده فيه.

1- فمنها أنهم لا يعمرون الذمم إلا باشتراطهم على رب الدين أو من ناب عنه عند قبوله ذمة المديان بحيث لا يطالب غيره عند العدم أو الغيبة، قريبا كان أو أجنبيا، ويتأكد ذلك في رب الدين حيث يكون ذميا أو ذا حماية، لا سيما إن كان المال كثيرا.

2- ومنها أنه لا بد من المعاينة لما تعمر به الذمم.

3- ومنها أنه لا بد من الإذن الخاص في الإشهاد لأهل الذمم بتعمير ذمة الغير وكذا أصحاب الحماية. ثم لا بد من انتخاب عدول للإشهاد بين أهل الحمايات، وكذا تعمير ذمة النساء ولو على وجه الضمان مع موافقة الزوج وشرط قبول ذمة المديان. وفي القراضات والشركات الإشهاد على رب المال بقبول أمانة المدفوع له المال بحيث لا يطالب غيره.

4- ومنها أن الشهادات الاسترعائية والتدمية والوكالة والتعريف لا تكتب إلا عن إذن خاص مع اشتراط التعدد في المعرف.

5- ومنها أنهم لا يكتبون الوكالة لذي حماية إلا على شرط إسقاطها، ولا يكتبونها لمجهول حال إلا بالإشهاد عليه أنه ليس من أهل الحمايات.

6- ومنها توقيف بيع الأصول على مطالعة عامل البلد على يدك، مخافة أن يكون المبيع لجانب المخزن.

7- ومنها أنهم لا يكتبون وثيقة بيع الأصول إلا بعد ثبوت الملك لبائعه، وكذا التحبيس والعتق.

8- ومنها ترك التزكية لما يؤدي إليه إطلاقها من الفساد، إذ لا يشاء أحد تعمير ذمة أحد وإخلائها أو إبطال إيصاء أو وصية أو إحداث ما ذكر إلا وجد من يشهد له بذلك من نحو رجلين فيطلب تزكيتهما، وهي وإن كانت مشروطة بشروط من جملتها كون المزكى مبرزا، فلفساد الوقت كل من يتعاطى الشهادة يدعى أنه مبرز بحسب الوقت، ويبقى النظر فيمن يقبل من الشهود موكولا إلى أمانة القاضي وحسيبه الله.

9- ومنها أنهم لا يقبلون من اللفيف إلا مستور الحال، دون من عرف بالكذب أو ترك الصلاة أو الحلف بالأيمان الفاجرة، أو بكونه متأكد القرابة للمشهود له، أو العداوة للمشهود عليه، أو مكترى للشهادة وأجرة كتب الوثيقة بالمعروف، من غير ضرر ولا ضرار، ولا ضابط لذلك يوقف عنده، وذلك يختلف باختلاف العمل إلا ما كان عن طيب نفس بغير طلب وكذا أرباب البصر ... الفرض مع الإذن ...

وأجرة العون وأجرة السجان لمسجون القاضي خمس أواقي. ولا بد في التلقي من اللفيف أن يذكروا تحت كل واحد من المتلقى منهم معرفة به او وصفه خشية أن ينكر كونه متلقى منه عند الاستفسار، ولا بد من الإذن الخاص لأرباب البصر في الشهادات التي ترجع إليهم. ويشترط على المعلمين القنويين أنهم لا يخدمون ليلا، لما في ذلك من التهمة الظاهرة، وقد اشترط عليهم وعلى البنائين قبل أنهم لا يمدون يدهم لتبديل أو إصلاح قواديس او مشارب أو هدم حائط مما هو مشترك مع غير الحبس إلا بعد إعمال الموجب بالفساد وحضور الشركاء او وكلائهم، وما كان مشتركا مع جانب الحبس لا بد فيه من الإذن الخاص من القاضي وحضور الناظر او وكيله وإعمال موجبه بذلك. ويشترط على النظار أنهم لا يبيعون فيض ماء لجانب الحبس إلا بإذن خاص مع شروطه الخمسة، وهي أن لا يكون على حيطان المسجد ضرر من إجرائه، وأن يكون ذلك في فضلة يستغني عنها المسجد، وان تكون تلك الفضلة للمرحاضات التي تحتها هنالك (كذا)، وأن يكون القدر المبيع مقدرا بالقادوس العنجذي مثلا بحيث أن يكون الماء لا يزيد ولا ينقص، أما إن كان ينقص تارة ويزيد أخرى بكثرة المتوضئين والمغتسلين او قلتهم فلا. وأن يثبت السداد في الثمن إلى المدة المستاجر إليها حسبما أجاب بمضمن ذلك العبدوسي كما في أوائل الحبس من المعيار ونقله صاحب العمل الفاسي عند قوله:

وفيض ماء حبس يباع   وما به للحبس انتفاع

كما يشترط عليهم أيضا أنهم لا يعقدون على ما هو لجانب الحبس معاوضة ولا بيعا إلا بإثبات الشروط المقررة في محلها على يد القاضي المشار لها إجمالا بقول العمل الفاسي:

كذا معاوضة ربع الحبس   على شروط أسست للمؤتسي

وتفصيلا لقول العمل المطلق:

وما من الحبس لا ينتفع   به ففيه البيع ليس يمنع

وبالمعاوضة فيه عملوا   على شروط عرفت لا تهمل

كون العقار خربا وليس في   غلته ما بصلاحه يفي

وفقد من يصلحه تطوعا   والياس من حالته أن ترجعا

وكما اشترط على النظار قبل أنه لا بد من حضور عدلين من عدول الصائر في كل صائر، وشرط عليهم أيضا أنهم ان أبرموا عقد كراء رباع الأحباس فلا تقبل زيادة من زاد بعد ذلك إلا بعد إثبات الغبن ولو كان دون الثلث، وإن لم يبرموا العقد وإنما وقع الالتزام من المكتري بكذا فمكن من ربع الحبس ثم جاء من يزيد فتقبل الزيادة حينئذ ولو بدون الثلث فلا محيد لهم عن تتبع هذه الشروط. ثم من الاحتياط أيضا إلزام العدول أن يكونوا يؤدون رسوم

تعمير الذمم والإبراء والتقديمات والرجوع عنها والوصيات والرجوع عنها والحيازة والطلاق يوم تاريخ كتابتها أو ما قاربه.

فاعرف ذلك وأوجب العمل بمقتضاه والله يسلك بالجميع مسالك الصواب والسلام في 20 حجة الحرام عام 1306"

وقد ورد كتاب شريف بعد التاريخ أعلاه على القاضي يأمره فيه بأن يجري رهن الأصول مجرى بيعها في أن ذلك لا بد له من الإذن الخاص له ومطالعة عامل البلد على يده، ونبه العدول على ذلك.

ثم ورد كتاب آخر في 3 رجب عام 1308 بالنهي عن كتب رسوم السلم في القمح والشعير مطلقا، بل ظهر لسيدنا القاضي من آخر هذا الكتاب إطلاق النهي حتى على غيرهما من نحو الأجور، وبذلك أمر سدده الله.

الفقيه أسنوس نائب القاضي عام 1313:

لما توفي القاضي عزيمان، قام مقامه بصفة مؤقتة الفقيه العدل السيد محمد (فتحا) بن عمر أسنوس، إلى أن تولى القضاء الفقيه سيدي التهامي أفيلال.

والفقيه أسنوس المذكور كان من العدول المبرزين بتطوان، وقد وقفت على رسوم عديدة أداها في السنة المذكورة بصفة نائب عن القاضي.

ولاية القاضي التهامي أفيلال عام 1313:

لما توفي القاضي محمد عزيمان، اتفق أهل الحل والعقد من علماء تطوان وأعيانها على أن أحق الناس بولاية القضاء بهذه المدينة هو الفقيه العدل المفتي الشريف الوجيه سيدي التهامي بن محمد بن الهاشمي أفيلال.

وكان في مقدمة المرشحين له شيخه الذي كان أكبر علماء تطوان في ذلك العهد، وهو الفقيه العدل المفتي السيد أحمد بن محمد السلاوي. وقد كتب قائد تطوان بما وقع عليه الاتفاق إلى السلطان المولى عبد العزيز، فوافق على ذلك.

وهذه رسالة من السلطان المذكور إلى قائد تطوان عن وفاة القاضي عزيمان وولاية القاضي أفيلال، ونصها:

"الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ثم الطابع الصغير ونقشه (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

وصيفنا الأرضى القائد محمد بن أحمد الخضر السلاوي، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك معلما بوفاة القاضي السيد محمد عزيمان، وطلب أهل البلد منك ترشيح الفقيه السيد التهامي أفيلال للقضاء

مكانه، لأهليته وخبرته ومروءته، ولكونه هو الذي كان خليفة عند المتوفى، وصار بالبال.

أما القاضي المذكور فرحمه الله وتقبله وغفر له. وأما السيد التهامي أفيلال، فقد وليناه الخطة مكانه، حيث وقع الثناء عليه بخير. وها ظهيرنا الشريف بتوليته يصلك بطيه مع كتاب الناظر بتنفيذ ما كان بيد من قبله من الوظائف والخراج له يصلانك طيه، فادفعهما إليه وشد عضده فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، وفقه الله وسلك به مسالك الصواب، والسلام. في 26 رجب الفرد الحرام عام 1313".

وظهير تولية سيدي التهامي أفيلال لقضاء تطوان هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ثم الطابع الكبير ونقشه (عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه، وبدائرته ومن تكن برسول الله ... الخ، من يعتصم بك ... الخ)

يعلم من كتابنا هذا أسس الله على قواعد التقوى مبانيه، وصرف إلى سبيل الهداية والتوفيق معانيه، أننا بحول من لم يزل يؤتي الحكمة وفصل الخطاب، ويلهم عباده إلى سلوك سبيل الصواب، ولينا ماسكه الفقيه الأرضى السيد التهامي أفيلال التطواني خطة القضاء بتطوان المحمية، وقلدناه بصفاتها الحكمية، وأذنا له في تصفح الرسوم، وفصل الدعاوي بين الخصوم، والحكم على مذهب إمام دار الهجرة وما عليه الجمهور، وعدم العدول في الأقوال عن المشهور، ونعهد إليه بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته. ونأمر من يقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا بشد عضده على ذلك. والله يوفقه ويسلك به أقوم المسالك، والسلام. صدر به أمرنا المعتز بالله في ست وعشري شهر رجب الفرد الحرام عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف".

وهذه فقرات من رسالة كتبها القاضي سيدي التهامي للوجيه الأمين الحاج عبد الكريم بريشة بتاريخ 12 شعبان عام 1313 عقب توليه لمنصب القضاء، ونصها:

"وصل كتابك الأعز معلما بما جرى به القضاء وحكمت به المقادير وأصدرته الحضرة الشريفة أعزها الله من تولية قصير الباع، الكثير الجهل القليل الاطلاع، منصب القضاء الشريف، وإن لم يكن لذلك أهلا، ويوجد بالبلد من هو أجدر بذلك وأحق وأولى، فلم يكن عندنا إلا السمع والطاعة والقبول والإذعان، وتلاوة فصبر جميل والله المستعان، نطلب الله سبحانه أن يمدنا بالتأييد والمعونة والتوفيق، وأن يسلك بنا وبكم أسلم وأنجى طريق، بحق عين الرحمة، الواسطة في كل نعمة، آمين."

وجلس سيدي التهامي على منصة القضاء، وباشر الأحكام بعفة ونزاهة وهمة عليا. وكانت الرسائل السلطانية تتوارد عليه في مختلف الشؤون، سواء المتعلقة منها بوظيف القضاء أو بالمصالح العامة للمدينة. وقد اطلعت على كثير من تلك الرسائل، وأثبت عددا منها في الأماكن المناسبة لها من هذا الكتاب.

وقضية مرتب القاضي في عهد سيدي التهامي أفيلال، من المسائل التي تردد الكلام في شأنها مرارا، فقد جاء في الرسالة التي كتبها سيدي التهامي المذكور للأمين الحاج عبد الكريم بريشة عقب توليته ما نصه:

"هذا وأنت خبير بأن رزق القضاة ببلدنا إنما هو ريال (8) يعطاها من الأحباس، وإذا كان القاضي يخاف الله أو يستحيي من خلقه يترك الطمع فيما بأيديهم، فأين هو وهذه الأجرة، وكيف يتحمل المشاق العظام والأهوال الجسام بشيء لا تحصل له به الكفاية ولا ما يقاربها، وما عسى أن يصبر على هذا فالأمر لله وحده".

ولا ندري ماذا تم في هذه القضية عقب ذلك[1].

---

[1]- {أدرج المؤلف ضمن هذا الملف نص رسالة تاريخها 22 ذي القعدة 1313، كتب فيها القاضي سيدي التهامي أفيلال إلى الوزير الصدر الفقيه سيدي أحمد بن موسى ما يتعلق بشرح وضعيته المادية، وأن الأجر المخصص له وهو 8 ريال لا يسمن ولا يغني من جوع؟، وهذا نص الرسالة المذكورة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

أبد الله مجادة وزير مولانا الأعظم، الصدر المكين الأفخم، سيدي أحمد بن موسى، وسلام على سيادته ورحمة الله عن خير مولانا أعزه الله، وبعد فننهي لسيادتك أعزك الله أنه لما ورد علي الأمر المطاع أسماه الله بتولية خطة القضاء بهذا الثغر التطواني حاطه الله، ورد معه كتاب آخر لناظر الأحباس، مضمنه الأمر له بأن يكون يدفع لي ما كان يدفعه للقاضي المتوفى عن المرتب والوظائف وغيرهما، مع أن هذا الناظر المأمور لم يكن يدفع له إلا ما كان مرتبا له من قديم، وذلك ثمانية ريال لا غير، لاستغنائه بما كان يقبضه من الخصوم على التأدية والتسجيل. وقد شرح الله صدر العبد عند امتثال ما أمر وكلف به (من) القيام بهذه الخطة الشريفة، للتعفف عن هذا المقبوض وعدم التعريج عليه بفضل الله، لنفور النفس منه واستقباحها إياه، بيد أنه حصل من الضرر ما الله أعلم به، لفوات ما كنت أتمعش فيه من الشهادة والفتوى وغيرهما، وصيرورتي حليف الخطة، رهين ما لها من الأشغال، أمسي وأصبح مهتما من أين نفقة العيال. وما عسى أن تجدي الثمانية ريال في هذه البلدة، وراتب قاضي طنجة القريبة منها خمسة وأربعون ريالا، وله في غير ذلك من النفع. ورجونا من سيادتكم إطلاع علم مولانا أيده الله بهذا واستعطافه بما يناسب علي مقامه في تعيين الراتب الكافي في هذا الوقت للإعانة على القيام بأمور المسلمين، فإني أعرضت عن تلك الثمانية ريال، وما قبضت منذ وليت قل ولا جل، وحاشى سيدنا أن يرضى بإضرار أحد من رعيته، فضلا عن ولاته، فضلا عن منفذي الأحكام الشرعية منهم، والمولى سبحانه يبقيك محفوظ الجناب بمنه، وعبى خالص المحبة، والسلام. في 22 قعدة الحرام عام 1313. التهامي أفيلال العلمي وفقه الله"} ح. د.

وقد وقفت على رسالة كتبها السلطان إلى ناظر أحباس تطوان عام 1317، وأمره فيها بأن يكمل للقاضي ثلاثين ريالا، بحيث يكون هذا المبلغ هو مرتبه الشهري، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ثم الطابع الصغير ونقشه (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الناظر بتطوان المحروسة الحاج محمد بن جلون، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فالذي يكون عليه عملك في راتب القاضي السيد التهامي أفيلال هو أن تكمل له على ما يقبضه فيه الآن، ثلاثين ريالا شهرية، بحيث تكون هي مقبوضه في راتب القضاء مشاهرة، والسلام. في 22 ربيع الثاني عام 1317".

وفي سنة 1320، أمر السلطان بأن تزاد في مرتب القاضي ثلاثون ريالا من مداخيل المرسى، زيادة على مرتب الأحباس. وهذه رسالة من الحاجب السيد أحمد الركينة بذلك، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الشريف الأجل، الفقيه القاضي العلامة الأفضل، السيد التهامي أفيلال، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله، وبعد فإن مولانا أيده الله أصدر أمره الشريف أعزه الله لأمناء مرسى تطوان المحروسة بالله، بتنفيذهم لك ثلاثين ريالا شهرية، زيادة على ما هو منفذ لك من الأحباس ثمه. والكتاب الشريف لأمناء المرسى المذكورة بتنفيذ ما ذكر لك، يصلك طيه، وعلى المحبة والسلام. في 5 صفر الخير عام 1320. أحمد الركينة وفقه الله".

وفي أواخر عهد السلطان المولى عبد العزيز، أي عام 1325، حركت قضية المرتب من جديد. وقد وقفت على ثلاث رسائل تتعلق بهذا الموضوع، وهذا نص الأولى:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

حبنا الأعز الأرضى الفقيه العلامة الشريف سيدي التهامي أفيلال، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أعزه الله، وبعد وصل كتابك شارحا قضية المشاهرة المنفذة لسيادتكم وما حصل في شطرها من المماطلة البالغة ستة أشهر، طالبا رفع شكواكم للأعتاب الشريفة، مؤملا تحويل الشطر المنفذ في الديوانة على الأحباس كما كانت العادة السابقة، وصار بالبال. فقد كتبنا ساعته للأعتاب الشريفة بهذه القضية وبطلب المساعدة على مطلبكم، كما كتبنا للأمين السيد أحمد الركينة بذلك، ووجهنا كتاب الحضرة الشريفة بيده، وطلبنا منه الوقوف في شأنه حتى يوجهه بيدنا ليوجه لكم، فكن مطمئن البال،

وعلى المحبة والسلام. في 5 قعدة الحرام عام 1325. محمد بن العربي الطريس لطف الله به".

وقد تمت القضية، ووقعت المصادقة على الطلب، وصدر الأمر بتنفيذه، وهذه رسالة من السلطان لناظر الأحباس بذلك، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ثم الطابع الصغير ونقشه (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى ناظر الأحباس الكبرى بتطوان المحروسة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فنأمرك أن تزيد للقاضي الفقيه السيد التهامي أفيلال ثلاثين ريالا في راتبه الشهري، على الثلاثين المنفذة له من قبل، ليصير له فيه ستون ريالا، حيث اقتضى نظرنا الشريف قطع ما كان يحوزه من المرسى في ذلك، رجوعا إلى العادة القديمة في مرتب القضاة من قصر تنفيذها عند الأحباس، والسلام. في 11 قعدة الحرام عام 1325".

وفي نفس التاريخ، كتب السلطان إلى أمناء تطوان رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه

خدامنا الأرضين أمناء مرسى تطوان حرسها الله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فنأمركم أن تقطعوا عن الفقيه القاضي السيد التهامي أفيلال الثلاثين ريالا المنفذة له عندكم مشاهرة، فإنا رددنا تنفيذها له من الأحباس على العادة القديمة في مرتب القضاة ثمه، والسلام. في 11 قعدة الحرام عام 1325".

وكان القاضي سيدي التهامي، زيادة على منصبه الشرعي الممتاز، هو المرجع الأعلى لأعيان تطوان فيما يرجع لشؤون البلد، نظرا لعلمه ووجاهته وعلو مكانته، فكان هو المستشار المؤتمن للأهالي، بحيث لا يكاد أي أمر مهم يتم إلا بعد مشورته وأخذ رأيه، وكانت محكمته هي منتدى الأعيان للمذاكرة في شؤون المصالح العامة وكل ما يحتاج للاتصال بالدوائر الرسمية العليا.

الفقيه الرهوني ينوب عن القاضي أفيلال عام 1324:

وقفت على رسم تلقى فيه العدلان سيدي الحسن أفيلال وسيدي محمد بن مرزوق شهادة لفيفية بتاريخ رابع ربيع الثاني عام 1324، وقد كتب تحته شيخنا العلامة سيدي أحمد الرهوني بخطه ما نصه:

"الحمد لله أدى المتلقى منهم أعلاه في تاريخه فثبت وأعلم به نيابة عبد ربه أحمد بن محمد الرهوني لطف الله به".

إعفاء القاضي أفيلال عام 1327:

واستمر سيدي التهامي قائما بأعمال وظيفه، إلى أن أعفي منه عام 1327. وهذا نص الرسالة المتعلقة بذلك، وهي من السلطان لقائد تطوان:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع الصغير وبه (عبد الحفيظ بن الحسن الله وليه ومولاه)

وصيفنا الأرضى القائد عبد السلام بن الحسين البخاري، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فقد وصل كتابك بأن القاضي السيد التهامي أفيلال طلب إعفاءه من خطة القضاء، لعجزه عن القيام بها، وصار بالبال. فقد أعفيناه ورشحنا للقيام بالخطة الفقيه السيد محمد البقالي، فلتشد له العضد فيما يرجع لخطته، والسلام. في 23 صفر الخير عام 1327"[2].

ولاية القاضي البقالي عام 1327:

رأيت في الرسالة السابقة أن السلطان المولى عبد الحفيظ لما أعفى القاضي سيدي التهامي أفيلال، ولى مكانه الفقيه سيدي محمد البقالي، وكان ذلك في شهر صفر عام 1327.

والفقيه البقالي هو العلامة المشارك الخير الدين الورع سيدي محمد بن أحمد بن التهامي البقالي. وكان من أبعد الناس عن الطمع في الوظائف، وقد اعتبر ولاية القضاء كنكبة حلت به فلم يستطع دفعها، واستسلم لقضاء الله، وباشر عمله بعفة ونزاهة تامتين. وهو وإن كان أكثر علما ومشاركة من القاضي أفيلال، إلا أن أفيلال كان يفوقه في صناعة القضاء والاطلاع على عاداتها وأسرارها، مع ما اكتسبه من المران على أعمالها ودقائقها، مع التيقظ والتتبع لشؤون العدول وأعمالهم، وكل ما له اتصال بوظيف القضاء. أما الفقيه البقالي، فكان بعيدا عن ذلك كله، وكان يعتبر ذلك الوظيف مصيبة يرغب من

---

[2]- { وردت إثر هذه الفقرات ورقة كتبت بخط مغاير لخط المؤلف، هذا نصها: "كان سيدي التهامي أفيلال والسيد عبد القادر الفاسي الفهري صديقين حميمين، ولما جاء عهد عبد الحفيظ، وكان العباس الفاسي في الحكومة الحفيظية، وقع تنافر بينهما أدى إلى التقاطع. وتولى الفقيه النجار نظارة الأحباس، وكان صدره عامرة عدا (كذا) إلى أفيلال، لما كان بينه وبين سيدي مصطفى أفيلال، ووقعت المؤامرة بين النجار وولي نعمته عبد القادر الفاسي، فلما انصرف الشهر، أرسل القاضي السيد أحمد الصفار إلى النجار ليأتي بواجب الشهر، امتنع النجار من ذلك، وقال حتى يعطيه القاضي نسخة من تولية السلطان المدلى به وبعد هذه المراجعات، غضب القاضي وقال تبا لهذه الوظيفة تلاقي مع الأوباش، وترك المحكمة ولزم بيته، فجاءه الأعيان يطلبون منه الرجوع، فأبى، فطلبوا منه أن يعين من يقوم بالمحكمة حتى يرد أمر السلطان. عن السيد أحمد الصفار " }. ح. د.

الله تعالى أن ينقذه منها. فلذلك لم تطل مدة ولايته للقضاء، واضطر الحال ذوي الأمر إلى إعفائه وإعادة سيدي التهامي أفيلال إلى منصبه.

إعفاء القاضي البقالي وإعادة القاضي أفيلال عام 1328:

واقتضت المصالح العامة والخاصة إعفاء القاضي البقالي وإعادة تولية القاضي أفيلال، ووقعت المخابرة في ذلك مع الدوائر المخزنية العليا، وكتب قائد تطوان بذلك إلى الوزير المدني الكلاوي رسالة أجابه عنها برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى القائد عبد السلام بن الحسين البخاري، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا نصره الله، وبعد وصل كتابك بما شرحته في شأن القاضي الحالي وتصرفاته الحائدة عن منهج الإصابة وتهوراته في الأحكام، وطلبت تولية القاضي السيد التهامي أفيلال الذي كان مولى قبل، لما وصفته به من الحزم والنجدة وإجراء الأمور على مقتضاها، وصار بالبال. فقد ساعد مولانا دام علاه على مطلبك. والظهير الشريف له بذلك يوافيك طيه. والله يبارك في عمر مولانا ويديم وجوده وعزه. وعلى المحبة والسلام. في 16 جمدى ني عام 1328. المدني الله له".

وكتب السلطان المولى عبد الحفيظ إلى قائد تطوان بإعفاء الفقيه سيدي محمد البقالي من منصب القضاء، وإعادة الفقيه سيدي التهامي أفيلال للمنصب المذكور رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع ونقشه: عبد الحفيظ بن الحسن وفقه الله

وصيفنا الأرضى القائد عبد السلام بن الحسين البخاري، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك بأن قاضي تطوان لم يقم بواجب الخطة كما يراد، لتغافله عن العدول في تعمير الذمم وتمليك البلادات للأجانب، وفتح أبواب الرشى، وطلبت عزله وتولية الفقيه السيد التهامي أفيلال الذي كان قاضيا قبل، لما كان عليه من الحزم وإجراء الأمور الشرعية على مقتضاها، وإنما أخر لطلبه الإعفاء لما بينته، وصار بالبال. فقد أعفينا السيد محمد البقالي من الخطة، وولينا أفيلال مكانه، لما شرحته من حاله، وظهيرنا الشريف له بذلك يوافيك صحبته لتدفعه له على يدك، وتشد عضده على خطته، والسلام. في 14 جمدى الأخيرة عام 1328".

والظهير المشار إليه في هذه الرسالة، هذا نصه نقلا عن أصله:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الكبير ونقش وسطه (عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الله وليه ومولاه) وفي أعلاه (فالله خير حفظا) وفي أسفله (وهو أرحم الراحمين) وفي يمناه (يا قوي) وفي يسراه (يا معين)

يعلم من كتابنا هذا شرف الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، ولينا ماسكه الفقيه السيد التهامي أفيلال خطة القضاء بثغر تطوان حرسه الله، وأذنا له في تصفح الرسوم، وفصل الخصوم، والحكم بمشهور مذهب الإمام مالك أو ما جرى به العمل، وعليه بتقوى الله تعلى ومراقبته في سره وعلانيته، والله يعصمه من الزلل، ويوفقه لصالح القول والعمل. فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ويشد عضده فيما يرجع لأمور خطته، والسلام. صدر به أمرنا المعتز بالله تعلى في 13 جمدى الثانية عام 1328".

وهكذا عاد سيدي التهامي أفيلال لوظيف القضاء، وقد كتب إليه أستاذنا الرهوني بهذه المناسبة الرسالة الآتية، وكان إذ ذاك موظفا بدار النيابة السلطانية في طنجة. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بعد تقبيل راحتي مولانا الإمام، علم الأعلام، خاتمة قضاة العدل على الإطلاق، وأفضلهم على العموم والاستغراق، سيدنا ومولانا التهامي ابن مولانا محمد أفيلال، وإهداء اللائق بجلالتكم من تحية الإعظام، فإني أهنئ نفسي أولا، وجميع المسلمين ثانيا، وأهل تطوان ثالثا، وسيدي رابعا، على رضاه بالعود لذلك المنصب الذي لولا تداركه لتلاشى شوقا إليه، ولذاب من أجل البكاء على فراقه، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على هذه المنن العظمى على هذه الأمة، وقد صدقني الله في رؤيا كنت رأيتها منذ نحو ثلاثة أشهر، وهي أن سيدي في وسط حلقة بالجامع الأعظم من تطوان، وفي جملة من عمر تلك الحلقة شيخنا سيدي محمد البقالي حفظه الله فمن دونه، وقد قصصت هذه الرؤيا على أخينا سيدي محمد بفاس، وأولتها بأن ذلك المنصب لا بد أن يتشرف بسيدي، وولايتك سيدي والله نعمة ورحمة، ونرجو الله أن يدخر لك ثوابها إلى الأخرة، ويكتبك في زمرة عدول القضاة الذين يجلسون على منابر النور يوم القيامة عن يمين الرحمن. وشواهد الحال تبشر بذلك إن شاء الله. وقد طفح عليّ السرور حتى صرت لا أدري ما أكتب وما أقول، ولقد هممت بالورود لتهنئة سيدي بنفسي لأني كنت أفكر في رجوعي لتطوان قبل هذا من غير أن أتشرف بلثم الراحتين الكريمتين على تلك المنصة التي طالما سعدت بجلوسه عليها، ولاكن عذرا سيدي، فكثرة الأشغال شملت الليل والنهار. وقد أعلمنا سيدي محمد

بن جعفر بعودتكم لذلك المنصب، ففرح ونشط ودعا بخير. وعلى خالص الود والسلام. في 26 جمدى الأخيرة عام 1328. ولدكم بل عبدكم أحمد".

وبعد إعادة سيدي التهامي أفيلال إلى منصب القضاء بأيام، كتب إليه السلطان رسالة يأمره فيها بالسماح للعدول بأن يشهدوا ويكتبوا شهاداتهم بشراء الأجانب للأملاك داخل المدينة وبالقرب منها. وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ثم الطابع السلطاني ونقشه (عبد الحفيظ بن الحسن وفقه الله)

الفقيه الأرضى القاضي بثغر تطوان المحروسة بالله، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فإنه لما كان الحق ثابتا للأجانب في شراء الأملاك أولا بكافة الثغور السعيدة والقصر الكبير وأصيلا وأزمور بمسافة عشرة كيلوميترا خارج المراسي واثنين كيلوميترا خارج المدن الثلاث المذكورة، وكان ذلك ثابتا بحجة الشروط المستوجبة لتعجيل التنفيذ ونفي التأخير، وقع الطلب من جانب الدول الفخام في تنفيذ ذلك، فساعدنا على العمل به، وتسويغ شراء الأملاك إليهم، حيث لا وجه للتعرض أو التأني فيما تم الوفاق فيه من مؤتمر الخزيرات، ولم يبق متوقفا إلا على إذن المخزن به، وعليه فنأمرك أن تسرح الإذن للعدول في كتب الشهادات بشراء الأجانب الأملاك في الثغر وخارجه مسافة عشرة كيلوميتر، وتتحرى الإذن بأن تقدم استفهام العامل وناظر الأحباس وأمين المستفاد كتابة عن عين الملك المراد بيعه، هل هو لجانب المخزن أو للأحباس أو هو لمالكه حقيقة وأصلا، لتكون على بينة من ملكية المحل لمن هي، ويكون الإذن فيما هو ملك للبائع ثابتا على كيفية البحث والتثبت. وأما الأجور التي تلزم في ذلك فقد كلفنا الخديم النائب الجباص بأن يبين لك كيفية استخراجها. كما نأمرك أن تبذل كلية الاحتياط في ذلك لتصحيح الرسوم وتمكين التمليكات على الطريقة التي لا تبقى معها ريبة، والله المستعان، والسلام. في 26 جمدى الأولى عام 1328".

وكتب النائب الجباص من طنجة إلى القاضي المذكور رسالة أخرى هذا نصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى الفقيه العلامة القاضي الشريف سيدي التهامي أفيلال، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أعزه الله، وبعد فقد صدر أمر مولانا الشريف لك فيما يتعلق بشراء الأجانب للأملاك داخل العشرة كيلوميتر من باب البلد لتأذن العدول بإشهاد البيوع الراجعة لذلك على الكيفية المبينة لك في كتاب مولانا الشريف الواصل إليك. أما بيان الأجور التي أحالك مولانا علينا فيه، فعند مباشرة ضابطه على المقرر فيه، يبين لك بحول الله. نعم الذي يكون عليه العمل الآن هو اتباع القاعدة الجارية قبل، مع عدم الحيف

والإلحاح في قبض ما فوق المناسب، حتى لا ينشأ عن ذلك تشكي ولا قيل وقال، بينما يتم الضابط المشار إليه، وعلى المحبة والسلام. في 27 جمدى الثانية عام 1328. محمد بن محمد الجباص وفقه الله".

وفي عهد القاضي سيدي التهامي أفيلال فرضت الحماية الإسبانية على منطقة الشمال المغربي، وصارت تطوان هي عاصمة هذه المنطقة، وكونت بها حكومة على رأسها خليفة سلطاني صار يصدر الظهائر كما يصدرها السلطان، وكان الخليفة الأول بها هو الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل العلوي. وقد أصدر هذا الخليفة ظهيرا حدد فيه مرتب قاضي تطوان سيدي التهامي أفيلال بالعملة الإسبانية، وهذا نصه بعد الحمدلة والتصلية والطابع الرسمي:

"يعلم من هذا الكتاب الفائق، والأمر المستعذب الرائق، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، عينا لقاضي تطوان الفقيه السيد التهامي أفيلال، سبعة آلاف بسيطة سكة إسبنيولية، راتبا سنويا عن وظيفه المطوق به من يوم تاريخه، تدفع له من القسم الثاني والباب الرابع والفصل الثالث من ميزانية المخزن، على شرط ملازمة القيام والمواظبة. فنأمر الواقف عليه من ولاة الأمور وأرباب الصدور، أن يجري على مقتضاه، ويقف عند حده ولا يتعداه، والسلام. صدر به أمرنا العالي بالله في 25 صفر الخير عام 1334 موافق فاتح يناير سنة 1916".

[3] "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأجرى على مهيع الرشاد سيره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، عينا لقاضي تطوان الفقيه الشريف السيد التهامي أفيلال، ثمانية آلاف بسيطة سكة إسبنيولية، راتبا سنويا عن وظيفه المطوق به، تؤخذ من القسم الخامس والباب الرابع والفصل الأول من الميزانية المعمول بها الآن. فنأمر الواقف عليه من ولاة الأمور وأرباب الصدور، أن يعلمه ويعمل به، ولا يحيد عن سنن مذهبه، والسلام. صدر به أمرنا العالي بالله في 9 رجب الفرد الحرام عام 1335 موافق فاتح مايو سنة 1917".

وكان الخليفة المذكور قبل ذلك التاريخ، قد بعث إلى القاضي المذكور رسالة عن أملاك الحبس وأملاك المخزن، هذا نصها بعد الحمدلة الخ:

"خديمنا الأرضى الفقيه القاضي السيد التهامي أفيلال، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فالواجب المتعين في أملاك الحبس ربعا وعقارا وأملاك المخزن أيضا، هو توقيفها وعدم إجراء عقد أو معاملة فيها على أي

---

[3] - [أدرج المؤلف هنا ظهيرا آخر في نفس الموضوع ظهير آخر في نفس موضوع، إلا أنه يفهم منه أن الراتب السنوي الذي خصص للفقيه القاضي سيدي التهامي أفيلال، هو ثمانية آلاف بسيطة سكة إسبانية، وهذا نص الظهير] ح. د

الضوابط والقوانين التي يجب التمشي عليها في وجه وطريق، ريثما تحرر الضوابط والقوانين التي يجب التمشي عليها في ذلك، وكل عقد أو معاملة يجري على خلافه فلا يقع الإقرار عليه، ولا يعتبر الالتفات بوجه من الوجوه إليه، فلتقرر لكافة الشهود ذلك أتم تقرير، ولتلزمهم الوقوف عند ما تضمنه هذا التحرير، وقد أمرنا النظار بمثله، وأوعزنا إلى العامل بشد العضد في ذلك، والسلام. في 10 ذي القعدة عام 1331".

وفي نفس التاريخ، كتبت لنظار الأحباس رسالة خليفية هذا نصها:

"خدامنا الأرضين كافة نظار الأحباس بحاضرة تطوان وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فالواجب المتعين في أملاك الحبس ربعا وعقارا هو توقيفها وعدم إجراء عقد أو معاملة فيها على أي وجه وطريق، ريثما تحرر الضوابط والقوانين التي يجب التمشي عليها في ذلك، وكل عقد أو معاملة يجري على خلافه فلا يقع الإقرار عليه، ولا يعتبر الالتفات بوجه من الوجوه إليه، والسلام. في 10 ذي القعدة الحرام عام 1331".

وفي عهد سيدي التهامي أفيلال والقضاة الذين كانوا قبله، لم يكن للقاضي خليفة رسمي، بل كانت العادة أن القاضي يختار بعض العدول المبرزين، فيكلفه بالنيابة عنه في بعض الأعمال أو في جميعها إذا اقتضى الحال ذلك.

وقد لبث شيخنا الفقيه المدرس العدل سيدي أحمد بن محمد العمراني – المعروف بالفقيه الغماري – ينوب عن القاضي سيدي التهامي أفيلال في بعض الأعمال مدة مديدة، فلما أسند إلى الفقيه المذكور وظيف القضاء بالعرائش، عين سيدي التهامي في مكانه الفقيه الشريف سيدي الحاج الحسن أفيلال، فصار هو الذي يتولى جل أشغال الإدارة الشرعية، بل مر وقت كان هو القائم فيه بجميع أعمالها، وذلك حينما كبر سيدي التهامي وضعف عن العمل. وقد استمر سيدي التهامي المذكور متقلدا وظيف القضاء بتطوان بالرغم من شيخوخته، إلى أن توفي بهذه المدينة ودفن بها في 28 جمدى الأولى عام 1339، فولي مكانه العلامة سيدي أحمد الزواقي.

أما قرار تولية سيدي الحسن أفيلال لوظيف خليفة القاضي، فهذا نصه:

"يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أذنا بترشيح الشريف الفقيه السيد الحسن أفيلال خليفة عن قاضي هذه الحضرة التطوانية، على أن يكون راتبه السنوي ألفا بسيطة اثنين سكة إسبنيولية يؤخذ من القسم الخامس والباب الرابع والفصل الأول من ميزانية المخزن الجاري عليها العمل الآن، فالواقف عليه يجب أن يجري على مقتضاه ولا يتعداه إلى سواه، والسلام. في 17 ربيع الأول عام 1336 موافق فاتح يناير سنة 1918. محمد بن عزوز.

اطلعت عليه وأذنت بنشره. تطوان فاتح يناير سنة 1918. نائب إدارة الأمور الوطنية خوسي بويكاس دالماو".

ولاية الفقيه الزواقي لقضاء تطوان عام 1339:

لما توفي الفقيه القاضي سيدي التهامي أفيلال، أسند وظيف القضاء بتطوان إلى الفقيه العلامة شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الطاهر الزواقي، وصدر بذلك ظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما

ثم الطابع ونقش وسطه (المهدي بن إسماعيل بن محمد الله وليه ومولاه) وبدائرته (يا قوي يا معين، الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين)

كتابنا هذا المتلألئة أنواره، الواضحة أسراره، الطالعة في أفق السعادة شموسه وأقماره، يعلم من درر مبانيه، وغرر معانيه، أننا بعون من بيده القوة والحول، وله الانفراد بالعزة والطول، ولينا الشريف الفقيه، العلامة النبيه، السيد أحمد الزواقي خطة القضاء بحضرتنا التطوانية المحروسة، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بمشهور مذهب الإمام مالك بن أنس، وما وقع عليه الاتفاق من رجال مذهبه المستمدين منه أنور قبس، أو كان راجحا جاريا على قوانين طريقه الملتمس، وما جرى به العمل ولم يشذ عن أصله المقتبس، لخيرته وديانته، ونزاهته وكفاءته، واقتداره ونباهته، فليشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، وليبد من تيقظه وتبصره ما يبرهن على كمال الاستعداد، وليسوّ في أقضيته بين القوي والضعيف، والمشروف والشريف، فلا يتقي وصم واصم، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وليراقب مولاه في السر والنجوى، وليلزم ما عرف به من سلوك سبيل التقوى، ألهمه الله الرشد والتوفيق، وأنهجه منهج أقوم طريق، وكلل أعماله بالنجاح، وسلك به مسلك أهل الفلاح، والسلام. صدر به أمرنا المعتز بالله في 8 جمدى الثانية عام 1339 موافق 17 فبراير سنة 1921.

عاينت ظهير سمو الخليفة المعظم مولاي المهدي بن إسماعيل بن محمد الصادر بتاريخه، المتضمن إسناد خطة القضاء للفقيه الشريف السيد أحمد الزواقي. وعليه فإني أعلم به. تطوان 17 فبراير سنة 1921. داماس برنكير".

وفي نفس التاريخ صدر بتعيين مرتبه الرسمي، ظهير آخر هذا نصه بعد الحمدلة والتصلية والطابع الرسمي:

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأبد على ممر الدهور فخره، أننا عينا للفقيه القاضي بتطوان السيد أحمد الزواقي، مكافأة سنوية قدرها تسعة آلاف وستمائة بسيطة سكة إسبنيولية، تؤخذ من القسم الخامس والباب الرابع والفصل الأول من ميزانية المخزن الجاري بها العمل الآن. فنأمر الواقف عليه

من كافة ولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ويلزم حده ولا يتعداه، والسلام.
صدر به أمرنا العالي بالله في 8 جمدى الثانية عام 1339 موافق 17 فبراير سنة 1921.

اطلعت على ظهير سمو الخليفة المعظم مولاي المهدي بن إسماعيل بن محمد الصادر بتاريخه، المتضمن تعيين مكافأة القاضي السيد أحمد الزواقي بتطوان. وعليه فإني أعلم به. تطوان 17 فبراير سنة 1921. داماس برنكير".

وقد قام الفقيه الزواقي بأعمال القضاء بحزم وعزم. وكانت العادة في تطوان أن بعض العدول لا يحضرون بأنفسهم لدى القاضي لأداء شهاداتهم، بل يكتفون بكتابة بطاقة ممضاة منهم، وفيها مضمن الشهادة وأداؤها بالكتابة، فيكتفي القاضي بذلك، ويؤدي الشهادة. وقد أبطل القاضي الزواقي هذه العادة، وألزم جميع العدول بالحضور لديه لأداء شهادتهم مشافهة. ولا زال العمل جاريا على ذلك إلى الآن.

كما أنه ألزم جميع العدول بأن لا يخرجوا من يدهم أي رسم إلا بعد أدائه على القاضي أو خليفته.

وفي عهد ولاية شيخنا الزواقي هذه المرة، عدت من فاس، حيث كنت أدرس بجامع القرويين، فأسند إليّ القاضي المذكور خطة العدالة، فكنت إذ ذاك أصغر عدول تطوان سنا، إذ لم يكن عمري يتجاوز الحادية والعشرين. ولا أعرف بين عدول ذلك العهد من كان عمره يقل عن الأربعين.

وقد أخذت في مزاولة خطة العدالة في إحدى الحوانيت القريبة من محكمة القاضي قرب الجامع الأعظم، في رفقة الشريف العدل سيدي محمد بن محمد ابن عبد الوهاب (وهو من أشياخي)، والفقيه العدل السيد عبد الكريم بن محمد الدليرو (وهو من رفقائي في الدراسة).

رسالة من الوزير لقاضي تطوان عام 1339:

"محبنا الأرضى الفقيه القاضي السيد أحمد الزواقي، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله، عن خير سيدنا أعزه الله، وبعد فيصلك بطيه ظهير شريف، فيلزمك التمشي على جميع ما تضمنه حرفا حرفا من غير إخلال بشيء منه، كما يجب أن لا يصدر خطاب بالأداء والإعمال على رسم قديم إلا بعد كمال التثبت والتحري ببراءة ساحته من الريبة. ولا سيما ما كان متعلقا بإثبات الملكيات وبيع الأملاك. أما ما كان قديما جدا ومظنة ريبة، فلا بد من صدور الإذن الخاص، وكذلك لا يسوغ إصدار الإذن ببيع ملك للأجانب قط، كائنا من كان إلا بالإذن الخاص، فلتجر على مقتضاه، والسلام. في 24 شعبان الأبرك عام 1339".

رسالة أخرى من الوزير إلى القاضي الزواقي عام 1339:

"محبنا الأرضى الفقيه القاضي السيد أحمد الزواقي، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله، عن خير سيدنا أعزه الله، وبعد فالواجب أن لا تصدر إذنا للأجانب في شراء الأملاك دون إذن خاص من جانب المخزن في كل ملك أريد شراؤه إن كانت الأملاك خارجة عن مدينة تطوان بعشرة كيلومطر. كما يجب أن لا تأذن العدول في كتابة عقد بيع الأرضين مع علمهم أو ظنهم بأن المشتري أجنبي أو حماية أجنبي أو مشارك أجنبي ولم يصرح بذلك، والسلام. في 25 قعدة عام 1339 موافق 31 يليه 1921".

قرار وزيري في شأن شراء الأجانب للأملاك:

وفي السنة التي أسند فيها وظيف القضاء بتطوان إلى شيخنا الزواقي، أصدرت رئاسة الوزارة بهذه المدينة قرارا وزيريا في شأن شراء الأجانب للأملاك خارج المدن بالمنطقة الخليفية، وهذا نصه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا رأينا أنه يتعين حصر قوانين مباشرة التماسات الأجانب الذين يريدون شراء الأملاك الواقعة بهذه المنطقة المحروسة الخارجة عن المدن بالمسافة المبينة في الفصل الستين من مؤتمر الجزيرة ومراعاتها في الفصول الآتي بيانها منذ الآن فما بعد.

الفصل الأول: أن الأجنبي يوجه لقاضي المدينة الأقرب للمحل الواقع به الملك المبيع، طلبه بكونه يريد عقد الشراء أمام عدلين، ثم يبحث القاضي في الرسوم المقدمة له، فإن كانت تامة، فعلى القاضي المذكور أن يعلم الأجنبي أنه من اللازم أن يقدم الطلب لقائد القبيلة الموجود بها الملك، إما باللغة العربية أو الإسبانية، مخاطبا فيه رئيس الوزارة، ملتمسا فيه إذن المخزن في اشتراء الملك.

الفصل الثاني: يسلم القائد كتاب الأجنبي المذكور لرئيس مائة الحراسة المناسبة ليقوم بالبحث اللازم عن البائع والمشتري ونفس الملك وحدوده وموقعه، ولا سيما إن كان من الأملاك التي لا يسوغ بيعها. وبعد إجراء هذا البحث، يقابل ببحث القائد.

الفصل الثالث: بحث القائد يلزم أن يكون مشتملا على جميع ما تضمنه بحث رئيس المائة، وعند انتهاء البحث المذكور، يوجه القائد ذلك لرئيس الوزارة رأسا.

الفصل الرابع: إن رئيس المائة يوجه التماس الأجنبي الأصلي مصحوبا ببحث رئيس المائة المذكور للإدارة المركزية التي تحت نظرها، وهذه توجه الكل لإدارة الأمور الوطنية.

الفصل الخامس: إن رئيس الوزارة ونائب إدارة الأمور الوطنية، يبحثان بكل تدقيق في القضية، وللمخزن أن يمنح المأذونية الملتمسة أو يمنعها، ثم يعلم رئيس الوزارة القائد، ونائب إدارة الأمور الوطنية يعلم الإدارة المركزية بما عزم عليه المخزن، كما أن هذين يعلمان القاضي ورئيس المائة.

فالواقف عليه يجري على مقتضاه ولا يتعداه لسواه، والسلام. في 18 حجة عام 1339 موافق 23 غشت سنة 1921. محمد ابن عزوز وفقه الله".

واستمر القاضي الزواقي قائما بوظيفه أحسن قيام إلى أن أعفي منه عام 1342، فولي مكانه تلميذه الفقيه سيدي أحمد الرهوني رحمه الله. أما الخليفة سيدي الحسن أفيلال فقد بقي في وظيفه طول هذه المدة، واستمر فيه حتى بعد إعفاء الفقيه الزواقي.

رسالة من الوزير الركينة إلى القاضي الزواقي:

"محبنا الأعز الفقيه العلامة القاضي سيدي أحمد الزواقي، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أعزه الله، وبعد فلتعين من ترى فيه الكفاءة والصلاحية للقيام بأمر المحكمة الشرعية المسندة لرياستك من أعوان 4 ورئيس لهم، كي ينخرطوا في سلك الموظفين الرسميين بتلك المحكمة، وتعين لهم الرواتب كغيرهم، والسلام. في 27 جمدى الأولى عام 1341".

وقد أجاب بتعيين ذلك، فكتب إليه الوزير في 6 جمدى الثانية 1341 بأنه عند مراجعة الميزانية وقع أن الاكتفاء بـ 2 بدل 4 من الأعوان. وفي 29 / 1 / 23 صدر قرار بتعيين:

عبد الغفور بن كيران – 1200 (وكيلا بمحكمة قاضي تطوان)

ومحمد السالمي – 1000

العربي الستار – 1000

[4] "سيادة الأخ الأبر الشريف الأعز العلامة القاضي سيدي أحمد الزواقي أمنك الله، وبعد فالذي ينبغي التمشي عليه وهو الذي يقتضيه هذا الوقت، أنه إذا صدر من أحد العدول ما يوجب مؤاخذته عن هفوة أو نحوها، فلا تبادر لما يتعين عن تلك الجناية أو الهفوة إلا بعد مفاوضتنا فيما ترى إجراءه في حق

---

[4] - {وهذه رسالة وزيرية أخرى إلى القاضي سيدي أحمد الزواقي عام 1342 بضرورة مراجعة الوزارة قبل مؤاخذة العدول على ما يمكن أن يصدر عنهم من الهفوات} ح. د.

الجاني، إذ ذاك هو الذي نراه مناسبا كما لا يخفاك، وعلى المحبة والسلام. في 17 جمدى الأولى عام 1342".

ولاية القاضي الرهوني عام 1342:

لما أعفي القاضي سيدي أحمد الزواقي من منصبه، تولى مكانه تلميذه الفقيه العلامة المشارك سيدي أحمد بن محمد الرهوني، زيادة على الوظيف الذي كان يشغله في ذلك العهد، وهو وظيف وزير العدلية. إلا أنه لم يكن يحضر للمحكمة الشرعية لمباشرة أعمالها بنفسه إلا قليلا، وكان القائم بأعمالها في الغالب هو خليفته الفقيه سيدي الحسن أفيلال، وقد جدد له بذلك قرار وزيري مؤرخ بـ 27 ذي القعدة عام 1342 موافق فاتح يوليه 1924، وقد سمي فيه نائبا عن قاضي هذه العاصمة وقاضي قضاة منطقتها الخ.

[5] "يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بترشيح العلامة النحرير، الدراكة الخطير، المدرس الأحفل، الفهامة النقاد الأمثل، المشارك في العلوم، المتبحر في المنطوق منها والمفهوم، الفقيه السيد أحمد الرهوني، قاضيا بهذه العاصمة التطوانية، ليفصل فيها بين الخصوم، ويخاطب على الرسوم، ويجري أحكام الشريعة بين ذوي النزاع، باذلا في نشر العدل جهد المستطاع، وذلك على ما شهر من مذهب إمام الأئمة على الإطلاق، وحائز المعلى بينهم في مضمار السباق، الإمام مالك بن أنس، وما جرى به عمل رجاله المقدس، سالكا في أحكامه سبيل ذوي القسط والعدالة، مراعيا لهذا المنصب ما له من الحرمة والجلالة، ترشيحا توخينا فيه السداد، وانتهجنا به سبيل الرشاد، وأعطينا به القوس لمن يرى، وارتأينا فيه إرضاء الورى، والله تعلى يسلك بنا وبه طريق المقسطين، ويجعله من أئمة الهدى المتقين، والواقف عليه يعتمده ويمضيه، ويجري على ما تضمنه ويقتضيه، والسلام. في 7 محرم عام 1343 موافق 9 غشت سنة 1924".

[6] "يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بترشيح الفقيه الجليل، الشريف النزيه الأصيل، اللوذعي الأنجد، المدرس العالم الأمجد، سيدي الحاج الحسن أفيلال نائبا عن قاضي هذه العاصمة التطوانية وقاضي قضاة منطقتها المحمية، الفقيه الأجل السيد أحمد الرهوني، لينوب عنه في إنفاذ الأحكام، والفصل بين ذوي التشاجر والخصام،

---

[5] - [وهذا نص القرار الوزيري بتعيين الوزير الفقيه العلامة أحمد الرهوني قاضيا بتطوان عام 1343 هـ 1924 م] ح. د

[6] - [وهذا نص القرار الوزيري بتعيين الشريف العلامة سيدي الحاج الحسن أفيلال نائبا عن القاضي بتطوان عام 1342 هـ 1924 م] ح. د

مراعيا في ذلك حدود الشريعة المطهرة، ومقتفيا ما ترشد له فروعها المحررة، ناهجا نهج منوبه في الأداء والخطاب، مفوقا سهم عزمه لغرض السداد والصواب، والله تعلى يسلك بنا وبه سبيل الأخيار، وينظمه في سلك المقسطين الأبرار. والواقف عليه يعمل بمقتضاه، ولا يتعداه لسواه، والسلام. في 27 قعدة عام 1342 موافق فاتح يليه سنة 1924"[7].

واستمر الحال على ذلك إلى أن اقتضت المصلحة تبديل الحال، فأسند وظيف القضاء بتطوان لشيخنا العلامة سيدي محمد المرير حفظه الله.

إعفاء الفقيه العلامة سيدي أحمد الزواقي من قضاء تطوان 1343:

"يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بإعفاء الفقيه الأجل النحرير العلامة الأفضل، الشريف النزيه، الألمعي الدراكة النبيه، سيدي أحمد بن الطاهر الزواقي من خطة القضاء والأحكام، وفصل التنازع والخصام، إعفاء لم ينبئ بشين، أو تنطوي الضمائر فيه على ريبة أو مين، فلينصرف عن تلك الخطة محمود السيرة، طاهر الظاهر فيها والسريرة، مرموقا بعين الاعتبار، معترفا له بالسير فيها على مهيع النزاهة والاستبصار، والسلوك على سبيل ذوي العدالة والتقوى، والتمسك بحبل الشريعة الأقوى. والواقف عليه يعمل بمقتضيه، ويعقد فحواه ويمضيه، والسلام. في 7 محرم عام 1343 موافق 9 غشت سنة 1924".

ولاية القاضي المرير عام 1345:

لما أعفي الفقيه الوزير سيدي أحمد الرهوني من وظيف القضاء بتطوان، عين مكانه تلميذه الفقيه العلامة المحقق سيدي محمد بن محمد المرير، بظهير شريف مؤرخ بـ 13 ربيع النبوي عام 1345 موافق 21 سبتمبر سنة 1926. وكان القائم بشؤون الإدارة الشرعية إذ ذاك هو الخليفة سيدي الحسن أفيلال، فلما ولي القضاء المرير، استعفى الخليفة المذكور، فأعفي بقرار وزيري جاء فيه أن إعفاءه من خطة النيابة عن قاضي تطوان، وقع إجابة لطلبه، وإسعافا لرغبته، فليتخل عنه مشكور الأعمال، محمود المساعي والأحوال الخ. وتاريخ ذلك القرار هو فاتح ربيع الثاني عام 1345 هـ موافق 9 أكتوبر 1926.

أما ظهير ولاية الفقيه المرير للقضاء، فهذا نصه نقلا عن أصله:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

ثم الطابع الكبير للخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي، ونقش وسطه (الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن محمد الله وليه ومولاه) وبالنصف

---

[7] - يلاحظ أن هذا التاريخ مقدم على ولاية المنوب عنه الرهوني.

الأعلى لدائرته (ومن تكن برسول الله نصرته الخ) وبالأسفل (من يعتصم بك الخ)

يعلم من كتابنا هذا الساطع نوره، الصادع بالحق بطونه وظهوره، أننا رشحنا الفقيه الأنبل، النزيه الأمثل، السيد محمد بن محمد المرير لخطة القضاء بتطوان، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بمقتضى مشهور مذهب إمام الأئمة على الإطلاق، وشيخ الشيوخ على العموم والاستغراق، الإمام مالك، الحائز قصب السبق في غاية المدارك، وما عليه عمل أتباعه الأعلام المحكمين لجلي الأحكام، فليسلك فيما طوقناه به سبيل ذوي النزاهة والتقوى، مراقبا مولاه جل علاه في السر والنجوى، والله تعلى يرشده للصواب، ويلهمه الحكمة وفصل الخطاب، آمين، والسلام. صدر به أمرنا العالي بالله في 13 ربيع النبوي عام 1345 موافق 21 شتمبر سنة 1926".

وكتب عليه نائب المقيم العام ما ترجمته:

"عاينت ظهير سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بترشيح الفقيه السيد محمد بن محمد المرير لخطة القضاء بتطوان، وعليه فإني أعلم به.

تطوان 21 شتنبر سنة 1926

نيابة دييغو سبدرا".

خلافة الفقيه السيد المهدي الموفق عام ...:

ولما أعفي الخليفة سيدي الحسن أفيلال، أسند وظيف خلافة القاضي إلى الفقيه العدل السيد المهدي بن أحمد الموفق، وكان من أبرز عدول ذلك الوقت، ومن أكثرهم انقطاعا للعدالة في عصره.

وباشر القاضي المرير وخليفته الموفق أعمال القضاء بنزاهة وعفة تامتين من الطرفين، إلا أن الخليفة المذكور هو الذي كان يتولى غالب الأعمال العادية، أما القاضي، فإنما كان يباشر الأعمال المهمة وما لا بد منه.

واستمر الحال على ذلك إلى أن وقع خلاف بين القاضي وخليفته، فأخر الخليفة المذكور عن الحكم في 17 ذي القعدة عام 1351.

خلافة الفقيه السيد أحمد الصفار عام 1351:

ثم أسند للفقيه العدل السيد أحمد بن عبد الكريم الصفار وظيف خليفة القاضي، وكان الفقيه الصفار من أقدم عدول تطوان وأشهرهم وأطولهم باعا وأكثرهم اشتغالا. وقد باشر أعماله وأدى واجبه أحسن أداء.

وأثناء ولاية الفقيه المرير لقضاء تطوان، أسند إليه أيضا قضاء قبيلة بني سعيد، وصدر بذلك ظهير خليفي هذا نصه:

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأجرى على مهيع الصواب سيره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أسندنا خطة القضاء بقبيلة بني سعيد الغمارية، لقاضي هذه العاصمة التطوانية، الفقيه العلامة الأرضى السيد محمد المرير، وعهدنا إليه القيام بما تقتضيه قواعد الشريعة المقررة، وقوانينها المحررة، من الخطاب على الرسوم، والفصل بين الخصوم، بالمشهور والراجح من مذهب الإمام مالك، وما جرى به العمل من أقوال رجال مذهبه القوية المدارك، سلك الله به مسالك الهداية والتوفيق، وأرشده لمعالم الإصابة والتحقيق، والسلام. صدر به أمرنا في 21 صفر عام 1353 موافق 5 يونيه سنة 1934".

واستمر الفقيه المرير قاضيا بتطوان إلى أن أعفي بظهير مختصر هذا نصه بعد الحمدلة والتصلية والطابع العادي:

"أعفينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، الفقيه السيد محمد المرير من وظيفة قاض بهذه الحضرة التطوانية، فليتخل عنها وينصرف لحال سبيله، والسلام. في 21 ربيع 2 عام 1353 – 3 غشت سنة 1934".

ثم بعد يوم واحد من ذلك التاريخ صدر ظهير آخر بإعفائه من وظيف قاضي قبيلة بني سعيد أيضا، وهذا نصه:

"أعفينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، الفقيه السيد محمد المرير من وظيفة قاضي قبيلة بني سعيد الغمارية، فليتخل عنه وينصرف لحال سبيله، والسلام. في 22 ربيع الثاني عام 1353 موافق 4 غشت سنة 1934".

ولاية الفقيه الزواقي لقضاء تطوان مرة ثانية عام 1353:

لما أعفي الفقيه المرير من قضاء تطوان، ولي مكانه شيخه العلامة سيدي أحمد الزواقي، بظهير مؤرخ بـ 21 ربيع الثاني عام 1353 موافق 3 غشت سنة 1934، وهذه هي ولايته الثانية لقضاء هذه المدينة، وظهير توليته هذا نصه بعد الحمدلة والتصلية والطابع الخليفي:

"يعلم من هذا الكتاب الكريم، والأمر المتلقى بالإجلال والتعظيم، أننا ولينا الفقيه العلامة، الدراكة الفهامة، الشريف السيد أحمد بن الطاهر الزواقي خطة القضاء بهذه العاصمة التطوانية حرسها الله، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بمشهور مذهب الإمام مالك، وما جرى به العمل من أقوال رجال مذهبه القوية المدارك، فليقم بما طوقه وفق ما عهد منه من كمال التيقظ والنباهة، والتمسك بحبل العفة والنزاهة، سدده الله إلى غرض التوفيق،

وأعلقه من الحق بالسبب الوثيق، والسلام. صدر به شريف أمرنا في 21 ربيع الثاني عام 1353 موافق 3 غشت سنة 1934".

إعفاء الخليفة الصفار عام 1353:

وعقب ولاية القاضي الزواقي هذه المرة، وقع إعفاء الخليفة الفقيه السيد أحمد بن عبد الكريم الصفار، وهذا نص القرار الوزيري بذلك الإعفاء:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بإعفاء الفقيه السيد أحمد الصفار من وظيفة خليفة قاضي تطوان، فليتخل عنها مأجورا، والسلام. في 17 جمدى الأولى عام 1353 موافق 29 غشت سنة 1934. أحمد الغنمية لطف الله به".

وتحته موافقة نائب الأمور الوطنية بتاريخ 29 غشت المذكور.

ولاية لم تتم:

وحفظا للتاريخ، أثبت هنا أنه أثناء ولاية القاضي الزواقي في هذه المرة، صدر قرار وزيري بإسناد وظيف خليفة قاضي تطوان إليّ (أنا عبد الله محمد بن أحمد داود، مؤلف هذا الكتاب)، وهذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بترشيح الفقيه الأرضى، السيد محمد بن الحاج أحمد داود، لوظيفة خليفة عن قاضي هذه العاصمة التطوانية، ليقوم بالنيابة عنه في الخطاب على الرسوم، والفصل بين الخصوم، مع سلوك سبيل العدل والإنصاف، والتباعد عن مسالك الحيف والاعتساف، فالواقف عليه يجري على مقتضاه، ولا يتعداه لسواه، والسلام. في 6 رجب عام 1353 موافق 16 أكتوبر 1934. أحمد الغنمية لطف الله به"

وتحته موافقة نائب الأمور الوطنية بتاريخ 16 أكتوبر المذكور.

وقد سلمت الدوائر العليا ذلك القرار للقاضي المذكور، فدفعه لي بنفسه، إلا أنني اعتذرت عن قبول ذلك الوظيف، فروجعت في الموضوع من ذوي السلطات النافذة، وشوفهت بوعود وبوعيد، إلا أنني أصررت على اعتذاري، فلم يكن بد من قبوله.

خلافة الخليفة الفقيه السيد محمد اللبادي:[8]

8- (لم يكتب المؤلف تحت هذا العنوان أي معلومة) ح. د

خلافة الفقيه ابن القات:

عين الفقيه العدل المدرس المفتي السيد الحاج عبد السلام بن محمد ابن القات خليفة للقاضي الزواقي أولا، ثم وقع إعفاؤه بقرار وزيري هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بإعفاء الفقيه الأرضى السيد عبد السلام ابن الح محمد ابن القات من وظيف خليفة قاضي تطوان، فليتخل عنه والسلام. في 28 ربيع الأول عام 1354 موافق فاتح يليه سنة 1935. أحمد الغنمية لطف الله به".

ثم موافقة نائب الأمور الوطنية كاباص.

ومن الغريب أنه في نفس اليوم صدر قرار وزيري آخر بتوليته ثانيا لنفس الوظيف، وهذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بترشيح الفقيه الأرضى، السيد عبد السلام بن الح محمد ابن القات، لوظيف خليفة قاضي دائرة تطوان، لينوب عنه في الخطاب على الرسوم، والفصل بين الخصوم، طبق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية، وقوانينها المطهرة المرضية، على أن يراقب في ذلك مولاه، في سره ونجواه، فالواقف عليه يجري على مقتضاه، ولا يتعداه لسواه، والسلام. 28 ربيع الأول 1354 موافق فاتح يليه سنة 1935. أحمد الغنمية لطف الله به".

ثم موافقة نائب الأمور الوطنية كاباص.

واستمر الفقيه ابن القات خليفة للقاضي الزواقي إلى أن أعفي نهائيا عام 1355، بقرار وزيري هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بإعفاء الفقيه السيد عبد السلام بن القات من وظيفة خليفة قاضي دائرة تطوان، فليتخل عنه مستريحا من أعبائه، والسلام. في 16 محرم عام 1355 موافق 8 أبريل سنة 1936. أحمد الغنمية لطف الله به".

ثم موافقة نائب عن نائب الأمور الوطنية.

ولاية الفقيه الزواقي لقضاء الناحية الجبلية:

وأثناء ولاية الفقيه الزواقي لقضاء مدينة تطوان في هذه المرة، أدخلت الدوائر العليا تعديلات جديدة على نظام المحاكم الشرعية الإسلامية، فقسمت

الشمال المغربي الذي تحت نفوذ الخليفة السلطاني إلى خمس نواحي، وعين لكل ناحية من تلك النواحي قاض سمي قاضي الناحية، وعمل هذا القاضي هو الاستئناف الأولي للدعاوي التي يحكم فيها قضاة المدن والقبائل التي في ناحيته. وكانت تطوان هي مركز قاضي ناحيتها التي سموها الناحية الجبلية، واختير لهذا الوظيف الفقيه سيدي أحمد الزواقي، فأخر عن قضاء المدينة، ورقي لوظيف قاضي الناحية، وعين بدله لقضاء مدينة تطوان خليفته الفقيه السيد محمد اللبادي.

وكان إعفاء الفقيه الزواقي من قضاء تطوان بظهير خليفي هذا نصه نقلا عن أصله:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع الصغير ونقشه (الحسن بن المهدي الله وليه)

أعفينا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، الفقيه العلامة الشريف النزيه السيد أحمد الزواقي من وظيفة قاضي هذه العاصمة التطوانية، فليتخل عنها مشكورا مأجورا، والسلام. في 5 ذي الحجة الحرام عام 1353 موافق 11 مارس سنة 1935".

أما ولاية الفقيه الزواقي لقضاء الناحية الجبلية، فكان بظهير خليفي هذا نصه نقلا عن أصله:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع الكبير للخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي

يعلم من هذا الكتاب الكريم، والأمر المتلقى بالإجلال والتعظيم، أننا نظرا للفقرة الثالثة من ظهيرنا المؤرخ 18 رمضان من العام الحالي موافق 26 دجنبر من السنة الفارطة، نأمر بترشيح الفقيه العلامة الأوحد، الشريف النزيه الأرشد، السيد أحمد الزواقي لوظيف قاضي الناحية الجبلية التي تشمل دائرتي تطوان ودار الشاوي، فليقم بما رشح له قياما يطابق ما به اتسم من العفة والنزاهة، وانتهاج نهج العدل والصيانة، أعانه الله وقواه، ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه، والسلام. صدر به شريف أمرنا في 6 ذي الحجة الحرام عام 1353 موافق 12 مارس سنة 1935".

ولاية الفقيه اللبادي لقضاء تطوان عام 1354:

وأسند قضاء مدينة تطوان للفقيه السيد محمد بن محمد اللبادي بظهير خليفي هذا نصه بعد الحمدلة والتصلية والطابع الخليفي:

"يعلم من هذا الكتاب الكريم، والأمر المتلقى بالإجلال والتعظيم، أننا بحول ذي العظمة والجلال، والكبرياء والكمال، رشحنا الفقيه العلامة الأرضى،

النزيه الأحظى، السيد محمد بن محمد اللبادي لخطة قضاء الدائرة التطوانية، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بالمشهور أو الراجح من مذهب الإمام مالك، وما جرى به العمل من اقوال رجال مذهبه القوية المدارك، فنامره أن يشمر لما رشح له عن ساعد العناية والاجتهاد، ويبدي من الحزم والتيقظ ما يبرهن به عن كمال الاستعداد، أعانه الله وقواه، وسلك به مسالك رشده وهداه، والسلام. صدر به شريف أمرنا في 28 صفر عام 1354 موافق فاتح يِنيه سنة 1935".

وفي سنة 1357، أسند إلى الفقيه اللبادي وظيف القضاء بقبيلتي بني حزمر والحوز، زيادة على قضاء تطوان، وصدر بذلك ظهير خليفي هذا نص المهم منه:

"يعلم ...

أنه بعد الاطلاع على الظهير المنظم به العدلية الإسلامية بالمنطقة، وعلى القرار الوزيري المنظم به القضاة، المؤرخين بـ 24 شعبان الفارط، موافق 19 أكتوبر المنشورين بجريدة المنطقة الرسمية رقم 30 بتاريخ متم الشهر المذكور بصحيفة 708 – 713، نامر بإعفاء السيد محمد بن محمد بن العربي اللبادي من وظيف قاضي دائرة تطوان، وترشيحه لوظيف قاضيها ودائرتها البلدية وقبيلتي بني حزمر والحوز. والواقف عليه ...

في متم رمضان عام 1357 موافق 23 نونبر سنة 1938".

وبعد صدور ضابط موظفي العدلية الشرعية الإسلامية بالمنطقة الخليفية، عين الفقيه الزواقي قاضي ناحية من الدرجة الأولى، ودونك ظهيرا خليفيا بذلك، وفيه بيان مرتب الوظيف المذكور:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع الكبير ونقش وسطه (الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن محمد الله وليه ومولاه) وبدائرته بيتا البردة

يعلم من كتابنا هذا رفع الله قدره، وخلد في المعالي ذكره، أنه بعد الاطلاع على ضابط موظفي العدلية الشرعية الإسلامية الجاري العمل به بالظهير المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939 المنشور بالجريدة الرسمية رقم 19 من الشهر المذكور، نامر بترشيح الفقيه العلامة الدراكة الشريف السيد أحمد بن الطاهر الزواقي قاضي الناحية من الدرجة الأولى لوظيفة قاضي الناحية الجبلية، براتب سنوي قدره 7000 بسيطة مع 7000 بسيطة مكافاة يقبض ما ينوبه منهما آخر كل شهر منذ استلامه الوظيفة، يستخرج ذلك من ميزانية المخزن الجاري العمل بها. فالواقف عليه

يعلمه ويعمل به. والسلام. صدر به شريف أمرنا بقصر المشور بتطوان في 16 رجب عام 1358 موافق فاتح شتمبر سنة 1939".

وبعد نحو خمسة أشهر من التاريخ المذكور، صدر عن وزارة العدلية بلاغ رسمي هذا نصه:

"وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – المغرب الأقصى رقم 884

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة وزارة العدلية للحكومة الخليفية، أنه بناء على تعيين الفقيه العلامة الدراكة الشريف الأرضى السيد أحمد بن الطاهر الزواقي قاضي الناحية من الدرجة الأولى لوظيفة قاضي الناحية الجبلية، بمقتضى الظهير الشريف الصادر له بتاريخ 16 رجب عام 1358 موافق فاتح شتمبر سنة 1939، تنفيذا لما تتطلبه المادة الخامسة من الباب الأول من قانون موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بالظهير الشريف المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 1358، موافق فاتح يليه سنة 1939، فإننا نعلمه بهذه التسمية وهذا التعيين ليستمر في عمله القضائي مستعينا بالله، ويقدر لتلك الدرجة التي منحها قدرها، ويلاحظ في إجراء عمله شأنها وأمرها، والسلام. حرر بوزارة العدلية بالمشور السعيد في 23 ذي الحجة الحرام عام 1358 فاتح فبراير سنة 1940. محمد أفيلال لطف الله به.

ثم الطابع الكبير لوزارة العدلية، ونقشه (وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – تطوان

MINISTERIO DE JUSTICIA ISLAMICA)

وهذا كتاب رسمي من وزارة العدلية إلى الفقيه المذكور، ونصه:

"وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – تطوان المغرب – رقم 885

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

جناب قاضي الناحية الجبلية الفقيه العلامة الشريف الأجل الأرضى سيدي أحمد بن الطاهر الزواقي، سلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله، وبعد فيصل جنابكم طيه الظهير الشريف بإسناد منصب قاضي ناحية من الدرجة الأولى للناحية الجبلية إلى جنابكم، فنرجو منكم أن تجيبونا بوصوله كي نتحقق أنه قد حل محله، وعلى المحبة والسلام. في 25 حجة عام 1358 موافق 3 فبراير سنة 1940.

وزير العدلية محمد أفيلال لطف الله به.

ثم طابع وزارة العدلية، ونقشه (وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – تطوان

MINISTERIO DE JUSTICIA ISLAMICA)

خلفاء القاضي اللبادي:

وكانت تطوان قد اتسعت عمارتها وكثر المتواردون عليها من مختلف المدن والقرى، وجلهم من الطبقة الفقيرة العاملة التي يكثر الخصام بين أفرادها، فكثرت أشغال الإدارة الشرعية، ولم يبق في استطاعة القاضي وخليفته الواحد القيام بجميع الشؤون، وقضت المصلحة بأن يكون للقاضي أكثر من خليفة واحد لتوزع الأعمال، ويبت في الأمور، وتتم الأحكام. والذين تولوا خلافة القاضي منذ ولاية القاضي اللبادي إلى الآن (1370) هم السادات: محمد الصباغ – العياشي العسري – أحمد الشدادي - ... بن سليمان الورموثي – أحمد بن محمد اللواجري – خليل بن ... مسري – محمد أقلعي – الأمين بوخبزة – محمد القاسمي.

ومعلوم أن هؤلاء الخلفاء لم يكونوا كلهم في وقت واحد، ودونك ما عرفناه عن كل واحد منهم:

الخليفة السيد أحمد الشدادي عام 1356:

وفي سنة 1356 عين الفقيه السيد أحمد بن محمد الشدادي خليفة لقاضي تطوان، بقرار وزيري هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أننا أذنا بترشيح الفقيه السيد أحمد بن محمد بن علي الشدادي لوظيفة خليفة قاضي دائرة تطوان، ليقوم بالنيابة عنه في المخاطبة على الرسوم، والفصل بين الخصوم، فليقم بما طوقه قيام ذوي العفة والنزاهة، وليجر في أعماله بكل تيقظ ونباهة، والواقف عليه يجري على مقتضاه، ولا يتعداه لسواه، والسلام. في 20 جمدى الثانية عام 1356 موافق 28 غشت سنة 1937. أحمد الغنمية لطف الله به"

وتسلم الفقيه الشدادي وظيفه هذا، وباشر أعماله إلى أن تقررت توليته لوظيف القضاء بقبيلة أهل سريف، فعين لذلك بظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع الصغير ونقشه (الحسن بن المهدي الله وليه)

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعلى قدره، وأجرى على مهيع الصواب سيره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، ولينا الفقيه الأرضى السيد أحمد بن محمد بن علي الشدادي خطة القضاء بقبيلة آل سريف بالناحية الغربية، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بالمشهور والراجح من مذهب

الإمام مالك، وما جرى به العمل من أقوال رجال مذهبه القوية المدارك، وعليه فيما وليه بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته، والله يسلك به مسلك السداد، ويهديه لما فيه صالح العباد، والسلام. صدر به شريف أمرنا في 29 رجب الفرد الحرام عام 1357 موافق 24 شتمبر سنة 1938".

وبناء على ذلك، أعفي من وظيفة خلافة القاضي بتطوان بقرار وزيري هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة الوزارة، واعتماد رتبة الصدارة، أنه بعد الاطلاع على الظهير المؤرخ بتاريخه بترشيح الفقيه السيد أحمد بن محمد بن علي الشدادي لوظيفة قاضي قبيلة آل سريف بالناحية الغربية، قررنا إعفاءه من وظيفة خليفة عن قاضي دائرة تطوان. فالواقف عليه يجري على مقتضاه، ولا يتعداه لسواه، والسلام. في 29 رجب عام 1357 موافق 24 شتمبر سنة 1938. أحمد الغنمية لطف الله به".

واستمر قاضيا بالقبيلة المذكورة إلى أن ولي القضاء بتطوان كما سيأتي، فأعفي من قضاء قبيلة أهل سريف بظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن المهدي الله وليه)

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أننا أمرنا بإعفاء الفقيه السيد أحمد بن محمد بن علي الشدادي من وظيفة قاضي قبيلة آل سريف بمقاطعة لوكس، بموجب شغله وظيفة غيرها. فالواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به شريف أمرنا بقصر المشور بتطوان في 8 رجب عام 1368 موافق 7 مايو سنة 1949".

الخليفة السيد أحمد اللواجري عام 1358:

وفي سنة 1358 عين الفقيه المفتي السيد أحمد بن محمد اللواجري خليفة لقاضي تطوان بظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الطابع الصغير الذي نقشه (الحسن بن المهدي الله وليه)

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، ولينا الفقيه السيد أحمد بن محمد اللواجري لوظيفة خليفة عن قاضي تطوان، لينوب عنه في الخطاب على الرسوم، والفصل بين الخصوم، سالكا فيما أسند إليه سبيل الرشاد والتقوى، مراقبا لمولاه في السر والنجوى، فالواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به شريف أمرنا

بقصر المشور بتطوان في 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939".

الخليفة الفقيه السيد محمد بن محمد الصباغ:

أما الفقيه السيد محمد بن محمد الصباغ فقد صدر ظهير بتعيينه خليفة لقاضي تطوان، ولعله بتاريخ 16 رجب 1358 موافق فاتح شتمبر 1939.

وقد صدر ظهير بتعيين الفقيه السيد محمد بن محمد اللبادي قاضيا من الدرجة الأولى بتطوان بنفس التاريخ.

الخليفة السيد محمد أقلعي عام 1363:

وفي سنة 1363 عين الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد الكريم أقلعي، المعروف بالفحصي، بظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

طابع صغير به (الحسن بن المهدي الله وليه)

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أنه وفقا لما هو مقرر في ضابط العدلية الشرعية المصادق عليه بالظهير المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939 المنشور بالجريدة الرسمية رقم 19 من الشهر والسنة المذكورين، نأمر بترشيح الفقيه السيد محمد بن عبد الكريم أقلعي لوظيفة خليفة قاضي تطوان بالمقاطعة الجبلية. والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به شريف أمرنا بقصر المشور بتطوان في 18 ربيع الأول عام 1363 موافق 14 مارس سنة 1944".

واستمر الفقيه الفحصي خليفة للقاضي إلى أن عين عضوا بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى، فأعفي.

الخليفة السيد الأمين بوخبزة عام 1363:

وفي نفس التاريخ الذي عين فيه الفقيه الفحصي خليفة للقاضي، عين أيضا خليفة آخر هو الفقيه العدل السيد الأمين بن عبد الله بوخبزة، بظهير خليفي هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

طابع صغير نقشه (الحسن بن المهدي الله وليه)

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أنه وفقا لما هو مقرر في ضابط موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بواسطة الظهير المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 58 موافق فاتح يوليه سنة 1939، المنشور

بالجريدة الرسمية رقم 19 من الشهر والسنة المذكورين، نأمر بترشيح الفقيه السيد الأمين بن عبد الله بوخبزة لوظيفة خليفة قاضي تطوان بالمقاطعة الجبلية. والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا بقصر المشور بتطوان في 18 ربيع الأول عام 1363 موافق 14 مارس سنة 1944".

ثم بعد بضعة أشهر، أصدرت وزارة العدلية القرار الآتي نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة وزارة العدلية للحكومة الخليفية، أنه بناء على ترشيح الفقيه السيد الأمين بن عبد الله بوخبزة لوظيفة خليفة قاضي تطوان بالمقاطعة الجبلية، بمقتضى الظهير الشريف الصادر له بتاريخ ثامن ربيع النبوي عام 1363 موافق 17 أبريل سنة 1944[9]، وطبقا لما تتطلبه المادة الحادية عشرة من الباب الثالث من قانون موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بالظهير الشريف المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939، فإنا نعلمه بهذه التسمية وهذا الترشيح ليشمر عن ساعد الجد في القيام بما رشح له، مستعينا بالله، ويقدر لتلك الوظيفة قدرها، ويلاحظ في إجراء عمله شأنها وأمرها، والسلام. حرر بوزارة العدلية في متم شوال عام 1363 موافق 17 أكتوبر سنة 1944. وزير العدلية محمد أفيلال لطف الله به.

ثم طابع وزارة العدلية، ونقشه (وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – تطوان MINISTERIO DE JUSTICIA ISLAMICA)

واستمر الخليفة السيد الأمين قائما بوظيفه إلى أن توفي يوم الاثنين متم جمدى الأخيرة عام 1367.

قاضي ثاني بتطوان عام 1368:

وفي سنة 1368 رأت الدوائر العليا أن تراكم الأشغال على الإدارة الشرعية يقضي بتعيين قاض ثان لتطوان، على أن يكون مركز حكمه في ناحية حومة العيون المزدحمة بالسكان، القريبة من الحي الجديد العامر الذي أحدث خارج باب النوادر.

---

[9]- ثامن ربيع النبوي 1363 يوافقه 4 مارس 1944، والذي في الظهير المذكور كما رأيت هو 18 ربيع لا 8، وذلك التاريخ كما رأيت أيضا يوافقه 14 مارس لا 17 أبريل الذي يوافقه 23 ربيع الثاني، فليتنبه لذلك.

القاضي السيد أحمد الشدادي عام 1368:
وعين لذلك الفقيه السيد أحمد بن محمد الشدادي، زيادة على قاضيها الآخر الفقيه السيد محمد بن محمد اللبادي، وكان تعيين الفقيه الشدادي بظهير خليفي حسني هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

ثم الطابع الكبير ونقش وسطه (الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن محمد الله وليه ومولاه) وبدائرته (ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم. من يعتصم بك يا خير الورى شرفا فالله حافظه من كل منتقم).

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وخلد في الصالحات طيه ونشره، أنه نظرا لما آلت إليه حالة هذه العاصمة التطوانية في الوقت الحاضر من ازدياد مستوطنيها، وارتفاع عدد سكانها، وتحقق لدى جنابنا العالي بالله أن الاقتصار فيها على خصوص محكمة شرعية ابتدائية، مضر بالخاصة والعامة من أهاليها، اقتضى نظرنا الشريف أن تؤسس بها محكمة ابتدائية أخرى، يقوم على رأسها بصفة قاض آخر، الفقيه العلامة الشريف السيد أحمد بن محمد الشدادي، ويتولى بها الخطاب على الرسوم، والفصل بين الخصوم، بالمشهور والراجح من مذهب الإمام مالك، وما جرى به العمل من أقوال رجال مذهبه القوية المدارك، فلينهض لما عهدنا به إليه مشمرا عن ساعد العناية والاجتهاد، وليراقب في حركاته وسكناته مولاه الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة من أعمال العباد. والله سبحانه نسأل أن يسلك بنا وبه مسلك التوفيق، ويهدينا إلى سواء الطريق، والسلام. صدر به شريف أمرنا بقصر المشور السعيد بتطوان في 24 جمدى الثانية عام 1368 موافق 23 أبريل سنة 1949".

وفي يوم السبت فاتح رجب موافق متم أبريل قرئ الظهير المذكور على منبر الجامع الأعظم من تطوان، وأخذ القاضي المذكور يباشر أعمال القضاء أولا في نفس الإدارة التي يحكم بها القاضي اللبادي، وهي الواقعة قرب جامع القصبة من حومة البلد، ثم انتقل إلى محكمة خاصة بنيت حديثا قرب جامع العيون، وانتقل معه إليها الخليفة السيد محمد القاسمي، وعدد من العدول.

وبعد شهر من تاريخ الظهير المذكور، صدر من وزارة العدلية القرار الآتي في ورقة طبع على ركنها الأيمن الأعلى ما يلي: وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية. المغرب الأقصى.

وهذا نص القرار:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

يعلم من هذا الكتاب الممضي باسمنا بصفة رياسة وزارة العدلية للحكومة الخليفية، أنه بناء على تعيين الفقيه الأرضى السيد أحمد بن محمد الشدادي

لوظيفة قاضي العاصمة التطوانية بمقتضى الظهير الشريف الصادر له بتاريخ 24 جمدى الثانية عام 1368 موافق 23 أبريل سنة 1949، وتنفيذا لما تتطلبه المادة الحادية عشرة من الباب الثالث من قانون موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بالظهير الشريف المؤرخ 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939. فإننا نعلمه بهذا التعيين وهذا الترقي ليشمر عن ساعد الجد في القيام بالعمل القضائي، مستعينا بالله، ويقدر لهذه الوظيفة التي منحها قدرها، ويلاحظ في إجراء عمله شأنها وأمرها، والسلام. حرر بوزارة العدلية بالمشور السعيد بتطوان في 25 رجب عام 1368 موافق 24 ماي سنة 1949. محمد أفيلال لطف الله به.

ثم طابع الوزارة، ونقشه (وزارة العدلية بالمنطقة الخليفية – تطوان"

والآن (سنة 1370 = 1951) توجد في تطوان محكمتان شرعيتان (ابتدائيتان):

الأولى قرب جامع القصبة، وقاضيها هو الفقيه السيد محمد بن مَحمد اللبادي، وخليفته هو السيد محمد بن محمد السراج.

والثانية قرب جامع العيون، وقاضيها هو الفقيه السيد أحمد بن محمد الشدادي، وخليفته هو الفقيه السيد محمد بن عبد الله القاسمي.

ومع كل من القاضيين عدول وكاتب وأعوان. والله المستعان.

ثم في نفس هذا العام، أعفي الفقيه اللبادي من وظيف القضاء، وعين مستشارا بوزارة العدلية، بعد وفاة مستشارها السابق الفقيه السيد محمد الدردابي. وهذا ظهير خليفي حسني بذلك[10]:

"الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أننا أمرنا بتعيين الفقيه العلامة السيد محمد بن مَحمد بن العربي اللبادي لوظيفة مستشار بوزارة العدلية وإعفائه من وظيفة قاضي عاصمة تطوان. والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا في 6 حجة عام 70 موافق 8 شتمبر سنة 51.

عاينت الظهير أعلاه الذي أصدره بتاريخه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي، فأعملته وأوجبت العمل به. المندوب السامي رافائيل غرسيا بالينيو"

وبإثر ذلك انتقل القاضي الشدادي من محكمة العيون إلى محكمة جامع القصبة.

---

[10]- نشر هذا الظهير بالجريدة الرسمية عدد 39 من العام 39 بتاريخ 25 حجة 1370 = 28 شتمبر 1951.

خليفة القاضي السيد إبراهيم بن عبد الله المراكشي عام 1369:

[11] " يعلم ... أنه نظرا لوجود وظيفة شاغرة لخليفة قاضي تطوان من درجة خليفة قاضي مدينة – أول – ونظرا لأن السيد إبراهيم بن عبد الله المراكشي نجح في الامتحان المقام لشؤونها وفقا لإفادة وزير العدلية واقتراحه، وبعد مراجعة ضابط العدلية الشرعية المصادق عليه بظهير 13 جمدى الأولى 58 ق فاتح يوليو 39، نأمر بما يأتي:

يعين السيد إبراهيم بن عبد الله المراكشي لوظيفة خليفة قاضي مدينة – أول – خليفة لقاضي عاصمة تطوان – جبالة...

والواقف عليه ... في فاتح جمدى الأخيرة عام 1369 موافق 21 مارس سنة 1950".

خلافة الفقيه السراج عام 1370:

[12] "الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أنه نظرا لوجود وظيفة فارغة لخليفة قاضي المقاطعة الجبلية تطوان من درجة خليفة قاضي مدينة من الرتبة الأولى، وبما أن الفقيه السيد محمد بن محمد السراج الغماري الذي التمس شغلها، ووفقا لإفادة وزير العدلية واقتراحه بمقتضى ضابط موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بظهير 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق 1 يوليه سنة 1939، نأمر بما يأتي:

يعين خليفة قاضي مدينة من الرتبة الأولى خليفة لقاضي تطوان المقاطعة الجبلية، السيد محمد بن محمد السراج الغماري المذكور.

والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا في 8 جمدى 1 عام 70 موافق 15 فبراير سنة 51.

عاينت الظهير أعلاه الذي أصدره بتاريخه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي، فأعملته وأوجبت العمل به. المندوب السامي باريلا"[13].

---

[11] - [وهذا أهم ما ورد في ظهير تولية السيد إبراهيم بن عبد الله المراكشي وظيفة خليفة لقاضي تطوان، بعد نجاحه في الامتحان المقام لأجل ذلك] ح. د

[12] - [وقد عين الفقيه السيد محمد بن محمد السراج في وظيفة خليفة قاضي تطوان بظهير هذا نصه] ح.د

[13] - عن الجريدة الرسمية ص 158 عدد 12 سنة 39.

خليفة القاضي الفقيه السيد محمد بن محمد العثماني عام 1370:

[14] "الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أنه بعد الاطلاع على إفادة وزير العدلية بشغل وظيفة خليفة قاضي تطوان بالفقيه السيد محمد بن محمد العثماني، وبعد الاطلاع على ضابط موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بظهير 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق 1 يليه 1939، نأمر بما يأتي:

يعين الفقيه السيد محمد بن محمد العثماني لوظيفة خليفة قاضي مدينة من الدرجة الأولى، خليفة لقاضي تطوان (جبالة)، ويعفى من وظيفته الحالية قاضي قبيلة الحوز.

والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا في 17 حجة عام 1370 موافق 19 شتمبر سنة 1951.

عاينت الظهير أعلاه الذي أصدره بتاريخه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي، فأعملته وأوجبت العمل به. المندوب السامي غرسيا بالينيو"[15].

خليفة القاضي الفقيه السيد عبد الرحمن بن محمد الأزامي عام 1371:

[16] "الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي المنيف، أنه نظرا لوجود وظيفة شاغرة لخليفة قاضي تطوان من الدرجة الأولى، ونظرا لكون الفقيه السيد عبد الرحمن بن محمد الأزامي قد أدى الامتحان اللازم ونجح فيه، ووفقا لإفادة وزير العدلية واقتراحه، وبعد مراجعة ضابط موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بظهير 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق 1 يليه سنة 1939، نأمر بما يأتي:

يعين الفقيه عبد الرحمن بن محمد الأزامي لوظيفة خليفة قاضي من الدرجة الأولى بتطوان.

---

[14] - [وهذا نص الظهير الذي يقضي بتعيين الفقيه السيد محمد بن محمد العثماني خليفة لقاضي تطوان من الدرجة الأولى، مع إعفائه من الوظيفة التي كان يشغلها وهي قاضي بقبيلة الحوز]

[15] - نشر بالجريدة الرسمية صفحة 652 عدد 42 سنة 39 بتاريخ 16 محرم 1371 = 19 أكتوبر 1951.

[16] - [وقد عين الفقيه السيد عبد الرحمن الأزامي خليفة قاض من الدرجة الأولى بتطوان، بعد نجاحه في الامتحان الخاص بذلك، وهذا نص ظهير توليته]

والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا في 10 جمدى 1 عام 71 موافق 7 فبراير 52.

عاينت الظهير أعلاه الذي أصدره بتاريخه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي، فأعملته وأوجبت العمل به. المندوب السامي غرسيا بالينيو"[17].

الفقيه السيد أحمد بن محمد بن تاويت قاضي تطوان عام 1371:

[18] "الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

يعلم من هذا الكتاب الشريف، والأمر العلي أنه بعد الاطلاع على إفادة وزير العدلية واقتراحه بتعيين الفقيه السيد أحمد بن الفقيه السيد محمد بن تاويت لوظيفة قاضي عاصمة تطوان، وبعد مراجعة ضابط موظفي العدلية الشرعية المصادق عليه بظهير 13 جمدى الأولى عام 1358 موافق فاتح يليه سنة 1939، نأمر بما يأتي:

يعين الفقيه السيد الحاج أحمد بن الفقيه السيد محمد بن تاويت لوظيفة قاضي من الدرجة الأولى بعاصمة تطوان بمقاطعة جبالة، ليخاطب على الرسوم، ويفصل بين الخصوم، بالمشهور والراجح من مذهب الإمام مالك، وما جرى به العمل من أقوال رجال مذهبه القوية المدارك، وعليه في ذلك بتقوى الله ومراقبته في سره وعلانيته، والله تعلى يسلك به مسلك السداد، ويهديه لما فيه صلاح العباد، والواقف عليه يعلمه ويعمل به، والسلام. صدر به أمرنا في 10 رمضان عام 71 موافق 3 يونيه سنة 52.

عاينت الظهير أعلاه الذي أصدره بتاريخه سمو الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي، فأعملته وأوجبت العمل به. المندوب السامي رافائيل غرسيا فالينيو".

نقل المحكمة الشرعية من الجامع الكبير الى جامع القصبة:

كان القاضيان سيدي التهامي أفيلال وسيدي محمد البقالي ومن أتوا بعدهما يباشرون أحكام القضاء في الإدارة المقابلة للباب الرئيسي للجامع الأعظم، وكانت الحوانيت القريبة من الجامع الكبير كلها خاصة بالعدول، كما كانت بالسوق الفوقي وبزنقة المقدم عدة حوانيت أخرى للعدول أيضا.

---

[17]- نشر بالجريدة الرسمية الصادرة بتطوان في عدد 9 من السنة 40 بتاريخ 2 جمدى 2- 1371 = 29 فبراير 1952 – صفحة 112.

[18]- [وهذا نص الظهير الذي بموجبه تم تعيين الفقيه السيد أحمد بن الفقيه السيد محمد بن تاويت قاضيا من الدرجة الأولى بتطوان (مقاطعة جبالة)] ج.د

وفي عهد القاضي اللبادي هذا بنيت المحكمة الشرعية الحالية، وهي الواقعة جنب جامع القصبة، فانتقل إليها القاضي وما يتبعه من الخلفاء والعدول والكتاب والوكلاء. وما زالت هذه المحكمة هي المركز الأول للأحكام الشرعية الأولية بتطوان إلى الآن.

من عدول تطوان في القرن الرابع عشر:

اسم العدل	لقبه وصفته	دعاؤه	تاريخ شهاداته
محمد بن محمد	غيلان الحسني	لطف الله به	1301
التهامي بن محمد	أفيلال الحسني	لطف الله به	1301،2،6،8، 9
محمد بن محمد	عزيمان	لطف الله به	1301،2،6،8
عبد القادر بن عبد الواحد	الفاسي الفهري	تغمده الله برحمته	1302، 1339
محمد بن الطاهر	الرايس الحسني	وفقه الله	1303
أحمد بن المفضل	أفيلال العلمي	أحمد الله عاقبته	1303،9،14، 27،36،38، 41،43،46
عبد الله بن أحمد	الغبولي الحسني	لطف الله به	1303،5،8،9
محمد بن علي	الهراس	لطف الله به	1304،8
أحمد بن محمد	المرابط	وفقه الله آمين	1304،5
علي بن مفضل	أفيلال الحسني العلمي	لطف الله به	1305،8،9، 10،11،36، 39
محمد بن عمر	أسنوس	لطف الله به	1305،6،8، 13،14
محمد الغالي بن محمد	غيلان	الله وليه ومولاه	1306،8
أحمد بن محمد	السلاوي	-	1308
علي بن محمد	عزيمان	تغمده الله برحمته	1308،10، 13،26،27، 35،37،38، 40

أحمد بن الطاهر	الزواقي	لطف الله به – كان الله له وتولاه بمنه	1308، 10، 11، 12، 14
محمد بن محمد	الموذن الحسني	لطف الله به	1309، 14، 30
محمد بن أحمد	العمراني	لطف الله به ووفقه	1309، 10، 17
عبد الكريم بن أحمد	الحداد	لطف الله به	1309، 18، 19، 22، 23
عبد القادر بن محمد	مدينة	لطف الله به آمين	1310
محمد بن الطاهر	الزواقي الجنوني الحسني	كان الله له بمنه	1310، 11، 12، 15
محمد بن الحسين	الحراق الحسني العلمي	الله وليه ومولاه	1310، 15، 17، 21
محمد العربي بن محمد	أنجاي	لطف الله به بمنه آمين	1310، 12، 13
محمد بن محمد	بن ادريس العلمي	تغمده الله برحمته – لطف الله به	1311، 13، 14، 27، 29
عبد الله بن عبد الرحمن	لوقش[19]	لطف الله به ووفقه	1313، 14، 17، 23، 33
محمد بن ...	برهون	لطف الله به	1313، 14
محمد بن أحمد بن التهامي	البقالي	لطف الله به	1313
أحمد بن أحمد	الطريس	لطف الله به ووفقه	1301، 1313، 14، 15، 19، 23
أحمد بن محمد	البقالي الحسني	وفقه الله بمنه آمين	1314

[19] - في شهادة لأحمد الصفار ومحمد بن عبد الوهاب عام 1343 أنه كان عدلا إلى أن أخر ثم عاد اليها وبقي عدلا الى أن توفي.

محمد بن أحمد	بوعسل	لطف الله به	1314، 22
محمد بن محمد	بن الابار	وفقه الله	1315، 28
أحمد بن عبد الكريم	الغنمية	لطف الله به	1317
محمد بن محمد	الصفار	لطف الله به	1317
أحمد بن محمد	الرهوني	لطف الله به	1317، 19، 24
زين العابدين بن محمد	الوزاني الحسني العلمي	لطف الله به [20]	1317، 26، 35
أحمد بن محمد	داوود	لطف الله به	1318، 37، 38، 39، 40
الأمين بن أحمد	بوحديد	لطف الله به آمين	1321
محمد بن عبد الله	بن عجيبة	تغمده الله برحمته آمين	1322، 38، 40
محمد بن أحمد	بوعسل	لطف الله به	1322
المهدي بن أحمد	الموفق	وفقه الله	1323، 27، 33،، 35، 36، 38، 40، 42، 43، 44، 45
المامون بن أحمد	أفيلال الحسني العلمي	لطف الله به	1324، 29، 35، 38، 39، 42، 44
محمد بن محمد	بن مرزوق	لطف الله به	1324
محمد بن الطيب	بوهلال[21]	بدون دعاء	1325
عبد الوهاب بن محمد	لوقش الأموي	وفقه الله آمين	1326
أحمد بن محمد	الفيلالي	لطف الله به	1327، 41، 45
عبد السلام بن أحمد	الفاسي	لطف الله به ووفقه	1327، 28، 30

[20]- في بعض شهاداته : كان الله له.

[21]- لم يكن من العدول المنتصبين للشهادة ولكن القاضي التهامي أفيلال قبله وأدى شهادته كعدل.

الحسن بن المفضل	أفيلال الحسني العلمي	لطف الله به	1328،29،31،36
أحمد بن محمد	العطار	لطف الله به	1328،29،36
عبد الله بن مفضل	أفيلال الحسني العلمي	كان الله له	1328
أحمد بن محمد	العمراني	وفقه الله ولطف به آمين	1329،32
أحمد بن عبد الكريم	الصفار	لطف الله به	1330،35،39،41،42،43،45،47،49،50،51،54
أحمد بن محمد	اللبادي	لطف الله به ووفقه آمين	1330،38
عمر بن محمد	العمراني	وفقه الله ولطف به آمين	1330،32،33
محمد بن محمد	الفرطاخ[22]	كان الله له وتولاه بمنه آمين	1330،41،43،44
أحمد بن عبد الكريم	الحداد	لطف الله به ووفقه آمين	1331،36،37،38،39،41،44،47،48
محمد بن المكي	بن ريسون الحسني العلمي	لطف الله به	1332،71
محمد بن محمد	الدليرو	لطف الله به وتغمده برحمته	1332،43،47،48،52

22. في بعض شهاداته القديمة محمد بن محمد الفرطاخ وفقه الله آمين.

محمد بن محمد	بوعسل	لطف الله به	1332، 36، 42، 46
محمد بن عبد النبي	بناني	لطف الله به آمين	1332، 33، 34
محمد بن محمد	بن عبد الوهاب الحسني	لطف الله به	1333، 35، 36، 41، 42، 44، 46، 48، 49، 63
أحمد بن محمد	الموذن الحسني العلمي	وفقه الله بمنه	1333، 35، 41، 44، 45
محمد العربي بن أحمد	الخطيب	وفقه الله آمين	1334، 43، 44، 45
محمد بن عمر	بن تاويت[23]	لطف الله به آمين	1335
محمد بن مَحمد	الفزاري	تغمده الله برحمته	1335، 38، 42
عبد الرحمن بن ...	أقشار	لطف الله به	1338، 39
محمد بن محمد	أخريف	لطف الله به آمين	1338، 40، 55
محمد بن التهامي	أفيلال الحسني العلمي	لطف الله به	1338
محمد بن محمد	اللواجري	تغمده الله برحمته ووفقه	1338، 41
محمد بن أحمد	بعيسى	غفر الله له ولوالديه آمين	1338، 40، 41، 47، 48، 49
أحمد	الفاسي الفهري	لطف الله به	1339
أحمد ...	الفيلالي	-	1340
الأمين بن عبد الله	بوخبزة الحسني	أمنه الله	1340، 41، 43، 48، 49، 51

23- لم يكن متصديا للشهادة، وقد قبله الخليفة سيدي الحسن أفيلال وأداه كعدل.

محمد بن أحمد	حجاج الحسني	لطف الله به	1340، 41، 43، 44، 48، 49، 50، 51
محمد بن محمد	طنانة	لطف الله به وبوالديه بمنه - كان الله له	1341، 42، 44، 45، 47، 50، 51، 52
أحمد بن محمد	العلوي المريبطو الحسني	تولاه الله ولطف به آمين	1341، 47
عبد الملك بن الحسن	حجاج الحسني	لطف الله به	1341
عبد الكريم بن محمد	الدليرو	لطف الله به	1342، 43، 46، 47، 52
أحمد بن عبد السلام	بن ادريس الحسني العلمي	لطف الله به	1343، 46، 48، 49
عبد السلام بن محمد بن الطيب[24]	الحسني العلمي	وفقه الله	1343
أحمد بن محمد	الفرطاخ	وفقه الله بمنه	1343، 44، 45، 50
محمد بن الحسن	النبخوت	لطف الله به ووفقه	1344، 45
محمد بن محمد	الصباغ[25]	لطف الله به	1344، 45، 49، 50، 51
عبد السلام بن محمد	بن القات[26]	لطف الله به ووفقه	1344، 46
محمد بن المفضل	الركيك	كان الله له وتولاه	1344، 46
أحمد بن محمد	الصباغ	لطف الله به	1345، 50، 52
عبد السلام بن محمد	العلوي الحسني	كان الله له	1345، 50

[24] - هو عبد السلام بن الأمين العلمي.
[25] - تولى خلافة القضاء بتطوان.
[26] - في بعض علاماته كتبها بلقات.

عبد الله بن أحمد	مراريش	لطف الله به	1345، 47، 49، 50
علي بن أحمد	الذهبي الحسني[27]	لطف الله به	1345، 46، 47، 48
محمد بن عبد الله	القاسمي[28]	وفقه مولاه بمنه	1345، 47، 50
محمد بن عبد السلام	الزرهوني	لطف الله به	1348، 49
عبد الرحمن بن محمد	بن روح	لطف الله به	1348، 49
محمد بن أحمد	داود[29]	تغمده الله برحمته	1350، 51، 71
الحسن بن أحمد	بن عبد الوهاب	-	1350، 51
محمد بن الخضر	بن ريسون الحسني العلمي	وفقه الله	1350
أحمد بن الصادق	الريسوني الحسني العلمي	وفقه الله آمين	1350، 52
محمد بن ادريس	الحراق	لطف الله به	1351
محمد بن عبد القادر	باغوز	لطف الله به	1352
الطاهر بن أحمد	الوزاني العلمي	كان الله له آمين	1355

نماذج من رسوم تطوان وفتاويها في القرن الرابع عشر:

وهذه بضعة رسوم في قضية واحدة يستفاد منها: أولا، أن بعض الناس يتخاصمون على أشياء تافهة. وثانيا، كيف تسير الدعاوي في هذه المحاكم.

1- عدة رسوم 1301:

فهذه امرأة توفيت عن بنت وأخت، فادعت الأخت أن البنت استبدت بمتروك والدتها، فأجابتها البنت بأنها لا تجيبها إلا بعد أن تثبت الموت وعدة الورثة الخ. ولم تثبت الأخت ذلك ورضيت باليمين، ثم وقع الصلح بريال واحد ونصف. وهذه القضية كتبت في شأنها ستة رسوم، شهد في كل واحد منها

---

[27]- تولى قضاء قبيلة بني حزمر.

[28]- تولى القضاء بقبيلة بني حزمر ثم خلافة القضاء بتطوان.

[29]- مؤلف هذا الكتاب.

عدلان، وعين لها وكيلان شرعيان، واستغرق الأخذ والرد فيها نحو شهرين، وأخيرا: ريال واحد ونصف؟؟ ودونك الرسوم المذكورة.

ونص الأول:

"الحمد لله ادعت المراة فاطمة بنت افلاق، على بنت أختها فطاطم بنت بروحو، بانها تقعدت على متروك والدتها المراة فرح بنت أفلاق أخت المدعية، والمتروك هو قفطان عكري ملف، وقفطان سطاري، وبدعيتان ملف وحرير، وثلاث دفاين، وثلاث قمايج، وحزام نمري، وحائكان صوف، واحد جديد والأخر بالي، وشربية وسبنيتان حرير، وفراش ومضربات 3، واحدة بالصوف و2 مضربات للبيت، ومخايد 2 بالصوف والخبل، وإزاران، وصينية صفر صغيرة، وكيسان 6 وبراد وطنجرة اصطنبولية ومرمة وناعورة وسلكة ومناسج 3 وهيادر 6 وفخاخر 3 وخوابي 4، والمرفع بقشه، فيطلب منها أن تبرز لها ذلك ليقع فيه القسم على الفريضة الشرعية، كما تطلب منها أن تبرز لها خمسة ريال إلا ربع دفعها لها ربيبها سيدي عبد الرحمن، أو الجواب بما يظهر لها من إقرار أو إنكار، ادعاء تاما عرفت قدره شهد به عليهما بأتمه وعرفها في عشري حجة عام أحد وثلاثمائة وألف. ونقل عبد ربه محمد بن محمد عزيمان لطف الله به والتهامي أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

ونص الثاني:

"الحمد لله حضر عبد السلام الطنيبار بالوكالة عن المدعى عليها أعلاه، وأجاب بأن تثبت المدعية موت أختها وعدة ورثتها، وبعد ذلك يجيبها. عرف قدره شهد به عليه بأتمه وعرفه وفي ثالث وعشري شهر التاريخ أعلاه محمد عزيمان الخ والتهامي أفيلال الخ".

ونص الثالث:

"الحمد لله حضر مبروك وكيل المدعية أعلى أعلاه، والتزم بإثبات الموت وعدة الورثة المطلوبة منه أعلاه لخمسة عشر بل لثمانية أيام من غد تاريخه عرف قدره شهد به عليه بأتمه وعرفه وفي التاريخ أعلاه التهامي أفيلال الخ وعبد ربه محمد عزيمان الخ".

وبعده:

"الحمد لله حضر مبروك المذكور أعلاه واشهد أن من يجب أيده الله زاده ثلاثة أيام زيادة على الأجل أعلاه تلو ما من غد تاريخه الخ".

وبعده:

"الحمد لله حضرت المدعية أعلى أعلى أعلاه وأشهدت أنها رضيت من ابنة أختها المدعى عليها حيث أشير في دعواها المقيدة ثمه اليمين بالله تعلى في مقطع الحق إشهادا ورضى تامين. عرفت قدره شهد به عليها بأتمه وعرفها في

تاسع وعشري محرم الحرام فاتح عام اثنين وثلاثمائة وألف التهامي أفيلال الخ".

وبمحول ذلك ما نصه:

"الحمد لله أشهدت على نفسها المرأة فاطمة فلاقة المدعية حوله أنها أبرأت بنت أختها المرأة فطاطم بنت بن رحو المدعى عليها حوله من جميع ما قيدته عليها في المقال حوله، بعدما أخذت منها ريالا واحدا ونصف، صلحا عن يمين الإنكار ومعاينة للأول واعترافا للثاني، براءة تامة عرفت قدره شهد به عليها بأتمه وعرفها في أواسط صفر عام اثنين وثلاثمائة وألف عبد ربه محمد عزيمان الخ والتهامي أفيلال الخ".

2- فرض عام 1302:

"الحمد لله فرض الفقيه الأجل العالم العلامة الحجة الأفضل قاضي تطوان ونواحيها، وهو محمد بن علي عزيمان أعزه الله تعلى بمنه وحرسها، نفقة الصبية فاطمة بنت عبد الرحمن بن المرحوم الفقيه العدل السيد الحاج عبد الكريم السعيدي وصونها وحضانتها من أول شعبان المتصل فروطه، فللنفقة ثلاث أواقي فيما بين اليوم والليلة، وللصون والحضانة موزونة واحدة، مجموع ذلك ثلاث عشرة موزونة عن كل يوم وليلة، فرضا توخى فيه الصلاح والسداد في حق من فرض له وعليه شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه، وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفي سابع محرم الحرام فاتح عام اثنين وثلاث عشرة مائة. محمد أسنوس لطف الله به".

3- وصية عام 1304:

"الحمد لله أشهدت على نفسها المرأة رقية بنت السيد قاسم جقليل، أنها ارتجعت عن كل وصية صدرت منها فيما سلف عن تاريخه ارتجاعا تاما وأبطلت حكمها إبطالا عاما، وأوصت أنه متى حدث بها حدث الموت الذي لا بد منه، ولا محيد لمخلوق حي عنه، فيخرج من جميع متخلفها العقار وغيره الثلث الواحد ويشترى منه قبر بضريح الولي الصالح سيدي عبد الله الحاج الكائن بالفدان، وتدفن فيه، ويصرف على جنازتها جميع خمسين ريالا من كل ما تفتقر إليه من كفن ولحد وخبز وصدقة، وتعتق عنها أمة قادرة على الكسب وتلحق بأحرار المسلمات، ويعطى لها أربعة ريال، ويعطى للوصيف فاتح معتق زوجها المرحوم السيد محمد الركينة جميع الدار الكائنة بحومة الرباط الأسفل من تطوان قرب المصدع في زنقة فرنشو المحدودة بدار الخطيب ودار أقزار، تكون مالا من ماله وملكا خاصا من جملة أملاكه، وإن فضل شيء من الثلث يوقف في نصف الفندق الذي لها بسوق الزرع، وإن فضل شيء منه أيضا، يوقف في أصل ثابت ويكون حبسا مؤبدا على زاوية الولي الصالح

مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله ببركاته. قصدت بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر المحسنين، وجعلت النظر في ذلك كله للمكرم الأرضى السيد عبد الكريم بن الحاج أحمد الخطيب وولديه السيد عبد السلام والسيد عبد القادر، ومن حضر منهم كفى، إيصاء صحيحا نافذا بعد الموت، عرفت قدره شهد به عليها وهي بحال مرض ألزمها الفراش، هي معه صحيحة العقل تامة الميز والإدراك، وبحال الطوع والجواز. عرف بها تعريفا كافيا وثق به في ثالث ربيع النبوي الأنور عام أربعة وثلاثمائة وألف. الحق عبد الله. من الثلث. صح به. محمد بن علي الهراس لطف الله به وعبد ربه سبحانه أحمد بن محمد المرابط وفقه الله آمين. الحمد لله أديا فثبت وأعلم به عبد ربه محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه".

4- <u>صداق عائشة جلونة عام 1304:</u>

"الحمد لله الذي تنزه عن الصاحبة والولد، وتقدس عن الأين والأمد، واتصف بالأحد الصمد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، الذي خلق كل شيء فأتقنه وأحكمه إحكاما، ملكت يد قدرته أعنة الأقدار، وملأت شواهد حكمته عيون الاعتبار، بدأ الخلق بلطفه وإحسانه، فأبرزهم إلى رفقه وامتنانه، وأنشاهم من نفس واحدة كيف شاء إنشاء، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وأسبغ عليهم مننه ظاهرة وباطنة، إفضالا منه وإنعاما، نحمده سبحانه بجميع محامده، على جميع عوائده، افتتاحا واختتاما، ونشكره شكرا نستوجب به المزيد، ونتفيؤ ظله المديد، ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تشرح قلوبنا لقبول معرفته، وتفتح آذاننا لوعي حكمته، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، الذي خصه بالمعجز من الكلام، واختتم به النبيئين اختتاما، فبعثه بعد دروس الملل وطموس السبل، فقام صلى الله عليه لملة الإسلام شارعا، وتقدم لعبادة الأصنام قاطعا، فبين صلى الله عليه وسلم الحلال والحرام، وفصل الحدود والأحكام، وشرع النكاح وندب إليه، وأوضح للمؤمنين أنه من سنن المرسلين، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد أكرم العالمين محتدا، وأشرفهم ولدا ووالدا، وأحقهم بأن كان لولد آدم سيدا، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، صلاة زاكية نامية تنتظم آناء الليل وأطراف النهار انتظاما. وبعد فإن الشاب النجيب الفاضل العفيف الحسيب الأمين اللبيب السيد أحمد بن الأمين الوجيه الزكي النزيه، السيد محمد الركينة التطاوني، لما علم أن النكاح أوثق عرى الديانة، وأكبر معين على العفاف والصيانة، لم يزل يرتاد البيوت الشريفة، ويرغب في ارتقاء المنازل المنيفة، فبادر والسعد يقدمه، والتوفيق يلازمه ويخدمه، وخطب من الأمين الأرضى التاجر الأحظى، الحاج محمد بن الحاج الهاشمي ابن جلون التطاوني، بنته المصونة ودرته النفيسة

الثمينة، اعشوش، خطبة قابلها بالقبول، وانعقد النكاح السعيد بين الخاطب والمخطوب في المخطوبة المذكورة على حكم كتاب الله العظيم الذي عز شأنه وعلا سلطانه، وعلى سنة نبيه المصطفى التي باتباها (كذا) تحسن العاقبة لمتبعها، وعلى صداق سوغت الشريعة مبذوله، وربطت بالتحليل وصحة العقد قبوله، جملته امسمسم وخامية وزربية وأمة من وسط الرقيق، وشنبير وعبروقان، وعشرون فضلة وهدية مبينة الوصف بحسب العادة والعرف، تزوجها بكلمة الله العالية، وسنة نبيه التي إليها استناد البرية، وعلى ما جاء به الكتاب العزيز الذي لا يتعدى الموفق حده، من الإمساك بالمعروف وما بعده، أنكحه إياها والدها المذكور بما ملكه الله من أمرها، وجعل بيده من العقد عليها والنظر الجميل لها، وقبله الزوج المذكور قبولا تاما وارتضاه، وألزمه على نفسه وأمضاه، والله يجمع على التوفيق شملهما، ويبارك لهما وعليهما بمنه ويمنه آمين. شهد على الزوج ووالد الزوجة بما فيه عنهما وبحال كمال الإشهاد عليهما وعرفهما في الحادي عشر من جمدى الثانية عام أربعة وثلاثمائة وألف. عبد ربه سبحانه محمد بن أحمد النجار لطف الله به آمين وعبد ربه أحمد بن محمد السلاوي تغمده الله برحمته".

5- هبة عام 1312، وفتوى للبقالي وأخرى للعمراني:

"الحمد لله وهبت المرأة أم كلثوم بنت السيد محمد الباهي على ربيبها الصبي السيد أحمد ابن الفقيه السيد المختار العلوي جميع دمليجين من ذهب وخيطين من جوهر يقال لهما الصفوف محتويين على اثنين وثلاثين حبة من الجوهر، وثمانية قلوب، ومفتل من ذهب أيضا، وزوجة مناكيش من ذهب أيضا احتوتا على جواهر، ونصف أروى بقرب الجامع الجديد من حومة الربط الأسفل في الشياع بالنصف الأخر مع الحبس يحد بالفرن والمحجة ودار بن قاسم الغماري، مع نصف فدان بكدوت الشجر كيله سبعة مراجع وثلاثة أثمان المرجع، يحد بالنصف الأخر أولاد عمها ويقابل غرسة زوزو، مع ربع واحد بدار بالملاح الجديد تعرف بدار بن هلال في الشياع مع أختها بالربع الأخر ومع أولاد عمها بالنصف الباقي على انتهاء حدودها بمنافعها ومرافقها وسائر حرمها هبة صحيحة تامة بتة بتلة، أبانت بها ما ذكر عن مالها، وصرفته عن ملكها وصيرته مالا من مال الموهوب عليه، وملكا صحيحا خالصا من جملة أملاكه، وفوضت الواهبة المذكورة قبض الهبة للموهوب عليه لوالده المذكور وإكمالا للحوز لكونه لا زال في حجره وتحت ولاية نظره، حضر الوالد المذكور وقبل ذلك منها وحاز جميع ذلك لولده معاينة شهيديه إلى أن يبلغ مبلغ القبض لنفسه إن شاء الله تعلى. عرفا قدره شهد به عليهما بأتمه وعرف الرجل وعرف بالواهبة بثالث وعشري ذي الحجة الحرام عام ثاني عشر وثلاثمائة

والف. الحق جميع ذلك. صح به بتاريخه عبد ربه علال بن المفضل أفيلال الحسني العلمي وعبد ربه محمد العربي بن محمد أنجاي لطف الله به آمين. (ونص الأداء) الحمد لله أديا في رابع صفر بل ربيع الأول عام 1319 فثبت وأعلم به التهامي بن محمد أفيلال الحسني العلمي لطف الله به"

ونص فتوى أسفله:

" الحمد لله الهبة بالرسم أعلاه صحيحة لاستيفائها للركن الذي هو القبول والحوز الذي هو شرط الحاصلين من والد الموهوب عليه المشار إليه أعلاه معاينة قبل حصول المانع وكون الذي هو الأب فمن دونه يقبل لمحجوره ويحوز له فقه مسلم كان أن يكون أصلا من الأصول، لأن الولي يصح حوزه بلا نزاع حتى فيما يكون الحوز فيه حكما كما إذا كان الولي نفسه هو الواهب على محجوره، فكيف إذا كان الحوز حسيا وذلك فيما يكون الواهب فيه أجنبيا من الموهوب له المحجور، فحاز وليه له كما في نازلة السؤال. قال الشيخ خليل في باب الحبس عطفا على المبطلات أو لم يحزه ولي صغير فأفاد بطريق المفهوم أن العطية للمحجور إذا حاز له وليه صحت، ولا نزاع في ذلك، ولا فرق بين الحبس والهبة، لأنهما من باب واحد كما لا يخفى. وقال الغرناطي في وثائقه، تذكر في الوثيقة، أي وثيقة الحبس، تسمية المحبس والمحبس عليه والحبس، وموضعه وتحديده والمعرفة بقدره، ثم قال وتوليه الحيازة لبنيه انتهى. وفي التحفة:

والأب حوزه لما تصدقا به على محجوره لن يتقى

ولا يمنع حوز الأب لمحجوره فيما وهبه هو له، فأحرى في عدم المنع حوزه له ما وهبه له الغير حسبما قدمناه، والله أعلم بالصواب. وكتب عبد ربه محمد بن أحمد البقالي لطف الله به".

وبعد ذلك ما نصه:

"الحمد لله وحده. ما سطره المفتي أعلاه صحيح، ففي المواق لدى قول المتن في باب الحجر والولي الأب الخ، ما نصه من المدونة من وهب لصغير هبة وجعل من يحوزها له إلى أن يبلغ وترضى حاله فتدفع إليه وشهد له بذلك، فذلك حوز كان له أب أو وصي أو لم يكن اهـ. وذلك من الوضوح بمكان والعلم لله وحده. وكتبه موافقا عبد ربه أحمد بن محمد العمراني الحسني لطف الله به ووفقه آمين".

6- فتوى عام 1305:

وهذا رسم كتب في أواسط القرن الماضي، ولكن الإفتاء عليه لم يقع إلا في أوائل هذا القرن، ونص الرسم المذكور:

"الحمد لله أشهد المكرم السيد أحمد بن الحاج عبد السلام الركينة التطاوني أن بذمته للتاجرين الشقيقين السيد الحاج أحمد والسيد محمد ولدي الحاج أحمد الرزيني التطاوني ما قدره اثنتا عشرة مائة مثقال وأربعة وثمانون مثقالا سكة تاريخه، بقي ذلك بذمته بعد المحاسبة من قبل السلع التي كانا يبعثان له لمدينة القصر في سالفه، وأنه يؤدي العدد المذكور بحساب خمسين مثقالا آخر كل شهر يأتي بعد شهر تاريخه، لا يبريه إلا الواجب. حضر الحاج أحمد المذكور ووافقه على ذلك الموافقة التامة. عرفا قدره شهد عليهما بما فيه عنهما بأكمله وعرفهما في الثاني والعشرين من جمدى الثانية عام ستة وخمسين ومائتين وألف. عبد الكريم ابن حسين لطف الله به ومحمد بن محمد السلاسي وفقه الله آمين".

وقد عرف بكاتب الرسم المذكور وشاهده والعاطف عليه. ونص التعريف:

"الحمد لله الخط والعلامة الأولى في الرسم أعلاه بل حوله هما للفقيه العدل السيد عبد الكريم بن أحمد بن حساين، والعاطف عليه هو الفقيه العدل سيدي محمد بن محمد السلاسي، كانا معا من العدول المنتصبين لتحمل الشهادة وأدائها بمحروسة تطوان، ولم يزالا على ذلك الوسم إلى أن توفاهما الله سبحانه. قاله عارفهما معرفا بهما في الرابع والعشرين من ذي القعدة الحرام عام خمسة وثلاثمائة وألف. محمد بن الطاهر الرايس الحسني وفقه الله".

وتحت ذلك ما نصه: "الحمد لله أدى المعرف أعلاه فثبت وأعلم به محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه".

وقد كتب على ذلك الفقيه سيدي أحمد السلاوي فتوى هذا نصها:

"الحمد لله مما لا ريب ولا تردد فيه أن الدين أعلاه من قبيل النقد المسكوك، ومما لا ريب ولا تردد فيه أن النقد المسكوك من قبيل المثليات، ومما لا ريب ولا تردد فيه أن من أتلف شيئا أو استهلك شيئا أو ضيع شيئا مما هو من قبيل المثليات ضمنه بمثله، أي بما هو مماثل له في الكيل أو الوزن أو العد، إذ المماثلة المعتبرة بين المثليات محصورة عند الفقهاء في هذه الأشياء الثلاثة. فمن ترتب في ذمته شيء من المثليات لا يقال إنه أدى مثله أو ضمنه بمثله إلا إن أدى مثله في المعيار المعتبر عند الشرع في ذلك المثلى من هذه المعايير الثلاثة، وأما إن أدى ما لم يماثله في ذلك المعيار، فلا يصدق عليه أنه ضمنه بمثله، وإن ماثله في شيء آخر كالاسم، وبه يتضح أنه يجب أن يؤدى من تركة المدين أعلاه، القدر الذي يسمى اثنتي عشرة مائة وأربعة وثمانين مثقالا وقت المعاملة، إذ به يحصل أداء المثل الشرعي لا ما يسمى بهذا الاسم في هذا التاريخ الذي هو علم 1305، فإنه لا مماثلة بينه وبين ما يسمى بهذا الاسم في

تاريخ المعاملة لا في كيل ولا في وزن ولا في عد، بل مسماه في ذلك التاريخ أزيد من مسماه في هذا التاريخ بأضعاف مضاعفة لا في الكيل ولا في الوزن ولا في العد، فلو أنا ذهبنا إلى أن نلزم ورثة المدين المماثل في الاسم، لكان على ورثة ربي الدين في ذلك حيف وهضم كبير والله أعلم. وكتب عبد ربه أحمد بن محمد السلاوي تغمده الله برحمته".

وكتب عليه الفقيه سيدي التهامي أفيلال مؤيدا له ما نصه:

"الحمد لله وحده ما سطره سيدنا المفتي أعلاه صحيح ولا جائز أن يقال هنا إن لفظ المثقال مجمل محتمل لأن يكون أريد به أحد مسمياته الذي هو أربعون موزونة من الفلوس، لوجود القرينة الصارفة عن هذا المراد المبينة لإرادة غيره من مسمياته المخصصة له بهما يوم المعاملة، وهو جزء من الذهب المسكوك وجزء من الفضة المسكوك، وهذه القرينة هي العرف والعادة، وأن العادة جارية في مثل هذا المقدار من الدين الكثير بدفع الذهب أو الفضة فيه دون الفلوس، ومن المعلوم المقرر أن العرف يبين المجمل ويخصص العام ويفسر المبهم ويقيد المطلق، وذلك واضح. وكتبه موافقا عبد ربه التهامي أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

7- <u>فرض عام 1308</u>:

"الحمد لله عن إذن الفقيه الأجل العالم المبجل نائب قاضي الجماعة بتطوان ونواحيها وهو التهامي أفيلال لطف الله به أعزه الله تعلى بمنه وحرسها. فرض كاتبه نفقة الصبيين عبد الكريم وعائشة ولدي المرحوم محمد بن محمد بدر وكسوتهما وغطائهما (كذا) ووطائهما وصونهما وحضانتهما، فالنفقة كل واحد منهما بليون واحد، ولصونهما وحضانتهما أوقية واحدة، وذلك كله فيما بين اليوم والليلة، ولكسوتهما وغطائهما ووطائهما ثلاثة ريال لكل واحد منهما في كل عام، فرضا توخى فيه الصلاح والسداد في حق من فرض له وعليه شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر. وفي العشرين من رجب الفرد الحرام عام ثمانية وثلاث عشرة مائة محمد بن عمر أسنوس لطف الله به".

8- <u>رسم شراء عام 1309</u>:

"الحمد لله بعد أن استقر واستمر على ملك المكرم الحاج محمد بن محمد فتحا جسوس التطاوني الحرار حرفة جميع الفدان السقوي الكائن بتاغزوت المحدود بابن حسين والدرب الملقب المحجور والمرأة بنت الصالحي زوجة أحمد الحايك والزنقة والمحجة الاستقرار والاستمرار التامين بجميع الأسانيد مدة تزيد على الثلاثين سنة، رام بيعه فاشتراه منه الطالب الأرضى السيد أحمد بن المرحوم السيد محمد ابن حسين التطاوني على انتهاء حدوده بمنافعه

ومرافقه وسائر حرمه وسقيه من حيث عهد وعلم، اشتراء صحيحا جائزا ناجزا لا شرط فيه ولا ثنيا ولا خيار، بثمن قدره مائة بالإفراد وأربعون ريالة قبض البائع المذكور من المشتري المذكور جميع الثمن المذكور معاينة وأبراه منه فبرئ، وتملك المشتري المذكور مشتراه المذكور تملكا تاما، وحل فيه محل ذي المال في ماله، وذي الملك الصحيح في ملكه، على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والرضى كما يجب. عرفا قدره شهد به عليهما بأكمله وعرفهما في فاتح ربيع النبوي الأنور عام تسعة بمثناة أولى وثلاث عشرة مائة. الحق وسقيه من حيث عهد وعلم. صح به. عبد ربه أحمد بن محمد السلاوي تغمده الله برحمته".

9- فرض عام 1316:

"الحمد لله عن إذن الشريف الأجل الفقيه العلامة الأفضل قاضي الجماعة بمحروسة تطوان وهو التهامي أفيلال لطف الله به أعزه الله تعلى بمنه وحرسها، فرض كاتبه في مال أولاد المرحوم السيد محمد بن الحاج أحمد الفخار، وهم خديجة من عشر سنين، وأحمد من ثمان سنين، وعبد الكريم من ست سنين، من مستولدته مباركة، نفقة وكسوة وصيانة، فللأولى ست أواقي وموزونتان وستة عشر فلسا فيما بين اليوم والليلة، ولكسوتهما ستة وأربعون بليونا في السنة، ولنفقة الثاني خمس أواقي فيما بين اليوم والليلة، ولكسوته سبعة بموحدة وخمسون بليونا في السنة، ولنفقة الثالث ثلاث عشرة موزونة وثمانية أفلس، ولكسوته اثنان وأربعون بليونا وثلاثة أرباع البليون في السنة، ولصيانة مجموعهم ست أواقي فيما بين اليوم والليلة، فرضا توخى فيه الصلاح والسداد في حقهم. شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر. تقدم الإشهاد بهذا بأوائل جمدى الأولى، وتأخر الكتب لثالث عشر رجب الفرد الحرام عام ستة عشر وثلاثمائة وألف. أصلح ستة وأربعون صح به. أحمد بن الطاهر الزواقي كان الله له وتولاه بمنه".

10- فرض عام 1318:

"الحمد لله عن إذن الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل الشريف الحجة الأكمل قاضي الجماعة بتطوان وهو التهامي أفيلال لطف الله به أعزه الله تعلى بمنه وحرسها، فرض كاتبه أجمل الله خلاصه نفقة الصبيين أحمد من أربعة عشر عاما، ومحمد من اثني عشر عاما، ولدي المعلم محمد السوسي الكفايتي وصونهما وحضانتهما، فلنفقتهما بليونين اثنين فيما بين اليوم والليلة، ولصونهما وحضانتهما معا نصف بليون فيما بين اليوم والليلة، فرضا توخى فيه الصلاح والسداد في حق من فرض له وعليه. شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه

عنه وهو حفظه الله تعلى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر بثالث ربيع النبوي الأنور عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف عبد ربه محمد بن الطاهر الزواقي الحسني كان الله له بمنه".

11- هبة عام 1320:

"الحمد لله أشهد على نفسه الشريف الفقيه سيدي محمد بن الهادي بن ريسون التطواني أنه وهب على زوجته الست خديجة بنت الحاج محمد حيون، جميع شربية وسبنية من ذهب ملبوستين، وصندوق من خشب تستعمله الأنثى، هبة صحيحة بتة بتلة، قصد بها وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، وقد قبلتها منه الزوجة المذكورة قبولا تاما، وحازت من يد الواهب المذكور جميع ما وهبه عليها بمعاينة شهيديه حوزا تاما، عرفا قدره شهد به عليه وهو بحال مرض ألزمه الفراش وهو معه تام العقل والميز، وعليها وهي بأتمه، وعرف الواهب وعرف بالزوجة في سابع شوال الأبرك عام عشرين وثلاثمائة وألف، عبد ربه وأسير كسبه محمد بن محمد اللوجري تغمده الله برحمته وعبد ربه والمشهود عليها بأتمه في أواخر رمضان من عام التاريخ محمد بن محمد ابن الابار وفقه الله. الحمد لله أديا في 12 قعدة من عام التاريخ أعلاه فثبت وأعلم به التهامي بن محمد أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

12- فرض عام 1321:

"الحمد لله عن إذن الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل الشريف الوجيه الأعدل قاضي الجماعة بتطوان ونواحيها وهو مولاي التهامي أفيلال لطف الله به أعزه الله وحرسها، فرض كاتبه أجمل الله خلاصه في مال الصبيين الشريفين سيدي محمد من نحو سنين 12، وسيدي أحمد من نحو سنين 9، ابني المرحوم سيدي محمد بن سيدي الراضي ابن ريسون نفقتهما، وذلك بليون وربع بليون لكل واحد منهما فيما بين اليوم والليلة، فرضا توخى فيه الصلاح والسداد في حق من فرض له وعليه. شهد على إشهاده دامت كرامته بما فيه عنه وهو حفظه الله بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، في سابع محرم الحرام عام أحد وعشرين وثلاث عشرة مائة. أقحم أحد والحق وصح به. عبد ربه محمد بن العربي الصباغ لطف الله به آمين".

13- فتوى عام 1336:

وكتب الفقيه سيدي أحمد الزواقي الفتوى الآتية على ظهر رسم مؤرخ بمنتصف ذي الحجة الحرام عام 1336. وقد شهد فيه العدلان السيد أحمد بن عبد الكريم الصفار والسيد أحمد بن محمد العطار، على العارفين محمد الناصر القوادسي حرفة، ومحمد مارين البناء حرفة، بأنهما وقفا على معدة قسمة ماء، فوجدا ضررا على بعض الشركاء في ذلك الماء الخ. ونصها:

"الحمد لله ما تقلده العارفان حوله أنه ضرر محدث على من يشرب من المعدة التي هي محل القسمة القريبة من الحانوت التي يعتمرها الشريف القادري بزنقة المقدم، يجب رفعه بالوجه الممكن، وذلك بعد الاعذار فيمن ينازع في ذلك، ففي المفيد قال ابن لبابة وجرى العمل بقرطبة عند الشيوخ فيمن أحدث على رجل ضررا من فرن أو قناة أو غير ذلك من الضرر وأتى القائم فيه بشهود وعرف القاضي منهم شاهدين بالعدالة وقبلهما وأعذر إلى محدث الضرر ولم يكن عنده مدفع أنه يجب على المحدث قطع الضرر، فإن لم يكن قطعه إلا بالهدم هدمه، ووجب على القاضي الإشهاد للمقضى له بالحكم على المقضى عليه بقطع الضرر هـ.على نقل ناظم العمل المطلق عند قوله:

ومن عليه ضرر قد جددا فقام فيه وأقام شهـــدا

بذاك فالحاكم فيمن قبلــه يعذر ثم بعد ذا يحكم لــه

بقطعه عنه ولو بهدمـــه ويشهدن على نفوذ حكمه

والمدار على كون الشاهدين مقبولين عند القاضي كما أفاده لقوله وقبلهما لأن ما يرجع فيه لأرباب البصر مما يثبت بالأدلة التي لا تدرك بحاسة من الحواس يقبل فيه غير العدول، لكون المحل محل ضرورة، وفي المختصر وقبل للتعذر غير عدول وإن مشركين والله أعلم. وكتبه ملحقا فوق السطر الأول محدث ومقحما في ذلك عبد ربه أحمد بن الطاهر الزواقي كان الله له وتولاه بمنه".

14- وقوف على قسمة ماء عام 1337:

"الحمد لله عن إذن نائب من يجب سدده الله توجه شهيداه أمنهما الله للوقوف على عين قسمة الماء الكائنة بزنقة مكة من الملاح الجديد بتطوان، لكيل المشارب الثلاثة التي بها، مشرب الحومة ومشرب دار مسي سرفتي ومشرب دار مسعود وحلون، فاكتالا مشرب الحومة، فألفيا فيه أربعة سناتيم وعشرة، ومشرب سرفتي فألفيا فيه سنتيمين اثنين ونصفه ونصف عشره، ومشرب وحلون فألفيا فيه سنتيمين اثنين وعشره، فمن اكتال ذلك وحققه قيد به شهادته مسئولة منه لسائلها في تاسع وعشري جمدى الثانية عام سبعة بموحدة وثلاثين وثلاثمائة وألف عبد ربه المهدي بن أحمد الموفق وفقه الله وعبيد ربه محمد بن محمد بن عبد الوهاب الحسني لطف الله به أمين. الحمد لله أديا في ثامن عشر رجب عام تاريخه فثبت وأعلم به نيابة الحسن بن مفضل أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

15- شراء وعتق عام 1340:

"الحمد لله اشترى الأجل الأرضى السيد محمد بن المرحوم برحمة الحي القيوم السيد أحمد بن احساين التطواني من البائعة له رحمة بنت الحاج عبد

السلام البحري جميع أمة اسمها الآن مسعودة قصيرة كبدية اللون رقيقة الأطراف أسيلة، اشتراء تاما بثمن قدره مائة ريال مفردة سكة مخزنية، قبض نجل البائعة السيد محمد بن علي أقلعي من يد المشتري جميع الثمن معاينة وابراه منه فبرئ بتوكيل من قبل والدته المذكورة على ذلك بشهادة شهيديه، كما حاز المشتري أيضا مشتراه المذكور معاينة وابرأ البائعة من درك القبض، وعلى البراءة المعروفة في بيع الرقيق، والمرجع بدرك الاستحقاق والعيوب الثلاثة الجذام والبرص والجنون. عرفوا قدره شهد على إشهادهم بما فيه عنهم وهم بأتمه وعرف ما عدى البائعة عرف بها كما يجب في ثاني عشر شوال عام أربعين وثلاثمائة وألف. عبد ربه محمد بن أحمد بعيسى غفر الله له ولوالديه آمين وعبد ربه أحمد بن محمد الفيلالي لطف الله به.

وحول الرسم المذكور رسم آخر هذا نصه:

"الحمد لله أشهد المشتري المذكور حوله أنه أعتق مسعودة مشتراه بالمشار إليه نيابة عن خالته عائشة بنت عبد الرحيم أبعير وألحقها بحرائرات (كذا) المسلمات فيما لهن وعليهن، ولم يبق له ولا لأحد من خلق الله تعلى عليها ولاية ولا شائبة رق عدى الولاء الذي حكمت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إشهادا وعتقا تامين عرف قدره شهد به عليه بأتمه وعرفه وفي التاريخ حوله عبد ربه ...الخ. نفس العدلين. ثم الحمد لله أديا على الرسمين أعلاه وحوله في تاريخه فثبت وأعلم به نيابة عبد ربه الحسن بن مفضل أفيلال الحسني العلمي لطف الله به".

16- شراء أمة عام 1344:

"الحمد لله اشترى الأجل الأرضى السيد محمد بن المرحوم بكرم الله السيد أحمد ابن حساين من الطالب السيد عبد الكريم ابن المرحوم بكرم الله السيد محمد فتحا عزيمان جميع أمة اسمها الآن امبريكة كبدية ربعة للقصر ممتلئة الجسم بلجاء قائمة الأنف مستديرة الوجه، اشتراء صحيحا تاما بثمن قدره ثلاثمائة ريال وثمانون ريالا مخزنية تبايعا وتقابضا العوضين معاينة وتبارءا من درك القبض على السنة في ذلك، بعد التقليب والرضى وعلى البراءة المعهودة في بيع الرقيق عدا العيوب الأربعة. عرفا قدره شهد به عليهما بأتمه وعرفهما في رابع قعدة الحرام عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف عبد ربه محمد بن عبد الله بن عجيبة تغمده الله برحمته وعبد ربه الأمين بن عبد الله بوخبزة الحسني أمنه الله".

الفصل الثامن من الباب العاشر
من تراجم رجال تطوان
في القرن الرابع عشر الهجري

محمد بن عبد السلام بريشة 1302:

كان الأمين السيد محمد بن عبد السلام بن عبد الواحد بن عبد السلام الحميدي المدعو بريشة، من أكابر رجال تطوان ووجهائها وأعيانها في القرن الماضي، أعني الثالث عشر للهجرة. وكانت له منزلة رفيعة لدى سلطاني المغرب مولاي عبد الرحمن وابنه سيدي محمد، إذ أسند إليه الأمانة والحكم بمدينة الصويرة، وقد قضى جل حياته في خدمة الحكومة، فكان من أفذاذ الرجال الإداريين في الدولة المغربية أثناء الربع الأخير من القرن الماضي.

وقد وقفت على مجموعة مهمة من الرسائل الرسمية التي بعثها إليه السلطان حينما كان باشا بمدينة الصويرة وأمينا بمرساها، وهذه الرسائل يزيد عددها على المائة، وأقدم تاريخ بها هو 15 جمدى الأولى عام 1270. ونحن نعرف من خارج أن سنة 1270 فيها توفي باشا مدينة الصويرة الحاج العربي الطريس التطواني، وفيها أسند السلطان حكم المدينة المذكورة إلى بريشة المذكور. والرسائل التي سنثبت هنا نماذج عديدة منها، هي صفحات من حياة بريشة وأعماله، وهي أيضا صفحات من تاريخ حياة الصويرة وحركاتها وحوادثها، كما انها أيضا من ناحية أخرى صفحات من تاريخ سلطان المغرب وديموقراطيته وإشرافه على الشاذة والفاذة من أعمال ولاته ورعاياه، وهي على كل حال، تدل على نفسية القوم واتجاههم الفكري والعملي في ذلك العهد، وفي كل ذلك جزء من التاريخ العام لوطننا المغربي الذي نرجو الله تعلى أن يبلغه ما يصبو إليه ويعمل له من استرجاع عزه وسعادته وحريته واستقلاله.

ودونك رسائل مختلفة من المجموعة المذكورة، مع تقديمنا الخاص لها على عادتنا في أمثالها:

فهذا رجل تركي ينقطع به الحال في المغرب فيعطف عليه السلطان بدافع الجامعة الإسلامية، ويكتب إلى بريشة حاكم الصويرة، رسالة يأمره فيها بأن يكسوه ويصله ويؤدي عنه أجرة المركب إلى بلده استانبول عاصمة الخلافة العثمانية، ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد، فيرد عليك حامله الرجل الإصطنبولي نأمرك أن تجعل له كسوة تناسبه، وأركبه في مركب قلع واصل للإسكندرية من غير شيء يلزمه،

وادفع له عشرين ريالا، وقم بمئونته حتى يتيسر له الركوب، والسلام. في 21 جمدى الأخيرة عام 1270".

ولم يكن من عادة الدوائر الرسمية بالمغرب في ذلك العهد، أن تخصص لكل قضية كتابا خاصا بها، بل كانت الرسالة الواحدة تجمع مسائل مختلفة وقضايا متعددة لا علاقة لبعضها بالبعض الآخر. وهذه رسالة سلطانية فيها جواب عن وصول خشب صنوبر، ووصول نائب قنصل فرنسا، ووصول حسابات مركب الخ. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصلت التسعة والثمانون حملا من لوح الصنوبر المشتملة على ثلاثمائة وستة وخمسين فردا، وعلمنا ما أخبرت به من ورود نائب قونصو الفرنصيص بدل الذي كان هناك، وأنه أتاك بكتاب الخطيب فأظهرت له وجه القبول والرعاية، فلا شك أن مراعاة القوانين في ذلك مما ينبغي. ووصلت فتورتا البابور والمركب، وتصفحنا ما فيهما، والسلام. في 9 رجب عام 1270".

وهذا رجل هندي ينقطع به الحال بالمغرب فيعامله السلطان بمثل ما عامل به الرجل التركي السابق الذكر، والرسالة المتعلقة به هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد، فحامله الحاج محمد بن أحمد الهندي نامرك أن تركبه واصلا للأسكندرية من غير شيء يلزمه، واجعل له كسوة تناسب زيه يكون ملفها متوسطا بسلهامها من ملف أزرق، وقم بمؤنته حتى يتيسر له الركوب وادفع له عند ركوبه عشرين ريالا، والسلام. في 17 رجب عام 1270".

وهؤلاء جماعة لعلهم من المؤمنين الذين يعتقدون أن السلطان هو ظل الله في أرضه، وأنه هو الملجأ لكل عاجز من رعيته. وقد رغبوا منه أن يبلغهم ما عجزوا عنه من أداء فريضة الحج، فمهد لهم السبيل وكتب إلى خديمه الأمين بريشة ليبلغهم مرادهم رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فحملته الحجاج الإثنا عشر المقيدة أسماؤهم بالطرة، نامرك

أن تركبهم في بابور الحجاج من العدد المشترط حمله مجانا، فأما الستة الأولون، وهم السيد مصطفى وصاحبه وأهل تشيت الأربعة، فاجعلهم في المنزلة الرفيعة من البابور، وادفع لكل واحد منهم خمسة عشر ريالا، وقم بمؤنتهم حتى يتيسر لهم الركوب. والستة الباقون اجعل كل واحد منهم في المنزلة التي يستحقها، وادفع لكل واحد منهم عند الركوب عشرة ريال، والسلام. في 30 رجب عام 1270.

ط: سي مصطفى وصاحبه 2
أهل تشيت 4
مبارك الصحراوي 1
أحمد بن مبارك 1
الحاج الجيلالي الهواري 1
السيد محمد السباعي 1
السيد أحمد 1
المرأة آمنة 1

"12

ويموت يهودي مغربي في بلاد الأفرنج، فيريد أخوه القاطن بالصويرة أن يسافر ليحوز متخلف أخيه المتوفى، فلا يأذن له القائد بريشة إلا بعد أن يأذن له السلطان في ذلك برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الأمين الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك في شأن ما طلب الذمي جودي من الإذن في السفر لبر النصارى لحيازة ما كان بيد أخيه الذي مات هناك، وعلمنا ما بذمته لبيت المال. فاعلم أن هذا مال له بال، فإن كان هذا الذي يتركه بداره يتحمل بذلك ويلتزم به في ذمته ويكون يؤديه على ما هو معلوم في ابن مشاش هذا أو غيره فسرحه يسافر، وإلا فلا، والسلام. في 27 رمضان عام 1270".

وهذا كتاب يجيب فيه السلطان عن وصول ألف منصورية (أي قميص) وأربعين قنطارا من النحاس السوسي، ويشير على الأمين بريشة بأن السلع التي يريد أن يرسلها من الصويرة إلى فاس، يبعثها بحرا إلى العرائش، ومنها تحملها الإبل إلى فاس الخ. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة الألف منصورية التي كنا أمرناك بخياطتها أصلحك الله ورضي عنك، كما وصلت الأربعون قنطارا من النحاس السوسي، وبلغت فيتورة المركب وتصفحنا ما احتوت عليه. ثم اعلم أنه ظهر لنا في توجيه السلع التي عندك لفاس وجه سهل إن يسره الله، وهو أن تكتري لها مركبا يحملها في البحر من الصويرة إلى العرائش، فتنزل هنالك في المخازن ويتوجه معها أمين من الصويرة، وتقدم الكتب لولدنا سيدي محمد حفظه الله بأن يهيئ لها الإبل تحملها من العرائش لفاس، والأمين يوجهها على يده شيئا فشيئا حتى تبقى النقلة الأخيرة ويتوجه معها بنفسه لفاس ويأتي بجواب وصولها، وذلك أحسن من توجيه البهائم بكثير، لما فيه من كثرة الصائر بمؤن الحمارة وتسميرها وعلفها وإصلاح أحلاسها ذهابا وإيابا، مع ما انضم لذلك من شدة الحر وبعد الطريق، فيضيع بسبب ذلك كثير من البهائم، ويعلم الله متى تكمل وهكذا، تتوجه في أقرب مدة، والحال من العرائش لفاس قريب، والآن انظر في ذلك وعين مركبا يوافقه الحال في المرسى يوصلها ويرجع لوسقه وحزر كم يكون فيها من الأحمال الجمالية بتقريب، وإن تيسر ذلك فأعلمنا لنكتب لسيدي محمد حفظه الله، والسلام. في 28 رمضان عام 1270".

وهذه السلع التي كانت ترسل من الصويرة إلى فاس، هي التي كانت تتجمع لدى الأمناء في الديوانة من قبل الإعشار، إما لأن بعض التجار يجعلون لسلعهم أثمانا منخفضة لا يرضاها الأمناء فيلزمونهم بأن يدفعوا أعشار السلعة منها، أي يأخذون قدرا في المائة من عين السلعة بدلا من قبض الدراهم، وإما لأن بعض التجار لا يتيسر لهم المال الكافي لأداء ما يفرض عليهم كأعشار لسلعهم، فيدفعون القدر الواجب عليهم من عين السلعة. وقد بعث الأمين بريشة ما اجتمع لديه من تلك السلع كما أشار به عليه السلطان في الرسالة السابقة، وأرسل للسلطان لائحتها مصحوبة ببيان أثمانها ليلا تباع بثمن بخس الخ. مما سر به السلطان وجعله يرضى عن بريشة الخادم الناصح الأمين. ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بفراغك من وسق السلعة التي كانت هناك، في المركب التي كنت هيأت لذلك وسفرها للعرائش وتوجيهك الأمين الذي ذكرت فيها، ووصل زمامها، وتصفحناه وعلمنا ما أشرت إليه في

بيعها وتفريقها وقيمتها. وقد أحسنت فيما فعلت من تقويمها وما أشرت إليه في بيعها، فحضر الأمين الذي وجهت، وقد كفانا الله بذلك تعب البهائم ومشقة سفرها في البر، أصلحك الله ورضي عنك، والسلام. في 12 شوال الأبرك عام 1270".

وهذه رسالة يأذن فيها السلطان للأمين بريشة بان يقبل أن يأخذ اعشار السلع الواردة من الخارج من نفس تلك السلع الخ، وفيها الكلام على النحاس، والإذن ليهودية بالوفود على حضرة السلطان الخ. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتاباك وعرفنا ما فيهما وذكرت أن جل التجار يتعذر عليهم دفع الناض، واستأذنت في أخذك منهم طرفا من السلع بثمنها الواردة به عليهم من بر النصارى، فقد أذنا لك في ذلك وما تأخذ منها أبقه تحت يدك حتى يجتمع نصيب وافر ونوجهه لفاس كما فعلنا في السابقة إن شاء الله. وعلمنا ما ذكرت من أن النحاس تمكلت امتنع المعلمون من بيعه للتجار لكون الطالب عبد الله ابهي يشتريه على يده، وأشرت بقصر شرائه عليه ليجتهد المعلمون في خدمته ولئلا يزيد ثمنه، فها نحن قصرناه عليه وكتبنا له بذلك. وما ذكرت في شأن النحاس الرومي والفلوس عرفناه وسننظر في ذلك إن شاء الله. وأخبرت أن الذمية زوجة الذمي حاكو بن فلالو وردت بكتاب من عند زوجها تريد القدوم على حضرتنا العالية بالله، وطلبت الإذن في القدوم، فقد أذنا لك في توجيهها، والسلام. في 18 قعدة عام 1270".

وهذه رسالة من الوزير محمد الصفار التطواني إلى الأمين بريشة يخبره فيها بوصول ما وجهه من حديد وغيره، وأن السلطان سر كثيرا بوصول ما وجهه بريشة من لعب للأطفال، ويشير الصفار على بريشة بأن لا يغفل – كلما وجد السبيل – عن إرسال ما يناسب الكبار – يعني من التحف والهدايا – ففي باب الهدايا وقبولها والفرح بها يستوي الكبار والصغار، ويطلب منه أيضا أن يرسل ولو قليلا من السردين، يعني السمك المعروف، ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأود الأنجد، وخديم سيدنا الأرضى الأسعد، السيد محمد بريشة، وفقنا الله وإياك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، بوجود سيدنا أيده الله ونصره، وبعد فقد وصلنا كتابك صحبة صاحبك الوارد مع أحمال الحديد، وعرفنا مضمنه، ووصل ما وجهت من أحمال الحديد – 25 – والفخار – 3 – للحضرة الشريفة كما ذكرت وزنا (10470) وعددا (516) وصناديق – 6 -

وها جواب سيدنا عن ذلك يوافيك وفيه كفاية. وقد وقع ما دفع الكل لمحله. وجهت من لعبات الصبيان منهم موقعا عظيما، وفرح لهم بذلك سيدنا ونشط لنشاطهم به غاية، فقد أحسنت فيه وأصبت، ومثل ذلك لا تكن تغفل عنه كلما وجدت حاجة تناسب للكبار أو للصغار فاحفظها حتى يجتمع من ذلك عدد وجيه، وكذلك إن خرج هنالك شيء من السردين، ولو قليلا، فوجهه ولا عليك، خصوصا وهذا أوان الخريف. وسلم منا على السيد محمد الحاج، والله يأتي به في الصواب، وإياك أن تغفل عن الكساوي، ونطلب الله أن تحصل لنا قبل العيد، وعلى المحبة والسلام. في 21 قعدة عام 1270. محمد الصفار وفقه الله.

وسبب عطلة الرقاصين أن حملين من الحديد تأخرا ولم يصلا حتى للبارحة في العشية".

وهذه رسالة بالرغم من صغرها، يعرف منها أن السلطان كان قد أمر بريشة بأن يدفع للجيش الذي بالصويرة مالا ليشتري به رجاله الأضاحي للعيد، وأن السلطان يريد زلايف، وأنه توصل بحمل من السردين ففرح به ورضي عن مرسله الخ.

وليت شعري هل كانت هذه الأمور التافهة تحتاج لكتاب يتوج بالطابع السلطاني؟؟ إن العادة كانت كذلك. ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، وعلمنا دفعك للجيش الصويري ما أمرناك بدفعه لهم لشراء الضحايا على العادة، وتوجيهك على الزلايف على المثال الذي وجهنا لك. ووصل حمل السردين الذي وجهت أصلحك الله ورضي عنك، والسلام. في 13 ذي الحجة الحرام عام 1270".

وهؤلاء أشراف كانت عادتهم أنهم يقبضون من أمين الصويرة مائة مثقال في كل عام، وحل موعد ذلك، فرغبوا من بريشة الأمين الجديد أن ينفذ رغبتهم، فعرض الأمر على السلطان، فأذن له في تنفيذ رغبتهم برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، وعلمنا ما طلب منك الشرفاء أهل اغيسي من المائة مثقال التي ذكروا أننا ننعم عليهم بها كل سنة،

وذكرت أنك بحثت في كناش الحاج العربي[30] رحمه الله، فوجدتها كما ذكر، فحيث وجدتها في الكناش المذكور فادفعها لهم. وعلمنا ما ذكرت في شأن البابور الفرانصيصي الذي ورد من اسنكال وما قابلته به، فكل ما هو قانون لا بأس به. ونأمرك أن تدفع لمحمد ولد السيد صالح ببنزي عشرة مثاقيل وتجعل له كسوة تناسبه، والسلام. في 10 محرم الحرام عام 1271".

ويقع نزاع بين تاجرين يهوديين، فيرفع أحدهما الأمر إلى السلطان، فيصدر أمره إلى بريشة بأن يجمع العارفين من الأمناء والتجار ويحكم في الدعوى إما بمقتضى الشرع وإما بمقتضى القوانين التجارية، ويأمر أيضا بإنصاف اليهودي الذمي من مدينيه المسلمين بتمكينه من حقوقه الخ. والرسالة السلطانية بذلك هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد كتب لنا الذمي التاجر إسحاق بن فلالو في نازلته مع شلومو قرقوز وولده إبراهيم بما تراه في كتابه وزمامه الواصلين إليك طي هذا. فاجمع عليهم الأمناء والتجار، واجعل لهم فصالا في هذه الدعوى بالشرع إن رضوه أو بقوانين التجار. وقد أتت بنته بزمام اشتمل على ما تراه فيه من المطالب، فكتبنا للطالب عبد الله أبهي وعامل الشياظمة بالوقوف في قبض ما له من الديون بإيالتهما، وها كتاباهما يصلانك وجههما لهما على يدك. وأما ما يطلبه من الكتب على شأن الدعوى التي يتكلم فيها مع الإنجليز، فقد كنا شاورنا الحاج العربي[31] رحمه الله في ذلك فأخبرنا أنه لا ينتج منها شيء، فأهملنا أمره ولم نجبه بالكلية، وغير ذلك من المطالب ها هو مسطر في الزمام المذكور فانظره، والسلام. في 7 محرم عام 1271".

وهذه رسالة يعلم السلطان فيها بريشة بوصول ما أرسله إليه من أحمال السلع، ويأمره بأن يعمل بإصلاح الماء الواصل إلى مدينة الصويرة، لأن الماء لا يستغنى عنه الخ. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصلت البهائم الاثنا

---

[30] - يعني الحاج العربي الطريس باشا الصويرة وأمينها قبل بريشة.

[31] - يعني به الحاج العربي الطريس التطواني باشا الصويرة قبل الحاج محمد بريشة. وقد توفي الطريس المذكور بالصويرة سنة 1270.

عشر بما حملت عليها مما سطرته في الزمامين اللذين وجهت طي الكتاب. كما وصلت الفياتير الخمسة، وعرفنا ما تضمنته أصلحك الله ورضي عنك. وعلمنا ما ذكرت من انهدام الساقية وتعذر وصول الماء لعدم إمكان جعل القواديس التي كنتم تجعلون من الخشب لطول المسافة المهدومة، وأن بعض المعلمين ذكر أن صلاحها في انتقالها من المحل الذي هي به إلى محل آخر قرب سيدي مقدول، وأنك عزمت على نزول الإقامة حرصا على القيام بها، فقد إذنا لك في ذلك، والعجل العجل، فإن الماء لا يستغنى عنه، والسلام. في 27 جمدى الأولى عام 1272".

وهذه رسالة سلطانية كلها عطف ورحمة وإنسانية، فهؤلاء واحد وثلاثون من العزاب أرادوا الزواج، فأعانهم السلطان على ذلك بعشرين مثقالا لكل واحد منهم. وهذان شخصان أرادا ختن ولديهما والاحتفال بذلك، فأعانهما السلطان على ذلك بعشرة مثاقيل لكل واحد منهما. وأولئك أشخاص يحتاجون للمساعدة، فيأمر السلطان، إما بإكسائهم، وإما بدفع مبالغ مالية لهم، مما يدل على أن السلطان كان يعتبر من أفراد رعيته أنه كاب لهم. وما أحسن الوفاق وتبادل الحب بين الراعي والرعية، وما أقبح الظلم والجور، والدسائس والأغراض، مما يؤدي إلى القطيعة والجفاء، والمحاربة والشقاء، شقاء الأمة وولاتها. ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فنأمرك أن تدفع لأهل الصويرة المقيدين في الزمام الوارد عليك طي هذا، فللواحد والثلاثين العزاب الذين أرادوا الزواج، وهم الذين في الترجمة الأولى، عشرين مثقالا لكل واحد منهم وكسوة تناسبه، وكذلك الاثنان اللذان بعدهم، لاكن خص المشاوري منهما بزيادة خمسين أوقية على ذلك. وللاثنين اللذين بعدهم، وهما اللذان توفيت زوجتاهما وأرادا الزواج، خمسة عشر مثقالا لكل واحد منهما. وادفع للاثنين اللذين بعدهما وهما اللذان أرادا ختان أولادهما، عشرة مثاقيل لكل واحد منهما، وكسوة لكل واحد من أولادهما الثلاثة. وللتسعة الذين بعدهم، وهم الذين يطلبون الإحسان، خمسة عشر مثقالا لكل واحد منهم، وخص الحاج عمر بن عبد الله اعطار منهم بكسوة تناسبه. ونأمرك أيضا بأن تدفع لزوجة افرار خمسين مثقالا واكسها واكس أولادها كل بما يناسبه، والسلام. في 10 جمدى الأخيرة عام 1272".

ويظهر أن السلع التي كانت تتوفر في ديوانة الصويرة، مما يؤخذ في الأعشار، كان مقدارها كبيرا، إذ أنه قد اجتمع منها في مدة قصيرة ما يكفي

لوسق ثلاثة مراكب، مما جعل السلطان يعقب على ذلك بقوله "تبارك الله".
ودونك رسالة سلطانية بها زيادة بيان لذلك، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما تحت يدك من الملف الألطو، كما علمنا ورود المركب الذي اكتريت لحمل السلعة للعرائش، وأنك عازم على وسقه، فاشرع فيه على بركة الله. وعلمنا رخص كرائه وأنه تحصل لديك من يوم قدومك وسق مركب ثالث تبارك الله، وأنك على نية مخاطبة الرئيس بمعاودة الكراء ثانيا وثالثا إن أراد ذلك، وإلا فتنتظر غيره، فقد أذنا لك في ذلك أصلحك الله ورضي عنك. وبعد فراغك من وسقه وتوجيه الزمام، نكتب بذلك لولدنا أصلحه الله. وعلمنا تعيينك الأمينين اللذين سميت للسفر معه ليتعاونا على ذلك، فقد أحسنت فادفع لهما ما يستعينان به على سفرهما وما يتركان بديارهما، والسلام. في 14 جمدى الأخيرة عام 1272".

والطالب عبد الرحمن الحاحي كان له راتب فارس، فلما توفي، أمر ابن السلطان وخليفته بأن يحول ذلك الراتب إلى الطالب أحمد الصويري بعد أن يلغى ما كان يقبضه من راتب طبجي الخ، وهذا نص كتابه بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أمين سيدنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد كان للطالب عبد الرحمن الحاحي رحمه الله راتب فارس، وصار إلى رحمة الله، فرده لكاتبنا الطالب أحمد بن الحاج محمد بن صالح الصويري، وأسقط عنه ما كان يقبضه من جملة الطبجية والسلام. في الثاني من رجب الفرد الحرام عام 1272.

ثم طابع مستدير نقشه (محمد بن أمير المؤمنين وفقه الله)".

وكان للسلطان اعتناء خاص بأهل الصويرة، وقد رأيت في رسالة سابقة، كيف أنه أعان عددا منهم على الزواج، وعددا آخر على الختان، وكسا وألبس، وأعطى ومنح، ويظهر أنه لما نفذ مضمن تلك الرسالة، انفتح الباب – باب الخير والإحسان – أمام المحتاجين، فتقدم منهم وفد كبير يطلب المساعدة، وكان من بينهم من يريد الزواج، ومن يريد الختان، ومن يريد الحج، ومن يريد مطلق الإحسان الخ.

وقد أمر السلطان – أبو الجميع – بأن تجاب طلبات الجميع. ودونك رسالته التي أمر فيها بذلك، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فنامرك أن تدفع للفقيهين السيد محمد بودرار الحيحي والسيد محمد البصير ثلاثين مثقالا لكل واحد منهما، وتجعل لكل واحد منهما كسوة تناسبه. كما يصلك زمام طي هذا مشتمل على ثمانية وسبعين من أهل الصويرة، فسبعة وعشرون منهم عزاب أرادوا الزواج، ادفع لكل واحد منهم عشرين مثقالا، واجعل لكل واحد منهم كسوة تناسبه. وللأربعة الذين توفيت أزواجهم وأرادوا الزواج ادفع لهم خمسة عشر مثقالا للواحد، وللتسعة الذين يريدون ختان أولادهم عشرة مثاقيل للواحد، واجعل لكل واحد من أولادهم كسوة على قدره. وللثمانية والعشرين الذين يطلبون الإحسان عشرة مثاقيل للواحد. وأما العشرة الذين يريدون الحج، فحين يرد المركب لحمل الحجاج من هناك أركبهم من غير شيء يلزمهم، وادفع لهم خمسة عشر ريالا للواحد، والسلام. في 3 رجب عام 1272".

وهذه رسالة كشكولية، فمن الكلام على المواكن إلى الشعير، ومن الفيتورة إلى الكبريت، ومن القائد المتوكي إلى ولد عمران، ومن قنصل الفرنصيص إلى مركب النار الخ.

وفيها الإخبار بتسليم المركب الناري الفرنسي على المدينة بإطلاق مدافعه للتحية، ورد المدينة عليه بتحية كتحيته الخ، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا تكليفك ولد عمران بالكتب على المواكن وفق الشكل الذي قدمناه لك، وأن تصنع واحدة وتأتي حتى تنظرها، فإن وافقت فيكمل الباقي فقد أحسنت في ذلك. كما علمنا ما كتب لك به القائد سعيد المتوكي في شأن ما عنده من شعير الأعشار، وأنه اقتضى نظرك أن يوجه نائبه يتولى شراء القدر الذي بذمته وأنت تقبله منه حتى يستوفيه، فعلى هذا يكون العمل. وها نحن كتبنا له بذلك. وعلمنا ورود مركب النار لحمل خليفة قونص الفرانصيص فألفاه سافر مع مركب السلعة، وأنك قابلت رئيسه بما ينبغي من القانون وأجيب عن مدافع تسليمه على البلد بمثلها على العادة.

ووصلت فيتورة المركب أصلحك الله ورضي عنك. ونامرك أن توجه لحضرتنا العالية بالله ما تحت يدك من الكبريت، والسلام. في 14 رجب عام 1272".

وهذا جواب من ابن السلطان إلى الأمين بريشة في شان مكانتين (ساعتين) جلبهما تاجر إنجليزي بمائتي ريال لكل واحدة، وقد استغلى الأمين بريشة ذلك الثمن، وعرض على الأمير أنه مستعد لأن يجلب له ما يريد من بر النصارى، يعني من أوربا الخ. ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أمين سيدنا لأرضى الطالب محمد بريشة أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلت المجانتان اللتان دفع لك التاجر كرتيس النجليزي وما ذكرت من أن ثمن كل واحدة منهما مائتا ريال، وأنه مرتفع جدا لكون واحدة وردت على بعض التجار بمائة وخمسين ريالا أفضل منها وأرفق، واستأذنت في جلب بعض المآرب لجانبنا من بر النصارى، فأخبرنا بمن وردت عليه المكانة التي هي أرفق من هاتين وأرخص، وإن عرض لنا أمر ببر النصارى فإنا نكتب لك عليه إن شاء الله، والله يصلحك ويرضى عنك، آمين، والسلام. في 17 من رجب الفرد الحرام عام 1272.

محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله (طابع)".

وهذه رسالة يأمر السلطان فيها بمنع سفر المرأة إلى الحج إلا إذا كانت في صحبة رجل تحل لها رفقته، وذلك حفظا للمروءة وبعدا من الفساد، ونعم الأمر أمر كهذا، ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فنأمرك أن لا تمكن امرأة من الركوب مع الحجاج إلا أن يكون معها زوجها أو ذو محرم من محارمها وأما من دون زوج ومن دون محرم فلا، لأن الشارع نهى عن ذلك ويتوقع منه ما يتوقع من الفساد، فكن على بصيرة في ذلك، والسلام. في 27 رجب عام 1272".

وهذه رسالة فيها حزم وتدقيق، وفيها رحمة وإنسانية، فالسلع التي تجتمع من الأعشار في الموانئ، تحصى وترسل إلى العاصمة ليأخذ السلطان منها ما يريد، ويباع الباقي للتجار، فيستفيد السلطان وبيت المال من مدخول ذلك.

والرجل الفقير ابن الطالب خديم السلطان، يترك والده عليه دينا فيأمر السلطان أمينه بأن يقضي دينه من بيت المال، وأن يكسوه هو ووالدته وأخته، فهم إن ضاع كافلهم فالسلطان هو كافل الأمة، ونص الرسالة:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصلت الستة وثلاثون حملا من العطرية المشتملة على ما بينت في الزمام طي الكتاب، وعلمنا أنه تجمل في ثمنها على ما قومت به خمسة آلاف مثقال وخمسمائة مثقال وسبعة وستون مثقالا وست أواقي وربع، وأن ذلك آخر ما بقي عندك من العطرية أصلحك الله ورضي عنك. وعلمنا ما دخل من تقاطي الملف المزوق والطلابق والكمخة وسباني برسلونة والملف البندقي والكالون والصقلي والمطارب والغراريف وغيرها والملف الألطو، فوجه لحضرتنا العالية بالله جميع ذلك عدى الملف الألطو اتركه تحت يدك. وما ذكرت على الحاج محمد ولد خديمنا المرحوم الطالب عبد السلام الجديري من أن والده ترك عليه دينا وأنه مفتقر ووالدته وأخته، فنأمرك أن تقضي عنه ما ترك والده من الدين، واكسه ووالدته وأخته بما يناسبهم، وادفع لهم خمسين مثقالا. ونأمرك أن تشرع في خياطة خمس عشرة مائة كسوة من الماركان بالفليرة، مع ستمائة أخرى من المرزاية بالحرير نصفها بالفرجيات ونصفها بالقشاشيب، والسلام. في 4 شعبان عام 1272".

والسلطان يحب الصالحين ويحترم من ينتسب إليهم، وهذا رجل منسوب إلى أهل الله، يتعلق بالسلطان ليبعثه إلى الحجاز ليؤدي فريضة الحج مجانا، فيلبي السلطان رغبته ويأمر بذلك أمينه بريشة في رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فيرد عليك رجل منسوب من أهل مراكشة اسمه السيد محمد السهيبي، يريد التوجه للحج، نأمرك أن تركبه في بابور الحجاج من غير شيء يلزمه، والسلام. في 6 شعبان عام 1272".

والمنتسبون لأهل الله، منهم من يكون من أهل الخير والصلاح حقيقة، ومنهم من يكون من أهل النصب والاحتيال، ومنهم من يكون من رجال الجاسوسية وبث الدعايات للبناء أو للتهديم. والحاكم السياسي الماهر هو الذي يستطيع أن يستخدم جميع الطبقات، إما لمصالحه الخاصة، وإما لمصالح دولته وأمته.

وهذا أمين من أهل مدينة مراكش يريد التوجه للحج، فيطلب من مخدومه السلطان أن يوصي به خيرا، فيأمر السلطان أمينه بريشة أن يوصي بذلك الحاج المنتظر رئيس المركب. لهذه الدرجة بلغت مساعدة السلطان لأفراد رعاياه على وجوه الخير والمكافأة على الطاعة والإخلاص في الخدمة. ونص رسالته بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فيرد عليك حامله الأمين الحاج محمد بوخابية المراكشي بقصد التوجه لحج بيت الله الحرام، فلا بد قف معه حتى يركب وأوص عليه رئيس البابور، والسلام. في 18 شعبان عام 1272".

وابن السلطان وخليفته يكتب أيضا إلى الأمين بريشة من حين لآخر آمرا أو ناهيا، ولكنه أيضا يأمره بالوقوف مع حدود العدل وفصل الدعاوى على وجه الشرع. وهذه إحدى رسائله إليه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أمين سيدنا الأرضى وخديمه الطالب محمد ابريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فإن ماسكه كاتبنا الطالب أحمد الصويري طلب التوجه لداره لصلة رحمه وتفقد أهله، فإذا قضى غرضه من ذلك فوجهه لمحل خدمته، وقد ذكر أن أخا زوجته استولى على متروك والدها وبذده ومنعها من السكنى بدار كانت منفذة لوالدها من قبل المخزن وأسكنها فيها. ففاصلها معه فيما تدعي به عليه بوجه شرعي، والله يعينك، والسلام. في 18 من شعبان الأبرك عام 1272. محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله".

والمدن الواقعة في داخل البلاد المغربية بعيدة عن الشواطئ، لا تحتاج في الغالب للمدافع والمدفعيين (الطبجية)، بخلاف المدن الساحلية التي هي أماكن الرباط في سبيل الله، فإنها هي التي فيها الأبراج العامرة بالمدافع، لأنها واقعة على الحدود الطبيعية للبلاد، معرضة للهجوم عليها من الأعداء، أعداء الدين وأعداء الوطن. فالطبجية مراكزهم في الموانئ، وللمغرب ساحلان واسعان، أحدهما على البحر الأبيض المتوسط، والآخر على المحيط الأطلسي، والصويرة من أهم موانئ الجنوب المغربي على المحيط الأطلسي، وفيها اسقالة كبيرة، وهي حصن حربي به مدافع وطبجية، فكان السلطان حينما يحتاج إلى طبجية لغرض من الأغراض المؤقتة، يطلبهم من الصويرة أو غيرها من الموانئ المغربية، وعندما يقضون الغرض السلطاني، يعودون لمراكزهم فينفذ لهم السلطان أجرهم عند الباشا الأمين، وهذه إحدى الرسائل في هذا الموضوع:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فإن الثلاثة المعلمين الطبجية الذين وجهتهم مع متعلمهم قد قضوا الغرض الذي توجهوا لأجله ووجهناهم لمحلهم، فنأمرك أن تدفع لهم

خمسة عشر مثقالا للواحد، ولمتعلميهم خمسين أوقية للواحد، والسلام. في 26 شعبان عام 1272".

والسلطان يبتهج بسفر أفراد رعيته لأداء فريضة الحج، ويدعو لهم، ودعوة السلطان الصالح مما يرغب فيه كثير من المؤمنين الأخيار. وهذه رسالة فيها دعاء سلطاني للحجاج، ومن تاريخها نعرف الوقت الذي كانت بواخر الحجاج تسافر فيه من المغرب، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك معلما بورود بابور الحجاج يوم سادس شهر التاريخ، وعزمه على الشروع في الوسق الغد من يوم وروده، وفي اليوم الرابع يسافر أصحبهم الله السلامة ذهابا وإيابا، ورزقهم حجا متقبلا مبرورا. ووصلت الفياتر الأربع وعرفنا ما احتوت عليه أصلحك الله ورضي عنك، والسلام. في 10 رمضان عام 1272".

والحجاج وفد الله، فمن أحسن إليهم أحسن الله إليه، هكذا يقول السلطان لبريشة في رسالة يشهد له فيها بأن المعهود منه هو الحزم واليقظة، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا وقوفك مع الحجاج وفصالك بينهم وبين أخي التارس (كذا) على الوجه الذي شرحته ومباشرتك الوزن لهم بنفسك في قبة الميزان، وأن صاحب البابور يريد أن يفوز بمزية الإحسان إليهم حتى ينقلبوا شاكرين له ومثنين عليه. وأن ليس في أمرهم ما يشوش، ولو كان لبادرت بالإعلام به ولم تغفل عنه. فذلك المعهود من حزمك ويقظتك أصلحك الله ورضي عنك. وتعرف أن الحجاج وفد الله، فمن أحسن إليهم أحسن الله إليه، والسلام. في 12 رمضان عام 1272".

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه[32]
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

[32] - إدرج المؤلف في هذا المكان رسالة دون أي تقديم لموضوعها، والرسالة موجهة إلى بريشة في شأن متروك أحد أهل الذمة، ولعل الدافع لإدراجها في هذا المكان هو موقعها من حيث الزمان الذي كتبت فيه، فتاريخها موال لتاريخ الرسالة السابقة) ح. د.

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك معلما بوفاة الذمي ابن ليشع ودخولكم داره في الحين وتثقيف ما وجد بها وجعل حارس عليها، وأن له صاحبا بالصويرة وآخر بآسفي وذميا بمراكشة. فأما صاحبه الذمي بمراكشة فبنفس وصول كتابك وجهنا لإحصاء ما تحت يده على حين غفلة، فألفي عنده ما ترى ملخصه بالطرة[33] وأما الذي بآسفي فقد كتبنا لعاملها بتثقيف ما تحت يده من متاع الذمي المذكور وإعلامنا به، وحين يجيبنا نعلمك إن شاء الله. وأما صاحبه الذي بالصويرة فأمره إليك، وعلمنا مبلغ ما بذمته (1260552..) مما ترتب عليه قبل الواقعة وبعدها، وأنك لا تقصر في أمره حتى يتبين ما عنده ببر النصارى. كما علمنا ما كتب لك به النصراني اكريش في أمر الاطرة التي يسالها بعض تجار جبل طارق للذمي المذكور وما أجبته به. وقد أحسنت كل الإحسان في التخلص منه في جوابك له أصلحك الله ورضي عنك. وما أشرت إليه من أنه ينبغي أن يكون يؤخذ من التجار طرف كبير من السلع مهما وردت عليهم مما بذممهم خشية أن يخرج أمرهم كهذا الذمي، فذلك هو المتعين. فجد واجتهد في ذلك بحسب ما يمكن، أعانك الله وأصلحك، والسلام. في 22 رمضان عام 1272".

وكان بالصويرة جيش محلي وخدام لمصالح الحكومة، من أعوان ومدفعيين (طبجية) وبحريين وغيرهم، وها هو السلطان يأمر حاكم البلد وأمينه بأن يدفع لأولئك الموظفين مالا ربما كان أجرا وربما كان تبرعا وإحسانا، وربما كانا هما معا. والعبد وما ملك لسيده، والجيش والخدام للسلطان، والجميع للشعب ومنه وإليه. والرسالة التي صدر بها الأمر المذكور هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فنأمرك أن تدفع لخدامنا الجيش الصويري والجواشيش من المخازنية والطبجية والبحرية ثلاثة آلاف مثقال، يقتسمونها بينهم على العادة، والسلام. الحق والجواشيش. صح به في 27 شوال عام 1272".

وهذه رسالة يعلم السلطان فيها بوصول ما أرسل إليه بريشة من قطع الحديد، ويأذن له بأن يشتري الشعير ويرسله لقائد تطوان الحاج أحمد الحداد، ونصها:

---

[33] - الذي بالطرة هو ما يلي :
وجد ببيت الفندق ما قيمته: .. 29181 وبهري بفوق الفندق ما قوم بهذا: 07344، وبهري بدار ما قوم بهذا: 25104، وبفندق سيدي ميمون ... بهذا 09000 مع فردة شب بهذا 00140. الجميع : ..70769.

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)
خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصل ما وجهت من أحمال الحديد المشتملة على تسع وتسعين بارة ميزانها تسعة وستون قنطارا وثمانية وتسعون رطلا. كما وصلت فيتورة المركب، أصلحك الله ورضي عنك. وما يطلبه منك الحاج أحمد الحداد من تسوق ثلاثة آلاف فنيكة من الشعير وسقها له من هناك، فقد أذنا لك في ذلك، والسلام. في 1 حجة عام 1272".

وما يستر ظهر الجيش السلطاني ويبرد غلة المشتاقين إلى سمك "السردين" هو ما تحتوي عليه رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)
خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصل ما وجهت من الكسوة المشتملة على خمس عشرة مائة من الماركان الخم وثلاثمائة من المرزايا بالقشاشب المخيطة بالحرير، والثلاثمائة منه بالفرجيات. كما وصل أحمال (2) السردين. أصلحك الله ورضي عنك، والسلام. في 14 حجة علم 1272. ووصلت الفيتورتان وعرفنا ما فيهما".

والسلطان يدقق في المسائل حتى يصل به الحال إلى تعيين لون الملف الذي يأمر بصنع سلهام منه لأحد خدامه، كما يعين نوع الثوب الذي يبطن به قفطان الخديم، وهذه رسالة فيها ذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)
خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فنأمرك أن تجعل لإبراهيم أخي خديمنا القائد بوجمعة التلاوي كسوة جيدة بقفطانها مخيط بالكمخة وسلهامها من الملف السكري، والسلام. في 16 ذي الحجة الحرام عام 1272".

(1) "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(عبد الرحمن بن هشام وفقه الله)
خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، ووصلت المائة بغلة بما

---

(1) [أدرج المؤلف هنا رسالة سلطانية إلى بريشة دون أن يقدم لها بأي تقديم. وهي في موضوع ما أرسله من سلع الأعشار ومصاريفها]. ح. د.

حملت عليها من السلع المأخوذة في الأعشار التي وجهت زمامها طي الكتاب، وعلمنا تقويمها وما لزم عليها وشدها وعلف البغال ومونة الحمارة حتى بلغ جملة تقويمها بزيادة المصاريف عشرين ألف مثقال وثمانمائة واحدا وسبعين مثقالا وأوقية، أصلحك الله ورضي عنك. وطلبت رد المائة من البغال إعانة على حمل ما بقي من السلع، فها هي تصلك، والسلام. في 6 محرم عام 1273".

"وذلك خير وبركة تبارك الله"، وهو ما تحصل من مستفاد الزيت الذي وسق من ميناء الصويرة الخ. كما جاء في رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك معلما بأن أمد تسريح وسق الزيت ينقضي في ثالث صفر الموالي لشهر تاريخه، وعلمنا قدر ما وسق منه في هذه السنة، وما تحصل في مستفادها، وذلك خير وبركة تبارك الله، وأخبرت أن التجار وردوا عليك طالبين منك المشاورة عليهم في تجديد تجارتها في العام المقبل إن شاء الله لأنها معظم تجارتهم، وأخبروا بصلاح نتاجها في هذه السنة بسوس وغيرها، فحين يقف الأمر المذكور اكتب لنا عليها ونجيبك بما يكون إن شاء الله، والسلام. في 7 محرم عام 1273".

وقد سبق لنا أن السلطان أذن للأمين الباشا في حيازة السلع من التجار الذين لا يتيسر لهم دفع واجب الديوانة بالمال، وقد عمل الأمين بمقتضى ذلك الأمر، وصار كلما توفر لديه قدر من تلك السلع يبعثه للسلطان. وهذا جواب عن وصول مائة حمل من تلك السلع الخ.

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته المائة حمل من السلعة المحوزة في الأعشار المبينة في الزمام الذي وجهت طي الكتاب، وعلمنا أن الواجب في قيمتها بزيادة المصاريف ستة وعشرون ألف مثقال وستمائة وثلاثة وسبعون مثقالا، أصلحك الله ورضي عنك، والسلام. في 15 محرم عام 1273".

ويتكدس القمح والشعير في مخازن الحكومة ويرخص السعر، فلا يجد الأمين من يشتري منه تلك الحبوب بالثمن الذي حدده له السلطان، فيعرض الأمر لسيد البلاد، فيأذن له بتفريقه على الضعفاء والمساكين خيرا وإحسانا،

فالحبوب أخذت من الأغنياء، فلتدفع للفقراء، كما هو الشأن في الزكاة الشرعية.

ودونك رسالة في الموضوع:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه، وعلمنا ما ذكرت في شأن المائتين والسبع والسبعين خروبة من القمح والثلاثمائة والثمان والسبعين خروبة من الشعير من أعشار العام الماضي، من أنك لم تجد من يبلغ فيهما الثمن الذي قدمنا لك، وأنك رأيت مآلها للفساد. فبوصول كتابنا هذا إليك فرقها على ضعفاء الجيش ومن في حكمهم من مساكين أهل الصويرة، أعط كل واحد في قسمته نصيبا من القمح ونصيبا من الشعير، ولا محل لها أفضل من هذا. وما ذكرت في إصلاح حومة الشبانات وجامع حومة بني عنتر، فقد أذنا لك في إصلاحهما من صائرنا الموفر بالله، والسلام. في 29 محرم عام 1273".

وأخيرا بعد أن قضى السيد محمد بريشة في وظيفه بالصويرة نحو ثلاث سنوات، رغب في إعفائه وتوجيهه لوطنه (بلده تطوان)، معتذرا بأن هواء الصويرة لا يوافقه، وقد كتب إلى السلطان رسالة بذلك، فأجابه بالكتاب الآتي:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا جدك في إعمال الحساب مع التجار، وأنك أشرفت على كماله، وبعده تشرع في ترتيب الكنانش، وعلمنا ما توفر تحت يدك من الناض، وأنك بصدد توجيه باقي السلعة أعانك الله وأصلحك. كما علمنا ما يعتريك من الألم لعدم موافقة هواء البلاد لك، فلا بأس عليك إن شاء الله، ورغبت في إعفائك وتوجيهك لوطنك بعد كمال عملك، وأن نأذن لك في القدوم على حضرتنا العالية بالله، وتصحب معك المال والكنانش. فنطلب الله لك العافية، وراحتك عندنا أولى من كل شيء. فإذا فرغت من عمل الكنانش فأعلمنا لنأذن لك في القدوم. والسلام في 8 صفر عام 1273".

[35] "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

خديم سيدنا الأرضى الطالب محمد بريشة أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فإن حامله الحاج مسعود بن محمد المنبهي ادعى أنه كان توجه للمشرق لحج بيت الله الحرام، ولما رجع وكلم الحاج عمر

[35] - [وهذه رسالة من محمد ابن أمير المؤمنين إلى بريشة في شأن الوقوف مع أحد رجال الجيش لقبض راتبه] ح. د.

بن داوود العلاف على الجيش الذي بالصويرة في شان راتبه مدة سفره، امتنع من دفعه له وأسقطه من عدد الجيش في الراتب بعد ذلك، فإن لم يكن موجب لإسقاطه فقف معه حتى يتوصل به ولا بد، والسلام. في 24 من صفر عام 1273.

طابع (محمد ابن أمير المؤمنين وفقه الله)".

ويعثر الأمين على بضاعة مهربة، فيخبر السلطان بذلك، فيأمره أن يحوزها لجانب المخزن بدون عوض، وهذه رسالة بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصلنا كتابك معلما بما عثرت عليه من القشينية كطربنض على الكيفية التي شرحتها، وعلمنا قدر ميزانها (330). فنأمرك أن تحوزها لجانب المخزن مجانا حسبما هو القانون في الكطربنض ولا تسمع من صاحبها كلاما فيها، والسلام. في 30 صفر عام 1273".

وهذه رسالة يستشير السلطان فيها أمينه، ثم يأمره بالتجسس يمينا وشمالا، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فإن السيد الحسين بن هاشم الأليغي كتب لنا بأنه عزم على حفل صاحب له بثغر الصويرة بقصد البيع والشراء ووسق بعض المراكب، وأن الدار التي كنا أنعمنا عليه بها هناك ضيقة لا تصلح لوضع السلع، وقال إن الدار التي كان فيها الذمي بن الليشع واسعة تليق به مع حوشها، وطلب أن نبدل له بها الدار الأخرى، فأخبرنا عن الدار التي بيده، فإنها لم تبق على ذهننا وأخبرنا عن الدار التي كان بها ابن الليشع هل هي بالقصبة أو خارجها، فإن كانت بالقصبة فلا يناسب أن تعطى له، وانظر دارا خارجها تكون مثلها وتصلح له لغرضه المذكور، وأعلمنا بها لأن مساعدته على الدار متعينة، ولا يخفى ما بينه وبين ولد عبد الله أوسالم من المنافسة، فلا يناسب أن تنعم على هذا ولا تنعم على الآخر. وإن كانت دار ابن الليشع خارج القصبة فأعلمنا. وطلب أيضا أن نؤخر صاحبه المذكور بما يجب عليه من إعشار المراكب ثلاث سنين، وبعدها يدفع ما يدفعه التجار مشاهرة أو مسانهة أو ننعم عليه بما يبيعه بالصويرة من الريش والشمع والعلك ويترك الوسق، فانظر في هذين الوجهين وأخبرنا أيهما أهون هل التأخير بالإعشار على الوجه المذكور أو الإنعام عليه بصاكة ما ذكر.

الصاحب الذي أراد جعله هناك لعلك تعرفه هل يناسبه ما طلب وابحث عن هذا الصاحب الذي أراد جعله هناك لعلك تعرفه هل يناسبه ما طلب له من التأخير بحيث يكون الدين في الثابت أم لا، فتجسس عن خبره يمينا وشمالا وأعلمنا وعجل لنا بالجواب مع رقاص مستريح، فإنا أخرنا رقاصه حتى يأتي جوابك لنعرف ما نجيبه به. والسلام. في فاتح ربيع النبوي عام 1273".

وأشياخ سوس ينعم عليهم السلطان بكساوي ويأمر قائد الصويرة بتنفيذ إنعامه، وهذه رسالته بذلك الأمر:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فنامرك أن تجعل لأشياخ أهل سوس وعددهم أربعون، كسوة لكل واحد منهم بقفطانها من الملف وسلهام براية من المشطرة الواصلة إليك طي الكتاب، ولأربعة من أهل رودانة أربع كساوي مثل ذلك، ولأحد وثمانين من أعيان قبائلهم كسوة بيضاء لكل واحد منهم من مرزاية بالقشابة، مع العمائم للجميع، ولسبعة من الشرفاء والمرابطين شقة مرزاية لكل واحد منهم، وبعد وجود الجميع وجهه لعاملهم الحسين بن سالم ليدفع لكل واحد ما عين له، والسلام. في 22 ربيع النبوي عام 1273".

وبعد يوم من تاريخ الرسالة السابقة، فكر السلطان في أن الكساوي التي أنعم بها على الأشخاص المذكورين في الرسالة السابقة تستدعي خياطتها مدة غير قصيرة، وأصحابها يصعب عليهم الانتظار، وأن الصواب أن يرجعوا إلى بلادهم فرحين بإنعام السلطان عليهم، عامري الأيدي بكساويهم السلطانية، فتدارك الأمر بأن أمر بدفع الثياب إليهم، مع ثمن الخياطة. ودونك رسالته بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الرحمن بن هشام الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد قدمنا لك الأمر بكساوي أهل سوس على التفصيل المبين في الكتاب، ثم إن الخياطة يطول أمرها، وهم يريدون أن يتفرقوا لمحالهم، والآن فنامرك أن تدفعها لهم ثوبا مع قيمة الخياطة، فللأربعين من الأشياخ الملف للقفاطين والسلاهم وكله يكون في الثوب مثل المشطرة التي وجهنا إليك، غير أن القفاطين مختلفة الألوان، والسلاهم براية، وما بقي فعلى ما في الكتاب السابق. ووجه الجميع ثوبا وقيمة الخياطة للحسين بن سالم ليدفعه لهم، والسلام. في 23 ربيع النبوي عام 1273".

[56] "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(عبد الرحمن بن هشام وفقه الله)

خديمنا الأرضى الطالب محمد الحاج وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد أخبر الطالب محمد بريشة أن سبعين ألف مثقال من المال الذي ورد به على حضرتنا العالية بالله دخلت بعد التاريخ الذي أوقف فيه حسابه، فهي من حسابك ولم يثبتها هو في كناش حسابه في المال الذي أتى به وطلب أن نجيبك بوصولها لتصيرها في حسابك، فقد وصلت، والسلام. في 8 جمدى الأولى عام 1273".

ونودع هنا قائد مدينة الصويرة وأمينها محمد بن عبد السلام بريشة، وتمر أيام وسنون لا ندري ما فعل الله به فيها، ثم نلتقي به مرة أخرى في نفس مدينة الصويرة سنة 1276. وتقع الحرب بين دولتي المغرب وإسبانيا، وتنتصر الجيوش الإسبانية، وتحتل تطوان احتلالا عسكريا ثم تكون لبريشة المذكور مواقف وإجراءات وأعمال حول مال الغرامة التي التزمت دولة المغرب أداءها لإسبانيا عند عقد الصلح وجلاء جيوشها وتخلي حكامها عن تطوان. وقد أثبت نصوص الرسائل المتعلقة بذلك الشأن في الفصل السادس من الباب السابع من هذا الكتاب.

ثم في سنة 1278، نجد أن بريشة ما زال قائما بخدمة السلطان، ونجده يعثر على حلي مودع في صندوقين محفوظين في بيت مال مدينة مراكش، فيرسله إلى الوزير بوعشرين، فيجيبه هذا بأنه دفع ذلك الحلي للسلطان الخ. وهذا نص جوابه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا وخديم سيدنا الأرضى الأنجد الأمين السيد محمد بن عبد السلام بريشة وفقنا الله وإياك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك وبطيه من تقييد ما بالفنيقين اللذين كنت عثرت عليهما ببيت مال مراكش عمره الله من الحلي، وعلمنا سهوك عن ذكره لمولانا أيده الله، وأنك كنت على نية استصحابه معك للحضرة الشريفة، ثم لما طال أمد ذلك بسبب ما اعتراك من الألم، أخرت توجيهه للحضرة العالية بالله، وقد دفعناه لمولانا أيده الله، وأعلمناه بما ذكرت في أمره كله، وعلى المحبة والسلام. في 24 رجب عام 1278. الطيب بن اليماني".

---

[56] - [وهذه رسالة سلطانية توصل بها السيد محمد الحاج في موضوع مال ورد على الحضرة العالية بالله ولم يثبته بريشة في كناش حسابه] ح. د.

ثم في سنة 1291 كتب السلطان الجديد مولاي الحسن ظهيرا بالتوقير والاحترام للأمين محمد بن عبد السلام بريشة ولولديه محمد والعربي، وهذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع السلطاني الصغير ونقشه (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

جددنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته لحامله المتمسك بالله ثم به خديم سلفنا الأصلح الأمين الأنصح الطالب محمد بن عبد السلام الحميدي دعي بريشة التطواني على ما بيده من ظهير مولانا الوالد أفاض الله عليه سحائب رحمته، المجدد على ظهير مولانا الجد نعم الله روحهما في أعالي جنته، وأقررناه على ما تضمنه من التوقير له والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإنعام، والرعي الجميل المستدام، مراعاة لسالف خدمته، وانحياشه لهذا الجناب العالي بالله بكليته، وألحقنا به في ذلك ولديه الأنجبين الطالب محمد والطالب محمد العربي، فلا يسام في جانبهم ولا يرام، ولا يكلفون بقليل ولا كثير من الوظائف المخزنية، ولا يلحقهم اهتضام، تجديدا تام الرسم نافذ الحكم. فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه، ويعمل صارمه مهما انتضاه، صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في 18 جمدى الثانية عام 1291".

وكانت وفاة السيد محمد بن عبد السلام بريشة في ثالث محرم الحرام عام 1302، وقد خلف رحمه الله من الذكور اثنين هما السيد العربي الذي توفي عن عدة إناث، والأمين الباشا السيد محمد، رحم الله الجميع.

الفقيه سيدي محمد بن عبد الله البوزراتي 1303:

هذا الفقيه هو ابن الفقيه البركة سيدي عبد الله بن محمد البوزراتي، وقد وصفه أستاذنا الرهوني بالبركة الصالح الصوفي المنور، وذكر أنه كان كوالده يقرئ القرآن بالمسيد الكائن بالساقية الفوقية، وأنه قد تخرج على يده كثير من حفاظ القرآن الكريم، وأنه بقي على حاله إلى أن توفي عام 1303.

قلت، ومن تلاميذ المترجم رحمه الله، أستاذنا العلامة شيخ الجماعة سيدي أحمد الزواقي كما ذكر لي ذلك بنفسه حفظه الله.

الفقيه القاضي السيد محمد بن علي عزيمان 1313:

ترجم له تلميذه شيخنا أبو العباس الرهوني ترجمة حافلة، ووصفه بالعالم العلامة الأكبر، المحقق النحرير الأبر، الجامع لأشتات العلوم، المحرر للمنطوق منها والمفهوم، من انتهت إليه رياسة الفقه في زمانه، وخضعت له رقاب أهل الفتيا والقضاء في أوانه الخ.

وذكر أنه كان ذا دين متين، وقوة وصلابة في الدين، إلى جمال أخلاق، وطيب أعراق، قواما بالأسحار، صواما بالنهار، ملازما للجماعة، إماما بجامع حومة العيون الكبير الخ.

ثم ذكر أنه لازم قراءة حزب القرآن معه بالجامع المذكور نحو عشر سنين، وأنه كان يحفظ مختصر خليل وتحفة ابن عاصم وغيرهما، ويستحضر غالب نصوص شراحهما، وأنه درس بالجامع المذكور كتبا عديدة منها موطأ الإمام مالك وصحيح الإمام البخاري ومختصر الشيخ خليل ورسالة ابن أبي زيد وألفية ابن مالك الخ.

شيوخه:

من شيوخه بتطوان، الفقيه القاضي السيد عبد الرحمن الحايك، والعلامة الشيخ سيدي محمد الحراق، والفقيه سيدي الحاج عبد الكريم غيلان، والفقيه سيدي علي بوخبزة العمراني وغيرهم.

وقرأ بفاس على الشيخ قصارة وابن عبد الرحمن الحجرتي والحاج الداودي وسيدي إدريس البدراوي والفقيه المرنيسي وغيرهم.

تلاميذه:

ومن تلاميذه بتطوان العلامة سيدي أحمد السلاوي، والعلامة سيدي محمد النجار، والقاضي سيدي التهامي أفيلال، والفقيه سيدي محمد ابن الابار، والقاضي سيدي أحمد الزواقي، والقاضي سيدي محمد الزواقي، والعلامة سيدي أحمد الرهوني وغيرهم.

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أن المترجم رحمه الله ولد بتطوان عام 1228، ودرس بتطوان ثم انتقل إلى فاس، فدرس بها مدة، ثم عاد لبلده تطوان عام 1252، واشتغل بالتدريس والعدالة والإفتاء، وولي الإمامة والخطبة بجامع العيون من عام 1267 إلى أن أقعد في حدود عام 1310.

وولي قضاء الجماعة بتطوان وعمالتها عام 1271، وكان قبل ذلك ينوب عن قضاتها عند وقوع عذر شرعي.

قلت، الذي وجدته بخط معاصره الفقيه سيدي مفضل أفيلال، أن ولايته للقضاء كانت في 14 جمدى الأخيرة عام 1273، ثم عزل في 27 جمدى الأخيرة عام 1276، وتولى مكانه الفقيه السيد محمد غيلان الخ. ومعلوم أن المترجم أعيد للقضاء بعد عودة المهاجرين إلى تطوان في ذي القعدة عام 1278. واستمر قاضيا إلى أن توفي رحمه الله.

ثم ذكر أستاذنا الرهوني أن وفاته كانت بتطوان يوم الأربعاء فاتح رجب عام 1313، وأنه دفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة رحمه الله، وأنه كان كثير

الاعتناء بالتقييد والمطالعة والتحصيل، وأنه بلغه أن له شرحا على الهمزية، ولكن مع الأسف لم يطلع على شيء من تقاييده أو تآليفه رحمه الله.

الفقيه الخير سيدي عبد الكريم المصمودي 1314:

ترجم له أستاذنا الرهوني ووصفه بالفقيه العلامة الولي الصالح الملامتي سيدي عبد الكريم ابن الفقيه سيدي محمد المصمودي، وذكر أنه كان من علماء تطوان وعدولها، وأنه كان يفتي ويرتكب الرخص في فتاويه للعامة، فكانوا يقبلون عليه، وكان يحلل المغلصمة على أحد الأقوال الثلاثة فيها.

وكان إماما بجامع السوق الفوقي، وكان يدرس به بين العشاءين رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وكان يخفف في صلاته كثيرا، فلما سئل عن ذلك قال: إن المسجد واقع في وسط السوق، وأصحاب الحوانيت يأتون للصلاة، ويتركون أماكنهم مفتوحة، وربما كان الناس ينتظرونهم بها، فهو يخفف لهم الصلاة، حتى لا تبقى أفكارهم مشغولة، ويعودوا لأعمالهم بسرعة.

وكان من جلساء الشيخ الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون، فكان الشيخ المذكور يقدمه للصلاة به وبأصحابه، وخصوصا في مغرب يوم الجمعة.

ثم ذكر أستاذنا الرهوني عنه أنه كان كثير الانبساط مع الناس، كثير الصدقة على الضعفاء والمساكين.

قلت، وقد كان المترجم رحمه الله ينوب عن بعض قضاة تطوان في أعمالهم. فقد وقفت على رسم مسجل عليه بصفته نائبا عن القاضي بتاريخ فاتح ربيع الثاني عام 1271.

كما أنه تولى وظيف الحسبة بتطوان أيضا، فقد وجدت بخط الفقيه سيدي مفضل أفيلال أنه تولى وظيف الحسبة بها في 29 ذي القعدة عام 1272، وبقي به إلى أن أخر عنه في 25 ربيع الثاني عام 1275.

وذكر أستاذنا الرهوني أنه توفي يوم الجمعة 24 رمضان عام 1314، ودفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة رحم الله الجميع.

الوجيه الأمين الحاج عبد الكريم بريشة 1315:

هو الوجيه الكبير، الأمين الشهير، السياسي الماهر، السفير السلطاني السيد الحاج عبد الكريم بن محمد (فتحا) الحميدي المدعو بريشة التطواني. وعائلة بريشة من أنبل عائلات تطوان وأشهرها، وقد كان منها بهذه المدينة رجال كبار اشتهروا بخدماتهم الجليلة مع سلاطين المغرب داخل البلاد وخارجها. والحاج عبد الكريم (المترجم) في مقدمة أولئك الرجال، ذكاء خارق، وعزم وحزم، وأخلاق فاضلة، وديانة متينة، وأعمال جليلة، إلى تواضع

ولطف، وكرم وإحسان، مما جعله محبوبا من جميع الناس، محترما عند الخاص والعام.

وسأبسط القول في ترجمته ببيان أعماله ومواقفه وخدماته، لا بسرد نعوته وصفاته، إذ كانت حياة الرجل حياة مليئة بالحركة والنشاط من لدن شبابه إلى شيخوخته، وهذه الترجمة من بعض نواحيها هي نموذج لحياة كهول تطوان وشيوخها الذين كانت الحكومة المغربية في عهد استقلالها، تضع ثقتها في كفاءتهم وأمانتهم، فكانوا عند حسن ظنها مثال العفة والنزاهة والمروءة والإخلاص، ومن ناحية أخرى هي جزء من تاريخ المغرب وعلاقته ببعض الدول الأجنبية، إلى ما في ذلك من بيان أخلاق القوم وعاداتهم ومعاملاتهم في ذلك العصر.

وقد جمعت هذه الترجمة من أربعة مصادر:

أولها ما كتبه عنه حفيده نابغة تطوان وعين أعيانها الحاج عبد السلام بنونة رحمه الله.

ثانيها معلومات خاصة تلقيتها من حفيده الثاني تحفة تطوان أخي العزيز وصديقي الممتاز الأستاذ الحاج مَحمد بنونة حفظه الله.

ثالثها ما كتبه المترجم بنفسه في مذكراته كما نقلته بلفظه من خط حفيده الأستاذ الحاج مَحمد المذكور[37].

رابعها وثائق وقفت على أصولها ونقلت جل نصوصها مع المعلومات المؤيدة بالمستندات الصحيحة الرسمية، تلك الوثائق التي منها ما يعد من أهم المراجع التاريخية في حياة وطننا المغربي العزيز، وخصوصا ما يرجع منها للعلاقات الدبلوماسية بين المغرب والدول الأجنبية، وفي مقدمتها إسبانيا. وسوف يرى من تهمه هذه النواحي من تلك الوثائق والمستندات عددا لم يعرفه أحد من كتاب التاريخ وقرائه حتى الآن.

أضف إلى ذلك ما يقف عليه القارئ لبعض هذه الوثائق من أسماء الأشخاص في مختلف الجهات، مع ما بينهم من علاقات ودية أو اقتصادية، ومعاملات شخصية أو رسمية، إلى تعلقات وتوسطات، ومؤامرات وتحكمات، مما يصور لنا نواحي مختلفة من حياة الناس وعاداتهم في عصر المترجم رحمه الله.

والتاريخ الحقيقي هو الذي يصور الحياة بما فيها من دقائق وحقائق، وقديما قيل: لكل ساقطة لاقطة، على أن جميع ما نثبته هنا لا يخرج عن كونه

---

[37]- ذكر لي أخي الأستاذ المذكور أنه عند نقل مذكرات جده بريشة، قد أبدل بضعة ألفاظ بأخرى وأصلح بعض العبارات من حيث اللغة والإعراب.

من تاريخ المغرب أو ما له علاقة بالتاريخ المغربي، ودونك ذلك بما فيه من غث وسمين:

يقول بنونة في صدر ترجمته لجده بريشة ما نصه:

«هو السفير الخطير، والسياسي المغربي الشهير، عرف بحبه لوطنه وحسن خدمته لدولته وأمته، والده السيد محمد الحميدي المدعو بريشة سليل العلماء قضاة فاس المحروسة، ولد رحمه الله بتطوان عام 1246، وتهذب على أيدي والديه، وقرأ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، وكان والده يرى منه الاقتدار على الأعمال، فيكلفه بشؤونه وقضاء مصالح بيته في صباه وصغر سنه، ويلزمه تقرير قائمة يومية يحاسبه فيها على النقير والقطمير، فشب على ذلك حازما ضابطا محبا للقيام بنفسه، يرى من حسن تربيته كواجب مقدس قول الشاعر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على رجل

ولما بلغ من العمر 23 سنة، أعني سنة 1269، سافر للقطر المصري قاصدا التجارة، فلم يجلس إلا قليلا بمدينة السويس، وغادرها لأرض الحجاز، فاستوطن جدة وفتح بها متجره، وبقي هناك ثلاث سنوات، وقف فيها بعرفة مرتين. أتم تجارته بجدة وقفل راجعا إلى تطوان، فحل بها أوائل عام 1272، واستراح مع أهله بضعة أشهر، ثم توجه لفاس، فما استقر بها حتى رشحه جلالة الملك مولاي عبد الرحمن منتصف عام 1273 أمينا بمرسى الدار البيضاء، وأعفي من الخدمة بها أواخر سنة 1275، فقدم تطوان، وتزوج ببنت أكبر عظمائها إذ ذاك، وهو سيدي محمد اللبادي المعروف بالدار الكبيرة. وكان زفاف عروسه أوائل سنة 1276. وفي النصف الأخير من نفس السنة، شبت نار الحرب الإسبنيولية المغربية، على إثر ولاية السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن رحمه الله، وذلك موافق سنة 1860، فكان صاحب الترجمة من الواقفين في صفوف القتال المجاهدين بالأنفس والمال.

ويوم أن قضى العزيز الجبار باستيلاء جيش الدولة الإسبنيولية على تطوان، وخرج كل الناس بأهلهم وأولادهم، تاركين جل متاعهم يبتغون مركز سلامتهم، توجه بريشة المذكور، ومعه زوجته مرافقا لأصهاره، قاصدين الإقامة بعاصمة فاس[38]، وبمجرد أن أوصلهم، فتح بيتا للتجارة باسمه، وتوجه لمنشستر بإنجلترا، ليؤسس معرفة بالمعامل الإنجليزية "كريديطو"، وبعد شهور رجع لفاس، وقدم منها لتطوان عام 1278، بعد أن ترك في محل تجارته صهره أخ زوجته سيدي الحاج محمد اللبادي[39].

---

38 ـ كان توجه بريشة إلى فاس قبل ليلة الجلاء المشؤومة.

39 ـ كان اللبادي وبريشة شريكين في التجارة بفاس.

استراح بتطوان إلى سنة 1281، وفيها عقد شركة مع التطوانيين الفاضلين الشريف سيدي أحمد بن ادريس والمحترم سيدي الحاج محمد الصفار أحد نواب المخزن المغربي في عقد الجزيرة الخضراء. وبعد عقد الشركة، توجه بريشة لمنشستر وأقام ابن ادريس بالجديدة، وتوجه الصفار لمراكشة، وبقي كل منهم في مركزه ثلاث سنوات. وآخر عام 1284، قدم سيدي الحاج عبد الكريم بريشة للحساب مع شركائه، ورجع لتطوان ليصل رحمه، فلم يلبث إلا أياما قلائل، حتى ورد الأمر الشريف من لدن السلطان سيدي محمد بتوليته أمينا بمرسى تطوان، فبقي بها سنة كاملة، واستبدله المخزن الشريف بأخيه سيدي الحاج محمد، وبعد سنة أخرى أرجعه السلطان إليها، فقضى بها سنة ثانية، وعند انتهائها وجلوسه لمقابلة مهماته، رشحه الجناب العالي بالله في وفد سفيرا ثانيا إلى عاصمة مدريد، لمباشرة أعمال مع الدولة الإسبنيولية[40]

وفي عام 1292[41] بأمر من السلطان المقدس مولاي الحسن، ترشح سيدي الحاج عبد الكريم بريشة أمينا عاما لمداخيل ومصاريف الدولة (بنيقة الداخل والخارج) ورافق الركاب العالي ثلاثة أعوام أظهر فيها من المصالح وطرق الاقتصاد الدولي ما برهن به للجناب الشريف على مقدرته وحسن تصرفه.

ويقول المترجم في مذكراته ما نصه: "في أوائل جمدى الأولى عام 1291، استدعانا (يعني السلطان) ونحن يومئذ بتطوان، فامتثلنا أوامره العالية بالله، وسافرنا إلى حضرته بفاس في نفس التاريخ، فعيننا في بنيقة الصائر السعيد، ومكثنا بهذا الوظيف اثنين وثلاثين شهرا، إلى 27 ذي الحجة 1293. ودخلت تطوان في 7 محرم 1294، وأقمت به خمسة أشهر وسبعة أيام".

وقبل أن يعود بريشة إلى بلده تطوان، كتب له السلطان ظهيرا ممتازا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم (ثم الطابع الحسني الكبير ونقش وسطه الحسن ابن محمد ابن عبد الرحمن الله وليه 1291 – ونقش دائرته بيتا البردة: ومن تكن الخ، من يعتصم الخ)

كتابنا هذا السامي قدره، النافذ بأمر الله أمره، يستقر بيد ماسكه المتمسك بالله ثم به، خديمنا الأمين الأرضى الحاج عبد الكريم بن خديمنا الأمين المرحوم الحاج محمد بريشة التطواني، ويتعرف منه اننا بحول الله وطوله وسابغ يمنه وفضله، جللناه أردية التوقير والإنعام، والمبرة والإكرام، وحملناه على صهوة العناية والاحترام، والرعي الجميل المستدام، وألحقنا به في ذلك أولاده وإخوته،

---

[40] - لعله يعني سفارة السويسي باشا الرباط، إلا أن هذه كانت سنة 1294 كما سيأتي.

[41] - بل عام 1291 كما يأتي.

وأسقطنا عنهم الكلف المخزنية والوظائف الإمامية وما يطالب به غيرهم من العوام، إنعاما تاما لا ينتهي إلى مدة، وتوقيرا عاما يزداد مع طول الأبد جدة، مراعاة لانقطاعهم لأعتابنا الشريفة، ومداولتهم في خدمتنا المنيفة، الحديثة والقديمة، وسلوكهم في نصيحتهم لجانبنا العالي بالله الطريقة المستقيمة، فمن رام جانبهم بما ينافي الإجلال، أو سام ساحتهم بما يسوء في الحال والاستقبال، فقد تعرض لأليم العقاب وشديد النكال. ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يقدر هذا المسطور الكريم قدره، ويعامل بالإجلال عجزه وصدره، ويعلم ما فيه ويعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه، صدر به أمرنا المعتز بالله في عشري ذي الحجة الحرام عام 1293".

وعاد بريشة إلى تطوان، وهذه رسالة كتبها إليه في هذا العهد صديقه أحمد بن موسى بن أحمد، الذي صار حاجبا للسلطان ثم بلغ منصب الصدارة بعد ذلك، ومنها نعرف كيف كانت علاقة بريشة بذلك الصنف من الناس، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى التاجر الأبر الأحظى الحاج عبد الكريم بريشة أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بوصولك بخير وعافية لبلادك، وتمتعك بصلة رحمك بأولادك، فالحمد لله على سلامتك وعافيتك، فهنيئا لك زادك الله وإياهم سلامة وعافية، وعلمنا ما أخبرت به من التماسك لنا صالح الدعاء من سيدنا البركة الأجل سيدي عبد السلام بن ريسون جزاك الله خيرا وبارك فيك، وقد بقي فينا موضعك، ولم نزل نتلذذ بمرافقتك وحسن معاشرتك، فلا أطال الله غيبتك عنا، ولا تنسانا من التماس دعاء الخير من السيد حفظه الله ورضي عنه. وقد وصلنا ما أكرمتنا به من الحلاوي وغيرها، غير أنك ذكرت لنا في اللفافة ملف الخيدوس فوجدنا في محله البيتة، وقد بقي فينا حيث لم توجه لنا شيئا من بركة الولي الصالح نفع الله به، وعلى المحبة والسلام. في 26 محرم عام 1294. أحمد بن موسى لطف الله به".

ثم تحت ذلك بخط أحمد المذكور ما نصه:

"والله والله والله ثم والله وأيم الله إلا تركت موضعك فينا غاية مثل الأخ الشقيق الشفيق

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمـــان

وقد وصل الشمع 25 رطل والحلاوي والبيسة من البايتة، وقد وافقت الغرض والمراد غاية، ولله در الحاج العربي، فإنه كيس، وما أعرفه بانتخاب الأمور الرفيعة. وأما الست قالات من الخيدوس فلم تصل، وإن كان عندك فوجه لنا مقدار سلهام ودائرة ولا بد، ولا نقبل منك عذرا في ذلك ولا بد ولا بد ولا بد

ولا بد. وسلم منا على سيدنا وسندنا وبركتنا وعمدتنا إلى ربنا سيدي عبد السلام بن ريسون، وعلى الأخ الحاج العربي، وعلى أهل دارك كافة، وعلى جميع أولادك ومن انتمى إليك، وعلى الأخوة والسلام. أحمد بن موسى لطف الله به"

وتحت ذلك بخطه أيضا ما نصه:

"استدراك خير إن شاء الله: الأدرع الستة لخيدوس السفر قد وجدتها في صندوق الحلاوي، لأني لم نفتحه إلا يوم تاريخه هذا في 27 محرم، والله يهديك فلا زال خروجك من دار المخزن طريا، وأنت تتخلق بخلق أهل تطوان في التهبيش، لأنهم قريبون من جبالة، فلو جعلته مع البابنة. ولكن أجبت عنك بجواب لطيف مثلك، حيث كان الخيدوس من باب الإكرام، انضاف إلى غيره من الإكرام وهو الحلاوي، والبابنة من المقضيات التي أوصيتك عليها، ليظهر ذلك إكرام وذلك وصاية، ولذلك لم تذكرها في الكتاب، وهذا كله مباسطة، لأنه لما حرمت الأشباح من المباسطة، لا بد للأرواح منها ولو بالكتابة، والله إن لم توجه الوعدة لسيدي أبي العباس حتى يكون معك الكلام".

ويظهر أنه في هذه المدة (أي أواخر سنة 1293 أو أوائل سنة 1294) أنعم عليه السلطان بغرسة بجة التي كانت من أحسن بساتين كيتان بضواحي تطوان.

وكان الحاجب موسى بن أحمد يكتب إليه لقضاء بعض الأغراض الخاصة للسلطان وحاشيته. وفي رسالة كتبها إليه الحاجب المذكور بتاريخ 7 ربيع النبوي عام 1294 معلما بوصول عود مصري، قال ما نصه: "ولا بد وجه لنا على ثلاثة عيدان أخر من هذا النوع، وزوج كمنجات روميات وزوج ربابات جوايد ... ووجه عددا صالحا من الأوتار الرومية الجيدة لكل نوع من أنواعها ولا بد".

وفي رسالة منه أيضا بتاريخ 10 ربيع الثاني عام 1294 ما نصه: "وصلنا كتابك وصحبته صناديق (4) العيدان المصرية، وحل الجميع محله بعد مطالعة العلم الشريف بذلك، ودعا لك أيده الله بخير".

وفي رسالة أخرى من الحاجب المذكور ما نصه: "محبنا وأمين مولانا الأود الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله، وبعد فتصلك طيه مشترات من الأوتار بأمرك سيدنا أيده الله أن تجلب ذلك على الكيفية الموجهة لك ولا بد ولا بد لكون الأوتار التي وجهت لم توافق الغرض بل كلها على شكل واحد، وعجل بذلك ولا بد ولا بد، وعلى المحبة والسلام. وفي 28 ربيع الثاني عام 1294. موسى بن أحمد لطف الله به".

ولما استقر بريشة بتطوان، رأى أن حالة علماء هذه المدينة وطلبة العلم بها تدعو للمساعدة والتنشيط، فكتب إلى حاجب السلطان رسالة هذا نصها:

"محل والدنا الفقيه العلامة الأسعد سيدي موسى بن أحمد السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، وبعد فقد كنا تكلمنا معك في شان مرتب علماء تطوان والمتعلمين عليهم على عادة ما يقبضون بمراكشة والرباط وسلا ومكناس وفاس عمرهم الله، وذكرت لنا نذكرك في ذلك، فذكرتك وقلت لنا إن شاء الله تطلب من سيدنا أمير المؤمنين بعد تقبيل حاشية البساط أن ينفذ لهم ما يقبضونه مثل غيرهم من المدن، ونطلب من الله سبحانه أن ييسر لهم هذا الأمر العزيز على يدك، وتكون ذخيرة لك لتلك الدار بجاه النبي وآله، لأن تدريس العلم الشريف كاد أن يضمحل من هذه البلدة السعيدة. نطلب منك تطالع علم مولانا أيده الله أن يحييه حتى يعود كما كان، لأنه يا سيدي حتى العلماء مهما يسمعوا ما يقبضه مثلهم من المشاهرة في سائر البلدان وهم لا يقبضون شيء، يزهدوا في القراءة، نطلب من الله سبحانه أن تحيى هذه السنة على يدك لقوله صلى الله عليه وسلم من أحيى سنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. وعلى المحبة والسلام".

ووصلت الرسالة المذكورة للحاجب المذكور، فأجاب عنها بكتاب هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك في شأن ما طلبه طلبة أهل العلم الشريف بتطوان من تنفيذ المرتب لهم مثل ما لغيرهم من طلبة فاس والرباط وغيرهم، لتقوى رغبة الطالبين للعلم. وأنهينا ذلك لمولانا نصره الله، وأمر أيده الله أن تبين عدد المعلمين والمتعلمين وعدد ما يقبضه كل واحد ومن يقبض منهم ومن لا ليظهر لسيادته ما يكون عليه العمل في ذلك، وعلى المحبة والسلام. في 3 ربيع الثاني عام 1294. موسى بن أحمد لطف الله به".

في سفارة السويسي إلى مدريد عام 1294:

وبعث السلطان مولاي الحسن باشا مدينة الرباط إلى إسبانيا في سفارة رسمية، وبعث معه بريشة كعضو ثان له، وقد كتب الحاجب موسى بن أحمد إلى بريشة رسالة بين له فيها المهمة التي كتب إليه السلطان من أجلها، وهذا نصها:

"محبنا الأعز الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد كتب

مولانا أيده الله للعامل بتوجيهك لحضرته العالية بالله، واستحسنا إعلامك بالغرض الذي عبيت له لتعرفه وتتهيأ له، وهو أن سيدنا أيده الله عينك تتوجه مع من يعينه أعزه الله للتوجه سفيرا لدولة الصبنيول، واختارك لذلك مولانا نصره الله لما تفرس فيك ومن معك من الغناء في مثل ذلك والكفاية، ولكون هذه مصلحة عامة وأغراض مهمة، فاعرف ما أنت بصدده، واستعن بهمة سيدنا الشيخ العارف الأكبر سيدي عبد السلام وإشارته والاستثارة بكريم رأيه لييسر الله أمركم في ذلك كما ينبغي على وفق الغرض الشريف أسماه الله، وعلى المحبة والسلام. في 29 جمدى الأخيرة عام 1294. موسى بن أحمد لطف الله به".

وهذه رسالة أخرى كتبها إليه الحاجب المذكور قبل سفره إلى إسبانيا، ونصها:

"محبنا الأعز الأرضى الأجل الأمين الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بوصولك لتطوان وملاقاتك مع البركة سيدي عبد السلام ابن ريسون وطلبك منه الدعاء لجانب سيدنا أيده الله، وتأكيدك عليه في ذلك، وفي صرف همته لقضاء الغرض الشريف الذي كلفتم به، وذكرت أنه هش ودعا لمولانا بخير، وذكر لك أن مولانا نصره الله نيته صادقة في صلاح المسلمين، وأن الله تعالى لا بد أن يؤيده وييسر أموره، وأنهينا ذلك لمولانا نصره الله، وأمن على دعائه ودعا لك بخير. وقد وصل بطيه جواب البركة، وعلى المحبة والسلام. في 6 قعدة الحرام عام 1294. موسى بن أحمد لطف الله به".

وذكر بريشة في مذكرته عن هذه السفارة ما نصه:

"وفي 14 جمدى الثانية 1294، استدعاني جلالة الملك وعينني عضوا في سفارة القائد عبد السلام السويسي الرباطي إلى إسبانيا، فسافرت إلى الرباط، وبمجرد وصولي انحرفت صحتي ومرضت به 92 يوما، وفي 22 رمضان رحلت إلى محلة السلطان المقيمة بأرض زعير، وتشرفت بمقابلته ومفاوضته مدة 23 يوما، ثم توجه السيد عبد السلام السويسي إلى الرباط ليهيئ نفسه ويقضي مآربه، أما أنا فتوجهت لتطوان، وقضيت بالطريق ستة أيام، وأقمت بها ثلاثة عشر يوما. وفي 8 من ذي القعدة 1294 دخلت طنجة، والتقيت بالسويسي، ويوم 11 منه أبحرنا إلى عدوة إسبانيا، فنزلنا بمالقة، وسافرنا من يومنا إلى قرطبة، ومنها إلى مدريد، وأقمنا بها عشرين يوما نقوم بمهمة ما أرسلنا من أجله[42]، ثم سافرنا إلى قرطبة، ومنها إلى غرناطة، ومنها إلى

---

[42] - ذكر ابن زيدان (2- 330) أن توجيه هذه السفارة إلى إسبانيا كان ردا لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية.

إشبيلية، ومنها إلى قادس، فقضينا أربعة أيام. وبتاريخ 5 ذي الحجة عامه نزلنا بطنجة وأقمنا بها أياما، ثم ركبنا باخرة بقصد النزول بثغر الجديدة، فارسى البابور بالدار البيضاء، فنزلت لصلة رحم أخي ج محمد، فعظم البحر وسافرت الباخرة، فبقيت هناك يوم 9 ذي الحجة، وفي الغد صليت معهم صلاة عيد الأضحى وتوجهت إلى الجديدة، فبقيت بها اثنين وعشرين يوما أنتظر وصول السيد عبد السلام السويسي حتى قدم على طريق البر، ثم توجهنا إلى حاضرة مراكش، حيث كان سيدنا ينتظر نتيجة سفارتنا، فدخلناها في تاريخ 8 محرم الحرام عام 1295، وأقمنا بها أحد عشر يوما".

أما المصاريف التي لزمت هذه السفارة، فقد بينها بريشة في كناش له بما ملخصه:

حوزنا من ابا احمد ألف ضبلون ذهب عنه:

ريال	16.000,00
وقبضنا من أمناء طنجة ريال	8.000,00
الجميع ريال	24.000,00
وصرفنا في هذه السفارة	9.297,10
الباقي ريال	14.702,10

وهذا الباقي دفعناه لأحمد بن موسى بالقصير بتاريخ 9 محرم عام 1295.

وكانت العادة أن أمثال هذه السفارات تأخذ معها هدايا تقدمها لكبراء الدولة، ومن الطريف أن أثبت هنا لائحة بهدايا تلك السفارات والأشخاص الذين قدمت إليهم، نقلا من كناش بريشة رحمه الله، فقد قال فيه ما نصه:

"بيان الهدايا الواردة من فاس وما أخذناه من طنجة:

حزوم مذهبة بالصقلي عدد	6
سُفُر مذهبة بالصقلي عدد	7
صطارم مطرزة عدد 19 ومن طنجة 6 الجميع	25
شرابيل مطرزة عدد 19 ومن طنجة 6 الجميع	25
سباني	19
حياك حرير (كسي) 19 ومن طنجة 5	24
تراطم من طنجة	6
خيل	10
سروج جلال	10

لجوم – رصون 10

الجميع 142

بيان أسماء الأشخاص الذين قدمت إليهم تلك الهدايا:

الأشخاص	حزوم	سفر	سباني	تراطم	حياك	صطارم	شرابيل	خيل	سروج	لجوم
سلطان أسبانيا	2	2	4	0	4	4	4	10	10	10
الوزير الأعظم	1	1	4	0	4	4	4	0	0	0
وزير الخارجية	1	1	4	0	4	4	4			
الأميرة	2	2	2	0	3	3	3			
رئيس القصر	0	1	1	0	1	1	1			
كاتب أسرار	0	0	1	0	1	1	1			
قائد المشور	0	0	1	0	1	1	1			
خليفة وزير الخارجية	0	0	0	0	1	1	1			
المكلف بالتجارة	0	0	0	0	0	1	1			
المكلف بالبوليطكة	0	0	0	0	0	1	1			
المكلف بالمال	0	0	0	0	0	1	1			
خليفة الوزير الثاني	0	0	1	1	1	0	0			
خليفة الوزير الأعظم	0	0	1	1	1	1	0			
الترجمان	0	0	0	2	2	1	2			

مندوب لفصل الدعاوي الأجنبية بطنجة عام 1295:

يقول المترجم في مذكراته ما نصه:

"ثم أمرني مولانا السلطان أيده الله بالتوجه إلى ثغر طنجة برا، بقصد تصفية دعوى الجلالي بن حمو مع باشدور فرنسا، مع تسع وثلاثين دعوى أخرى كلها مع الأجانب، قضيت في الطريق من مراكش إلى طنجة اثني عشر يوما، ودخلت طنجة فاتح صفر عام 1295، وأقمت بها ثمانية وثلاثين يوما، وفي اليوم السابع من ربيع الأنور عامه، دخلت إلى تطوان لزيارة الأهل والأولاد، وأقمت بينهم عشرة أيام، ثم ذهبت إلى جبل العلم وزرت الشيخ مولانا عبد السلام، ثم ذهبت إلى تازروت لزيارة الشيخ وأسلافه، فمكثت بها ثلاثة أيام. ثم ورد عليّ الأمر المولوي بالتوجه إلى أصيلا لفك بعض الدعاوي بها مع فرنسا وغيرها من الأجانب، فدخلتها يوم 18 من ربيع ل، فأقمت بها خمسة أيام، ثم توجهت إلى طنجة. ويوم 28 ربيع ل عامه ركبت البحر إلى الجديدة

بقصد التوجه منها إلى مراكش الحمراء، وعرض النتائج على مولانا السلطان،
فوصلتها يوم 6 ربيع ني، ومكثت بها أربعة عشر يوما، ثم أمرني سيدنا نصره
الله بالسفر إلى مدريد، فخرجت من مراكش وقضيت في الطريق البحري عشرة
أيام".

وأثناء مكث بريشة بطنجة لفصل الدعاوي الأجنبية، كان يكاتب الحاجب
السلطاني بنتائج أعماله، فكتب إليه الحاجب المذكور رسالة مؤرخة بـ 27 صفر
عام 1295. ومما جاء فيها ما نصه:

"فقد أطلعنا بمكاتيبك علم سيدنا نصره الله، وصار مضمنها بباله
الشريف، ودعا أيده الله لك بخير على وقوفك في ذلك وحسن مباشرتك له. وقد
دخل علينا من السرور بما سناه الله من تيسير ذلك لك وقضائه وفق المراد، ما
لا مزيد عليه، وما ذاك إلا من يمن نقيبتك وحسن نيتك ونظرة أهل الخير فيك،
سيما الولي الصالح سيدي عبد السلام بن ريسون أدام الله النفع به وأفاض علينا
وعليكم من بركاته ...".

وجل القضايا التي كلف بريشة بحلها في طنجة، كانت من المشاكل التي
يخلقها بعض قناصل الدول وأصحاب الحمايات والعلاقات الأجنبية بالمغرب.
وقد كان بعض تلك القضايا من أتفه وأسخف ما يكون، ويكفي أن نعرف أن
منها شكوى يهودي كان قائما مقام قنصل فرنسا بتطوان بأن باشا هذه المدينة لا
يقابله بالاحترام اللازم الخ. ودعوى شاب يهودي سجنه باشا فاس فأفحش فيه
بعض المسجونين، فقام قنصل فرنسا يطالب حكومة المغرب بآلاف مؤلفة من
الريال، ذاكرا أن مثل هذه القضية وقع باصطانبول فقبض لأجلها مائة ألف
ريال، وأنه يجب أن تفصل هذه الدعوى في نفس اليوم الذي عرضها فيه، وإلا
جاء أسطول فرنسا إلى طنجة لحصارها، وتكون صوائر ذلك الأسطول على
حكومة المغرب !!!

وهذه رسالة من رسائل الحاجب إلى بريشة أثناء هذه المدة، وهي في
شأن إحدى القضايا المتعلقة بالأجانب، ومنها نعرف مبلغ التحكم والضغط الذي
كان يحصل من القناصل على ولاة المغرب وعلى حكومته التي يعلم الله كم
كانت تتجرع من غصصهم وتتحمل من تحكماتهم، ونصها:

" محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل السيد الحاج عبد الكريم بريشة،
أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله،
وبعد فقد وصلنا كتابك شارحا فيه ما دار بينك وبين باشدور الفرنصيص
وباشدور الطليان في دعواهم على القائد علي بوزيد اللنجري وتصميمهم على
طلب عزله وعدم الرجوع عنه، وأنك لما دافعتهم عن ذلك بما اعتذرت به من
فتح الأبواب، قالوا إنهم يصبرون شهرا أو شهرين في ذلك، وإن لم يساعدوا

فيطلبون أمرا آخر لا نقدر على تنفيذه. وقد طالعنا بما شرحت في ذلك العلم الشريف، وصار ذلك كله بباله، فقال أيده الله إنه على نية عزله مساعدة لمطلبهم، غير أنه لا ينبغي تحديد ذلك في أجل محدود في شهر أو شهرين أو أكثر، لئلا يدخل على الجانب العالي في ذلك ضرر ويفتح باب لا يمكن سده مما لا يحب النواب المحبون أن يكون فتحه على يدهم، نعم يجعل له مولانا أيده الله سببا آخر ويعزله ولا يصل أجل ذلك السنة إن شاء الله، فتكلم معهم في ذلك وردهم عنه بلطافة وأظهر معهم فصال الدعوى حتى يستقر العامل المذكور ويظهر للناس أن الدعوى تفاصلت بغير عزله. وأما دعوى الحاج سعيد ابن فرجي فقد كتب هو أخبر بفصالها مع صاحب الدعوى وأنه تصالح معه وسامحه بخط يده وأن أصل الدعوى ليس كما زعم، وأن الوجدي صاحبهم حضرها وعنده العلم بحقيقتها، وكتب للباشدور بذلك. وما نبهت عليه في شأن قبائل العرائش والتعجيل بتعيين العامل لهم صار بالبال، وسيدنا أيده الله على بصيرة في ذلك وبصدده، والله يختار للمسلمين ما فيه الخير آمين، وعلى المحبة والسلام. في فاتح ربيع الأول عام 1295. موسى بن أحمد لطف الله به".

سفير إلى إسبانيا ومندوب إلى فرنسا عام 1295:

وقال بريشة في مذكراته ما نصه:

"في فاتح جمدى الأولى عام 1295 ركبت البحر من طنجة إلى جبل طارق، ومنه إلى مالقة ثم إلى إشبيلية، ثم إلى قرطبة، ومنها إلى مدريد بقصد التهنئة بالزواج الملكي والعمل على فسخ الشهادة الواقعة بين النواب المتوجهين للسنط كروز بكنية، فأقمنا بها ثمانية عشر يوما، قضينا في أثنائها الغرض المولوي، ثم سافرت منها إلى باريس لقضاء غرض آخر لمولانا نصره الله، فأقمت بها ثمانية وثلاثين يوما، وبعدها سافرت إلى مرسيليا مكثت عدة أيام، ومنها توجهت إلى ليون، فلبثت فيها ثلاثة أيام ثم رجعت إلى باريس وجلست بها ثمانية أيام ثم سافرت إلى مرسيليا، فمكثت فيها خمسة وعشرين يوما، وبعدها أبحرنا قاصدين جبل طارق، فقضينا في الطريق خمسة أيام ثم وصلناه، فأقمنا به يوما واحدا، وبالجزيرة الخضراء (الخزيرات) يوما، وبسبتة يوما، ومنها إلى تطوان يوما، فدخلناها يوم 7 شعبان 1295، فأقمنا بها اثني عشر يوما.

ويوم 20 منه خرجنا من تطوان على طريق طنجة إلى الجديدة، ثم إلى مراكش، فدخلناها في خامس رمضان المعظم، وأقمنا بها شهرين عرضنا فيهما على مولانا أيده الله نتائج سفارتنا، ثم خرجنا منها في خامس ذي القعدة على طريق بني مسكين على الشاوية ثم إلى الدار البيضاء إلى طنجة، ودخلنا تطوان بتاريخ 23 ذي القعدة 1295.

وأقمت بتطوان خمسة أشهر وتسعة عشر يوما إلى يوم 12 جمدى الأولى عام 1296، استلمت استدعاء الجناب العالي بالله، فسافرت إلى طنجة ثم إلى الدار البيضاء بحرا، ومنها خرجت إلى محلة السلطان، فقابلت جلالته بالبروج، ثم سافرت صحبته إلى أن دخل رباط الفتح، وأقمت معه أربعين يوما، ثم سرحني فتوجهت لتطوان برا، فدخلتها في تاريخ 28 جمدى نية عامه. وأقمت بتطوان".

وقال حفيده بنونة في ترجمته ما نصه:

"وفي عام 1295 هجري موافق سنة 1878 م تحركت بين دولة إسبانيا والدولة الشريفة مسألة إفني، وإفني هذه أرض واسعة الأرجاء بشاطئ البحر من قبيلة أيت بوعمران في سيدي وارزين على وادي أسقي (كذا) جهة سوس، كان الإسبانيون يدعون أنها لهم من قديم الزمان، ويحتجون بكونها مقابلة لأملاكهم بالجزائر الخالدات "كناriاس"، وأن أبناءهم يصيدون الحوت بها، واغتنموا فرصة عقد شروط صلح تطوان بعد واقعة وادي أكراز من قبيلة وادراس بأن جعلوا من جملة الشروط اعتراف المخزن الشريف بتسليم ملك إفني الذي تدعيه إسبانيا، وأن يمكنها منه في الوقت الممكن، فقبل المخزن هذا الشرط على صعوبته (وللضرورة أحكام)، ثم لما تسكنت الأحوال ورجع وداد الدولتين لما كان عليه من قبل، تغافل المخزن الشريف عن تلك الناحية حتى قلت سلطته بها، وصارت قبيلة أيت بوعمران لا تعترف للمخزن بسيطرته ولا تنقاد لأوامره، فجعل ثورتها حجة في عدم تسليمها والاعتراف بها نهائيا، ورغبته الوحيدة عدم انفصال هذه القطعة عن المملكة بالوجه الممكن.

ولما دخلت مسألتها تحت البحث وتحركت في الدوائر الإسبنيولية كما تقدم، انتخب المخزن السيد الحاج عبد الكريم بريشة سفيرا لهذه المهمة، فتوجه لعاصمة مدريد، وقدم لائحة لوزارة الخارجية بتاريخ 14 يونيه سنة 1878 موافق 13 جمدى نية عام 1295 مضمنها احتجاجات وبراهين قوية لإقناع الدولة الإسبانية وترغيبها في أن تسمح فيما تدعيه من الحقوق في إفني، وتقبل عوضا عنها معاوضة مالية اجتنابا للفتن وإهراق الدماء. وكان وزير خارجية إسبانيا عندئذ أحد أصدقاء بريشة، وهو ضون منويل سلبيلا، فقبل منه اللائحة، وبعد أن أمعن النظر في المسألة، أجاب عنها بما مضمنه أن معاوضة أملاك الدولة بمال هو من حقوق الأمة، ولأجل ذلك لا محيد عن طرح الموضوع على عاتق مجلس النواب وتثبيت مساحة هذه القطعة وتبيين حدودها، وعندما تنتهي هذه الأعمال المقتضية لمدة طويلة، يقع الجواب النهائي على لائحتكم. ولم يرجع بريشة من سفارته تلك بدون نتيجة، بل سكن ما كان تحرك من البحث في القضية، وقام بفصل مهمات أخرى، من جملتها ما حدث أثناء جلوسه بمدريد،

وذلك أن قبيلة أولاد طايم على بعد ست سوائع من تارودانت، قبضوا على إسباني اسمه ضون خواكين كاطل، فباشر الكلام مع الدولة في شأنه إقناعا بالحجج، حتى لم تقم دعوى على المخزن الشريف. كما بالغ جهده في إطلاق سراح الأسير من يد القبيلة وتسليمه لقنصلية دولته القريبة منها. وتسبب عن ذلك ما عقده من الشروط عندئذ مع إسبانيا، وفحواها أنه كل أجنبي أراد الخروج إلى أية قبيلة من قبائل المغرب، يجب عليه إعلام المخزن الشريف ليوجه معه فارسا دفعا لما عسى أن يحدث من التعدي عليه".

وقد رأيت بخط المترجم نفسه، مذكرة كتبها في سادس جمدى الأخيرة عام 1295، ويظهر أنه أرسلها إلى وزير سلطان المغرب، ومن هذه المذكرة نعرف كيف جرت المحادثات بين المترجم ووزير خارجية إسبانيا، وهذا نصها:

"الحمد لله في تاريخ 30 جمدى الأولى عام 1295 دخلنا مدريد، وفي فاتح جمدى الثانية تلاقينا السلطان ودفعنا له الهدية، وكما تلاقينا زوجته ودفعنا لها الهدية، والكل فرح ونشط، وسألوا عن مولانا أمير المؤمنين. وفي يوم الاثنين 2 من الشهر المذكور تلاقينا بوزير الأمور البرانية وهو منويل سلبيلا في الساعة 5، وتذاكرنا معه في شأن السنط كروز بكنية، وحكينا له ما صدر من النواب المتوجهين إلى تعيين المحل من المخالفة حتى قررناها له، فأجاب، ما صبر هذه المدة إلا مراعاة ومحبة في سيدنا أيده الله .... وأن السنط كروز لهم عليها ثلاث حجج:

الأولى: هي متاعهم، وفي الشرطات، ولا بقي فيها خلاف، مطبوع عليها.

الثانية: لما طلبها نائبهم بفاس أجبته بأنكم تعينوا النواب ولما تعرفوا المحل تسلموه لهم على الوجه الذي يسهل، وحتى إن كانت الأرض لأربابها أنتم ترضون أصحابها وتمكنوهم منها إن قدرتم، وإن لم تقدروا تأذنوه يتوجه له.

والوجه الثالث: لما رضيتم وعينتم النواب وتوجهوا وشهدوا بذلك المحل تنكروا كذا وكذا، هذا أمر لا يفعل، وأول مرة ما كان لكم أن توجهوا النواب حتى تختاروا من تكون له الخبرة والعقل، بحيث ترضونه لأنفسكم ولا تحوز عليه غرة، وأيضا هو في شأن هذا المحل متعوب غاية، وكل يوم نواب جزر كنارية يطلبون هذا المحل ويشتكون بالضرر الحاصل لهم من تلك الأرض، وهو يسوفهم حتى خاف على نفسه من أجلهم، وأنهم يكتبون في الجرائد أنه من جهة سلطان المغرب، وأنه لا يريد أن يقبض لهم حقهم، حتى إن بعض إخوانهم قد مضى عليهم نحو عام وهم مقبوضون في تلك الأراضي، ولم يتكلم في شأنهم وتسريحهم. ولأجل هذا يطلبون المحل، وأيضا إن أهل ذلك

المحل يفرحون بهم، وإلى هذا التاريخ يكتبون لهم، ويذكرون لهم انهم ينتظرونهم الخ، وكلامه طويل مضمنه هو الذي ذكرناه.

فأجبته على الوجه الأول. ما ذكرته صحيح، لكن لما طلبتم السنط كروز بكتبة من النائب عند كتب الشرطات امتنع من إمضائه، فذكر له نائبكم اكتبه لا غير، وإنما عمره ما يطلبها. فقال نحن ما حضرنا معهم، ولكنا نتبع الشرطات، ولا محيد لنا ولكم عنهم، فقلت له الصاحب يكون بالنفع لا بالضرر، ونحن جيران ونريد تجديد العهود والمودة، ولو فرضنا أن هذا المحل أو غيره هو متاعكم لا كلام فيه واشتكينا عليكم بالعذر فيه تقبلوا منا عذرنا وتسمعوه وتقضوا حاجتكم ولا غرض عندكم في ضرر أحد. فقال يظهر ما يكون، إن كان الضرر مقبولا يتشاور مع الوزراء والسلطان وينظر كيف يكون. قلت له هذا المحل هذه أكثر من ثلاثمائة سنة ما عمره أحد منكم ولا عندكم منه مدخل، وكذلك سيدنا أيده الله، وفي علمكم ما مراد سيدنا أيده الله من الكلام على هذه الأرض وتصفية هذه الدعوى هو محبة فيكم ومراعاة مودتكم، لأن أصحاب هذا المحل لا ثقة بهم، يقتل بعضهم بعضا على أقل شيء، ومهما نزلتم هناك إلا ووقع الضرب عليكم ليلا ونهارا، وربما تحصل لكم مهانة وتكتبون للسلطان بأن يكتب لمن يقبض حقكم ويمكن أن يقبض ذلك الحق ويمكن أن لا يقبضه، وربما يهربون فتطلبون الخروج إليهم، فإن ساعدكم وأمركم بالخروج قامت الفتنة في المغرب، وقال الناس إن السلطان أعطى المسلمين للنصارى، وربما انضم إليهم الناس والجيران ليعينوهم فتقولون أنتم إن الإعانة من السلطان، وهذا كله تعرفونه حقا معرفة تامة. وأيضا ما هو منخول هذه الأرض على سيدنا أيده الله حتى ينعم بأن يخلص عليها الدراهم؟ قال لا شيء، قلت له وإنما مطلوبه اتقاء عاركم وتجديد عهدكم.

وأما قولكم إننا رضينا النواب ووجهناهم وشهدوا بذلك إنما عليهم كره وقالوا لهم اشهدوا بما سمعتموه من هؤلاء، فشهدوا بذلك لقلة معرفتهم، وإن فرضنا أنكم لم ترجعوا عن ذلك المحل، فإنه لا بد لكم من أن تعينوا نائبا آخر من جنس آخر، ونحن نعين نائبا آخر كذلك ممن لهم الخبرة بالكرته (أي الجغرافية) ويذهبون ويشهدون بما علمهم الله، والمحل الذي يشهدون أنه هو السنط كروز يسلمه لكم سيدنا أيده الله لكن على شرط أن يحندوه، وعند نزولكم هناك، ينزل سيدنا أيده الله ويبني حذاءكم قصبة ولا يكون في محلكم باب للبر، وإنما هي مرسى للحوانة يتسعون فيها، والباب التي تجعلونها لهذا المحل تكون نافذة للقصبة، وإن كان في بالكم تجعلونها مرسى للتجارة، فهذا أمر لا يمكن ولا نتركم تجعلونه ولو تصير عليه ما كان، وعلى كل حال إن أردتم أن تبنوا في هذا المحل السور وحده، فإنه لا بد أن تصيروا عليه نحو ستمائة ألف ريال،

والنظر هو أن تتركوا المال بمحله، وتقبضوا ما تيسر لكم ولكم فيه النفع والهدنة، ونربح جميعا كثرة القيل والقال ...

وكثير من الكلام نحو ساعتين ونحن نتجادل حتى قال لي اصبر عليّ ثلاثة أيام، قلت له فيه خير.

ونطلب من الله وسعادة سيدنا أيده الله وبركة شيخنا عند الله برزقنا الإقبال والمساعدة لما فيه خاطر مولانا المنصور بالله وصلاح المسلمين آمين.

توجه في 6 جمدى ني 1295".

وبعد عشرة أيام، كتب رسالة أخرى هذا نصها بعد الحمدلة والتصلية والافتتاح: "وبعد فلا زائد على ما قدمناه لسيادتكم تريخ 6، وفيه عرفناكم بالملاقاة وبما وقع بعدها من السؤال والجواب، وذكرنا لكم أنه سيفتح الكرطيل ويكون الكلام فيه في شأن دعوة السنط كروز، فقد فتح المرة الأولى والثانية والثالثة ولم نحصل معهم على طائل يعني كلامهم الأول هو الآخر، إنما وجهنا النواب ورضيناهم، ولما رأيت ذلك التقييت الوزراء كل واحد وحده وأنا عبد الله كذلك ليس معي طرجمان، وناولت كل واحد بمبلغ كبير بأن يوافقوا على بيعها ويكون ثمنها مرفوق ليس بجافي ولا رخيص، وقلت لكل واحد منهم يذكر لأرباب الدولة على لساننا ينظروا هذا المحل إذا حازوه وصيروا عليه بتقريب نحو منيول من الريال ما يرد إنما هو في خاطر أهل كزية لا غير، وان فرضنا أن هذا المنيول يبقى بمحله ويقبضوا ما يزيد عليه ويقضوا به غرض آخر ما هو إلا فضل عندهم، فاستحسنوا ذلك وقالوا لنا لا بد من جمع آخر، فاجتمعوا واتفق رأيهم على أن نكتب لهم كتابا ليجتمعوا أيضا ويقرأه ويجاوبوني عنه، والسبب في ذلك هو بأن يتفقوا جميعا يعينوا نواب آخرين وتبطل الحجة الأولى، ونحن كذلك نعين نواب آخرين ممن تكون لهم المعرفة بالكرطة، ويتوجهوا حتى يعينوا المحل، والجميع يركبون من الصويرة ويوجه سيدنا نحو خمسين من الخيل برا، لأنهم مرادهم إن عينوا المحل ينزلون به جميع النواب ويكيلونه ويهندزوا ما يكفيه من الدراهم لبناء المرصة والصور ويرجعون لمحلهم، وبعد ذلك يقدروا يعكسوا في ذلك ويقولوا هذا مبلغ كبير خارج من غير فائدة، وخصوصا حيث ذكر سلطان المغرب أنه يبني حذاءها قصبة، ولا تقدر تكون هذه مرسى للتجارة، إنما هي عسة للحوت. وعلى كل حال لما يتأملوا الكرطيل في ذلك ينعم بالبيع، وهذا هو مراد الوزراء. والآن لا بد سيدنا أيده الله يعين ثلاثة أناس ممن لهم الخبرة والمعرفة بالكرطة، وهذا الناس الموجهين هم عندهم وقت الإمكان، غير أني طلبت منهم لما يريدون توجههم يخبروا نائبهم قبل توجههم بشهر ونصف أو شهرين. وأما أمر الحمايات فقد بذلنا جهدنا فوق ما نظن، ولا بقي سوى ما هو موضوع في الشروطات مبين وأمور هي في

الشروطات ووجدنا لها السبيل والباب الذي نسلك منها وزولناها، والحاصل يا والدنا والله وآيات الله ما تركت من جهدي شيء، والله مطلع على السر والعلانية ... ... الخ الخ. في جمدى الثانية عام 1295".

ولسائل أن يسأل عما لزم من الصوائر في هذه الرحلة. وقد كتب بريشة عن ذلك في دفتره ما يلي:

"فاتح جمدى ثنية 1295

بيان ما صرفناه في سفارتنا إلى مدريد بقصد التهنئة بزواج سلطان إسبانيا.

دفع لنا يا أحمد بن موسى ضبلون ذهب 1.000

يجب فيه ريال 16.000

ودفع لنا الأمين اللبادي 2.000

الجميع ريال 18.000

ثم بين مصاريف تحصل في ثمنها 4.762,05

بقي تحت يده ريال وبليون 13.237,15

وهذا المبلغ قد دفعه لأحمد بن موسى عند رجوعه للمغرب في ضبلون 8 827 ¼

ويدخل في مصاريف السفارة سفرتنا إلى باريس بقصد اشتراء بعض الأشياء للسلطان نصره الله"

وفي هذه المدة، وقع اختطاف بعض الإسبانيين في جنوب المغرب قرب تارودانت، كما أشار إلى ذلك بنونة فيما تقدم. وبمناسبة ذلك كتب بريشة إلى وزير خارجية إسبانيا رسالة هذا نصها:

"إلى حضرة صاحبنا العاقل الكبلير المحترم وزير الأمور البرانية بدولة إسبانيا الفخيمة سنيور دون منويل سلبل لا زال سؤالنا عنك نحبك دائما تكون بخير. وبعد اعلم قبل تاريخه 8 حللنا البريز بخير والحمد لله، واعلم أننا أمس تاريخه قبضنا مكاتب من المغرب ظنا منهم أني لا زلت بمدريد من عند نائب سيدنا سيدي محمد بركاش، مخبرا فيه بأن سيدنا أيده الله يخبرني بدعوى وقعت بالصويرة لنتكلم معك في شأنها، والدعوى هو رجل من إيالة إسبانيا أول مرة خرج من الصويرة ومعه اثنان أناس قاصدا ناحية سوس، فلما وصل لمحل اسمه الديابت، اعتراه حال أسرعه، فتخبر به قائد الصويرة، فوجه للقونصو متاعه ليرده، فأجابه القونصو بأن الصبنيول يذهبون حيث شاءوا على موجب الشروطات، وبعد الثلاثة أيام رجع للصويرة وتهيأ للسفر ببهائمه، وتوجه للمحل

الذي قصده أول مرة بعد الاسترعاء متع القائد على القونصو متاعه، فلما وصل لمحل قرب تردنت، قبضوا عليه بعض الفساد الذي هناك، والسبب في هذه الدعوى هو قونصو الصويرة لو كان حضر معه العقل وقرأ العواقب، ما كان يساعده للخروج، لأنه أعرف الناس بذلك المحل وفساد أهله وخصوصا في هذا الوقت الغلاء والجوع وكثرة أهله لم تلهم حكومة متوليهم مع أن الشروطات فيهم إيالة إسبانيا يذهبون حيث شاءوا، لكن للمحل الذي نابه حكم سيدنا أيده الله، ويكون سفرهم على يد متولي البلاد، ويوجه معهم مخزني ليحرسهم بالطريق وبيده كتاب لمتولي البلد المقصودة، ليرد جوابهم أنهم وصلوا بخير، على العادة التي هي مع جميع الأجناس، وهذا كله احتياطا ومراعاة لصحبتكم ومودتكم وتحفظا على رعيتكم، وسيدنا أيده الله يبقى في خاطره مثل هذه الأمور التي تصدر من بعض النواب كمثل هذه الدعوى كأنها مقصودة، وعليه المطلوب منك تكتب كتابا لنائبكم بطنجة يكتب لجميع النواب بالمراسي لا يتركوا أحدا يسافر من إيالتهم لمحل حتى يطلب من متولي البلاد مخزني يسافر معه كما ذكرناه أعلاه. ونحبك تتأمل فيما ذكرناه لك كان هو حق أو باطل، لأن الله سبحانه اختارك لهذا المنصب وأعطاك العقل لتميز به وتخرج الحق من الباطل، ونطلب الله سبحانه يوفقنا لما فيه صلاح الدولتين الفخيمتين. وسيدي محمد بركاش خبرني أنهم كتبوا لمتولي ذلك الأرض وشددوا عليه ليعمل جهده ويدبر في حيلة حتى يسلك ذلك الرجل السبنيولي ويرجعه بخير. وهذا ما وجب به الإعلام. وحرر في 26 يونيه 1878 الموافق 25 جمدى الثانية عام 1295.

عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

ثم استقر بريشة ببلده تطوان بضعة أشهر من سنتي 1296 و1297، وأثناءها كتب إليه الوزير الصدر رسالة يطلب منه فيها شراء أمتين، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل الأحظى السيد الحاج عبد الكريم ابريشة، أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله ونصره، وبعد فقد دعت الحاجة إلى أمتين من رفيع الرقيق تكون لهما المعرفة التامة بالطبخ، فبنفس وصوله إليك، نحبك أن تبحث لنا عنهما وتشتريهما وتوجيهما واصلين إلينا عاجلا من غير توان ولا تراخ، وإن كنت لا تحتاج إلى التأكيد في مهم أمورنا، لما نعلمه من تمام محبتك في جانبنا ونحن كذلك، ولا نقبل منك عذرا في شأنهما، بارك الله فيك، وعلى المحبة والسلام. في 2 محرم الحرام فاتح 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

في مؤتمر مدريد لمشكلة الحمايات بالمغرب عام 1297:

وقال المترجم في مذكراته ما نصه:

"وفي 27 صفر 1297، ورد عليّ أمر مولانا نصره الله يستعجلني بالمثول بين يديه، فسافرت من تطوان في الغد، أعني يوم 28 منه، متوجها لحضرته، فدخلت فاسا يوم 4 ربيع الأول عامه، ومكثت بها معه شهرين وثمانية عشر يوما، ثم أمرني بالسفر إلى طنجة، فسافرت بتاريخ 22 جمدى الأولى، ودخلتها يوم 29 منه. ويوم 30 منه ركبت البحر صحبة السيد محمد بركاش، متوجهين إلى مدريد، فنزلنا بقادس، ومنها إلى إشبيلية، ثم إلى قرطبة، ومنها إلى مدريد، بقصد تمثيل حكومة جلالته في المؤتمر الدولي المزمع عقده بها للنظر في مسائل تتعلق بشؤون محميي الدول الأجنبية بالمغرب، وأدائهم الزكاة والأعشار وغير ذلك، فدخلنا مدريد يوم 3 جمدى نية، وأقمنا بها أربعة وخمسين يوما، ثم رجعنا على نفس الطريق الذي أتينا منه، وحللنا طنجة يوم فاتح شعبان عامه، فاسترحت فيها ثلاثة أيام، ثم سافرت إلى فاس، فقضيت في الطريق خمسة أيام، ودخلتها يوم 8 شعبان، وقابلت جلالته نصره الله، وأبلغته نتائج سفارتنا، وقضيت معه هناك ثمانية عشر يوما، ثم توجهت إلى تطوان بتاريخ 26 شعبان ودخلتها يوم 2 رمضان 1297".

ومؤتمر مدريد هو مؤتمر دولي انعقد بعاصمة إسبانيا للبحث في قضية الحمايات الأجنبية بالمغرب، أي تلك الامتيازات التي كان بعض المغربيين يحصلون عليها لانتمائهم إلى إحدى الدول الأجنبية التي تتمتع هي ومن ينتمي إليها بامتيازات كانت في أول أمرها خيرا وإحسانا وفضلا وكرما، ثم صارت نكبة ووبالا على المغرب دولة وشعبا.

وكان بعض الناس لا يرون في تلك الحمايات إلا أضرارا ومصائب وويلات، وكان بعضهم يجدون فيها مصالح وفوائد ورحمة لقوم آخرين.

أما الدول الأجنبية التي حضرت هذا المؤتمر مع ممثل دولة المغرب، فعددها ثلاث عشرة وهي:

إسبانيا - فرنسا - ألمانيا - إنجلترا - الولايات المتحدة - إيطاليا - النمسا - بلجيكا - هولندا - السويد - النرويج - الدانمارك - البرتغال.

وقد وقفت على أصول عدة وثائق مغربية رسمية تتعلق بهذا المؤتمر، وسأثبتها هنا مرتبة على حسب تواريخها، تنويرا للمؤرخ الباحث في هذا المؤتمر وأعماله ونتائجه.

وهذه الوثائق وإن كانت غير مستوعبة لسائر أعمال هذا المؤتمر ونتائجه، إلا أنها تحتوي على الكثير من أقوال أولئك المؤتمرين ونفسياتهم

وأعمالهم العلنية والسرية، ومما كان يجري حول ذلك من إجراءات ذلك العهد ومحاولاته ومناوراته.

ودونك تلك الوثائق، وأولها الظهير الذي كتبه السلطان مولاي الحسن للنائب السلطاني بطنجة السيد مَحمد بركاش الرباطي بتعيينه ممثلا للمغرب في المؤتمر المذكور، وقد عززه بعضد مساند هو الحاج عبد الكريم بريشة التطواني (المترجم). وهذا الظهير مؤرخ بعشري جمدى الأولى عام 1297، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(ثم الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن، ونقش وسطه الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه 1291، وبدائرته بيتا البردة ومن تكن برسول الله الخ، من يعتصم بك الخ)

خديمنا الأرضى الطالب مَحمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فمنذ وقع الاتفاق من دول الأجناس على الجمع في أمر الحماية بمدريد، ونحن نتأمل ونستخير الله تعلى فيمن نختار لهذا الأمر المهم، وتظهر نتيجته على يده من درء المفاسد وجلب المصالح لهذه الأمة المحمدية، فلم يقع اختيارنا إلا عليك، لكونك اجتمع فيك ما افترق في غيرك، ولك قدم راسخ في الخدمة وجربت الأمور، واقتضى نظرنا الشريف تعزيزك بخديمنا الأبر الحاج عبد الكريم بريشة، ليكون ردءا لك وعضدا مساعدا لكونه رجلا كيسا فطنا حنكته التجاريب ومن بيت الخدمة، على أن المدار في ذلك والمعول عليه فيه والمعتمد عليه هو الله تعلى. ثم عليك تحقيقا وتشريعا وتأسيسا وتفريعا، لكونك عندنا وزير الأمور البرانية التي ألبسناك من حللها بردة يمانية، ولكون ابتداء هذا الأمر منك وحاولته بكلتا يديك، وعالجته بما من السياسة لديك، وكان ما تقدم فيه من المقاسات (كذا) والمكابدة للمشاق غير خاف عليك، بعد استعمال الروية فيه، على وجه يستخلصه ويستوفيه، حتى سهل الله الآن الطرق والأسباب، ولكل أجل كتاب. وحيث حان وقت الاجتماع عليه، وأدرك إبانه، تعين توجيهك للحضور مع أولئك النواب، واستخلاص الغرض على وجه يكون أمس بالمقام وأحرز للصواب، وعليه فنأمرك أن تتوجه صحبة الخديم المذكور لمباشرة أمر المحميين من هذه الرعية سفيرا متحملا لأعباء المحاضرة مع الأجناس لذلك بمدريد لكونك بالمثابة التي وصفنا، وباحكام ذلك جديرا، وبمباني أركانه خبيرا، أمدك الله بتوفيقه، وسددك فيما تأتي وما تذر من جمع الأمر على مركز المصلحة وتطبيقه، وزد في ذلك تيقظا ودهاء ونباهة، على ما هو معروف منك على البداهة، واستعمل في ذلك غاية مقدورك من السياسة والتدبير، والأخذ بالحزم والاحتياط والنظر في ذلك بعين الناقد البصير، ولاحظ

مع ذلك ما هو مقرر مشترط، ولا نحتاج إلى أن ننبهك على الأخذ بزمام اللسان فيما عسى أن يتلفظ به خارجا عن القانون الجاري مجرى السقط، واسلك مسلك التأني والتروي فيما تبرمه أو تعقده يمناك بروابط الأناة وتحكمه، حتى تباشر الأمر بحول الله على وجه متمم الأركان، منوطا بالمصلحة دائرا معها بقدر الإمكان، كما نأمرك أن تباشر أمر ما يضيع لبيت المال بسبب منع القنصوات أهل الحماية من إعطاء ما يجب عليهم وتعرضهم عليهم عند الحكام فيما يباشرونه من حقوق المخزن وغيرها حتى يرتفع ذلك وتقع المساوات (كذا) في ذلك بين الرعايا والأجناس ولا يقع تخصيص لبعضهم دون بعض في شيء من الأشياء، إلا ما أحكمته الشروط إذ ربما يتعصب المحميون وغيرهم من رعايا الأجناس كالذين يردون من الجزائر ونحوهم ويستوطنون في هذه الإيالة ويبقوا (كذا) على تمنعهم من ذلك ويزعمون أن عادتهم عدم الإعطاء ويتظلمون إذا خوطبوا بأداء الواجبات كغيرهم من الناس، فلا بد من التنبيه لهذا لينبرم الأمر على مقتضاه. وقد فوضنا لك في ضبط أمر الحماية ورده إلى القانون الأصلي المقرر في الشروط ردا مطلقا من غير خروج عنها بزيادة ولا نقص ولا تعليق على شيء غير معهود، حتى ترجع إلى أصلها القديم المجعول بين الأسلاف رحمهم الله وبين دول الأجناس من غير اقتراح زيادة عليها، ولا سيما فيما يرجع للدين والشريعة فإني لا أوافق عليه، وإنما أتمسك بحبل الله وأقول ربي الله، وما قال أبونا إبراهيم ويعقوب عليهما السلام كما في الكتاب المكنون، "يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" وعليك بتقوى الله تعلى ومراقبته في السر والعلانية، فإنها عدة تكفي عن غيرها ولا يكفي غيرها عنها، ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ومن كل هم فرجا، والسلام. 20 جمدى الأولى 1297".

وهذه رسالة من المترجم إلى الوزير محمد بن العربي بن المختار بتاريخ سادس جمدى الأخيرة، ومما فيها الإعلام بالوصول إلى مدريد والاتصال بنواب الأجناس وما قاله نائب فرنسا وما قيل له، وقضية مستشار للوفد المغربي وأجرته الخ. ونصها بعد الحمدلة والتصلية، على ما في بعض عباراتها من مخالفة للقواعد:

"أسعد الله أيام سيدنا الوزير الفقيه الأمجد الخيار الأسعد الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، وموجبه تجديد العهد بسيادتكم والسؤال عنكم جعلكم الله بخير وعلى خير، ولا زائد على ما قدمناه لكم تاريخ 30 من الماضي صحبة المخزنية الواردين معنا، وفيه عرفناكم بتوجهنا مع الفرجاطة. واعلم حفظك الله وأننا حللنا مدريد بخير والحمد لله يوم الجمعة 4 من

تاريخه بعد أن قابلونا رؤساء دولة إصبانيا في كل محل بما هو واجب على العادة بوجود مولانا نصره الله وأدام سعادته. ويوم السبت 5 من تاريخه كان عندنا الجمع بدار الوزير الأكبر بقصد إظهار مكاتب التفويض للنواب من سلاطينهم، فوجدنا البعض منهم إلى تاريخه لم تصلهم مكاتب التفويض، لكن ذكروا عن قريب تكون عندهم، فاتفق رأيهم على الاجتماع الثاني يكون يوم الأربعاء 9 من تاريخه. فتكلم بشدور الفرنصيص وقال لا بد يكون العمل من ابتدائه، فأجاب سيدي محمد بركاش بعد سلامه عليك الأمر الذي صفى أمره بطنجة وجوزوه البشدورات لم يبق فيه كلام، فأجاب بشدور الفرنصيص، فقد جوزوا بعض الأمور التي لم تستحق الجواز، وعلى هذا افترق الجمع. واعلم حفظك الله وأن سيدنا أيده الله وأدام علينا عزه أمرنا لا ندفع شيئا إلا إذا رأيت العشرة ترد مائة، فتكلمنا مع رجل هنا يأخذ بيدنا ويكون لنا خير معين فطلب لنا خمسة آلاف ريال هي لخدمته، ووقوفه، ولا عليه فينا ربحنا الدعوة أو خسرناها، وإن ربحت الدعوة نعطيه عشرة آلاف ريال، وقد وصلنا له ألفين ريال فأبى وامتنع، وقلنا له إن ربحنا الدعوة نعطيه خمسة آلاف ريال، فلم يقبل، وهذا رجل واحد بخلاف ما يظهر ومن خلاف الصائر، وعليه نحبك تطالع العلم الشريف بذلك وتجيبنا بما يكون عليه عملنا. وكما نطلب من سيادتك لا تجلس الرقاص هناك سوى يوم واحد، لأنه يلزمنا في اليوم نحو المائة ريال. وكما نطلب من سيادتك تجلب لنا خاطر مولانا أعزه الله ويدعو لنا بالإعانة والتيسير في جميع أمورنا، لأن دعوة الأمير مستجابة ليس بينه وبين الله حجاب، ودمتم في حفظ الله، والسلام. قيد في 6 جمدى ني 1297"[43].

وهذه رسالة أخرى كذلك بتاريخ تاسع الشهر المذكور، وقد تعرض فيها لمشكلة هي أن المغرب أرسل نائبين، مع أن بقية الدول لها نائب واحد بالمؤتمر. وذكر اتفاق الوفد المغربي مع مستشار خاص بأجرة محدودة. وأنهم بصدد مساومة بعض النواب لشراء ذممهم بالمال. ونصها:

"أسعد الله أيام سيدنا الفقيه الوزير الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم بتاريخ 6 من تاريخه، وفيه عرفناكم بما صدر من الجمع الأول، وزدناكم هذا تعريفا بما صدر بعده.

واعلم حفظك الله وأننا بعدما خرجنا من الجمع، ذكر بعض النواب للوزير الكبير وهو رئيس الجمع أن النواب متعهم بطنجة لما اتفق رأيهم أن هذه الدعوة لا بد لها ترتفع لسلاطينهم وهم يعينوا نوابهم، يعني كل جنس يعين نائبه

---

[43] - هذا الكتاب أجاب عنه الوزير المذكور برسالتين بتاريخ 14 من نفس الشهر وأثبت فيما بعد.

رجل واحد لا غير، وسلطان المغرب عين اثنين، وعلى هذا كل واحد منا يزيد معه آخر، فاجبناهم أولا نحن لا علينا كل واحد يجلس معه صاحبه. وبعد ذلك بيوم التقينا وزير الأمور البرانية، فتذاكر معنا في ذلك وقال، إن فتحنا هذا الباب ربما يفسد المجلس، ولا تكون فيه مصلحة بسبب بشدور الطليان هو جالس هذا قدم قبلنا من طنجة على مثل هذه النكات، وبشدور الفرنصيص يريد إدخال القنص الذي عنده بطنجة الذي كان بفاس اسمه اكار، وعلى هذا إن حضر الاثنان لم نحصل على طائل. وبعد هذا الكلام تلاقينا مع السلطان على العادة، وعند خروجنا من عنده، توجهنا لوزير الأمور البرانية على العادة، فأعاد علينا الكلام المذكور، فأجابه سيدي محمد وقال له لا بد من جلوسه (يعني بريشة) معنا، امتثالا لأمر مولانا نصره الله ولو يفسد هذا الجمع. فلما رأيت الأمر اشتد من ذلك، أجبته بأن سيدنا نصره الله وجهني للمصلحة ولو تكون بعمري لا للفساد، وعليه، فها أنا خلعت نفسي من هذا الجمع في هذا المجلس، وأجاب الوزير هذه هي المصلحة. فلما قدمنا لدارنا، قدم علينا الوزير المذكور لرد البزيطة، وفي إثره قدم الوزير الكبير، وبقينا نحو ساعة نتحدث معهما في شأن هذه الدعوة وكيف يكون عملها، وطلبوا نسخة الكتاب الشريف من سيدي محمد برقاش لينظروا التفويض، فلما قرأناه عليهم، استحسنوه وقالوا له سيدنا نصره الله قال عليك الاعتماد وفيك الكفاية، وبريشة هو عضو من أعضائك، فشاوره في جميع أمورك، ونحن توسع عليك في الجواب، وعلى هذا اتفق الرأي. ولما رأينا ذلك بعثنا على الرجل الذي كان طلب منا خمسة آلاف ريال في خدمته وأمضينا معه إن ربحنا الدعوة كلها نعطيه مطلوبه 10.000 وإن خسرناها فهذه أجرته، وعلى كل حال هو نافع لنا ويطلع من يده ما لا نعرفه، ولا شك أنه يصير من هذه الدراهم نحو الأربعة آلاف ريال، لأنه طامع يربحها ويقبض العشرة آلاف ريال، لأنه يا سيدي إن بقينا نعاين جواب الكتب الأول ولم نمض مع الرجل، لا شك يغلبوننا، لأن أمورهم بنوها أول مرة على أساس شرعهم يعني قانونهم، ونحن نجد أنفسنا لم نبنها على القانون، وعلى هذا بادرنا بالفصال مع الرجل المذكور، وعليه نحبك أحبك الله تطالع العلم الشريف بما صدر به الوقت ليزودنا بصالح أدعيته، وإن وجدنا السبيل للوصول لبشدور الطليان بالمباشرة وأذعن لمرادنا فذلك عندنا يوم عيد، لأنه يريد إفساد جميع ما قدمه سيدي محمد برقاش في الماضي، لأنه إذا قال إنه لا يسامح في المحميين متاعه تبعه الجميع، والبشدور متعهم بطنجة لا زال هنا لأجل هذه الدعوة، ونحن نعاينه يسافر من هنا ونتحيل للوصول لنائبه إن وجدنا السبيل، وكذلك بشدور الفرنصيص، وأيضا يبقى البرازيل والبرطقيز. ونطلب الله وسعادة مولانا ينصرنا عليهم ولا يشفي فينا أعداء بجاه النبي صلى الله عليه وسلم. ونحن يا

سيدي عاجزين واتكالنا على الله، ومن توكل عليه كفاه. وإن يسر الله سبحانه وجدنا من يقبل منا ويساعدنا وخرجنا عليكم لطرة، فعجلوا لنا بها، نطلب الله سبحانه لا يخيب لنا رجاء لأنه اللهم ندفع الدراهم ونرجع مجبورين الخواطر منصورين بين الأجناس ونجبر خاطر مولانا المنصور بالله، أو نرجع والعياذ بالله بخلاف ذلك. وهذه الدراهم التي ندفع هنا صائر وغيره إذا يسر الله سبحانه من عنق أهل الحماية وعشورهم تقبض في السنة الأولى إن شاء الله. والجواب عاجلا بارك الله في سيادتك. وحاجتنا عندك تجلب لنا خاطر مولانا المنصور بالله بعد تقبيل الثرى بين يده الشريفة، ودمتم في حفظ الله ورسوله، والسلام. 9 جمدى ثني 1297"[44].

وجاء في رسالة كتبها الوزير محمد بن العربي بن المختار إلى المترجم بتاريخ 11 جمدى الأخيرة ما نصه: "وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه بوصولك لطنجة ولقيك بالسيد مَحمد بركاش ودفعك له المكاتيب واتفاق رأيكم على السفر يوم الاثنين الموالي لتاريخ كتابك الخ".

وهذا جواب مستعجل من الوزير المذكور عن بعض ما جاء في الرسالة التي كتبها إليه المترجم من مدريد بتاريخ سادس جمدى الأخيرة، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأرضى الأنجد الأمين الحازم السيد الحاج عبد الكريم بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك وعلمت منه وصولكم وما آل إليه الأمر في الاجتماع الأول، وما خاطبكم به نائب الدولة الفرنصوية، وما أجابه به نائب الدولة السعيدة الأجل السيد مَحمد بركاش، فلله دره زاد الله في معناه وأعانه آمين. وما أخبرت عما يلزمهم من كذا وكذا إلى آخر ما ذكرت، فقد أطلعت العلم الشريف على كتابك، وصار مضمنه منه على بال، ودعا لكم بالتيسير، وأذن في توجيه لكم مثل ما توجه في رفقك، ودفع لأخيك الحاج العربي بريشة، وسافر يوم تاريخه وأجبنا أصحبه بما فيه كفاية. والرقاص أصحبناه هذا الكتاب لتعلم منه ما آل الأمر، وعلى محبتكم، والسلام. في 14 جمدى الثانية عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذا جواب آخر مستوفى عن نفس الرسالة، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى الأمين المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله،

---

[44]. هذا الكتاب أجاب عنه الوزير المذكور بكتابه المؤرخ بـ 26 من نفس الشهر وقد أثبت نصه فيما بعد.

وبعد وصلنا كتابك بأنكم ركبتم في متم جمدى الأولى وحللتم بمدريد في الرابع من تاريخه، وقابلكم رؤساء دولة إسبانيا في كل محل بما هو واجب على العادة، وفي اليوم الخامس منه كان عندكم الجمع مع نواب الأجناس بدار الوزير الكبير، بقصد إظهار مكاتيب التفويض لبعضهم بعضا، فوجدتم البعض منهم لا زالت مكاتيب التفويض من دولهم لم تصلهم، وعن قريب تصلهم، واتفقوا على الاجتماع في التاسع منه، وعند انصرافكم من المجلس تكلم باشدور الفرنصيص بأن الكلام يكون في قضية الحماية من أولها، فأجابه النائب السيد محمد بركاش بأن الأمر الذي جوزه الباشدورات بطنجة لم يبق فيه كلام، فأجابه الباشدور بأنهم جوزوا بعض الأمور التي لا تستحق الجواز، وتفرق المجلس على هذا.

وعرفنا ما ذكرته من أن سيدنا نصره الله أمركم بأن لا تدفعوا شيئا إلا إذا رأيتم العشرة ترد مائة، وتكلمتم مع رجل هناك في الأخذ بيدكم وإعانتكم، فطلب منكم خمسة آلاف ريال في مقابلة وقوفه ولا عليه فيكم إن ربحتم الدعوى أو خسرتم فيها، وإن ربحتموها تعطوه عشرة آلاف ريال، فبلغتم له ألفين ريالا، فأبى وقلتم له إن ربحتم الدعوى تعطوه خمسة آلاف ريال فلم يقبل، ويلزمكم في الصوائر مائة ريال في اليوم، وطلبت مطالعة العلم الشريف بذلك والإخبار باسم الأمين الموجه من قبل الجناب العالي بالله لتهنئة سلطان إسبانيا لكونك أخبرت بأنه وارد بقصد ذلك. فقد أطلعنا بكتابك علم مولانا أيده الله، وصار جميع ما ذكرته فيه بباله الشريف، وقد أمر أيده الله بتوجيه ألف من الضبلون لكم لما عسى أن تتوقفوا عليه لما ذكر، وها هو يصلكم مع أخيك الحاج العربي الموجه من قبل الجناب العالي بالله لتهنئة سلطان دولة إسبانيا كمل الله بخير وقضى بكم وعلى أيديكم الغرض والمراد كما ينبغي ويراد آمين.، وعلى المحبة والسلام. في 14 جمدى الثانية عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذه رسالة من بريشة إلى الحاجب السيد أحمد بن موسى بتاريخ ثامن عشر جمدى الأخيرة، وقد حكى له فيها ما وقع في عدة جلسات للمؤتمر، وذكر أن رئيس المجلس، وهو الوزير كانوباس الإسباني، يدافع عن حقوق المغرب، وأن نائبي فرنسا وإيطاليا معاكسان. وتكلم على الترجمان رينالدو الإسباني وعمله، وعلى استشارتهم لبعض الوزراء السابقين بإسبانيا. ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أخانا الأعز الأبر الحاجب الأسعد الخيار الأمجد سيدي أحمد حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، وموجبه تجديد العهد بسيادتكم والسؤال عنكم جعلكم الله بخير وعلى خير، وقد قدمنا لك الإعلام بوصولنا بخير والحمد لله بوجود مولانا نصره الله.

واعلم حفظك الله وأنه كان المجلس الأول بتاريخ 4 جمدى ني، والمجلس الثاني تاريخ 9 منه، والمجلس الثالث 14 منه، والمجلس الرابع 18 منه. أما الأول حضرته كان فيه الاتفاق على رئيس المجلس، فاتفقوا فيه على الوزير الكبير متع دولة إصبانيا اسمه كنباص انطني كشطلي. والمجلس الثاني أظهروا فيه النواب مكاتب التفويض من سلاطينهم. والثالث اتفقوا فيه على أن يسردوا جميع ما عملوه البشدورات بطنجة، فسردوا ثمانية فصول، وتكلم بشدور الفرنصيص وما قصر في الكلام الذي ما كان من حقه أن يذكره حتى قال إن هذا الجمع يظهر له أنه إنما وقع لإبطال الوفق المجعول مع دولته عام 1280، فأجابه سيدي محمد وقال المطلوب رفع الضرر لا غير، وأجابه رئيس المجلس بكلام لطيف هو في محله حتى رجعه عن فهمه، فقال له لا بد من مشاورة دولته في ذلك، فأجابه الرئيس المذكور وقال له لا مانع من المشاورة، غير أننا لا نبطل الأشغال، ونشرع في غير هذه القضية. وهذه القضية كانت في شأن يهودي اسمه بن شمول هو مذكور عنده في الوفق المذكور عام 1280، والذمي المذكور ليس عنده أولاد ويريد إبقاءه في الحماية، فأجابه سيدي محمد بركاش إن سلمه لك جميع النواب ولم يطلبوا مثله فنحن نسلمه لك، فتكلم نائب الطليان وقال هو عنده مثله الذمي بن طربدانو، فتكلم معه الرئيس المذكور ولينه بكلام لطيف حتى خرج معه أنه يكتب لدولته يستشيرها في ذلك.

واعلم حفظك الله بأن همة مولانا أيده الله وسعادته الكاملة حاضرة معنا والحمد لله مع إغارة شيخنا حفظه الله ومتعنا برضاه، لأنه يا أخي لو رأيت ما يصدر في المجلس من الكلام من جميع النواب حتى يفهم الإنسان أنه لم يحصل على طائل، ومن لطف الله وسعادة مولانا أدام الله للمسلمين سعادته، رزقنا الله هذا الوزير الكبير نائبا عنا في الجواب والعمل في الأشغال، بحيث لو كان أبوكاضو يعني الوكيل لطلب على مثل هذه الدعوة مائة ألف ريال، ورخيص بها إذا ربحها، ومع هذا قبح الله طائفة اليهود يكتبونه في الجوازيط وأنه رجع مسلما، وصوروه وعملوا له كسوة المسلمين وكتبوا على اسمه الحاج كنباص، ومعهم بعض الصبنيول الذين هم كنطرة للمخزن.

وأيضا من سعادة مولانا أيده الله لما وصلت لطنجة سألت سيدي محمد بركاش عن الخليفة اسمه الرنندي الصبنيولي الذي كان بحضرة مولانا بفاس في أوائل صفر هل هو متوجه معنا ترجمان أم لا، فقال لي طلبته من البشدور فإذن له فامتنع وادعى أنه مريض، قلت له لا بد لنا من أن نصحبه معنا لأن الذي بمدريد لا يبلغ المقصود وأنا أعرفهم، فقال لي أنا امتنعت من سفره وأنت امدح ذراعك، وفي تلك الساعة قدم مع البشدور ليحامدني بالسلامة ويعينوا وقت السفر، فطلبته من البشدور فإذن له فأبى وامتنع لأنه مريض، فقلت له شاورت

سيدنا أيده الله عن توجهك معنا فاستحسن ذلك وذكرك بخير وأنك رجل عاقل وكيف تقول مريض، فأجاب بأنه ليس عنده خير في هذه السفرة، لأن جميع النواب سيكرهونه من أجل هذه الدعوة، وربما يضربون فيه حتى تزول مرتبته، ولكنه لا يقدر على مخالفة خاطر مولانا أيده الله، ومنذ دخلنا إلى هنا وهو يجري ويخدم فوق جهده، وقد نفعنا نفعا كثيرا أكمل الله بخير، ولما نخرج من المجلس نتدبر على الأجوبة ونتوجه للوزير الذي هو معزول صاحبنا القديم ونحكي له ما صدر ويعطينا الأجوبة التي لا علم لنا بها، وكما يلقننا بعض الأحكام التي صدرت قبل مع بعض الأجناس، وهو اسمه منويل سلبيلا، وكذلك وزير آخر معزول اسمه الدوكي دي تطوان. وقد سألت منويل سلبيلا عن مسألتين كيف يكون فيهما، الأولى السماسرة إذا قبض الفرنسيس وقال إنهم يكونون في البادية ويكونون محميين، فقال إن قبض في هذا المطلب فأجيبوه بأن هذه القضية فيها ضرر كبير لسيدنا أيده الله، ولكن سيدنا نصره الله له أن يأذن جميع عمال البادية أن يأذنوا جميع الرعية بأنهم ليس لهم أن يبيعوا بالبادية شيئا وإنما من كان له ما يبيع أو يشتري فليقدم به للمراسي والمدن، وعلى هذا لا يبقى للتجار أن يحتاجوا السماسرة، وبهذا وقع فصال في السند مع جميع النواب للأجناس، ولما ينظروا هذا الجواب لا بد لهم يساعدوكم في مطلبكم والسؤال الثاني هو عن إيالة أهل المغرب الذين يسافرون أياما وأعواما ويصبحون في يدهم البسبرط ويدعون أنهم حماية ذلك الجنس ويخرجون من حكم الإيالة، فأجاب بأن لهم ذلك، لكن الحكم في جميع أوربا وأنه إذا قدم وجلس عند ما حد له فهو من جملة الناس، وإذا عمل شيئا قليلا فلسلطان الأرض أن يأمره بالسفر منها حالا، وأنتم لم يتأتى لكم ذلك، لاكن لما يسمع النواب حكم أوربا وأنتم تطلبون إدخالهم في الرعية، لا بد لهم يساعدنكم في إدخالهم إن شاء الله.

وقد كنا عرفناكم قبل أن النواب اتفقوا عليّ أن لا أجلس معهم، وذلك من الفرنصيص والطليان، وهم ينظرون السبيل للطرجمان الذي صحبنا معنا كيف يخرجونه، أما أنا عبد الله فقد وجدوا الفسحة أنه كان اتفاقهم على أن كل سلطان يعين واحدا، وأما الطرجمان فلم يجدوا له سبيلا، حيث كان هو الترجمان مع سيدي محمد برقاش بطنجة، وهذه الدعوة كلها جازت على يده ومذكورة في أول الفصول، وهو خائف جدا، لكن نحن نعده ونقول له إن ربحنا الدعوة فسيدنا أيده الله يفدي لك تعبك وخدمتك ولا تخرج إلا بخير إن شاء الله.

والمجلس الرابع وقع فيه فتح كبير كمل الله بخير، سامح الطليان في الطريدانو، ووقع الاتفاق على المحميين الذين يخرجون من الحماية إن كانت لهم دعوى سابقة ولم تفك وقت الحماية، فبعد خروجه يقف عليها القونصو حتى

تكمل، وكذلك في الذين يخدمون مع النواب الذين هم في الشروطات إن دخل احد لخدمتهم وكانت عليه دعوى فيحكم عليه المتولي أو الشرع بأي شيء وجب، سجن أو عصا أو غيره، عاد يرجع عند صاحبه الذي خدمه. وبعده بيومين عندهم مجلس في شان السماسرة وأهل الحماية، والفرنصيص واقف في أمرهم لم يرد أن يبطل منهم شيء على ما ظهر، نطلب الله يسهل الأمور الصعبة بجاه النبي وآله.

وحاجتي عندك يا أخي هو تجلب لنا خاطر مولانا المنصور بالله في الدعاء الصالح ويصفي خاطره علينا ليفتح الله بصيرتنا للخير آمين، ونسألكم صالح الأدعية، ودمتم بخير. 18 جمدى الثانية 1297. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله بالجميع"[45].

وهذا جواب الوزير على رسالة بريشة المؤرخة بتاسع جمادى الأخيرة، ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله ونصره، وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بأنك بعدما كتبت لنا بمضمن ما صدر في الجمع من أنكم بعدما خرجتم، تكلم بعض النواب مع الوزير الكبير، وهو رأس المجلس، بأن نوابهم بطنجة كانوا اتفقوا على أن هذه الدعوى يرفعونها لسلاطينهم، وكل جنس يعين نائبا واحدا لا غير، وسيدنا المنصور بالله كذلك، فإذا بمولانا عين اثنين، فاقتضى الحال أن يزيد كل جنس مع نائبه رجلا ثانيا، فأجبتهم بأنكم لا عليكم كل واحد يجلس معه صاحبه، ثم بعد ذلك تذاكرت مع وزير الأمور البرانية في ذلك، فأجابك بأن هذا الباب إن فتح يفسد المجلس ولم تكن مصلحة بسبب الباشدورين اللذين سميت، لكون جلوسهما إنما هو على مثل ذلك، وإن عين كل جنس اثنين لم تحصلوا على طائل. وأنك تلاقيت بعد مع السلطان على أحسن حال، ولما خرجتم من عنده تلاقيتم مع الوزير المذكور على العادة، فأعاد عليكم الكلام السالف، وحيث رأيت الأمر اشتد وعظم، أجبتهم بأن مولانا دام علاه وجهك للمصلحة ولو تفديها بعمرك لا للفساد، وأنك خلعت نفسك من الجلوس في ذلك المجلس، فأجابك الوزير بقوله هذه هي عين المصلحة. ولما رجعتم للدار، قدم عليكم الوزير لرد البزيطة، وقدم عليكم في إثره الوزير الكبير الذي هو رأس المجلس، وتذاكرتم معه في شان الدعوى نحو ساعة وكيف يكون العمل فيها، وطلبوا نسخة كتاب سيدنا الموجهة لنائبه بالتفويض، ولما قرئت عليهم أعجبتهم وأمروا بنسخها وترجمانها، وذكروا للسيد محمد بركاش أن

---

[45] - هذه الرسالة أجاب عنها الحاجب المذكور برسالة مؤرخة بمتم الشهر المذكور، وقد أثبت نصها فيما بعد.

في كتابه الشريف عليك الاعتماد وفيك الكفاية، وبريشة
مولانا دام علاه قال في كتابه الشريف عليك الاعتماد وفيك الكفاية، وبريشة عضو من أعضائك، فشاوره في جميع الأمور ونحن نوسع عليك في الجواب امتثالا للأمر الشريف وأن رأيهم اتفق على هذا، وأنكم حين رأيتم ما ذكر وجهتم على الرجل الذي طلب الخمسة آلاف ريال في خدمته وأمضيتم معه الفصال على تحصيل المراد من القضية بعشرة آلاف ريال، وأنه نافع لكم على كل حال، لكونه يطلعكم على ما لا علم لكم به ويبصركم فيه، على أنه يصير من يده على ذلك، القدر الذي ذكرت. وذكرت أنكم لو مكثتم تنتظرون الجواب لقلبوا لكم الأمور لبناء أمورهم على الأساس وأمورنا لا. ولذلك بادرتم بالفصال مع الرجل المذكور، وطلبت إطلاع العلم الشريف بالواقع ليزودكم أعزه الله بصالح الدعاء، وأنكم بصدد مباشرة الباشدورين المذكورين حتى يذعنا خشية عدم مسامحة أحدهم في المحميين من قبله ويتبعه جميع الأجناس. وذكرت أيضا أن باشدور الطليان لا زال هناك، وهو بصدد السفر وأنتم تراقبون نهوضه وتتحيلون على نائبه وكذلك مع الفرنصيص وأنكم بالغتم وما قصرتم جهدكم، وطلبت التعجيل بالبطرة إن أخرجتموها هنا إذا يسر الله الأمر، وأن جميع ما تصيرونه هناك يخرج من أعناقهم حسبما بينت ذلك وأن الأشياء رائقة، والأمور متناسقة بفضل الله وسعادة مولانا لظفركم بجواب كل واحد منهم، وأنهينا ذلك لمولانا دام عزه وعلاه، وصار من سيادته (كذا). والغرض الذي طلبته توجه لكم مع الأخ السيد الحاج العربي ابريشة، وعلى المحبة والسلام في 26 جمادى الثانية عام 1297.

ومنه فإن العدد الموجه لكم مثل الأول صح به. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذه رسالة من بريشة إلى الوزير بتاريخ 27 جمدى الأخيرة، وأهم ما فيها أن الوفد المغربي تمكن من سد جميع الأبواب ما عدا باب السفير الفرنسي الخ، وأنه وقعت مناقشة حادة جدا بين نائبي المغرب وفرنسا في شأن السماسرة وحمايتهم. ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أسعد الله أيام سيدنا الوزير الأسعد الخيار الأمجد الفقيه الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار، وسلام على سيادتك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، وموجبه تجديد العهد بسيادتكم والسؤال عنكم وعن أحوالكم، أبقاكم الله بخير وعلى خير، وقد كنا قدمنا الإعلام لسيادتكم بتاريخ 11 من تاريخه على يد الأمين سيدي عبد السلام أحرضان، وفيه عرفناك بجميع ما صدر في الجمع وبما اقتضاه نظرنا. وفي تاريخ 18 وقع جمع مع تاريخ 22 من تاريخه وقع جمع آخر وصدر من نائب الفرنصيص ما

لم يخطر ببال، وبعدما كنا سددنا جميع البيبان امتنعنا[46] من سد بابه، لأنه رجل قوي جدا ولم نجد سبيلا للوصول إليه. وفي تاريخ 27 من تاريخه وقع جمع آخر في شأن السماسرة ونائب سيدنا أيده الله سيدي مَحمد بركاش طلب من الجمع رفع الضرر والسماسرة يكونون من المدن والمراسي ولا يكونون من البادية ولا تكون لهم حماية، فتكلم نائب الفرنصيص بكلام قوي جدا لم يؤل أمره لخير، فأجابه سيدي مَحمد بما يناسبه لكلامه ووقف له مهما طلبه من المجلس، فاشتد الأمر بينهما حتى خفنا أن يصدر من ذلك ضرر كبير، فلما رأى رئيس المجلس ذلك، تكلم مع سيدي مَحمد ولينه وتكلم مع نائب الفرنصيص بمثل ذلك، وانفصل المجلس ولم يحصلوا فيه على طائل، وعينوا مجلسا آخر يكون في 30 من تاريخه، وهذا هو سبب عدم الكتابة لسيادتكم، لم نجد ما نكتب به، ونحن طالبين من الله سبحانه وسعادة مولانا أيده الله أن ييسر لنا الأمور الصعبة ويلهمنا الصواب بجاه النبي وآله، والمطلوب من سيادتك تطالع العلم الشريف وتجلب لنا صالح الأدعية من سيادته، ودمتم في حفظ الله ورسوله. قيد في 27 جمدى ثني 1297. عبد الكريم لطف الله به"[47]

وهذه رسالة من بريشة إلى الوزير بتاريخ 30 جمدى الأخيرة، وقد أكد فيها زيادة التوتر بين نائبي المغرب وفرنسا الخ، وطلب من الوزير أن يكتب السلطان إلى النائب بركاش بأن يؤجل المناقشة في الموضوع الذي نشأ عنه التوتر لوقت آخر. ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أسعد الله أيام سيدنا الوزير الفقيه الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار، وسلام على سيادتكم ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم بتاريخ 27 من تاريخه، وفيه عرفناكم بما صدر في المجلس المذكور. ويوم تاريخه كان عندهم الجمع، فلما تكلم نائب سيدنا أيده الله، وطلب رفع الضرر وقال إن السماسرة يكونون من المدن ولا يكونون من البادية، فتكلم نائب الفرنصيص وقال إنه لا يجوز ولا حاجة واحدة من الوفق المجعول عام 1863 الموافق 1280. وبهذا عنده الإذن من الدولة، فأجابه سيدي محمد وأن عنده الإذن من سيدنا نصره الله لا يقبل أن السماسرة يكونون من البادية لأن فيهم فسادا للرعية وضررا للسلطان، فأجابه نائب الفرنصيص وقال له لا يقبل سوى ما ذكر، وقال كلاما لا يناسب ذكره، فتكلم رئيس المجلس كثيرا وكرر فيه ما قدم، وانفصل المجلس ولم يحصل على طائل. والظاهر من المذكور أنه مأذون بالقباحة، وعليه وجب علينا إعلامك بهذا وتطالع به العلم

---

[46] - أي عجزنا

[47] - هذه الرسالة أجاب عنها الوزير المذكور بتاريخ 8 رجب، وقد أثبت نص جوابه فيما بعد

الشريف، وما كرهت كتابا لسيدي محمد مشيرا على تأخير الكلام ليوم آخر من عند سيدنا أن لا يوقف الحجرات في الجواب مع المذكور ويساعده في هذا الوقت ويؤخر هذا الطلب ويتم ما بعده، لأنه يا سيدي إن وقعت المساعدة على كل حال نلحق من العشرة خمسة، وإن وقعت المشاحنة، فإنه ليس في يدنا من العشرة حتى واحد، ونرجع بيدنا صفرا. وجواب هذا لا يبيت عندكم، لأني أكتب على أحرضان يعجل به ويعمل مع الرقاص ثمانية أيام توجه ورجوع. ونطلب من الله سبحانه وسعادة مولانا أن ييسر علينا الأمور الصعبة.

وأمس تاريخه حل بطرفنا أخونا الحاج العربي، وقد وصلنا ما وجهه سيدنا نصره الله ألف من الضبلون الذي قدره ستة عشر ألف ريالا للغرض المشار إليه، والمطلوب من سيادتكم تطلب لنا من سيدنا نصره الله صالح الأدعية ودمتم في حفظ الله ورسوله.

قيد في 30 جمدى 2. 1297. عبد الكريم"[48].

وهذا جواب من الحاجب السلطاني السيد أحمد بن موسى عن رسالة بريشة المؤرخة بثامن عشر جمدى الأخيرة، ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا وخديم سيدنا وأمينه الأنصح السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك من مادريد المؤرخ بـ 18 جمدى الثانية، ذاكرا فيه أنك بعدما أعلمتنا بوصولكم وملاقاتكم ثالث عشر الشهر المذكور، وقع الجمع الأول بعده بيوم، ثم الثاني والثالث والرابع بعد ذلك، وحضرت أول مجلس من المجالس المذكورة، ووقع الوفاق فيه على أن رئيس المجلس هو وزير الدولة الإصبنيولية الكبير كنباص أنطي كشطلي، وشرحت ما دار في تلك المجالس 4، وما كان في كل مجلس منها، وأنه بعد تاريخ كتابك بيومين يكون المجلس الخامس في شأن السماسرة وأهل الحماية من أهل المغرب الذين يسافرون، وأن الفرنصيص واقف في أمرهم لا يبطل منهم شيئا على ما يظهر منه. وذكرت أنه من تمام السعادة أن يسر الله هذا الوزير الكبير نائب في الجواب عنا في المجالس والعمل في الأشغال، بحيث لو كان أبوكاضو تعني به الوكيل لطلب في مثل هذه الدعوة مائة ألف ريال، حتى إن اليهود قبحهم الله يكتبونه في الجوازيط وصوروه مسلما وسموه الحاج كنباص، ومن جملتهم بعض الصبنيول كفانا الله شرهم ووقانا كيدهم.

وأخبرت عن الخليفة الصبنيولي الذي كان بحضرة سيدنا أعزه الله بأنه هو الذي توجه معكم ترجمانا بعد امتناعه واعتذاره بما اعتذر به وما ينشأ له من ذلك من كراهة النواب له، وأنه مبالغ في الخدمة ونفعكم النفع الكثير، وأنكم بعد افتراق المجلس تتوجه معه عند صاحبكم الوزير المعزول منويل سلبيلا

48- هذا الكتاب أجاب عنه الوزير المذكور بتاريخ 8 رجب، وأثبت جوابه فيما بعد.

وتعرفونه بالواقع فيفيدكم بأمور لا تهتدون إليها ولا خبرة لكم بها مثل ما شرحته منها، ويحضكم على تعريفه بما يصدر ليدلكم على ما تجيبون به في ذلك. ففيما شرحته دليل على أن الله ميسر أسباب السعادة، فله الحمد على ذلك إذ هو الميسر للأمور، الجليل منها والحقير، والمسهل كل أمر عسير.

وذكرت أنك كنت عرفتنا بأن النواب اتفقوا على عدم حضورك في المجلس، وكذلك الترجمان الذي صحبتم معكم، لأن كل سلطان عين رجلا واحدا، فأما أنت فقد تعين عدم حضورك لأجل ما ذكر، وأما الترجمان فلم يجدوا سبيلا إلى إسقاطه، حيث كان ترجمانا بطنجة بين الأجناس، مكتوب اسمه في أول الفصول، فصار يحضر المجالس دونك، وطلبت من الله أن يجري أموركم في ذلك على ما عود من ألطافه الخفية، طالبا من مولانا صالح أدعيته. قد أنهينا ذلك لسيادة سيدنا أعزه الله، وأطلعناه على كتابك بعينه، فدعا بقوله سهل الله عليكم، وقضى الغرض بمنه فوق ما يظن الظانون على أيديكم وكفانا ما أهمنا ورد كيد من كادنا في نحره، وقال نصره الله عليكم بالصبر والتحمل وسعة الصدر، فإن الأمور بيد الله ولا يفعل ربنا إلا خيرا اهـ. تقبل الله من سيدنا وعامله بما عوده من صنعه الجميل في الحقير والجليل. وقد أحسنت في تعجيل الإعلام بذلك، فلا تغيب علينا شاذة ولا فاذة، كمل الله المراد بمنه آمين، وعلى المحبة والسلام. في متم جمدى 2 عام 1297. أحمد بن موسى لطف الله به".

وهذا جواب الوزير عن رسالة بريشة المؤرخة بسابع وعشري الشهر المذكور، ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى الأمين المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله، وبعد وافانا كتابك أخبرت فيه بوقوع الجمع في اليوم 27 الذي ذكرت من الشهر الفارط في شأن السماسرة وطلب النائب السيد محمد بركاش من الجمع رفع الضرر الواقع بهذه الإيالة المحروسة بجعل السماسرة من المدن والمراسي لا من البادية وأن لا تكون لهم حماية، فتكلم نائب الفرنصيص في ذلك بما لا خير فيه، فأجابه السيد محمد بركاش بما يناسب كلامه، فتعرض له في المطلب المذكور واشتد الأمر بينهما، ولما رأى كبير المجلس ذلك، تكلم معهما بما يناسبهما وانفصل المجلس ولم يحصلوا فيه على طائل، وعينوا مجلسا آخر في التاريخ (30) الذي بينت من الشهر الماضي، وأن موجب عدم كتابتكم لنا هو عدم وجدانكم ما تكتبون لنا به، وأنكم سددتم جميع البيبان عدى باب الفرنصيص لم تجدوا سبيلا لسدها لكونه رجلا قويا جدا.

وقد أطلعنا بكتابك علم سيدنا نصره الله وصار مضمنه بباله الشريف، فالله ينصر عبده وينجز وعده، ويكفينا ما أهمنا من ذلك وغيره، ولا يكلنا فيه إلا

له، فما خاب من التجأ إليه وجعل عليه معوله، ويسهل عليكم ويقضي بكم وعلى يدكم أمين، وعلى محبتكم والسلام. في 8 رجب الفرد الحرام عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذا جواب الوزير عن كتاب بريشة المؤرخ بمتم جمدى الأخيرة، ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى الأمين الأنجد المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير سيدنا نصره الله، وبعد وصلنا كتابك أخبرت فيه بوقوع مجلس في تاريخه (30) ووقوع الكلام فيه من النائب السيد محمد بركاش وطلبه رفع الضرر وجعل السماسرة من المدن لا من البادية، فأجاب نائب الفرنصيص بأنه لا يترك شيئا من الاتفاق المجعول في السنة 1280 التي ذكرت وأن دولته أمرته بهذا، فأجابه النائب السيد محمد بركاش بأن سيدنا نصره الله أمره بأن لا يقبل اتخاذ السماسرة من البادية، لما في ذلك من فساد الرعية وضرر الجناب الشريف، فأجابه نائب الفرنصيص بكلام طويل، فأشار رئيس المجلس بتأخير الكلام ليوم آخر، وانفصل المجلس ولم يحصل فيه على طائل. وأن الظاهر أن النائب المذكور مأذون في القباحة. وأشرت بإصدار الأمر الشريف للنائب السيد محمد بركاش بأن لا يشد الحبل مع المذكور عند الجواب ويساعده في هذا الوقت ويؤخر هذا المطلب حتى يأتيه وقته، ويقع الفصال في غيره.

وقد أطلعنا بكتابك علم سيدنا أيده الله، وصار مضمنه بباله الشريف، وأجاب نصره الله عما طلبه السيد محمد بركاش من عدم اتخاذ السماسرة من البادية لما فيه من الضرر، والاقتصار على أخذهم من المدن والمراسي، بأنه إنما طلب حقه، لأن رفع الضرر متعين، وبقاؤه لا يوافق عليه أحد، وهذا الضرر الذي نشأ من اتخاذ السماسرة من البادية كان غير ظاهر في عالم الغيب لم يطلع عليه أحد ولم يخطر ببال وقت الاتفاق المشار إليه، ولذلك لم يحتج - في المساعدة على اتخاذهم مطلقا وعدم تخصيصهم بالمدن - إلى كبير مشقة، وحيث ظهر في عالم المشاهدة هذا الضرر الفادح الناشئ منهم، الذي أيسره فتح الأبواب على الولاة والحلال عرى أحكامهم، فلا ينبغي لنائب الفرنصيص طلبهم اتخاذهم، حيث لا ضرر ظاهر حينئذ، فكما لم نعكس عليهم في ذلك قبل، فكذلك هم لا يعكسون علينا الآن - حيث ظهر الضرر - في الاقتصار على اتخاذهم من المدن والمراسي فقط. وعلى كل حال فليوسع السيد محمد بركاش صدره ويتصبر ويتحمل ويترك القلق، فإن تيسير ذلك بحول الله لا بد الفرنصيص، ولا محالة يرجعون للحق ويذعنون إليه بأمر الله تعلى، وعلى

المحبة والسلام. في 8 رجب عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذه رسالة أخرى من بريشة إلى الوزير محمد بن العربي بتاريخ 6 رجب، وهي في نفس الموضوع، ونصها بعد الديباجة العادية:

" وبعد هذا زيادة على ما كتبناه لسيادتكم تريخ 27 من الماضي، وفيه عرفناكم بما صدر في الجمع الماضي، وكما عرفناكم بما صدر في الجمع المجعول 30 من الماضي، وفيه أكدنا على سيادتكم تطالع العلم الشريف بما وقع، وما كرهت كتب لنائب سيدنا أيده الله بالمساعدة في الأمور الأكيدة، لأن نائب الفرنصيص قبض يده على الوفق المجعول مع الفرنصيص بطنجة عام 1280، ولم يترك منه حرفا واحدا، ولا يبدل فيه ولا يغيره، ووقف الجمع، وسيدي مَحمد واقف على ما أمره به سيدنا نصره الله، وصار كل واحد واقف بما أمره به أميره، فتكلم نائب البلجيك وقال: حيث لم يقبل الفريقان فلم يبق لنا جمع، فحينئذ تكلم سيدي مَحمد وقال: أما الوفق فيبقى موقوفا الآن حتى يتكلم الدولتين مع بعضهم ونشرع فيما هو بعد هذا الفصل.

وهذه ثلاثة أيام لم يقع جمع ولا ظهر له أثر، وأمس تاريخه قدم الوزير الكبير الذي هو راس المجلس لعند أخينا ح العربي ليرد له البزيطة، فوجدني معه، فتكلمت معه على شأن الجمع، فقال لي مرادي كان تدخل لعند سيدي مَحمد برقش لتتكلم معه في شان هذا الأمر، وحين وجدتك هنا فيك كفاية، كلكم واحد، قل له إذا يجي على خاطره تتوجهوا باثنين لعند بشدور الفرنصيص، وباشروه وخذوا بخاطره، وردوا بالكم لأن ذلك الكلام الذي يتكلم به كان هو من الدولة أم لا. ومن عنده لعند بشدور الانجليز، ومنه لعند بشدور النمسة، ومنه لعند الطليان، لأنهم كلهم واقفين في أمر السماسرة يكون من البادية ومحميون، فلما خرج الوزير المذكور، تلاقيت مع سيدي مَحمد وأخبرته فساعدني لما أشار به، فتوجهنا يوم تاريخه لعند الفرنصيص، فتلطفنا معه في الكلام، فقابلنا بوجه جميل وكلام لين، حتى فهمنا منه أن جميع ما قدمنا عليه يقضيه ومن لطافته استظهر لنا كتب الوزير متاعهم أنه لا يترك من الوفق المجعول 1280 شيء ويمشي معه حرفا حرفا، وبعده أظهر لنا طيركلاف[1] الوارد له من الدولة في شأن السماسرة، فلما رأينا ذلك، طلبنا منه على وجه الخير يعيد الكتابة لدولته ليساعدوا في إكمال الفصول الباقين، فساعد لذلك، وذكر أنه يكتب، وهذا هو الواقع، ونطلب الله يكون سيدنا أيده الله كتب لسيدي مَحمد ليساعد على الطريق الذي يريدها سيدنا أيده الله.

---

[1]- يعني تلغرافا (برقية).

والمطلوب من سيادتك تطالع العلم الشريف بذلك وترد لنا الجواب عاجلا، لأن الدراهم الذي صحبنا معنا للصائر تقاضوا في 2 من رجب، ليكون سيدنا أيده الله على بصيرة من ذلك. والمطلوب من سيادتك تجلب لنا صالح الأدعية من سيدنا أيده الله، وعلى المحبة والسلام. في 6 رجب 1297".

وهذه رسالة أخرى في نفس الموضوع، وهي منه أيضا إلى الحاجب أحمد بن موسى بتاريخ 11 رجب، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

حبنا في الله ومحل أخينا الأبر الأرضى الحاجب المرتضى الفقيه سيدي أحمد حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وقد وافانا الأعز كتابك تريخ 30 من الماضي وقرأناه وحمدنا الله حق حمده لعافيتكم هي غاية المراد، وكما عرفتنا أنك أطلعت به العلم الشريف ودعا معنا بما نرجو من الله قبوله، وكان عندنا فرح كبير وسرور كثير لدعاء مولانا أعزه الله ومتع المسلمين بحياته حتى قال نصره الله علينا بالصبر والتحمل وسعة الصدر، فإن الأمور بيد الله سبحانه ولا يفعل ربنا إلا خيرا، تقبل الله من سيدنا وعامله بما عوده من صنعه الجميل في الحقير والجليل آمين.

ومن سعادة مولانا أيده الله أننا كنا أطلعنا علمه الشريف على يد سيدي محمد بن العربي بما صدر تريخ 3 رجب، وتوجهنا لنائب الفرنصيص وطلبنا منه ليراجع الدولة، وأننا قدمنا لعنده وطلبنا منه المكاتبة لهم وقاولنا بذلك فلم يفعل، ولما بحثنا عن ذلك وجدنا مطلوبه غير ذلك، فباشرنا الكلام مع من هو من جهته، وقاولناه بما يستحقه إن بقي الوفق على ما كان حتى يكون الكلام فيه بين الدولتين ونشرع فيما بعده، والسماسرة وقع فيهم الحد على موجب الوفق اثنان لكل دار تاجر يخلصون مثل الرعية فتوجه ليخدم شغله فيسر الله فيه بسعادة مولانا أيده الله ونظرته الصالحة في جميع المسلمين، وكتب وقبلت دولته مطلبنا، ووقع المجلس أمس تاريخه، وأبقوا الوفق على ما كان عليه سابقا، وشرعوا في غيره وهو خلاص الرعية وغيرهم جميع من هو داخل إيالة المغرب يخلص مثل رعية السلطان نصره الله، وقبلوا ذلك بعد مشقة عظيمة، وادعوا بأمور تنافي ذلك، لكن بسعادة مولانا أيده الله ومتع المسلمين بحياته أجابهم سيدي محمد بما هو ضد لذلك، ووقع الاتفاق على الخلاص يكون مساواة، وبقي لنا مجلس النطرزيس يومه عندهم في شأنه الكلام ويبقى فصل الحماية الزائدة على القانون وهو صعب واقف فيه نائب الطليان. والبشدور مع طنجة لا زال هنا في شان الحماية نطلب الله أن يجعل كيده في نحره ويسعدنا بسعادة مولانا نصره الله حتى ندرك مطلب مولانا أعزه الله في صلاح المسلمين آمين.

ومنه قبل تاريخه قدمنا نحن وسيدي محمد برقش لعند الوزير الكبير لنستشير معه في بعض الأمور، فلما قضينا مطلوبنا قال لنا عندي كلام على وجه السر، وأنه البابا ونائب النبريال كتبوا مطلبهم وها هو عملوا فيه أربعة فصول، وطلبوا منا إعراضهم في المجلس وتقبلهم وما فيهم ضرر، فقال له سيدي محمد ما طلبوا؟ فقال له الوزير مطلبهم الحرية في الغرب مثل أجناس أوربا، فأجابه سيدي محمد من حينه هذا أمر الدين لا مدخل لي فيه ولا نقدر نتكلم فيه وما قدمت لهنا إلا على ما كلفني به مولانا نصره الله من أمور هذه الدعوى لرفع ضررها على الغرب لا غير، فقال له ستعرض في المجلس، قال له وإن عرضت فهذا جوابي للجميع.

ومنه أيضا قد بلغنا من طنجة شاع أن الشكودرة واردة لطنجة لتحفظ مطالب تجارها وذلك هو إشارة للسماسرة كما كان وقع هنا في المجلس، وكنا طلبنا قبل من سيدنا يكتب كتابا لنا بيد سيدي محمد يساعد لأننا كنا رأينا أن المجلس قد وقف، فإذا به حضرت سعادة سيدنا أيده الله وعنايته الكاملة، ووقع التقريب بينهما ووقع الفصل على الوجه المذكور أعلاه، فالمطلوب من سيدنا إذا سمع شيئا فلا يهوله، وإذا كتب أحد شيئا من ذلك فلا يجيبه سيدنا أيده الله لئلا يكون حجة ويقع منها نقض ما أبرمناه هنا، لأنه لا يخفى على سيدنا أيده الله أمورهم كلها مبنية على الحيل، وهذا تنبيه مع أننا لا نحتاج إليه، وكل أمر صعب يفتحه الدراهم بوجود مولانا المؤيد بالله، وحاجتنا عندك هو تجلب لنا خاطر مولانا أيده الله وتجلب لنا صالح أدعيته، وعلى المحبة والسلام. في 11 رجب 1297".

ثم كتب بريشة إلى الوزير محمد بن العربي رسالة بتاريخ 14 رجب، وقد تعرض فيها لمشكلة المتجنسين، ويعبر عنهم بالنطرزيين، وذكر أن قضيتهم أقبح من قضية الحماية، وأن جل نواب الدول تعصبوا في القضية الخ، وهذا نصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أسعد الله أيام سيدنا الفقيه الوزير الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار وسلام على سيادتكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم تريخ 4 من تاريخه، وفيه عرفناك بالواقع مع الفرنصيص في المجلس حتى وقف ثمانية أيام، واشتد الأمر علينا من أجل ما رأيناه أننا راجعين بيد صفرا، فاعتمدنا على الله وسعادة مولانا نصره الله وعنايته الكاملة ودبرنا على أنفسنا حتى أوقفنا الوفق مثل ما عرفناك به قبل وشرعنا فيما بعده ويسر الله سبحانه بسعادة مولانا أعزه الله خلاص جميع الرعايات والحماية مثل رعية مولانا نصره الله، وبعدها شرعوا في دعوى النطرزسيس وقفوا فيها جميعا البرطقيز والبلجيك والفرنصيص والمركان

وآخرين وكل واحد منهم ذكر شرع بلاده وذكروا جميعا أنهم لا يتركون شروع بلادهم، وكنا نظن وأن الصعب عندنا هو في الحماية لما نصل إليها، ثم به ظهر لنا أن بقاء هذا النطرزسيس هو عين الفساد لأنه أقوى من الحماية، وها نحن ندبر على راسنا كيف يكون العمل فيه والدواء له، ونحن معتمدين ومتوكلين على الله سبحانه وسعادة سيدنا أيده الله وبركة شيخنا وأسلافه عند الله وما كل من عند الله بمضيه، والمطلوب من سيادتك تطالع العلم الشريف عليه وتجلب لنا صالح أدعيته، ودمتم في حفظ الله ورسوله. قيد في 14 رجب الفرد 1297"[33].

وهذه رسالة أخرى من بريشة إلى الحاجب بتاريخ 20 رجب، وقد بين له فيها النتائج التي حصلوا عليها في المؤتمر، كما بين له رأيه في المؤتمرين، وأن الكلمة العليا إنما هي لصاحب القوة الذي يخضع له كل أحد، وأن جلسات المؤتمر تنتهي يوم تاريخه. ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أخانا الأعز الأبر الحاجب الأمجد الفقيه الأسعد سيدي أحمد، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم وفيه كفاية، وزدناك هذه الحروف ليكون في علمك أعلمك الله خيرا، أننا يوم تاريخه يتم المجلس وينزلوا خط يدهم على ما اتفقوا عليه والحمد لله على السلامة. وقد كنا عرفناك بأننا حددنا النطرزسيس وما اتفق الرأي فيهم في المستقبل وحددنا الحماية في المستقبل والحماية لا تورث، وحددنا السماسرة لا يكون منهم إلا اثنان لكل تاجر على موجب الوفق 1280، وجميع الحماية الماضية مع الرعاية يخلصون الزكاة والأعشار والأبواب على موجب الترتيب الذي يوقع بطنجة مع سيدي محمد والبشدورات، ولا يكون تماطل في الترتيب، وأيضا إذا وجه أحد النواب لأحد العمال يوصي على أحد أو يقول له اقبض على فلان أو اضرب فلان، فلا يقبل منه إلا إذا كانت عليه حجة شرعية أو مخزنية، وقد بينا بعض الواقع في كتاب الوزير سيدي محمد بن العربي، ولو علمت يا أخي كيف جازت علينا هذه الأيام لتعجبت من القوم الذين يقولون إنهم يريد الحق ولا يظلمون أحدا. الحاصل الذي رأيناه في هذه المجالس أن الكلام المقبول فيهم هو للقوي ولا يقدر يعانده أحد ويلينون الكلام معه في الجواب. والحاصل الحمد لله على السلامة.

ومن سعادة مولانا أيده الله وبركة الأجواد حصلنا على ما ذكرناه لسيادتك، المطلوب منك تطالع به علم مولانا أيده الله وتجلب لنا رضاه وصالح أدعيته. وفي هذه الجمعة نتوجه لطنجة إن شاء الله وعند وصولنا ندبر في

---

[33] - هذه الرسالة أجاب عنها الوزير المذكور بتاريخ 24 من نفس الشهر وأثبت جوابه فيما بعد.

البهائم ونقدم عليكم إن شاء الله، ربنا سبحانه يجيبنا في الصواب آمين، ودمتم في حفظ الله ورسوله، والسلام. 20 رجب 1297".

وهذا كتاب من الوزير محمد بن العربي بتاريخ 24 رجب، وهو جواب على رسالة بريشة المؤرخة برابع عشر رجب، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

محبنا الأعز الأمين المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه بأنك كنت قدمت الكتب إلينا بالواقع مع الفرنصيص في المجلس حتى وقف المجلس ثمانية أيام، واشتد بكم الحال من أجل ما ظهر لكم من عدم التحصيل على طائل، ثم فتح الله عليكم بفضله سبحانه وسعادة مولانا المنصور بالله، ويسر بخلاص جميع الرعية والحماية، وبعده شرعتم في دعوى النطرزيين، ووقف فيها الجميع مثل البرطقيز والبلجيك والفرنصيص والمركان وغيرهم، وكل واحد ذكر شرع بلاده ولم يتخل عنه، وعرفنا ما ذكرته من أنكم كنتم تظنون أن معالجة أمر الحماية أصعب شيء، حتى ظهر لكم أن بقاء النطرزيين هو عين الفساد لأنه أقوى منها، وقد أخذتم في تدبير ذلك وكيفية العمل فيه معتمدين على الله سبحانه وسعادة سيدنا أعزه الله.

ونبهت على أنه إن وقع تشويش بطنجة لا يلتفت إليه، وطلبت إنهاء ما كتبت به للعلم الشريف أسماه الله، وصار ذلك بالبال، فقد أنهيناه لمولانا نصره الله، وقال أيده الله يسر الله عليكم وفتح على أيديكم وسهل بمنه، وعلى المحبة والسلام. في 24 من رجب الفرد الحرام عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وهذه رسالة من بريشة إلى الوزير المذكور بتاريخ 24 رجب أيضا، وفيها بيان عما تم عليه الاتفاق، وعن تعصب نائب إيطاليا الخ، ونصها بعد الافتتاح المعتاد:

"حبنا في الله الفقيه الأسعد الخير الأمجد الوزير الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم تريخ 14 من تاريخه، وفيه كنا عرفناك بأننا أوقفنا الوقق على ما كان عليه، وشرعنا في غيره، وهو النطرزيين، وبعد مشقة عظيمة دركنا معهم وأن الذين هم نطرزيس خدام فلا يرجعهم ولا يكون فيهم كلام، والذي يأتي في المستقبل هم عندهم في شرعهم كل جنس وما يجلس في بلاده عاد يكون نطرزيس، وعند وروده للغرب يجلس مثل ما جلس في تلك الأرض، ولما يوفي العدد فله الخيار أن يدخل تحت حكم إيالة الغرب أو يسافر من أرض المغرب.

وأمر الحماية الذي دركناه منها بعد مشقة عظيمة هم، الحماية الماضية الذين هم مقيدين بزمامهم كل جنس وعدده، فلا رجوع فيها، غير أنها لا تورث، كل من مات منهم انقطع دابره، ويؤدون الزكاة والأعشار والأبواب. وفي المستقبل لا تكون لأحد قط سوى لكل جنس ثلاثة أنفار يعني رجل خدم عند جنس وطلعت من يده مزية لذلك الجنس، وذلك المزية مشهورة، تكون حمايته على يد وزراء الدولة، يعني سيدي مَحمد برقاش ووزير الأمور البرانية لذلك الجنس، وانفصل الأمر على هذا، وبقي نائب الطليان لم يقبل ذلك سوى يعطي الحماية لمن أراد، وذكر أن له الحرية بموجب شروط عندهم مع الغرب هذه ثمانمائة سنة، فاشتد علينا الأمر وعمل سيدي مَحمد الاسترعاء على الجميع أنه لا طاقة له بإنصاف الحقوق للأحباب بحسب فتح هذا الباب، وما قصر الوزير الكبير ولا نائب الفرنصيص، ولم يحصلوا معه على طائل وما وجدنا له سبيل، خمسة أيام وهو يواعد ولم يوفي، وبعده تكلم الوزير الكبير في السلك مع نائبهم برومة، وأخبره بالواقع، وتكلم مع وزير إيطالية وقال له أخبر الوزير متاعكم وقل له يتفاوض مع اسكباصو، يعني النائب الذي هو عندنا بطنجة، لأنه هناك اليوم، والذي عمله معه فيه كفاية، فتلاقى معه الوزير الكبير، وبعد المشقة عملوا لكل جنس له أن يحمي على الشرط المذكور اثني عشر، لأنه كان أول مرة يطلب أن لا يكون الحد عند الحماية، وبعده رجع يطلب ثلاثين لكل جنس، والفصال وقع على اثني عشر، وهنا تم الأمر والحمد لله على السلامة.

ولو علمت يا سيدي ما قاسيناه لتعجبت، لكن من لطف الله وسعادة مولانا المنصور بالله خرج الأمر بخير، وعلى كل حال حصلنا البعض من المطلوب. وقد كنا عرفناكم قبل لما طلبنا ترك الحماية المجعولة الآن بالغرب، أجابوا فيه خير، لكن على شرط تعملوا الديوان فيه النصارى واليهود والمسلمين، وتقبلوا شهادة اليهود والنصارى عليكم، ونحن نترك جميع الحماية، وكتب بذلك نائب المركان فصل طلبه كما هو مقيد، فلما رأينا ذلك ولم يرجعوا عنه، تفاصلنا على ما هو مذكور وما كرهنا أكثر من ذلك، لكن يا سيدي غلبنا الحال. والمطلوب من سيادتك تطالع العلم الشريف وتجلب رضاه، وإن شاء الله في الجمعة الداخلة نتوجه لطنجة بحول الله، وعند وصولنا ندبر في البهائم ونقدم عليكم إن شاء الله، ودمتم بخير.

قيد في 24 رجب 1297".

وهذا جواب الحاجب أحمد بن موسى لبريشة عن رسالته المؤرخة بحادي عشر رجب، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا وأمينه الأنصح السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وصلنا كتابك المؤرخ بـ 11 رجب، معلما بوصول جوابنا لك وفرحكم غاية الفرح بما تضمنه من دعاء سيدنا أيده الله لكم، تقبل الله وجعل سعيكم فيما يرضي الله.

وعلمنا ما أخبرت به مما كنت كتبت به من أمر المجلس الواقع في 3 رجب، وما طلبتم من نائب الفرنصيص، وما آل إليه الأمر في ذلك بعد بحثكم عن مطلوبه ومباشرته بواسطة من ذكرت. ووقوع الجمع في 10 رجب وبقاء الوفق المجعول سنة ثمانين على ما كان عليه، حتى يكون الكلام بين الدولتين، ووقع الشروع فيما بعد ذلك، فالسماسرة وقع فيهم الحد على موجب الوفق المذكور، وهو أن الدار الكبيرة يكون لها اثنان، ويخلصون مثل الرعية، وجميع من هو داخل في إيالة المغرب، يخلص مثل رعية سيدنا نصره الله، والخلاص تكون فيه المساواة. وذكرت أن يوم تاريخ كتابك يقع الجمع في شأن النطرسس، ويبقى فصل الحماية الزائدة على القانون، وهو صعب جدا وواقف فيه إيطاليا، وباشدور طنجة لا زال هناك في شأن الحماية، فلله الحمد على ما يسره من ذلك، ونطلب الله أن يكفينا شر كل ذي شر، وأن يعامل سيدنا أعزه الله بما عوده من صنيعه الجميل في الحقير والجليل. وما أخبرت به من توجهكم عند الوزير الكبير لاستشارته في بعض الأمور، فذكر لكم أن عنده كلام على وجه السر، وأخبركم بما شرحته، وأجاب نائب سيدنا أعزه الله السيد محمد بركاش بما ذكرته، فذكر أنه لا بد من ذكره في المجلس وعرضه على من فيه، فأجابه بركاش بأنه وان عرض فجوابه ما ذكره أولا، نطلب الله أن يؤيد هذا الدين بجاه سيد الأولين والآخرين، وأن يدافع عنه بيد قدرته القاهرة وسطوته الباهرة، فإنه لا ملجأ إلا إليه ولا معول في كل الأمور إلا عليه.

وما سمعتم من شكودرة الفرنصيص سمعناه كذلك ولم يتحقق إلى الآن، ونبهت على أننا إذا سمعنا شيئا لا يهولنا أمره، لأن الإغارة حاصلة والحمد لله، وعلى أنه إذا كتب أحد من النواب بشيء، فلا يجاب خشية أن يكون عليكم حجة في نقض ما أبرمتم، لكون أمورهم مبنية على الحيل، فقد أطلعنا بجميع ذلك علم مولانا نصره الله، فصار منه على بال.

وطلبتم دعاء سيدنا الصالح لكم ولجميع المسلمين، فدعا لكم بقوله أعانكم الله وسلك بكم سبيل الصواب آمين، وعلى المحبة والسلام. في 25 رجب عام 1297. أحمد بن موسى لطف الله به".

وقد علمت من بعض رسائل بريشة السابقة أن الوفد المغربي على وشك العودة من مدريد إلى المغرب. ووصل ذلك الوفد إلى طنجة، ثم سافر بريشة إلى حضرة السلطان، فكتب إليه رفيقه النائب السيد محمد بركاش رسالة بتاريخ

ومنها يعرف شيء من نفسية بركاش المذكور ونبله رحمه الله، كما يعرف منها أن المغرب لم ترضه نتائج ذلك المؤتمر، ولكنه قبلها مكرها لا راضيا الخ. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الأخ الأعز الأبر الأرضى خديم سيدنا أعزه الله وأمينه المرتضى سيدي الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وحفظك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد فمن يوم سافرت من هنا قاصدا لحضرة مولانا أعزه الله، لم يرد لنا منك كتاب، نطلب الله أن يكون المانع خيرا، وأن تكون وصلت بخير، ووجدت سيدنا أدام الله علاه بخير وعافية آمين. هذا ونعلمك أنه ورد لنا الجواب الشريف عما كتبناه أخيرا من مدريد في شأن الفصال وتتميم الكلام، وذلك وإن لم يقنع مولانا أعزه الله، كما لم يقنعنا نحن، فقد قبل أيده الله ذلك ودعا لنا بخير، فالحمد لله حيث خاطر مولانا أعزه الله معنا، لما لا يخفاك أننا كنا متشوقين لهذا الجواب وخائفين أن يرد لنا الجواب بما لا يسر، زيادة على التعب والمشقة، فالحمد لله على رضا مولانا وقبوله.

كما نعلمك أنه ورد على باشدور الصبنيول جواب الكتاب الشريف الذي كنا حملنا بيدنا لسلطانهم، وقد شكر خدمتنا هناك، وأثنى علينا معنا، وأخبرناك بذلك لتكون على بصيرة وتعلمنا بما رأيت من مولانا أعزه الله، وعلى المحبة والسلام. في 16 شعبان الأبرك عام 1297. محمد بارقش لطف الله به".

وأنهى بريشة مهمته لدى السلطان، وعاد سالما إلى بلده تطوان. وكتب إلى الوزير الصدر بذلك، فأجابه بكتاب هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأحظى الحاج عبد الكريم ابريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بأنك حللت بمدينة تطوان بخير وعلى خير يوم الاثنين ثاني رمضان، وأنك وجهت السبع بغال صحبة مقدم الحمارة الذي كان توجه معك لهناك، وصار بالبال. فقد وصل المقدم المذكور، وصحبته السبع بغال، وحلوا محلهم، فقد أنهينا سلامك لمولانا نصره الله، ونبنا عنك في استعطاف خاطره ودعائه الصالح لك، تقبل الله من سيادته آمين، وعلى المحبة والسلام. في 11 رمضان المعظم عام 1297. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وكتب بريشة إلى الحاجب أحمد بن موسى رسالة أخرى بذلك أيضا، فأجابه بكتاب مما جاء فيه ذكر الشيخ سيدي عبد السلام بن ريسون وصالح أدعيته الخ. وهذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

حبنا الأود الأرضى وأمين سيدنا الأعز المرتضى الحاج عبد الكريم بريشة، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فقد وصل كتابك معلما فيه بوصولك لتطوان بسلامة وبصالح دعاء الشريف البركة سيدي عبد السلام بن ريسون لمولانا المؤيد بالله ولنا أيضا، فقد أطلعنا بذلك كريم علم سيدنا وصار أدام الله عزه على بال من ذلك، وحمدنا الله تعلى عليه، وسرنا ما أسداه إلينا السيد من صالح الأدعية، فجزاك الله خيرا وكثر في المسلمين أمثالك آمين، وعلى المحبة والسلام. في 23 رمضان المعظم عام 1297. أحمد بن موسى لطف الله به".

وقال حفيده بنونة في ترجمته ما نصه:

"بعد رجوعه من مهمته هذه، رشحه السلطان سفيرا ثانيا مع المرحوم المحترم سيدي محمد بركاش في سفارة عام 1297 = 1880 م لعقد شروط مدريد الشهيرة. وأبدى في ذلك من الدفاع عن حقوق الوطن والأمة ما لا مزيد عليه حتى كان سيدي محمد بركاش يقدمه لكل الأعمال، وحصل له به شغف عظيم".

أما المصاريف التي لزمت الحكومة المغربية على هذه السفارة، فقد بينها بريشة في كناشه بقوله ما نصه:

"أخذنا من الحضرة العالية بالله على يد الأمين ج عبد الرحمن الخطيب ضبلون 1000 بقصد سفارتنا مع بركاش إلى مدريد لرفع ضرر الحمايات.

ثم وصلنا بواسطة أخينا ج العربي بريشة ضبلون 1000

فصار الجميع ضبلون ذهب 2000

يجب فيه ريال 32.000,00

ثم ذكر الصوائر بقوله:

جميع ما هو مفصل كما خرج على يد الرنلدي[1] ريال 15.000,00

ودفع لواسطة الطليان.................................. 01.500,00

صرف على ثبوت الوفاق على شروط إسبانيا في الأملاك 05.000,00

ما لزم الحكومة المغربية لأجل موافقة الطليان............ 2.000,00

مصروف السفير بعد سفر الأمين برادة عن أيام 26 ..... 2.704,15

الجميع ريال وبليون 16.204,15

ثم ذكر بعد ذلك أنهم أرجعوا للخطيب 1000 ضبلون ودفع لهم المدرك من الريال وهو 204,15.

[1] - الرنلدي هو الترجمان الإسباني الذي صحب السفارة من طنجة.

وقد أمضى السلطان مولاي الحسن عقد مدريد للحمايات الأجنبية بالمغرب، وأصدر ظهيرا شريفا بالموافقة عليه وإيجاب العمل بمقتضاه. ونص الظهير المذكور:

"الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم الطابع السلطاني الكبير ونقش وسطه الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه 1291 وتحته بخط السلطان نفسه: حسن بن محمد.

يعلم من هذا أننا طالعنا ما اتفق عليه نائبنا الأنصح الخديم الأصلح الطالب محمد بركاش مع جماعة نواب الدول الفخماء المحبين بمدريد عام سبعة وتسعين ومائتين وألف تاريخه من الفصول الثمانية عشر المذكورة أسفله المتعلقة بأمور الحماية التي أولها والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط النجليز، وآخرها وهذا الوفق سيثبت. وتصفحناها من أولها إلى آخرها وأمضيناها وأوجبنا العمل بمقتضاها ولا نألو جهدا في عدم موافقة من رام خرقها ونقضها بحول الله فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ويقف عند حده ومنتهاه. صدر به أمرنا المعتز بالله في 25 من ذي القعدة عام 1297.

<u>عقد الحماية سنة 1880 م 1297 هـ:</u>

وهذا هو النص العربي الرسمي للعقد المذكور:

"الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

حضرة سلطان المغرب، وحضرة سلطان الألمان ملك البروسية وحضرة سلطان النامسا ملك أنكرية، وحضرة سلطان البلجيك وحضرة سلطان الدينمرك، وحضرة سلطان إسبانية، وسعادة البرزيطنط المركان، وسعادة البرزيطنط الريبوبليك الفرنساوي، وحضرة سلطانة اكرت برطن وارلاندة، وحضرة سلطان الطليان، وحضرة سلطان أولانضا، وحضرة البردقيز، وحضرة سلطان السويد، حيث اعترفوا باحتياج نصوص ثابتة متساوية لإجراء حق الحماية في المغرب وترتيب بعض القضايا المتعلقة بها، عينوا لهذا المقصود في الجمعية الواقعة بمدريد المفوضين الآتي ذكرهم:

حضرة سلطان المغرب: الطالب السيد محمد بركاش وزيرها في الأمور البرانية وسفيرها المخصوص.

حضرة سلطان الألمان ملك البروس: الكمت ابرهرط دسلمس سنولد، له نيشان من الرتبة العليا من النسر الأحمر من ورق البلوط هو كبير الصليب الأحمر الخ. الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان النامسا ملك أونكرية: الكمت مانويل لدلف من أهل المشورة وله النيشان من الرتبة العليا من ليوبلض هو كباليز الأول للمصباح الأحمر الخ الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان البلجيك: موسى دورد انسيخ فيسيال نيشان ليوبلض موجهها المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان إسبانيا: ضون أنطون كنبس دكستليو كابلير النيشان الأعظم الطيسون المذهب الخ ووزيرها الأعظم.

وسعادة البرزيطنط المركان: موسيو الخنرال لسيس فيرشليل الموجه المخصوص الوزير المفوض قرب الحضرة الخ.

وسعادة البرزيطنط الربوبليك الفرنساوي: موسيو لبيس الميرال جوريس عضو الدولة وله نيشان ليجون دنور من المرتبة الثانية، وباشدور الربوبليك الفرنساوي قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطانة كريت برطن وإرلاندة المشرق: ليونل سكول ربست الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكتلكية وهو مأمور أيضا بالنيابة عن حضرة سلطان الدينمرك.

وحضرة سلطان الطاليان: الكمت يوسف كربي له نيشان قديس مورسي ولسر من الرتبة العاليا وكذلك من المصباح الطالياني الخ الموجه المخصوص ووزيرها المفوض قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان ولانضا: موسيو ليجون كيموريس دي الدوير له نيشان من السبع السلطاني من الرتبة الثانية هو كبالير مصباح البلوط الخ ووزيرها القاطن قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان البرطقيز: الكمت كسل ربيرلو شيخ المملكة وله نيشان المسيح من الرتبة العليا الخ الموجه المخصوص ونائبها المفوض قرب الحضرة الكتلكية.

وحضرة سلطان السويد ونرويغة: موسيو إنري اكرمن له نيشان واسع من الصنف الأول والرتبة الثانية الخ وزيرها القاطن قرب الحضرة الكتلكية.

وهؤلاء على مقتضى تفويضهم المعروف في وجه صحيح ومقبول اتفقوا على التراتيب التي سيأتي ذكرها:

الفصل الأول: والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط النجليز والصبنيول مع دولة المغرب والوفق الواقع بينها وبين الفرنسيس والأجناس الأخرى عام 1863. سوى التراتيب التي ستقع في هذا الوفق.

الفصل الثاني: ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختاروا ترجماناتهم وخدامهم من المسلمين أو غيرهم، وهؤلاء محميون لا يلزمهم رؤساء المحل

لا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما هو مقرر في الفصل الثاني عشر.

الفصل الثالث: والقناصل وبس قنصلات والأخنطس قنصلات الذين هم رؤساء المستقرين في إيالة سلطان المغرب لا يمكن لهم أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزني واحد ومتعلمين من رعية السلطان، إلا إذا احتاجوا كاتبا عربيا وهو لا يلزمهم حتى جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما رتب في الفصل الثاني عشر والثالث عشر.

الفصل الرابع: إذا نائب من نواب الأجناس عين واحد من رعية السلطان أخنط قنصل بإحدى المراسي، هذا الأخنط يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين، ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما اشترط في الفصل الثاني عشر والثالث عشر، ولاكن لا يقدر أن يحمي أحدا من رعية السلطان إلا عياله فقط، وله الحق ليكون عنده مخزني محمي وخلائف بس قنصلات من رعية هذه الإيالة يتصرفون في وقت خدمتهم في الحقوق مثل الحقوق التي للأخنط قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس: الدولة المراكشية اعترفت للباشادورات والمنسطروس ونواب الأجناس بالخصوصية التي عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناس لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم دون الأشياخ أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية مثل العسكر والمخازنية، إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم ولكن لا يقدرون يستخدمون حتى واحدا من رعية مراكش عليه دعوى، ومعلوم أن الدعاوي الشرعية المبدية قبل الحماية تتمم أمام المجالس التي بديت فيها، ولا يجدون مانعا في وفاء الحكومة. نعم الولاة المراكشية يجب أن يخبروا حينا بالحكم الصادر للكسيونس والقنصلات أو الأخنطس قنصلات الذين كان منهم ذلك المحمي والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من الحماية، فدعواهم يكون الحكم فيها في المجلس الذي بديت فيه، ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولاة البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

الفصل السادس: أهل المحمي داخلون في الحماية أيضا، وله التوقير والاحترام في داره، ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره. والحماية لا تورث سوى استثناء واحد في شان أهل بن شمول من حيث هو مقرر في وفق 1863، وبهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب، نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء آخر، فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق في طلب مثل ذلك.

الفصل السابع: نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة السلطان حين يختارون متوظفا، ويدفعون في كل سنة للوزير المذكور تقييدا رسميا من الأناس المحميين عندهم أو من المحميين الذين يحمون الأخنطس في إيالة المغرب، وهذا التقييد يوجه لولاة البلد، ولا يحسبون محميا سوى ما هو مذكور فيه.

الفصل الثامن: والأخنطس يمكنون في كل سنة لولاة البلد الذي هم ساكنون بها تقييدا مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم، والولاة المراكشية يبعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها وينظر هل هي غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة والفسيال القنصلية يجب عليهم يخبرون في الحين بجميع التبديل الذي يقع في الأناس المحميين من قنصلاتهم.

الفصل التاسع: المتعلمون والفلاحة أو المتوظفون الأخرون من رعية مراكش الذين هم في خدمة كتاب العربية والترجمانات المراكشيين ما لهم حماية، وكذلك المتعلمون والخدام لرعية الأجناس، لاكن فولاة المسلمين لا يقبضون متعلما أو خادما لأحد في خدمة اللكاسيون أو القنصلات أو رعية الأجناس أو محمي دون إعلام لحاكم جنسه، وإذا يوجد أحد من رعية هذه الإيالة في خدمة أحد من رعايا الأجناس قتل أحدا أو جرحه أو هجم عليه، فيقبض في الحين ويقع الإعلام لنائب دبلمتك أو لقنصل جنسه عاجلا.

الفصل العاشر: لا يقع تبديل في شيء من أمر السماسرة مما هو مقرر في الشروط وفي وفق 1863، إلا ما يترتب في شأن الوظائف في الفصول التي ستأتي بعد.

الفصل الحادي عشر: وحقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف. وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية، ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد، وجميع النوازل التي تقع في هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانية كما هو مقرر في الشروط.

الفصل الثاني عشر: رعية الأجناس والمحميون الذين لهم الملكية في الأرضين أو يكونون اكتروها والسماسرة الذين تكون عندهم الفلاحة يدفعون الزكاة والأعشار، وفي كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييدا صحيحا بما يملكونه، ويدفعون بيده ما يجب عليهم من الزكاة والأعشار. والذي يشهد بالزور يؤدي ذعيرة مرتين الأعشار الواجب عليه شرعا في هذا الشيء الذي سكت عنه، وإذا وقع منه هذا مرة أخرى، فتثنى له الذعيرة المذكورة. والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الأمور الخارجية للحضرة الشريفة.

الفصل الثالث عشر: رعية الأجناس والمحميون والسماسرة الذين عندهم بهايم الحمل يؤدون ما وجب في الأبواب. والقدر وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون في ذلك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة، وهذا القدر لا يزاد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس.

الفصل الرابع عشر: لا يقبل توسط الترجمانات وكتاب العربية والمخازنية الذين هم لبعض اللكاسيونس والقنصوات في أمور الناس الذين لم يستحقوا الحماية من اللكاسيونس والقنصوات إلا إذا جلبوا بيدهم رسما بخط يد نواب الأجناس أو القنصوات.

الفصل الخامس عشر: جميع الرعية المراكشية الذين أخذوا النطرليزسيون من الأجناس ورجعوا للمغرب، واجب عليهم بعد مدة من استقرارهم فيه قدر المدة التي احتاجوها شرعا للحاق هذا النطرليزسيون أن يختاروا إما أن يدخلوا تاما تحت حكم شريعة الإيالة، أو يلزم عليهم الخروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النطرليزسيون لحقه بإذن الدولة المراكشية، والنطرليزسيون الذي لحقوه الرعية المراكشية إلى الآن على مقتضى الشرائع الجارية في كل بلد يبقى مستحفظا في كل وجه من غير نقص.

الفصل السادس عشر: حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى في المستقبل، والولاة المراكشية لا يعرفون أبدا حماية أخرى من أي وجه كان دون هذه الحماية الخاصة التي اتفق عليها في هذا الوفق، ولاكن إجراء حق حماية كَنسُوتُدينير وهي الحماية المعتادة تستحفظ في صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لأحد من دولة الأجناس أو لأسباب أخر غريبة الوقوع، وكيفية هذه الخدمة ونية جزائهم بالحماية يقدم الإعلام بها لوزير الأمور الخارجية بطنجة، ليمكنه عند الاحتياج أن يعرض مراعاته والفصال المتمم تستحفظه الدولة التي وقعت لها الخدمة وعدد هؤلاء المحميين لا يمكن أن يجاوز اثني عشر لكل جنس. وهذا العدد المعين هو الأعلى، إلا إذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة، وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مقتضى العوائد التي أصلحت في هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعيالهم على السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

الفصل السابع عشر: دولة المغرب اعترفت لجميع الأجناس التي نوابها حاضرون في هذا المجلس ليجري لهم جميع التفضيل الذي ينعم به لجنس من الأجناس.

الفصل الثامن عشر: وهذا الوفق سيثبت، والتثبيتات يتبدلون بطنجة في مدة عن قريب يمكن أن يكون وبرضى مستثنى من الأجناس المتفقة ترتيبه يجري من يوم ختمه بمدريد. ولثبوت ذلك، المفوضون المذكورون وضعوا خطوط يدهم في هذا الوفق وطبعوا بطابعهم وجعلوا ثلاثة عشر نسخة.

وحرر بمدريد في 3 يليه عام 1880 الموافق 24 من رجب عام 1297".

هذا وبناء على ما جاء بالفصلين الثاني عشر والثالث عشر من هذا العقد من أن رعايا الأجانب وأصحاب حماياتهم يدفعون ضرائب مختلفة للحكومة المغربية، وأنه "يكون في ذلك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة"، فإنه قد وضع قانون خاص بتلك الضرائب، وأمضاه نواب أولئك الأجناس، وهذا نصه:

قانون الضرائب:

" القسم الأول في الحبوب والثمار:

الفصل الأول: على الأجانب وأهل الحمايات المالكين أو المستأجرين للأرضين الزراعية، وأيضا السماسرة المتعاطين للحراثة، أن يؤدوا العشور في الحرث، والزكاة على الحيوانات المعدة للحرث والصالحة المعروفة بصاكة الأبواب على دواب الحمل لانتقال السلعة ونباتات الأرض.

الفصل الثاني: الرعايا الأجنبية وأهل حماياتها تكون في خلاص الصاكات والعشور والزكاة على حد سواء مع رعية الحضرة الشريفة أولا في أمور الحرث.

الفصل الثالث: القمح والشعير وبقية الحبوب يدفع عليها العشور عينا أو نقدا، فإن كان عينا فيؤخذ في محل الدراس، فتؤخذ هذه العشرة في المائة على كمية الحبوب المذكورة، أو نقدا بسوم السوق الأقرب أو بالتراضي، وإذا وقع اختلاف فيما بين الأمين وصاحب الحرث، فالعشور يدفع عينا. وهذا العشور يدفع في شهر غشت بإعانة القناصل على مقتضى الفصل 18.

الفصل الرابع: الفاكهة اليابسة، التمر والتين والزبيب والجوز واللوز ومثلها الحناء والزيتون، يدفع عليها أيضا عشرة في المائة، وذلك عند وزنها للبيع في السوق، فإذا أراد المشتري نقل ذلك لبلد أخرى، فتعطى له بطاقة مذكور فيها أن هذه السلعة قد خلصت الواجب عليها، وهذه البطاقة تدفع في محل البيع عند وزن الفاكهة المذكورة، وإذا تباع هذه الفاكهة بالتفريق في أسواق المدن، فلا يعطى عليها بطاقة.

الفصل الخامس: الزيت يدفع عليها عشرة في المائة، فيكون تقويم ذلك إما على الشجرة، إما حين يكون الزيتون في المعصرة.

القسم الثاني في الحيوانات والأنعام:

الفصل السادس: الإبل والبقر والغنم والمعز يدفع عليها اثنين ونصف في المائة عن كل سنة، وذلك في شهر ينيه، أي بالعنصرة، فزكاة الإبل هي المعينة اثنين ونصف في المائة بتقديم كل رأس أربعون ريالا صبنيولي، فيكون ريال في السنة عن كل رأس، وسوم البقر بالإجمال بتقويم خمسة عشر ريالا، فتكون الزكاة عن كل رأس في السنة 7½ بليون بحساب اثنين ونصف في المائة وسوم الغنم والمعز بالإجمال بتقويم ريالين لكل رأس، فتكون الزكاة ريال بليون عن كل رأس في السنة، إلا البهائم الرضاعية، فإنها بريئة من الزكاة.

الفصل السابع: حضرة السلطان ما جعل هذا التقويم القليل للحيوانات إلا اعتبارا للضيق الحالي، ولكن إذا تغالت أسعارها كما هو ظاهر من الآن، فللحضرة الشريفة أن يطلب اجتماعا جديدا مؤلفا من نواب الأجناس، ليجعلوا في القانون التبديل اللازم بما تقتضيه الأسعار في ذلك الوقت.

الفصل الثامن: الإبل والبقر والغنم والمعز يدفع عليها زائدا عن ذلك صاكة أخرى وقت بيعها، سواء كان للذبح أو للكسيبة، فيدفع عليها وقت البيع عن كل رأس من الإبل خمسة في المائة، اثنين ونصف على البائع، واثنين ونصف على المشتري.

على كل رأس من البقر أربعة ريال بليون، وعلى الغنم والمعز ربع ريال بليون. فالذين اشتروا هذه البهائم للكسيبة يدفعون عليها زائدا عن ذلك في كل سنة الزكاة المعينة، والذين يذبحونها يدفعون عن كل جلد وقت بيعه الصاكة المعينة كما هو جار الآن في كل محل.

الفصل التاسع: الخيل والبغال والحمير يدفع عليها وقت بيعها عن كل رأس خمسة في المائة، اثنين ونصف على البائع، واثنين ونصف على المشتري.

القسم الثالث في ضرائب الأبواب:

الفصل العاشر: السلع المتنقلة من مدينة إلى أخرى فلا يؤخذ عليها الصاكة إلا مرة واحدة، وذلك وقت خروجها من المدينة.

الفصل الحادي عشر: فالذي يكون دفع الصاكة يأخذ بطاقة ليقدمها وقت دخوله للمدينة المقصودة، وإذا بطريقه مر بالمدن فلا يدفع عليها شيئا، بل عليه أن يقدم البطاقة التي بيده كلما طلبت منه من المكلفين بذلك، والبطاقة مذكور فيها عدد البهائم الحاملة وقدر الصاكة المدفوعة، وذلك دليل أن الصاكة دفعت.

الفصل الثاني عشر: يدفع عن كل حمل الإبل ستة ريال بليون، وعن كل حمل من الخيل والبغال أربعة ريال بليون، وعن كل حمل من الحمير اثنين ريال بليون.

الفصل الثالث عشر: السلعة أو نباتات الأرض الواردة من البادية يدفع عليهم وقت دخولهم إلى البلد عن كل حمل الإبل أربعة ريال بليون، وعن كل حمل الخيل والبغال اثنين ريال بليون، وعن كل حمل الحمير ريال بليون.

الفصل الرابع عشر: يدفعون على الحبوب من أي جنس كانت وعلى السمار والحطب والفاخر عن كل حمل الإبل اثنين ريال بليون، وعن كل حمل الخيل والبغال ريال بليون وعن كل حمل الحمير نصف ريال بليون.

الفصل الخامس عشر: الحلفة والعزف والغلة والخضر أيا كانت يدفع عليها عن كل حمل الإبل ثلاثة أرباع ريال بليون، وعلى حمل الخيل والبغال نصف ريال بليون، وعلى حمل الحمير ربع ريال بليون.

الفصل السادس عشر: التبن والربيع والدوم المعد لقرارين المدن فلا يدفع عليها صاكة.

الفصل السابع عشر: فصاكة الأبواب لا تزداد إلا باتفاق جديد بين وزير الأمور البرانية لحضرة السلطان وبين نواب الدول الموقعين على معاهدة مدريد بمقتضى الفصل الثالث عشر من المعاهدة المذكورة.

القسم الرابع في إعانة القناصل:

الفصل الثامن عشر: الأمين المكلف من قبل السلطان لتقديم الإعشار على الحبوب سيعطي في كل سنة بوقت التقويم إلى الأجانب والحمايات المالكين أو المستأجرين للأراضي الزراعية، وأيضا إلى السماسرة المتعاطين للزراعة، تقييدا مبينا فيه قدر الواجب عليهم دفعه عينا أو نقدا على مقتضى الفصل الثالث. فصاحب الحرث يسلم التقييد المذكور حالا إلى قنصله، فإذا أخذ ذلك من عينه فيسلم في محل الدراس، وإن أخذ نقدا فصاحب الحرث يخلص القدر المعين بواسطة قنصله، وإذا ظهر له زيادة في التقويم فيتشكى منها ويسلم حالا تقييد الأمين ليد القنصل، وعلى القنصل أن يبلغ ذلك من دون تأخير إلى عامل المحل المكلف بجمع المال ليحرس النوادر أين هي الحبوب، وأجرة الحارس أربعة بليون في اليوم إلى تمام الدراس، فبعد تمام الدراس يعبر أمام شهود القدر الموجود، فإن خرج ذلك على مقتضى ما قومه الأمين، فصاحب الحرث يدفع العشور عليه ويدفع أجرة الحارس، وإن خرج أقل مما قومه الأمين فيدفع العشور على مقتضى ما خرج، والمخزن يخلص حارسه. فإن وقع في التقويم غلط قدره خمسة في المائة زيادة أم نقصانا فهو مقبول، يعني إذا القدر المعبور نقص عن الخمسة في المائة أو زاد عليها، فعلى صاحب الحرث أداء العشور على مقتضى ما قومه الأمين، وإذا كان الفرق أكثر من خمسة في المائة، فيدفع العشور على قدر الكمية المعبورة.

الفصل التاسع عشر: على الأجانب والحمايات المالكين أو المستأجرين للأراضي الزراعية وللسماسرة المتعاطين للزراعة وأيضا أصحاب حيوانات الحمل المعدين لنقل السلعة والأنبات، أن يقدموا لقناصلهم في كل سنة بشهر يليه قبل عيد العنصرة تقييدا صحيحا يبين فيه عدد البهائم ملكهم، ويدفعون على يد قناصلهم الزكاة المعينة. ومن وقع زور في تقييده فيؤدي ضعف الزكاة المعينة ذعيرة على البهائم التي لم يذكرها في تقييده. وإذا وقع هذا الزور مرة ثانية، فيؤدي ضعف الذعيرة المذكورة بمقتضى الفصل الثاني عشر من معاهدة مدريد.

الفصل العشرون: وقت دفع الزكاة والأعشار المرتبة على الأجانب والحمايات وغيرهم بواسطة قناصلهم الذين يدفعونه ليد عامل المحل بالأوقات المعينة بالفصل الثامن عشر والتاسع عشر، فالقناصل والعمال يجعلون كناشات شبه الذي طيه.

الفصل الحادي والعشرون: إذا الأجانب والحمايات وغيرهم لم يدفعوا لقناصلهم العشور على نبات الأرض والزكاة على بهائمهم في الأوقات المعينة بالفصل الثالث والسادس، وصار لزوم استعمال القوة الجبرية، فيكون ذلك بإعانة وكيل من قبل القنصلات. والقناصل مكلفون بتعيين هؤلاء الوكلاء حالا من دون تعطيل، ليكونوا تحت طلب العامل.

الفصل الثاني والعشرون: إذا كان اثنان أو أكثر من رعايا أو حمايات الأجانب وهم من أجناس مختلفة مشتركين في الحراثة أو في الكسيبة يمتنعون من أداء ما يجب عليهم المرتب بمعاهدة مدريد، فكل من القنصلات له أن يعين وكيلا ليكون حاضرا على إجباره للأداء.

الفصل الثالث والعشرون: في أجل دفع الصاكة والذعيرة والمصاريف، قد التزموا أن يبيعوا شرعا إما الأملاك أو جميع البهائم أو قسم منها ملك أحد الرعيات أو الحمايات الأجنبيات، فهذا البيع سيكون بالدلال بواسطة الحكومة المحلية أو بإعانة وكلاء القناصل، فالبهائم تباع بالدلال في السوق أقرب ما يكون، ويؤخذ من القدر المبيع القدر اللازم لمعيشة وكلاء الحكومة والقنصلات لانتقالهم عن محلهم، فهذه المصاريف يصير تعيينها من قبل القنصل بموافقة العامل عليها، ولكن لا تزيد عن مبلغ قدره خمسة وعشرون ريالا بليون للنهار.

الفصل الرابع والعشرون: فإن كان الحراثين من الرعايا الأجنبية أو من حمايتها لا قدرة لهم لدفع ما يترتب عليهم بسبب جائحة أو موت البهائم أو لمصائب أخرى حصلت، فالحضرة الشريفة تمنح لهم التسهيلات كمثل رعيتها.

الفصل الخامس والعشرون: إعانة القناصل معدومة المصاريف ولا لهم أن يقبضوا شيئا على الأمانات كما تقتضيه التعريفات القنصلية.

الفصل السادس والعشرون: كل من المتوظفين القنصليات المتعاطي للحراثة عليه أن يقدم إلى رئيس النيابات بطنجة تقييدا فيما له من البهائم وفيما دفع من الزكاة والعشور والصاكة، وذلك حالا بعد وقوع الدفع منه، وإذا وقع اختلاف فيحيل ذلك إلى الحكومة المنوبة بطنجة.

الفصل السابع والعشرون: إذا وقع اختلاف فيما بين الحكومة المراكشية وبين احد نواب الأجناس في شان أداء العشور والزكاة أو بخصوص إجراء القانون المقدم ذكره، ففصال الاختلاف يكون بالموافقة فيما بين وزير الأمور البرانية لحضرة السلطان وبين نواب الأجناس الموقعين على معاهدة مدريد.

(توقيع النواب إلى آخرهم).

الفصل المضاف: فيما يتعلق بالمزكور والدرة وغيرهما من الحبوب التي يتأخر حصادها في ناحية الشمال، يعني في المحل البارد لأواخر غشت، فالدولة المراكشية تعطيهم وقتا لأجل دفع الأعشار الذي يكون ممتدا إلى خمسة عشر أكتوبر.

(توقيع النواب أيضا).

وختم في 29 ربيع الثاني عام 1298 الموافق 30 مارس العجمي سنة 1881"[52].

---

[52] - وقفت بين أوراق المؤلف على تقييد يتعلق بنص الاتفاقية التي وقعت في نفس الموضوع بتاريخ 2 يونيه 1896، وهذا نص ما ورد في هذا التقييد:

(الحمد لله نسخة الشرطات الواجبة في أعشار الأبواب المتوافقون عليهم بمدريد نمر 13 المحدد بطنجة على يد النائب المفوض من المخزن السيد الحاج محمد الطريس والسيد عبد الكريم بريشة المرسل من المخزن لنواب الأجناس، وهذه الشرطات عوضا عن محل نمر 10 مع نمر 17 عن الشرطات الواقعة في 30 مرس العجمي عام 1881.

نمر 1 – أعشار الأبواب يخلصون مرة واحدة لا غير.

نمر 2 – السلعة الخارجة من بلد إلى بلد أخرى يخلص صاحبها ويحوز بطاقة.

نمر 3 – السلعة والحوائج الواردة من البادية يخلصون أعشار الأبواب ولا يحتاجون إلى بطاقة وإذا أرادوا يحملون سلعتهم إلى بلد أخرى لما يدخل في الحين يمكنه الأمين بالبطاقة.

نمر 4 – لا تتخلص أعشار الأبواب إلا إذا كانت البطاقة من غير الداخل للبلد وقصده البيع فيها، فلا يحتاج لبطاقة إن لم يطلبها كما في الشرط أعلاه، وهذه البطاقة تبقى تحت يد صاحبها ليريها لجميع من هو في أبواب كل بلد لأجل لا يحتاج يخلص إلى أن يصل لبلد أراد فيها بيع سلعته، ويدفع البطاقة لأمينها، وهذا بيان لفظ ما يكتب في البطاقة: الحمد لله وحده هذا إعلام تعملوا به بأن فلان الفلاني وقف أمامنا وبيده كذا وكذا من حمل جمال أو بغال أو خيل أو حمير وخلص الأعشار الواجب له عن الحمل أو الأحمال المذكورين كذا وكذا من بليون، ولا يحبس حامل هذه البطاقة في أي محل كان لأنه أدى الواجب. ويكون فيها طابع الأمين وخط يد العدل، ويجعلون فيها التاريخ.

حول قضية سانطا كروز بكنية عام 1298:

وقال المترجم في مذكراته ما نصه:

"واقمت بتطوان مائة وأربعين يوما، ثم ورد أمر مولانا المعتز بالله بالسفر إلى طنجة لفصل قضية سنتا كروز بكينية مع سفير إسبانيا، فدخلت طنجة يوم 22 محرم عام 1298.

والأمر المولوي الذي ذكر أنه ورد عليه، كان صحبة كتاب بعثه إليه الحاجب أحمد بن موسى، وهذا نصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا وأمين سيدنا الأعز الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فإن أمر أكدير كانت

نمر 5 – جميع المعشرات يخلص صاحبها بأي سكة وجدها بالدرهم الحسني أو بسكة فونصو، وإن كان أعشار قليل لا يوفي البليون يخلص بالفلوس النحاس.

نمر 6 – القدر الذي يخلصون الأحمال الجمال الحاملة للسلعة ستة 6 بليون لكل حمل، الفرس أو بغل حامل السلعة أربع 4 بليون لكل حمل، الحمار الحامل للسلعة اثنين 2 بليون لكل حمل.

نمر 7 – الحوائج الذي يرد من البادية يخلصون عن كل حمل صوف وغيرها أربع بليون للحمل، الفرس الحامل يخلص اثنين بليون لكل حمل، الحمار الحامل بليونا واحدا لكل حمل.

نمر 8 – جميع الحبوب من أي جنس كان يخلص، الجمل الحامل اثنين بليون لكل حمل، فرس أو بغل حامل بليونا واحدا، حمار حامل يخلص نصف بليون.

نمر 9 – الحلفة والدوم والغلة المعلقة، يخلصون، الجمل ثلاثة أرباع البليون لكل حمل، الفرس والبغل يخلص نصف بليون لكل حمل، الحمار يخلص ربع البليون لكل حمل.

نمر 10 – التبن والربيع وجدور النار والفحم وجميع حوائج الخضرة مثل القرع والكوار وغير ذلك لا يخلصون قلسا واحدا.

نمر 11 – البابورات الواردة من البحر للرباط بعض الأوقات يجدون البحر هائجا ويتوجهوا بالسلعة للدار البيضاء، وكذلك السلعة التي ترد لأسفي ويوجد في مرساها البحر هائجا وتطرح في الجديدة لما يريدون التجار يرسلوا سلعتهم للرباط يخلصون عنها الواجب ستة بليون لكل حمل، ولما تصل السلعة للرباط ويتركها صاحبها عنده في محله من غير بيع وأراد التوجه بها لفاس أو غيره، يبين البطاقة التي وردت له بها السلعة من الدار البيضاء، فلا يخلص عنها شيء.

نمر 12 - إن الأمين الواقف في كل باب، إن شك في حمل فيه الكنطرباندو وأراد تفتيشه، فإن له يفتشه لاكن من غير هرج ولا فتن.

نمر 13 – الأمناء الواقفون في الأبواب يسيرون على هذه الشرطات اللازمة بأجمعهم، فلا يزيدون ولا ينقصون، وبالتأكيد على نمر أعلاه وجميع الأمين المتخلف عن هذه الواجبات فإن المخزن يزجره ويربيه.

نمر 14 – هذه الشرطات الموضوعة الكائنة فلا يزيدون على ما ذكر شيئا إلا إذا كان بوفق النائب المفوض من المخزن مع نواب الأجناس ونواب الشرطات مدريد وبالتوافق بطنجة في 2 يونيو العجمي عام 1896)) ح. د.

مباشرته أولا على يدك، فبذلت فيها المجهود، ولم تقصر في قضاء الغرض المقصود، حتى فتحت منه ما كان مغلقا، ونثرت عقده بعد أن كان منتظما معلقا، وقد فزت في ذلك برضى مولانا أمير المؤمنين، وقمت بالواجب في نفع جميع المسلمين، جزيت خيرا، ومنحت من الله مثوبة وأجرا، وحيث عرفت الطرق الموصلة لقضاء الأغراض، ومن يستعان بهم في شفاء الأمراض، جدد لك مولانا أدام الله عزه، الكتب في شأنه لمباشرة تمام أمره، فاستعمل جهدك في مباشرته، لأن ذلك الأمر هو مصلحة لعامة المسلمين وخاصتهم، واعتقد في نفسك أن هذه عبادة وقربة تتقرب بها إلى الله، وحسنة تدخرها ليوم المعاد، واستعن بالله وتوكل في جميع أمورك على الله، ولا تترك من الطرق الموصلة لقضاء المرغوب طريقا إلا ارتكبتها، ولا وسيلة إلا استعملتها، وقد كان والدك وعمك رحمهما الله من أهل المحبة والنصيحة لهذا الجانب الشريف أسماه الله، فعادت عليهما بركة ذلك في أنفسهما وذريتهما، وأنت كذلك بحول الله، فإنك تعود عليك وعلى عقبك بركة ذلك إن شاء الله، فبالغ في النصيحة، وأوقد القريحة، ونطلب الله أن يعينك ويسددك، ويطيل في نفع المسلمين يدك، ويرزقك السعادة والتيسير، ويسهل عليك كل أمر عسير، فإنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وعلى المحبة والسلام. في 27 حجة عام 1297. أحمد بن موسى لطف الله به".

وامتثل المترجم الأمر السلطاني، وذهب إلى طنجة كما رأيت في مذكراته، ومنها كتب إلى الحاجب السلطاني رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أخانا في الله الفقيه الأرشد الحاجب الأسعد سيدي أحمد حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وموجبه تجديد العهد بسيادتكم والسؤال عنكم أبقاكم الله بخير وعلى خير، واعلم حفظك الله وأنه قدم علينا أمر مولانا المعتز بالله يوم 20 من المحرم بالتوجه لطنجة لعند سيدي محمد برقاش، وحللنا طنجة تريخ 22 منه، وتلاقينا به، فوجدناه قائم على ساق الجد في مباشرة إكمال الفصول وعمل زمام لما يعطى في الأبواب وغيرهم من الاشقار وما أضيف إليه، وفي يومه عنده الجمع مع النواب، وتذاكرنا معه في أمر أكدير، فقال لنا تأنى حتى يصفى هذا الأمر المذكور. وعند ملاقاتنا بخديم سيدنا أيده الله سيدي ح محمد الزبيدي، دفع لنا كتابك الأعز المؤرخ 27 من الحجة، وقرأناه، وكل ما شرحت فيه استوعبناه وفهمناه، وعرفتنا بمطلوب سيدنا أمير المؤمنين متعنا الله برضاه ومرغوبه في تصفية قضية أكدير من حيث كانت مباشرته أولا وثانيا على يدنا، وحيث عرفنا الطرق الموصلة لقضاء الأغراض، ومن يستعان بهم في شفاء الأمراض، جدد لنا مولانا أعزه الله الكتب في شأنه لمباشرة تمام

أمره، لأنه مصلحة لعامة المسلمين وخاصتهم، ونعتقد في نفسي أنها عبادة وقربة نتقرب بها إلى الله، وحسنة نذخرها ليوم المعاد، ونستعين بالله ونتوكل في أموري على الله، ولا نترك من الطرق الموصلة لقضاء المرغوب طريقا إلا ارتكبتها، ولا وسيلة إلا استعملتها الخ.

اعلم سيدي حفظك الله، بأن العبد الضعيف مقر بإحسان سيده، وما علينا إلا فضل الله وفضله، والمطلوب من سيادتكم وإحسانكم هو تجلب لنا خاطر مولانا أمير المؤمنين يكون معنا حتى تتصرف همته نصره الله، ونسعد بسعادته، ونفوز بمطلوبه ومرغوبه بحول الله مع قوته، وتحضر معنا إغارة الشيخ المبارك إن شاء الله، وعلى الله سبحانه الكمال، ومن يتوكل عليه كفاه. وعند مباشرتنا الأشغال نخبرك إن شاء الله بما يئول إليه المآل، ونطلب الله سبحانه يرزقنا رضا مولانا أعزه الله ويلهمنا لما فيه رضاه وصلاح المسلمين بجاه بركته وأسلافه عند الله، لأني صرفت همتي في هذا الأمر، وعمرت فكرتي باهتمامه والتفكر في إخلاصه من أعدائه، ونغتنم هذه الفرصة بحول الله مع قوته، ونسئلكم صالح الأدعية، ودمتم في حفظ الله ورسوله. في 25 محرم 1298".

ثم أخذ بريشة في مباشرة القضية مع سفير إسبانيا بطنجة، وبعد أيام كتب إلى الحاجب المذكور رسالة هذا نصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أخانا في الله الفقيه الأسعد الحاجب الأمجد سيدي أحمد بن موسى بن أحمد حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم تاريخ 25 من الماضي وفيه كفاية، وزدنا هذه الحروف ليكون في علمك أعلمك الله خيرا، وأننا التقينا ببشدور إسبانيا وتذاكرنا في شأن أكدير، فسألني عن قدومي ما السبب فيه؟ فذكرت له وأن سيدنا أيده الله أمرني بالقدوم في شأن إكمال قضية مدريد، ثم بعده قال لي الكلام الذي كان تكلم معك به الوزير في شأن أكدير وصلته لسيدنا السلطان أم لا، قلت له وصلته له، وكذلك الكلام الذي تكلمت معي به كله وصلته لسيادته، قال، ما أجابك به سيدنا السلطان؟ قلت له أجاب بخير حتى قال نصره الله حيث هذا الأحياء سعوا في إجلاب الخير للدولتين ... ثمنا مناسبا لا ضرر فيه ويقدر المغرب على دفعه ولا بأس به هو مصلحة للجميع، قال لي أعندك إذن بالكلام في ذلك؟ قلت له نعم أنا موجود، قال لي نكتب للوزير بما سمعته منك، قلت له فيه خير إن كان على وجه المحبة لا على وجه المخزن، قال لي حتى هو في هذه الساعة ليس عنده إذن بالكلام في ذلك من المخزن، وإنما يكتب للوزير متاعه على وجه المحبة ويفيده بما سمعه مني، وكما طلبته يستفهمه في الثمن الذي يقدر يبيعها به والثمن كان بالدراهم أو بالديوانات، وعند جوابه يظهر كيف يكون له الجواب إن شاء

الله بحول الله مع قوته، ربنا يلهمنا للصواب ولما فيه صلاح المسلمين ورضاء مولانا المنصور بالله.

وقد كنت عرفته وأنه كان تقدم لي الكلام قبل في شأنها مع الوزير المعزول، وكان أمرني سيدنا أيده الله نوصل له منيول[53] إلى منيول ونصف، وبلغته له، وقال لي اليوم لا يقدر أن يتكلم في شأنها لأن إصبانيا مهولة، وعند الإمكان يكون خير، كما نبهته إن كان لهم غرض في هذه القضية يكون الكلام متاعهم بمدبر الوزراء مع بعضهم لا غير، لأن الرعية دائما تريد الفتنة، ولا يخرج ذلك حتى يمضي أمره ويكون أمر مخزني، وأيضا يكون فصالها بهذه الحضرة، قال لي ما السبب؟ قلت له مهما ركبت من هنا إلا وطيروا المكاتب ورقع الخوض في الكلام ويعينهم بعض من لا غرض لهم في هذا العمل، فأجابني وقال جميع ما تكلمت به كله صحيح ومقبول وها أنا أكتب به وأنه كلامك ومعك الحق فيه ...

وكما نحبك تعرف مولانا نصره الله، أن المنيول ونصف بالدراهم يحكم بالدين ثلاثة منايل إلا خمس. وتراني ما أدخلت معي أحدا في الكلام، غير أني أطلع خدام سيدنا أيده الله سيدي مَحمد بركاش وسيدي ج محمد الزبيدي، وسبب ذلك هو أنهم إن دخلوا لدار البشدور لا بد للناس في البحث عنهم، وربما يستنشقوا بعض الخبر ويفسدوا لنا العمل ...

والمطلوب من سيادتك إطلاع العلم الشريف بهذا، وتجلب لي صالح الأدعية ليعينني الله سبحانه على الأعداء، ويسعدنا الله بسعادة مولانا أيده الله، ويقضي غرضه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم آمين، ونحن على ما تعهده من المحبة والأخوة والخدمة إلى يوم لقائه، ودمتم بخير. في فاتح صفر الخير 1298".

وهذه رسالة أخرى من بريشة إلى الحاجب المذكور في نفس الموضوع، وهي بتاريخ 22 صفر 1298، ونصها بعد المقدمة:

"وبعد فلا زائد على ما قدمناه لسيادتكم تريخ 25 من الماضي، معرفا فيه بوصولنا وكتابا آخر تريخ 2 من تاريخه عرفناكم فيه بملاقاتنا مع البشدور وبما دار بيننا وبينه من الكلام، والثالث مع القائد قدور الجمعي نطلب الله يكون وصلكم الجميع وأنتم بخير.

واعلم حفظك الله أنه أمس تاريخه قدم علينا بشدور إصبانيا لدارنا، وعرفنا أنه ورد له الجواب من الوزير متاعهم في شأن القضية المطلوبة، وقال له أخبرتنا أن بريشة تكلم معك في شأن السنط كروز وأعطاك منيول ونصف، هذا الثمن ما قدرت تذكره ولا يقبله مني أحد لقلته، لأننا مع الإيالة في مشاحنة

---

[53] - يعني مليونا من الريال.

من أجل هذه الدعوة، وفي علمك أنهم عينوا وكيلا يتكلم مع الكبرنو[54] في شأن تنفيذ دعوة الفصل الثامن، واحتجوا بطولة المدة هذه عشرون سنة ولم تنفذ لهم، وأيضا احتجوا بنزول مكنسي هناك وما قصروا في الكلام مع المخزن فأجابهم طلبكم صحيح وما قلتموه حق وما نحن غافلين على ما ذكرتم وسيكون خيرا. والآن بريشة لا بد يعطي الثمن الذي هو معقول ويقدر الإنسان أن يذكره ولا يرجع في وجهه ويقبل هنا ويظهر لهم وأنه فيه الصلاح للدولتين ونستريح جميعا من هذه الدعوة، لأن إبقاء هذه الدعوة في هذا الوقت لا خير فيه، والإيالة كلها تريد تنفيذ هذا المحل ولا عليهم، والمخزن مراده التعجيل بانفصال هذه الدعوة قبل اعتقادها. وعليه لا بد بريشة يذكر لك الثمن الذي نقدر نذكره للوزراء ونجاب عليه، وأنت أقدم لعنده لمحله واقرأ عليه هذا ... فقلت له لماذا لم يطلب قدرا، قال لي السبب في ذلك هو المخزن متاعنا لم يقدر يطلب لأنه أجاب الإيالة على ما طلبوه منه وقال لهم مطلبكم صحيح وما قلتموه حقا وما نحن غافلين على ما ذكرتم وسيكون خيرا، وكيف يطلب الثمن ويسمعونه وذلك غير المراد منهم ويقول للمخزن أنت مرادك بيع أرض أصبانيا، وإنما المعقول هو نحن نعطي الثمن المعقول ويعرض على الوزراء وإن كان فيه الصلاح للدولتين يمضوه. قلت له أولا أنا ليس عندي إذن بالزيادة على ذلك، لكن أنا أريد أتكلم معك على وجه المحبة إن زدناكم نصف منيول يكفي بعد المشاورة، قال لي لم أقدر أتكلم، واكتب بالذي لم يحصل فيه نفع للجميع، قلت له وكيف العمل؟ قال لي اكتب للحضرة العالية واطلبهم يعرفوك بالقدر الذي يقدر يدفعونه ونكتب للوزراء وبعده يجيبون بما اقتضاه رأيهم إما بالإمضاء أو الزيادة، قلت له نحن وإياك كلنا وسيطة خير، ومرادنا جبر هذه الدعوة، ونسعى جميعا في صلاح الدولتين ونريد نغتنم هذه الفرصة وتطلع هذه المزية على يدنا ونذكر بخير عند الدولتين إن شاء الله. أما أنا عبد الله فقد تقدم لي الكلام مشافهة مع سيدنا نصره الله في هذه القضية واستعطفت خاطره أيده الله حتى قال لي إن أرادت إصبانيا انفصل هذا الفصل الثامن وعملوا ثمنا لم يكن فيه ضرر للغرب ويقدر على دفعه تقاضيا فيه الخير، وإن امتنعوا وطلبوا ثمنا جافيا فيعين لهم المحل الذي هو معلوم ويتوجهون لمحلهم، ولا يكون إلا ما أراد الله.

والظاهر أنهم لا يبيعون هذا المحل بأقل من ثلاثة منايل تقاضيا وبواسطة الوسيلة، وإن باعوه فلا شك أن الرعية لا تريد بيعه، وربما تقوم بينهم فتنة. والذي اقتضاه نظر سيدنا أيده الله فيه الخير والصلاح هو الذي نرتكبه، والمطلوب من سيادتكم إطلاع العلم الشريف به ويجيبنا بما اقتضاه رأيه السديد الذي يكون عليه العمل. وكما نطلب من سيادتكم إجلاب خاطر سيدنا أيده الله

54- {الكبرنو لفظة إسبانية (Gobierno) بمعنى الحكومة}.

ودعائه الصالح ليوفقنا الله سبحانه لما فيه صلاح المسلمين ورضاه آمين، ونحن على ما تعهده من المحبة والأخوة والخدمة إلى يوم لقائه، ودمتم في حفظ الله ورسوله. قيد في يوم الأحد 22 صفر 1298".

وقد أجاب الحاجب المذكور عن تلك الرسالة برسالة مؤرخة بخامس ربيع النبوي عام 1298، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأود الأرضى الأمين الأجل الأحظى العاقل الأرشد السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بقدوم المحب باشدور الصبنيول عليك لدارك وبيده الجواب الوارد عليه من عند وزير دولتهم في شأن القضية التي كلفت بمباشرتها معهم يأمره بالقدوم عليك به ليقرأه عليك وتعلم ما فيه، ومضمنه أن الوزير استقل الواحد ونصف الذي أعلمتهم به في مقابلة السنط كروز بكنية، وقال لقلته لا يقدر أن يذكره لدولتهم، لعلمه أنهم لا يقبلونه ولأنهم مع مخزنهم لأجله في مشاحنة، سيما وقد كانوا عينوا وكيلا يتكلم مع الكبرنو في طلب تنفيذ قضية الفصل الثامن، واحتجوا بطول الأمد في أمرها مع نزول مكنسي هناك وذكر لك الباشدور المذكور أن لا بد من تعيين الثمن الذي يناسب أن يذكره الوزير للدولة يكون فيه صلاح الإيالتين حيث لا ضرر ولا ضرار على الجانبين ليظهر به وجه الفصل في القضية.

وعرفنا ما أجبته به من أن الأولى تعيين الثمن من قبلهم ليظهر، وما أجابك به من أن مخزنهم إذا عين الثمن ربما تحاججه الإيالة وتقول له إنك لراغب في بيع أرضهم وبلادهم الخ ما دار بينكما من الكلام في ذلك، وما قلت له من أنك لا إذن عندك في زيادة على ذلك، مع ما بينته له من الكلام الذي تقدم لك في القضية مشافهة مع مولاي المؤيد بالله وما أجابك به عنها أعزه الله حتى فهم الباشدور كله فاستشرته على وجه المحبة إذا زيد لهم نصف الواحد على ما ذكر بعد المشاورة أيقبلون الفصال به أم لا، فأشار عليك بأن تكتب للحضرة العلية بالله بما كتب له به الوزير من أن لا بد لك من تعيين الثمن المناسب فكتبت معلما بذلك كله وذاكرا أن الذي فهمته من كلامه أن إيالتهم لا توافق مخزنهم في بيع هذا المحل بأقل من ثلاثة وإن فعل فتقوم بينهم لأجله فتنة. فقد أنهينا ذلك كله لمولانا المؤيد بالله وصار بباله الشريف، وعليه فلتعلم أنه لا رغبة في اشتراء هذا المحل، لكونه إنما هو محل لصيادة الحوت كما في الشروط، وإنما الغرض في شرائه هو شراء مهادنة تلك الدولة المحبة ومودتهم وارتباط شرطات عهود محبتهم القديمة في عهد أسلاف سيدنا الكرام، والحادثة المحدثة التي شاهدها الناس وجمع الأجناس بمادرير من تكلمهم ومدافعتهم

ووقوفهم وتصديهم للمناضلة عن الجانب المؤيد بالله، ومجاورتهم مع أولئك لا تترك الأحوال على ذلك صالحة لكون أولئك القبائل أجلاف لا يثبتون على عهد، وانظر فعلتهم مع مكينسي، ومن مثل ذلك يخاف سيدنا أيده الله ويحاذر، وكان يحاذر منه قبله مولانا المقدس بالله في تأخير تمكنهم منه، وانظر كم من السنين وهم في مجاورة أهل الريف وأنجرة وكل مرة يسعون في إذايتهم وفي تكدير الخواطر بينهم وبين الجانب الشريف أيده الله، وأحرى أولئك القبائل الذين لم تتقدم لهم معهم مخالطة. هذا هو المقصود وإلا فهم جوارنا من مواضع كثيرة وجورتهم أفضل من جورة غيرهم وكل ما يعطى للأحباب لا يضر، لكن سماع المفاصلة في ذلك الموضع الصغير بهذا المال الكثير مع عدم وجوده والمحاككة في تيسره فيه ضرر من وجوه، والأحباب لا يحبون الضرر لأحبابهم، وهذا كله لا يخفاك، فتلطف معهم في إبلاغه وتقريره ومحاولة الأمر معهم بوجه جميل لا ضرر ولا ضير، وإن لم ترد دولتهم إلا هذا الثمن الجافي فاستمهلهم حتى يحل سيدنا أيده الله بمراكش ويوجه على كبراء جيران هذا المحل من إيالته السعيدة للمفاوضة معهم في ذلك والتعريف بقدر مساحة هذا المحل، ويظهر لسيدنا أعزه الله ما يكون في القضية بحول الله، وعلى المحبة والسلام. في 5 ربيع النبوي الأنور عام 1298. أحمد بن موسى لطف الله به".

ووصل الكتاب المذكور ليد بريشة، فلم يجد فيه ما كان ينتظره من معرفة ما إذا كان السلطان يوافقه على زيادة نصف مليون أم لا، وكتب إلى الحاجب رسالة مؤرخة بثالث عشر ربيع المذكور، وأرسلها مع رقاص خاص ليرجع إليه مسرعا بالجواب، وهذا نصها:

"أخانا في الله الفقيه الأجل الزكي الأفضل الحاجب الأسعد سيدي أحمد بن موسى حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله. وقد ورد علينا كتابك تريخ 5 من تاريخه جوابا عما كنا قدمناه لسيادتكم بإعلام ما دار بيننا وبين بشدور إسبانيا في شان قضية السنط كروز بكينية، وعرفناك أننا كنا أعطيناهم فيها واحد ونصف، ولم يجاوب عنه، وقلنا له نحن نريد نتكلم معك على وجه المحبة إن زدناكم نصف منيول على مشاورة الخ. وأخبرتنا أنك أطلعت العلم الشريف بذلك، ولم تتعرض كان سيدنا أيده الله قبل ذلك الزيادة أم لا، لأني ما عرفت ما نجاوبه به.

وقبل تاريخه 6، التقيت البشدور وسألني عن ورود الجواب، فأجبته إلى الآن ما ورد فقال لي إنه ليس على خاطره خوفا من أن يأتيه الإذن بطلب المحل المذكور على ما عنده من المكاتب، لأن الكلام عليها كثير، وفي هذين الشهرين إن لم يقع الفصال معكم لا بد من طلبها والتمكن منها، وذكر أيضا أنه إذا وقع الطلب لا تبقى لهم قدرة على الرجوع، وإنما يطلبون التمكن من محلهم، فأجبته

بأنه ليس يخاف عليكم أن سيدنا أعزه الله لا رغبة له في هذا المحل، لأنه ليس فيه منفعة، وإنما الرغبة عند سيادته هي تأسيس المحبة وإبقاؤها على ما هي عليه كائنة الآن، ودفع ما يحدث بين الدولتين، ولذلك اقتحم أعزه الله هذا المبلغ ليشتري به ما يمكن حدوثه بين تلك القبائل الموحشة، فأجابنا بأن ذلك هو مرادهم ومطلوبهم التحفظ على هذه المحبة لتبقى الدولتان على أحسن حال، وقد أعلمناك بالواقع لتكون على بصيرة.

واعلم سيدي لما قبضت كتابك المؤرخ 27 من الحجة 1297، وأكدت علينا فيه حتى قلت ولا وسيلة إلا استعملتها، جددت الإشارة لمن كنا تكلمنا معهم سابقا ليبقوا على إعانتهم، وهذا بلا علم البشدور، ولو اطلع على ذلك لأفسده لكونه لا يقبل ذلك، والظاهر هذه المراجعة منهم للبشدور هو ترجي الوسائل. وعليه تراني ما قدرت نذكر له أنه ورد لي جوابك، لأنه ليس عندي فيه إذن بشيء نعطيه لهم وبقيت حائرا. والآن نحبك بارك الله فيك تستأذن سيدنا أيده الله فيما نعطيه وفي أي محل نقف، ونحن بحول الله مع قوته لا نقدر نبرم أمرا كبيرا كان أو صغيرا إلا بإذن من مولانا المنصور بالله، وظهر لنا نعجل بهذا الرقاص ليرد علينا الجواب عاجلا، والمطلوب منك أن لا توقفه أكثر من يومين، وإن اقتضى نظر سيدنا أيده الله يكتب كتابا ليس فيه تطويل، إنما يذكر الثمن الذي اقتضاه نظره السديد، ويذكر أنه يتخلص من المراسي كمثل ما قبله، وإن كان هذا المحل ليس فيه منفعة لكن اقتحمنا شراءه بهذا المبلغ في هذا الوقت الصعب لأجل رفع الضرر وتجديد المحبة والهدنة، ويزيد في مثل هذا ولا يذكر لنا أنه لا غرض له ولا حاجة له به، لأنه ربما نظهره لهم وفي كتابنا يبين لنا ما يذكره مولانا نصره الله وكيف يكون العمل وآخر الثمن، ونطلب من الله سبحانه وبركة شيخنا وأسلافه عند الله يسعدنا بسعادة مولانا أمير المؤمنين ويوفقنا لما فيه رضاه وصالح المسلمين. يوم الأحد 13 ربيع الأنوار 1298".

وفعلا عاد إليه الرقاص المذكور بجواب مؤرخ بـ 21 ربيع المذكور، وهذا نصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا وأمين سيدنا الأعز الأرضى الأود الأجل العاقل المبجل السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله وبعد فقد وصلنا كتابك بتاريخ 13 من ربيع النبوي جوابا عما أجبناك به في قضية السنط كروز بكينية التي كنت أخبرت بما دار بينك وبين باشدور الصبنيول من الكلام في شأنها بعد أن أسمعت لهم في ثمن البلاد واحدا ونصفا، وذكر لك استقلال وزير دولتهم لذلك الثمن وإشارته بأن الأولى تعيين الثمن الذي يناسب أن يذكره للدولة حيث لا ضرر ولا ضير، وتفاوضت معه على وجه المحبة إذا زيد لهم نصف الواحد على شرط المشاورة أيقبلون الفصال به

أم لا، وإشارته عليك بأن تسند النظر في التعيين للجانب المؤيد بالله، فكتبت مستفهما عن ذلك إلخ.

وعرفنا ما ذكرته من أنك لما لم تجد في الجواب تعيين الثمن ولا التعرض لذكر الزيادة المشار إليها وهي نصف الواحد ولا ما يدل على قبول مولانا لها من عدم ذلك، تحيرت فيما تجيب به الباشدور، وبعد أن سألك عن مضمن الجواب أجبته بأنه لا زال لم يرد عليك، فأنهضت هذا الرقاص خاصا ليطير لك بالجواب ببيان ما يقتضيه النظر الشريف من الثمن، وطلبت أن لا نبقيه أكثر من يومين، مشيرا أنه إن اقتضى نظر مولانا الشريف يكتب لك كتابا مجردا بتعيين الثمن ويذكر لك فيه أعزه الله ما بينته مما يناسب ويقتضي الحال ذكره فيه فهو أولى، ونوضح لك في كتابنا ما يراد إيضاحه. وكما عرفنا ما ذكرته من تجديدك الإشارة لمن كنت تكلمت معهم سابقا بالتأكيد عليهم ليبقوا على إعانتهم، وذلك من غير علم الباشدور به وإلا فلو علمه لسعى في إفساد عمله، لكونه لا يقبله، فظهر لك أن مراجعتهم للباشدور إنما هي لأجل ترجي الوسائل، فلم تدر فيم تقف عليه في ذلك لعدم الإذن عندك به في شيء، فقد أنهينا ذلك كله لمولانا أيده الله وصار بباله الشريف، فساعد أعزه الله على الكتاب الشريف الذي أشرت بكتبه لك بتعيين الثمن، وذكر ما يناسب أن يذكر معه على الوجه الذي نبهت عليه، وفيه أمره الشريف لك بأن تزيد على عملك معهم في ذلك، وأذنك نصره الله إن ظهرت منهم شدة الرغبة في الزيادة تزيدهم على الواحد والنصف ما تقتضي المصلحة زيادته، وغاية جملته اثنان فقط، وتجعل معهم تاويلا في أداء ذلك على ما يناسب لحال هذا الوقت الشديد، وهو أن يكون خلاصه تقاضيا من المراسي لا دفعة واحدة ولا يكون الدفع محصورا في دفع الدراهم عين، بل كيفما تيسر دراهم أو غيرها من الحبوب أو النعم في الوقت الذي تكون فيه كثيرة، لأنه لا يخفى عليك مدخول المراسي، فتارة يكثر وتارة يقل، وحل الصوائر وغيرها منه وأن لا يبقى أمناؤهم بقصده بالمراسي بعد فراغهم مما يسلمونه قبل. وأما الوسائل التي توقفت فيها ممن ذكرت، فإن سيدنا أيده الله يأذنك في الوعد لهم بأن تبدأها من الخمسة آلاف ثم إلى سبعة ثم إلى عشرة وهي غايتها، وعدهم بالخير الجزيل من جانب سيدنا العالي بالله إذا قضي الغرض على ما ينبغي ولا يعدمون إحسانا منه أيده الله.

وعليه يأمرك سيدنا أيده الله إن ساعدوك على هذا التاويل، أن تمضي الكلام معهم به، وإلا فطير الإعلام لسيدنا أيده الله، ويظهر لسيادته ما يكون بعد، ونطلب الله سبحانه أن ييسر ويفتح على يدك ويسهل في قضاء غرض سيدنا بك امين، وعلى المحبة والسلام. في 21 ربيع النبوي الأنور عام 1298.

ومنه والكتاب الشريف ها هو يصلك طيه. أحمد بن موسى لطف الله به".

والكتاب الشريف الذي يشير إليه هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فما كان تقدم لك الكلام فيه بأمرنا الشريف مع الدولة الصبنيولية في شأن المحل المعروف عندهم بسنطكروز، وجرى الكلام بينكم فيه بمليون ونصف حسبما كنت أخبرت به كتابة ومشافهة، وتأخر أمره إلى الآن، قد كنا نتروا فيه إلى أن شرح الله صدرنا لفدائه رعيا للسكينة والهدنة ودفعا لما ينشأ عن ذلك من الضرر المؤدي للفتن، وسعيا في ارتباط شروط المحبة.

وعليه، فزد على عملك معهم في ذلك، وحتى إن ظهرت لك منهم رغبة في الزيادة، فزدهم على مليون ونصف ما تقتضيه المصلحة، وغاية ما تبلغه لهم مليونان من الريال، واجعل معهم تاويلا في أداء ذلك مناسبا لهذا الوقت الصعب، وهو أن يكون خلاصهم فيه تقاضيا من المراسي لا دفعة واحدة، ثم في أثناء ذلك والحالة أنهم يقبضونه من المراسي، إن اقتضى نظرنا الشريف توافقنا معهم على دفع شيء من ذلك حبوبا ونعما، يدفع لهم بثمن معلوم، وذلك في الوقت الذي يكون ذلك كثيرا هنا، لكون مدخول المراسي تارة يكثر وتارة يقل، وجل الصوائر وغيرها منه، وأن لا يبقى أمناؤهم بالمراسي بقصده بعد تمام ما يسألونه من غيره. وإن ساعدوك على هذا التاويل، فتعاقد معهم عليه، وإن لم يساعدوك عليه، طير لنا الإعلام، والسلام. في 22 من ربيع النبوي عام 1298".

وتوصل بريشة بالكتابين المذكورين، ثم اتصل بالسفير الإسباني، وتذاكر معه، ثم كتب للحاجب كتابا بتاريخ 9 ربيع الثاني، وهذا نصه بعد الحمدلة والتصلية:

"أخانا في الله الفقيه الأسعد الحاجب الأرشد سيدي أحمد نجل الفقيه سيدي موسى بن أحمد وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام مجده وعلاه، وبعد فقد وصلنا كتابك المؤرخ 21 ربيع الأنوار وحل بيدنا في 4 ربيع الثاني وقرأته، وكل ما شرحته فيه فهمناه، ووصلنا طيه كتاب مولانا المنصور بالله مضمنه زيادة النصف منيول زيادة على الواحد ونصف الذي كنا أعطيناه لهم سابقا، صار الجميع مليونين، وخلاصهم من المراسي تقاضيا لا دفعة واحدة على العادة السابقة.

وفي 5 منه التقيت البشدور وتذاكرنا معه وعرفناه بورود جواب مولانا المؤيد بالله وبالزيادة، وسببها هو سيدنا أيده الله مراده يدفع هذا القدر لأجل المهادنة بين الدولتين وخمد نار الفتنة وجبر الخواطر ودفع الضرر وسعيا في

ارتباط شروط المحبة واعتناء بصحبتكم، وفي علمكم أن هذا المحل لا منفعة لسيدنا فيه ولا يساوي شيئا، وإنما هذا القدر الذي أعطاه سيدنا أيده الله فيه هو رعيا للسكينة والهدنة ودفعا لما ينشأ عن ذلك من الضرر المؤدي للفتن، ولا يخفاكم ضعف مدخول المغرب في هذا الوقت الصعب، مع أن جميع الصوائر كلها من المراسي، وعلى هذا أثركم سيدنا أيده الله فيما تقتضيه المصلحة، ولما ذكرت له ذلك قال، سيدنا نصره الله اقتضى نظره المصلحة العامة، ونحن كذلك، والآن وجب علينا نكتب للمخزن متاعنا بما سمعناه منك، وسكت قليلا وقال، المخزن متاعنا كله جديد ولا نعرف ما يصدر منه، لأنه لا علم له بالكلام الذي تقدم في شان هذا المحل، فقلت له، إن خفت من ذلك واقتضى نظرك تكتب أولا كتابا للوزير على وجه المحبة وتعرفه بما دار بيننا وبينكم من الكلام في شان السنط كروز بكنية على يدي بريشة هذه نحو ثلاث سنين، أولا كان يتكلم مع الوزير سلبيلا، وأعطاه الواحد ونصف، وأجابه وأنه في هذا الوقت لم يتيسر الجواب، وعند وقت الإمكان نعرفك، وسبب هذه الزيادة هو أن سيدنا أيده الله أراد قطع هذه المادة التي ينشأ عنها الضرر للدولتين، وتحكي له ما دار بيننا وبينكم، وبعده بيومين تكتب له كتاب مخزني، فقال، هذا رأي حسن وفيه مصلحة للجميع، وقال، لما نكتب هذا الكتاب نوجهه لك تطلع عليه، قلت له، فيه خير، وخرجت من عنده. وبعد ساعة وجه لنا الطرجمان متاعه وقال لنا وأنه ظهر له يتأنى هذه الجمعة لا يكتب فيها حتى يظهر له بعض الخبر، فأجبته الذي ظهر له فيه الخير والصلاح عليه العمل. وسيدنا أيده الله ذكر لنا في كتابه الشريف على شان الحبوب والنعم يدفع لهم عند وجوده بثمن معلوم، تراني ما تعرضت لذلك لأنه اتفاقنا معهم على خلاصهم من المراسي كان قليلا أو كثيرا، والحبوب والنعم إذا يسر الله سبحانه وجاءت الصابة صالحة لسيدنا أيده الله، يبيع ذلك وينتفع به بيت المال عمره الله، ولا مدخل لهم فيه لأن ذلك هو دراهم عين. وكذلك الكلام في شان جلوسهم بالمراسي في شان ذلك ليس هذا هو وقت ذلك الشرط ربما نفرناهم من البيع، وإن يسر الله سبحانه ووقع البيع، نشترط عليهم ذلك، وتكون فيه المشاورة لسيدنا أيده الله، وأيضا ربما يقدر الإنسان مدخول المراسي ويجعله مشاهرة لهم إن شاء الله، وربنا سبحانه يجيبنا في الصواب، بسعادة مولانا أيده الله ويوفقنا لما فيه رضاه وصلاح المسلمين. والمطلوب من سيادتك تطالع العلم الشريف وتجلب لنا رضاه وصالح أدعيته، والسلام. في 9 ربيع الثاني 1298".

وقد أجاب الحاجب المذكور عن ذلك الكتاب برسالة هذا نصها بعد الحمدلة والتصلية:

" محبنا وخديم سيدنا الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وصلنا جوابك عما أجبناك به في شأن سنطكروز، وذكرت أنك فهمت ما شرحناه لك في أمره وأنه وصلك كتاب مولانا المنصور بالله المتضمن زيادة نصف مليون على الواحد ونصف الذي كنت أعطيته سابقا، فصار الجميع مليونين من الريال، وخلاصها من المراسي تقاضيا على العادة السابقة لا دفعة واحدة، وذكرت أنك تلاقيت مع باشدور الصبنيول وتذاكرت معه وعرفته بورود جواب مولانا أعزه الله بالزيادة، وبأن سببها أن يدفع هذا القدر لأجل المهادنة بين الدولتين وإخماد نار الفتنة، ولجبر الخواطر ودفع الضرر وسعيا في ارتباط شروط المحبة واعتناء بصحبتكم وأن هذا المحل لا منفعة فيه لسيدنا أيده الله ولا يساوي شيئا، وإنما أعطى سيدنا أيده الله هذا المبلغ رعيا للسكينة والهدنة، ودفعا لما ينشأ عن ذلك من الضرر المؤدي للفتن. وأنه لا يخفى ضعف مدخول الغرب في هذا الوقت الصعب، وجميع الصوائر كلها من المراسي، ومع ذلك آثركم سيدنا أيده الله فيما تقتضيه المصلحة فقال: سيدنا نصره الله اقتضى نظره المصلحة العامة ونحن كذلك والآن وجب علينا أن نكتب للمخزن متاعنا بما سمعناه منك عن إذن مولانا السلطان، ثم تأمل يسيرا وقال إن مخزنهم كله جديد ولا يعرف ما يصدر منه لأنه لا علم له بالكلام الذي تقدم في شأن هذا المحل، فأجبته بأنه إن خاف من ذلك يكتب أولا للوزير الكبير على وجه المحبة ويعرفه بما دار بينك وبينه من الكلام في السنطكروز على يدك هذه ثلاث سنين الخ ما شرحته له وبينته، وبعده بيومين تكتب له كتابا مخزنيا، فاستحسن ذلك وقال إنه رأي حسن وفيه مصلحة للجميع ووعدك بأنه حين يكتب هذا الكتاب يوجهه لك تطلع عليه، ثم بعد خروجه من عندك بساعة، وجه لك ترجمانه بأنه ظهر له أن يتأنى تلك الجمعة لا يكتب فيها حتى يظهر له بعض الخبر، فأجبته بأن الذي ظهر له فيه الخير والصلاح عليه العمل، وذكرت أن ما ذكره لك سيدنا أيده الله في كتابه الشريف في شأن الحبوب والنعم لم تتعرض له، لأجل الاتفاق معه على خلاص ذلك من المراسي قليلا كان ذلك أو كثيرا، وكذلك الكلام في شأن جلوس أمنائهم بالمراسي لخلاص ذلك القدر، لأنه ليس وقت ذكر ذلك الشرط، وإن ذكرته لهم ربما يحصل لهم النفور من البيع، وإن يسر الله ووقع البيع تشرط عليهم ذلك، وتكون فيه المشورة لسيدنا أيده الله، أو ربما يقدر لهم مدخول المراسي على السنة الأخيرة وتجعل لهم مشاهرة، والكل بعد مشورة سيدنا أعزه الله.

فقد أطلعنا علم سيدنا أيده الله بذلك، فصار الجميع منه على بال، وقد استحسن أيده الله ما ارتكبته في ذلك من السياسة وحسن الأجوبة ومطابقتها للغرض الشريف. وحيث أظهر الله ما أوجب التأني والتأخير، فوض أيده الله

الأمر إلى الله وقال نصره الله الخير فيما اختاره الله، وعلى المحبة والسلام في 29 ربيع الثاني عام 1298. أحمد بن موسى لطف الله به".

ثم إن السفير الإسباني اتصل بجواب حكومته الجديدة من مدريد، واطلع بريشة على ذلك الجواب، فكتب إلى الحاجب السلطاني أحمد بن موسى بتاريخ 7 جمدى الأولى رسالة هذا نصها بعد الديباجة العادية:

"وبعد فليكن في كريم علمك أنه ورد للبشدور جواب الكتاب الذي عرفناك به أنه كتبه للوزير فأجابه: وصلنا كتابك وعلمنا ما ذكره بريشة في اسم المخزن متاعه في شأن السنط كروز بكنية، وصرنا منه ببال، غير أننا نحب تذكر له وأن دولة إصبانيا لا زالت على المحبة كما كانت الدولة الماضية مع سلطان الغرب في سعي المهادنة والسكينة بين الدولتين، ولا يخفاك أن هذا الأمر الذي طلبه هو من أعظم المهمات لأنه لا يقدر يكون من غير مشاورة الكرطيل والرعية. وعرفتنا بأن بريشة المذكور باشر ذلك مع الكبرنو الأول هذه مدة من ثلاث سنين، فقد طالعنا ذلك ووجدنا ما ذكره لك حقا وأنهم لم ينعموا له ببيع ذلك لأجل أنهم لم يجدوا مساعدة لذلك، ونحن كذلك لكن اذكر له وأننا أعرف الناس بصعوبة الوقت وما جاز على إيالة سلطان الغرب في السنين الماضية، وهذا هو السبب في عدم الطلب والصبر عليه إلى الآن. وإنما نوسع عليه حتى يرد الله سبحانه الكسرة بالخير على الرعية. والمأمول عندنا يقع ذلك عند الإمكان ويسرع في دفعه لنا مراعاة لصبرنا ولدلائل المحبة الصادرة منا إليه.

وأيضا عرفه وأننا هذه إحدى وعشرين سنة ونحن ساكتين عليهم في طلبه، وذلك كله مراعاة للمحبة والصحبة والمهادنة، ولا زلنا نجدد ذلك ونسعى في تضعيفه إن شاء الله.

فجازيناه بخير في اسم سيدنا نصره الله على تلفظه بهذا الجواب، وكذلك للدولة، ولما تم الكلام معه أخبرته أني متوجه لتطوان، فأجاب ربما في وقت قريب تكون ملاقاة أخرى، فأجبته إن كان في هذا الأمر فإني قريب بيني وبينك يوم واحد.

وكما نطلب من سيادتكم تطالع العلم الشريف به وتجلب لنا رضاه وصالح أدعيته، ودمتم في حفظ الله ورسوله. قيد في 7 جمدى الأولى 1298".

وبذلك انتهت المخابرات في هذا التاريخ، وبعد يوم واحد من التاريخ المذكور عاد بريشة إلى بلده تطوان.

وقد أجاب الحاجب المذكور عن رسالة بريشة هذه برسالة مؤرخة بـ 21 من الشهر المذكور، وبعد أن لخص الرسالة المذكورة قال في آخرها ما نصه:

"... وأشرت بمطالعة علم مولانا أعزه الله بذلك، فأطلعنا سيادته أدام الله علاه على كتابك، واستوعب نصره الله جميع ما تضمنه وصار منه على بال، واستفهم أيده الله عن قولهم يسرع في دفعه لنا هل المال أو المحل، والذي يفهم من سياق كلامهم أن المراد هو المحل فإنك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأن يجعل بعد العسر يسراء، وعلى المحبة والسلام. في 21 جمدى الأولى عام 1298. أحمد بن موسى لطف الله به".

إماء السلطان يتعلمن الطبخ في تطوان عام 1298:

وأثناء إقامة بريشة بتطوان في هذه المدة (أوائل سنة 1298)، أرسل الحاجب أحمد بن موسى إلى تطوان عدة إماء ليتعلمن الطبخ التطواني في دور أعيان هذه المدينة، وكتب إلى بريشة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأرضى الأمين الأعز الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فإن جودة الطبخ التطواني بالدار العالية بالله كادت أن تفقد، وتعدد أنواعه إن لم تتدارك بتجدد تعلمها ربما لا توجد، منذ فقد الإماء اللاتي كن تعلمن على يد أشعاش حياة جد سيدنا المنصور بالله سيدي مولاي عبد الرحمن قدسه الله. وحيث كانت العادة أن تتوجه إماء من الجانب العالي بالله لتطوان بقصد تعلمه ومعرفته فلا ترجع إلا وقد أحاطت بكليته، ودوركم معدة لذلك من قديم لأن كلا منكم خديم وابن خديم، اقتضى نظر سيدنا العالي بالله أن يوجه اثنتي عشرة أمة صحبة خديمه الأرضى أخيكم الأمين السيد الحاج العربي بريشة بقصد ذلك، وتعليمهن ما أشرنا له هناك اقتفاء بآخر أسلافه الكرام قدس الله أرواحهم في دار السلام، وقد كلفه سيدنا أيده الله بجميعهن وفوض له في أمر تعلمهن، فاختار أن يكون كل ثلاثة منهن بدار من دوركم، قاصدا سرعة تعلمهن لذلك وعدم طول مكثهن هنالك، ورجوعهن في أقرب مدة، وقد أحطن بمعرفة ذلك، فيتعين الاعتناء بأمرهن والاهتمام بشأنهن، مع حسن التاديب لهن والنظافة والتخلق بالأخلاق الحسنة واللطافة، ومن خالفت منهن ما وجهت لأجله وتخلقت بأخلاق سيئة، فتربى وتزجر ولا يهمل أمرها ولا يؤخر، فحز منهن ثلاث إماء، وبالغ في أدبهن وتعليمهن، ولا تقصر في جانبهن عن أمر مولانا أعزه الله، وعلى المحبة والسلام. في 24 جمدى الأولى عام 1298. أحمد بن موسى لطف الله به".

وقد أجاب بريشة عن الرسالة السابقة بجواب هذا نصه:

"أخانا في الله ومحبنا من أجله الحاجب الأرشد الفقيه الأسعد سيدي أحمد نجل المرحوم سيدي موسى بن أحمد، وسلام على سيادتكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام سعادته وعلاه، وقد وافانا كتابك الأعز صحبة أخينا ج

وقراناه، وكل ما شرحته فيه استوعبناه وفهمناه، وعرفتنا أن حضرة سيدنا أيده الله وجه لنا ثلاثة إماء من داره السعيدة بقصد تعلم أنواع الطبخ قاصدا سرعة تعلمهن وعدم طول مكثهن هنا ورجوعهن في أقرب مدة وقد أحطن بمعرفة ذلك، فيتعين الاعتناء بأمرهن والاهتمام بشأنهن مع حسن التأديب لهن والنظافة والتخلق بالأخلاق الحسنة واللطافة، ومن خالفت إلى آخره عن أمر مولانا المنصور بالله، فالسمع والطاعة لله ولسيدنا أمير المؤمنين، فقد امتثلنا ما أمر به سيدنا أيده الله ساعة وصولهم كلفنا بهم أولادنا بعد تقبيلهم الثرى بين يدي مولانا دامت سعادته، ونحن وأولادنا عبيد لعبيد مولانا أيده الله، ولا علينا إلا فضل الله وفضل مولانا المنصور. وقد زادنا بذلك أيده الله شرفا على شرف نطلب من الحق سبحانه وبركة شيخنا عند الله أن يبلغ مقصود مولانا ويجيبنا في الصواب بجاه بركة أسلافه عند الله، والمطلوب من سيادتك أخي أن تجلب لنا خاطر مولانا نصره الله ودعاءه الصالح، لأن دعوة الأمير ليس بينها وبين الله حجاب، بعد أداء ما يجب لسيادته من التشريف والتعظيم، ربنا سبحانه يجعل البركة في عمره ويمتع المسلمين بحياته، ونحن على ما تعهده من المحبة والأخوة والخدمة إلى يوم لقائه، ودمتم بخير. قيد في 8 جمدى 2 – 1298".

ثم كتب الحاجب المذكور إلى بريشة في نفس الموضوع رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا وأمين سيدنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد وصلنا كتابك جوابا عن وصول الإماء الموجهات من الدار السعيدة صحبة أخيك الأمين الأبر الحاج العربي بقصد ما وجهن إليه من تعلم الطبخ وأنواعه لديكم، وذكرت أنكم تلقيتم الأمر الشريف في شأنهن بالسمع والطاعة والامتثال، وبينت أسامي من حزت منهن، وقد أطلعنا بذلك علم مولانا وصار أيده الله منه على بال، وعلى المحبة والسلام. في 18 جمدى 2 عام 1298. أحمد بن موسى لطف الله به".

وتتميما للموضوع، نذكر هنا أن الإماء المذكورات لبثن في تطوان يتعلمن طبخها وصنع حلوياتها ويستفدن من حضارتها العريقة وأنظمتها البيتية الأندلسية الراقية إلى سنة 1301، وفي أواخر هذه السنة أمر الحاجب المذكور برجوع أربع من تلك الإماء، وكتب في شأن ذلك إلى بريشة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى خديم سيدنا الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد أمر مولانا أيده الله

بالتوجيه على الإماء الأربع المسمات طرته اللواتي كن بصدد تعلم الطبخ هناك بتطوان عند دور المذكورين بالطرة، واصلات لحضرته العالية صحبة حامله المعين للإتيان بهن، فوجههن صحبته ولا بد. وقد كتب لأمناء تطوان بتزويدهن والقيام بما يحتجن إليه من جلابيب وسلاهيم، وعلى المحبة والسلام. في 21 حجة الحرام عام 1301. أحمد بن موسى لطف الله به.

ط: الأمة نجمة التي عند الحاج العربي 1
الأمة مسعودة عند اللبادي 1
الأمة خويرة عند الحاج محمد بريشة 1
الأمة فاطمة عند الحاج عبد الكريم بريشة 1

4".

وبعد وصول الإماء المذكورات إلى حضرة السلطان، كتب حاجبه إلى بريشة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فقد وصل جوابك وصحبته الإماء الأربع المكتوب لك بتوجيههن للحضرة الشريفة اللاتي كن يتعلمن الطبخ هنالك، وعلمنا ما ذكرت من أن التي كانت عندك أملت عليك ما تعلمته كما بالتقييد الذي وجهت وصدقها أهل داركم في ذلك، كما وجهت تقييد ما تعلمته الثلاثة، وأنهينا ذلك لمولانا أعزه الله كتابا وتقييدا، وحللن محلهن، فدعا لك أعزه الله بخير، وعلى المحبة والسلام. في 16 محرم الحرام عام 1302. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

<u>قضية سانطا كروز مرة أخرى عام 1299:</u>

قال بريشة في مذكراته ما نصه: "في 21 ربيع ني عام 1299 استلمت كتابا شريفا يستدعيني فيه مولانا نصره الله للمثول بين يديه بمراكش الحمراء، فامتثلت أمره في نفس اليوم، ودخلت مراكش يوم 4 جمدى الأولى، وأقمت بها معه أربعة وخمسين يوما، وخرجت منها يوم الأربعاء 28 جمدى نية، ودخلت تطوان يوم الثلاثاء خامس رجب عام 1299"

والكتاب الذي ذكر أن السلطان استدعاه به هو كتاب وزيري هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى الأمين الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فقد أمر سيدنا أيده الله بقدومك لحضرته الشريفة، فأقدم على بركة الله، وهذا الكتاب الشريف توجه للعامل

بتوجيهك وللأمناء بتزويدك وتنفيذ الظهير لك على العادة، وعلى المحبة والسلام. في 5 ربيع الثاني عام 1299. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

ثم قال المترجم في مذكراته ما نصه: "وأقمت بتطوان ثلاثة عشر يوما فقط، ثم استلمت ظهير مولانا نصره الله يأمرني بالسفر إلى مدريد للمفاوضة في قضية السنت كروز، فخرجت من تطوان في 18 رجب 1299 على طريق سبتة، فوصلتها بعد خمس ساعات، ومنها أبحرت إلى قادس، فقضيت في البحر تسع ساعات، وأقمت بها يومين، ثم رحلت إلى إشبيلية، فقضيت في الطريق إليها أربع ساعات ونصف، وأقمت بها يوما واحدا، ثم جددت السفر ودخلت مدريد يوم السبت 23 رجب، وأقمت خمسة عشر يوما كلها في المفاوضة مع وزراء إسبانيا".

ودونك رسالة كتبها إليه النائب السلطاني السيد مَحمد بركاش من طنجة بتاريخ 30 جمدى الأولى 1299، وهي متعلقة بسفره المذكور، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى وخديم سيدنا الأبر المرتضى سيدي الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره، بعد فقد وصلنا كتابك معلما أنك حللت بحضرة سيدنا الشريفة بخير، وتلاقيت مع مولانا المؤيد بالله في شأن قضية السنطا كروز، واقتضى نظره الشريف الكتابة إلينا لننظر سببا للتوجه لمدريد ليسمع أنك توجهت لأجله، والمقصود هو السنطا كروز، لأن سيدنا أيده الله عزم على انفصال مادتها، وإن كان تقدم منا كلام مع الباشدور في شأنها فنخبر به ونعلم الباشدور بأن مولانا نصره الله كتب عليك بقصد التوجه لمدريد ليعرف دولته قبل خروجه من طنجة. كما طلبت منا الإشارة بما يقتضيه النظر في ذلك، فأما الباشدور فلم يتقدم بيني وبينه كلام في ذلك، إلا أنه لما قدم من مدريد أمس أمس تاريخه، وتلاقى معنا، صرت نحاول سببا لتوجهك لمدريد لمباشرة هذا التعكيس الواقع في الوفق المجعول هناك، فأشار لي بأن ذلك لا يصلح الآن من أجل الفرنصيص، حتى تصفى الأمور التي عندنا معه في شأن الحدادة، ثم صرت ندور معه في الكلام إلى أن سألته هل عندهم بمدريد هذا الخبر الموجود في شأن فتح مرسى بسوس؟ فأجابني بأنه يظهر له أنها مستحسنة، وهو زاد في الكلام أن ما كنت تكلمت به معه قبل، دولته لم تقدر على ذلك، وهي الآن لم ترد أن تحرك ساكنا من أجل الرعية. هذا ملخص ما جاز في أمر السبب الذي أشرت بجعله فلم نجد له وقتا، وها هو متوجه لحضرة سيدنا العالية بالله، وهناك يقع التفاهم معه. والترجمان الزلاندي ليس متوجها معه لكونه مريضا،

والمتوجه معه الذي يتكلم بالعربي هو واحد من الفريلية، وعلى المحبة والسلام. في 30 جمدى الأولى عام 1299. محمد بارقش لطف الله به".

وهذه رسالة من السفارة الإسبانية بطنجة، معلمة لبريشة بتخصيص باخرة رسمية لحمله إلى إسبانيا، وهي بتاريخ 15 رجب 1299 (2 يونيه 1882)، وقد كتبت في ورقة طبع في زاويتها العليا لجهة اليسار:

Legación de España en Marruecos

ونصها:

"الحمد لله وحده

محبنا الأود السيد عبد الكريم بن محمد بريشة، لا زال السؤال عنكم نطلب لله تكون دائما بخير وعافية، وبعد الباشدور كتب لنا من مدريد وأمرنا بالإعلام لكم بأن يوم الثلاثة الآتية الواقعة في 19 رجب سنة التاريخ يرد لسبتة مركب قرصان الحامل لكم إلى قالص، وبقالص يجتمع معكم الراهب لرتشوندي كي يذهب معكم لمدريد، وكما أكد علينا الباشدور المذكور بأن عند وصولكم إلى قالص تبعثوا له تلكراف إلى إشبيلية، وفيه تخبره بيوم خروجكم من قالص إلى مدريد، وعلى المحبة التامة والسلام. في 2 ينيه سنة 1882 الموافق إلى 15 رجب عام 1299.

محبكم مخلص أنبل رنلدي Aníbal Renaldy"

وسافر بريشة إلى إسبانيا، ووصل إلى مدريد، واتصل فيها برجال الحكومة الإسبانية كما رأيت في مذكراته، ومن مدريد كتب إلى الوزير محمد بن العربي بن المختار رسالة تكلم فيها عن سفره واحتفاء الإسبانيين به، وحكى له ما دار بيه وبينهم من مفاوضة في قضية سانطا كروز، وهي بتاريخ فاتح شعبان عام 1299، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أسعد الله أيام سيدنا الفقيه الأبر الوزير سيدي محمد بن العربي بن المختار، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأدام سعادته وعلاه، وموجبه السؤال عنكم جعلكم الله بخير وعلى خير، واعلم حفظك الله وأننا لما حللنا ثغر طنجة بتنا هناك ليلة واحدة وتوجهنا لتطوان، وقمنا بها أيام 12. وقدم علينا رقاص خاص بكتاب نائب البشدور بطنجة ومعه كتب سيدي محمد بركاش يأمرنا بالتوجه لسبتة لأن ببور قرصان وجهه مخزن أصبانيا ليحملنا لقالص، فخرجت من تطوان يوم الاثنين ووصلت لسبتة في نصف النهار، فوجدت الببور وصل وتلاقونا حاكم البلاد وكبير العسكر بالمسيقة والعسكر على عادتهم، وبتنا هناك، وفي الساعة السابعة من الصباح خرجوا معنا العسكر وأعيان البلاد، وركبنا على العادة وخرجوا المدافع برا وبحرا، ووصلنا لقالص في الساعة 4 متع العشية، وعند دخولنا المرسى المذكور، طلع

البور السنجاق، يعني البنديرة متع المسلمين، وخرج عليها المدافع، وأجابته البلاد، وعند نزولنا للبور الصغير، خرجوا أيضا المدافع، وعند وصولنا للبر مثلهم، ووجدنا حكام البلاد وكبير الإيالة مع كبير العسكر وأعيان البلاد واقفين بالمرسى، ومعهم الأكداش المعتبرة والعسكر والمسيقة، وركبوا معنا، وتوجهنا لدار النزول، ومن قالص توجهنا إلى إشبيلية، ومنها لمدريد، وفي كل محل التقونا على العادة، وكذلك بمدريد. والتقينا وزير الأمور البرانية، وتذاكرنا معه في أمر الدعوة المذكورة، فقال ما صحبت معك في شأنها؟ فقلت له وما مطلوبكم فيها؟ فقال تبديل الأرض بالأرض ما فيها ضرر، قلت له وفي أي محل تريدون الأرض؟ فقال يريد الكابو متع أكوى، وهو عجرود، فأجبته بأن سيدنا أيده الله عزم على ذلك المحل يفتح فيه المرسى بعد رجوعه من الحركة إن شاء الله، فقال لا بد منه ولا يكون غيره، وسيدنا السلطان ذكر للبشدور متاعنا أنك تصحب معك اثنان وجهت ننظر فيهم ما هو أليق للجانبين، فقلت له سيدنا أيده الله ذكر للبشدور حيث طلب بدل الأرض إن كان محل لم يقع فيه ضرر فلا بأس به، وهذا المحل فيه ضرر للغرب كثير وعامر بأربابه وهم من أصعب المخلوقين، وذلك بمحضر البشدور متع طنجة ولم يقصر في الثناء على سيدنا أيده الله، وأجابه بأن سيدنا قال له إن لم يكن في تبديل الأرض ضرر ولا مانع، فغضب الوزير وأجاب البشدور بجواب لا يليق، فأجبته في الحين وقلت له نحن عند خروجنا من مراكشة التقيت بسيدنا أيده الله وأمرني بالتوجه لحضرتكم على اثنان مسائل تختارون فيهما ما يليق لكم بدولتكم وهما الأولى السنط كروز متاعكم موجودة تحوزونها الآن وإلا كان أعطاكم منيولين قبل اليوم، والآن فها سيادته أيده الله يعطيكم ثلاثة منايل لجبر الخواطر مع قلة مدخول الغرب في هذا الوقت آثركم على نفسه لوجه الصحبة والهدنة وجبر الخواطر، فأجاب أما الدراهم فهذا أمر لم يمكن ولا يقدر يذكر في القمرة متاعهم ولا يكون إلا المحل الذي طلبوا وذلك عن أنف ... فخرجنا من عنده ولا يعلم ما بحالنا إلا الله سبحانه نحن والبشدور المذكور. وبقينا ثمانية أيام لأن زوجته كانت عيانة، والتقينا بالسلطان وفرح بنا غاية الفرح وما قصر في الثناء الجميل على سيدنا أيده الله مما حكاه له البشدور ومما حكيناه له حتى قال لي، فها نحن ندبر أمر يكون فيه الخير والصلاح للجانبين ولا تتوجه إلا على خاطرك، فقلت له هذا هو مظنوني فيك تدبر عليّ هذا الأمر حتى تخرجه على وجه جميل لوجه سيدنا السلطان أيده الله، لأنه ثبتت صحبته وقبل اليوم كنت نحكي لك صحبته واليوم فها البشدور قد أخبرك، فقال جميع ما ذكرته لنا سابقا كله صادق فيه ولك المزية في ذلك، وفي هذا اليوم التقي وزير الأمور البرانية، وتذاكروا في شأن هذه الدعوة، وغدا إن شاء الله في الساعة الواحدة بعد الزوال أقدم لعندي

وَيظهر ما يكون. فخرجت من عنده والتقيت الوزير الكبير واسمه سكَسْطة، وتذاكرنا أيضا، فعرفته بما أجاب به الوزير متع الأمور البرانية وبما أمرني به سيدنا نصره الله، وبما تذاكرنا به مع سلطانهم، فسكت قليلا وقال لي هو يعمل جهده في شأن هذا الأمر حتى نتوجه بخير، فجازيته خيرا. وهذا الواقع الذي جرى بيني وبينهم، المطلوب من سيادتكم تطالع العلم الشريف على هذا، وتجلب لنا خاطره ودعاءه لنا بالإعانة والتوفيق لما فيه صلاح المسلمين، لأن دعوة الأمير مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب، لعل الله يسعدنا بسعادته بجاه جده صلى الله عليه وسلم، ودمتم في حفظ الله ورسوله.

قيد في فاتح شعبان الأبرك 1299.

ط: وها نحن ندبر ونفتش على باب الدخول، وكيف يكون مع الوزراء إن شاء الله بحول الله مع قوته".

وهذه رسالة من بريشة إلى النائب السلطاني السيد مَحمد بركاش بتاريخ خامس شعبان عام 1299، وفيها بيان الصعوبات التي عرضت له في سبيل القضية، مع تعصب وزير خارجية إسبانيا في ذلك العهد (وهو قفل لم يفتحه مفتاح البلاطين) كما قال بريشة في هذه الرسالة، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"حبنا في الله الأبر الأرضى المكرم المرتضى سيدي مَحمد بارقاش، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله ولا زائد على ما قدمناه لسيادتكم، وفيه عرفناكم بما صدر في الملاقاة الأولى، وزدناكم هذا الإعلام بما صدر في الملاقاة الثانية تاريخ 4 منه تلاقينا بالسلطان وبقينا معه ساعتين إلا ربع، واتفق الرأي على الثمن، ومن هنا إلى أن يشرعوا في قبض الثلاثة يقبضون لنطرس متع الثلاثة، وإن لم يرد سيدنا ذلك، يدفع الراس متع كبدانة في مقابلة السنط كروز، فقلنا له نحن لا نقدر نبرم أمرا إلا بمشاورة سيدنا نصره الله، فقال وهو كذلك، لا بد لك تتلاقى بوزير الأمور البرانية، فتلاقينا معه، وحكينا له ما تذاكرنا به مع السلطان، فلم يساعد لما ذكرناه وما تكلم به الري متاعهم، وغضب والعياذ بالله، وقال لي قلت لك لم بقي تذكر أمر الدراهم قط، قلت له هذا الوردن الذي عندي، فقال يحوز الصنط كروز الآن، فلاطفناه وقلنا له هي الآن موجودة لكن في علمك إن حزتها الآن ما يحدث من أمرها بعد الحيازة.

الحاصل نحو ساعتين وربع ونحن نلاطفه، وفي الأخر قدم الضيوص دضو وجاء من جهته وساعده في كلامه، وبعده تلطف وألين كلامه وقال لم هو موجود الوزير الذي يقدر يمشي هذا الأمر في القمرة لا قبله ولا بعده، والذي يظهر له هو أنه يذكر في القمرة أن بريشة قدم من عند سلطان المغرب وقال إنه يعطي في الصنط كروز كذا، وإلا ها الصنط كروز متاعكم. فأجبته تأخذ بدلها

فقلت له لنا عليكم حق الصنط الكابو دي أكوا فقال سلطانهم لا يقدر يدفعه، فقلت له لنا عليكم حق الصنط كروز أعطونا في حقها الكابو دي أكوا، وإن لم يتيسر دفعه أعطونا لنطرس في القدر حتى يتيسر لكم دفع الكابو، وأيضا إذا لم يتيسر وطلبه جنس آخر تذكروا له ذلك المحل لدولة إصبانيا، وأيضا تحصروا الأجل على أي تاريخ تقدروا تدفعوا هذا المحل. وها أنا وسعت عليك تجاوب غدا، قلت له فليس عندي جواب لا غدا ولا بعده وإنما الذي عندي من العمل عرفتك به سابقا ولا نقدر نبرم أمرا إلا بمشاورة سيدنا نصره الله، وهذه الأمور التي قيدتها فلا أظن سيدنا أيده الله يساعد لواحدة منها، وليس لكم علينا حق ولا واجب الدراهم حتى تحسبوا اللنطرس متاعهم خمسة في المائة، مائة وخمسون ألف ريال في السنة، وإن سمع سيدنا ذلك من ساعته يأذن لكم بحيازة الصنط كروز ويسقط جميع ما جاز بيننا من الإحسان، ولا يفعل ربنا إلا خيرا، وخرجت من عنده. وقد كان ذكر لنا أنه يومه يجتمع مع الوزراء، وبعده إن ظهر لهم يدخل بذلك للكرطيل يحصرنا في الجواب.

واعلم حفظك الله إن حصرني في الجواب نطلب بابور نتوجه به لأكنير لنبلغ ذلك للعلم الشريف، وهو نصره الله عقله ورأيه أسد ويكون الأمر لمره والحكم حكمه، اللهم انصره وخذ بيده.

وسلم لنا على سيدي عبد السلام أحرضان، وربنا سبحانه يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه وصلاح المسلمين. وحرر بمدريد يوم الخميس خامس شعبان الأبرك عام 1299. وذلك القفل لم يفتحه مفتاح البلاطين، وأشر علينا بما اقتضاه نظرك السديد هـ".

ويظهر أنه وقع ما انتظره بريشة في رسالته السابقة من اضطراره للسفر إلى المغرب عاجلا لعرض المشكلة على السلطان وتلقي التعليمات اللازمة منه الخ. وعن هذا الموضوع قال بريشة في مذكراته ما نصه:

"وفي يوم 7 شعبان توجهت إلى قادس وأقمت ثلاثة أيام، ثم ركبت مدرعة حربية (فركاطة) ونقلتني إلى أكادير، حيث التقيت مع سيدنا نصره الله يوم الأربعاء 11 شعبان بماسة بالسوس الأقصى، وأبلغته نتائج سفارتي، واستلمت منه أوامره فيما يجب أن أعمل، وقضيت معه يومين كاملين، ثم رجعت إلى الفركاطة، وسافرنا في بحر هائج اضطررنا معه للدخول إلى مرسى الجديدة، ثم سافرنا إلى مرسى الدار البيضاء، لأجل أن تأخذ الباخرة قنصل إسبانيا معها، فوجدناه سافر إلى إسبانيا، فأقلعنا منها إلى قادس، فقضينا ثلاثين ساعة ودخلناها يوم 20 شعبان، واسترحنا يوما واحدا ثم قصدنا مدريد"

وهذه رسالة كتبها الوزير محمد بن العربي إلى بريشة عندما وصل إلى الشاطئ المغربي قادما من إسبانيا على مدرعة حربية إسبانية. ويظهر أنه كتب إلى الوزير المذكور وهو ما يزال على ظهرها، ونصها:

"الحمد لله وحده

محبنا الأرضى الأمين الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وصلت بطاقتك مخبرا بقدومك من مدريد بالسلامة في فركطة الصبنيول لتشافه بما أجبت به ووجدت بابور الوسق بالمرسى ولم يجد مع من يتكلم ودخل بابور ومعه مركب للإنجليز فيهما القوت، وأطلعت العلم الشريف على ذلك، وقد عينا المحل لنزول وسق البابور، وإذا نزلت صبيحة غد تجد مقدما وعشرة من المخازنية يصحبونك لحضرة سيدنا وبهيمة ركوبك، وعلى المحبة والسلام. في 17 شعبان الأبرك عام 1299. محمد بن العربي خار الله له".

وعندما أنهى بريشة مهمته وعزم على العودة إلى المدرعة لتحمله إلى إسبانيا مرة أخرى، كتب الوزير الصدر إلى وزير خارجية إسبانيا (القفل) رسالة ملأها تلطفا وثناء، لعل هذا المفتاح يؤثر في ذلك القفل، وتلك وسيلة من وسائل التأثير لدى من فيه استعداد للتأثر من رجال السياسة، ونص تلك الرسالة:

"الحمد لله وحده

المحب الزكي الألمعي النبيه الكبلير المركس دلـــبيكه دِإرْمَخُو وزير الأمور الخارجية بالدولة الصبنيولية الفخيمة، بعد مزيد السؤال ومحبة أن تكونوا بخير في جميع الأحوال، فقد ورد على حضرة سيدنا العالية بالله خديم سيدنا الأرضى الأنجد السيد الحاج عبد الكريم بريشة وأنهى للجانب الشريف ما قابله به الحبيب الأفخم سلطانكم المعظم الفخيم من الاعتناء والبرور في الورود والصدور، ومقابلتك له أنت بمثل ذلك ووقوفك معه وقوف الأحباء النصحاء الأصدقاء، وبالغ في الثناء عليك بالجميل، وقد سرت الحضرة الشريفة بذلك واستدلت به على محبتكم للدولة الشريفة وسعيكم في الخير لها ووقوفكم في أغراضها المولوية، وأثنى عليك مولانا نصره الله بالجميل وبالغ في مجازاتك بالخير، فكان ذلك سببا وداعيا لمراسلتك، ثم كمل الخديم المذكور ما يشافهك به، وها هو يرد عليك بقصد ذلك، وختم في 19 شعبان المبارك عام 1299. محمد بن العربي بن المختار خار الله له"[55].

---

[55] - هذه الرسالة أثبتها ابن زيدان في تاريخ مكناس – ج 2 ص 330، ولكنه لم يثبت إمضاء الوزير المذكور.

وحمل بريشة الرسالة المذكورة مع تعليمات جديدة من السلطان، وعاد إلى إسبانيا كما تقدم في مذكراته التي قال فيها عقب ما سبق عنه ما نصه:

"ثم قصدنا مدريد، فوجدت سلطان الإسبان في بلد تسمى اكرنخا، ومعه وزير الأمور البرانية، فاسترحت يوما ثم توجهت إليهما، وقابلت جلالة الملك ووزيره، وتفاوضت معهما رأسا، واتفق الرأي على أن يرسل سيدنا نصره الله من ينظر المحلين (يعني سانطا كروز ورأس كبدانة) ويحقق موقعهما، وبعد ذلك إذا لم يكن فيه ضرر للجانبين، يمكن عندئذ تعويض رأس كبدانة بالريف بسنت كروز بكنية، وإذا لم يتيسر ذلك فينظر في تاويل آخر. وبعد ذلك سافرت من مدريد في فاتح رمضان المعظم وحللت قادس يوم 3 منه، وفي يوم 4 أبحرنا منها إلى طنجة فوصلنا في يومنا ذاك، وبتنا بها، وفي غد التاريخ سافرت إلى تطوان، فوصلتها يوم 5 رمضان، وأقمت بها أربعة وخمسين يوما".

وبهذا انتهت رحلة بريشة إلى إسبانيا في شأن هذه المهمة، وقد وقفت على بيان المصاريف التي لزمته في هذه الرحلة، وهذا نصه:

"الحمد لله وحده بيان ما صيرناه عند توجهنا لمدريد تريخ 28 جمدى ني 1299.

أوله ربايع عطر الورد 4 (60) مع كوميات فضة 5 (76)
وعود (22) مع زرابي من الدار البيضاء 15 (130)
وحلوة (25) 313
مع هلال يمنض لبنات السلطان (475)
ووعدة لسيدي أبي العباس (100)
ووعدة لسيدي عبد السلام (100) 675
ولرايس الفركاطة من سبتة إلى قالص (200)
ومنها إلى مسة (500) ومن قالص إلى طنجة (200) 900

1888
مع صائر في المدن ولوازم المخزن وغيره على العادة .. 840

يجتمع في الصائر ريال هذا 2728
وما دفع في إصلاح الدولة الشريفة أعزها الله ريال 1600

وجب ضبلون عده ½ 270 بحسب 16 يجب ريال 4328
وبيد سيدي أحمد ضبلون .... ½ 729
الجميع ألف ضبلون 1000

وقد ذكر أنه دفع من الزرابي المذكورة اثنتين للملك واثنتين للوزير الكبير، ولوزير الخارجية اثنتين، وللكوندي اثنتين ولكاتب السر كذلك، ولخليفتي الوزيرين كذلك.

واستقر بريشة ببلده تطوان، ومنها كتب إلى الوزير الصدر بتاريخ ثامن رمضان رسالة حكى له فيها ما جرى بينه وبين وزير أسبانيا وسلطانها من الاتفاق حول القضية وانتهاء الأمر بسلام، ونصها:

"سيدنا الوزير الأبر سيدي محمد بن العربي بن المختار السلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وموجبه الإعلام لسيادتكم أننا لما توجهنا من حضرتكم من ماسة، وصلنا إلى مدريد، فلم نجد السلطان بها، وتوجهنا لعنده لبلد في الجبل يقال لها اكرنخا، وقابلونا على العادة في كل محل، والتقينا الوزير متع الأمور البرانية، وحكينا له الثلاثة فصول الذي طلبتهم دولتكم وما أجابنا به سيدنا أيده الله لما قابلناه بمسا حتى قال أيده الله وإن سيادته هو الذي طلب قطع مادة انفصال السنط كروز بكنية بالدراهم على الديوانات ووجهنا سفيرا لحضرتكم في شأن ذلك، وسبب هذه الحركة السعيدة المقصود فيها هو الوقوف على عين حقيقة محل السنط كروز بكنية لأنها مجهولة على الجميع، ومحلها لم يعرفه أحد، وعند وقوف سيادته عليه بها معه أرباب المعرفة مثل المهندسين وأعيان القبيلة يبحثون على محلها، وعند وقوفهم عليها يعبرونها طولا وعرضا ويرسمونها بورقة وعند رجوع سيادته لمراكشة بالسلامة، يوجه المهندسين لرأس كبداتة ينظرون المحل الذي طلبتم ويعرفونه في أي قبيلة ولمن هو ذلك المحل وهل ينشأ في دفعه ضرر أم لا. فإن لم يكن فيه ضرر فسيادته أيده الله أولى بالسعي في ذلك، وإن كان فيه ضرر فلا ينبغي لكم السعي في ضررنا لأننا أحباء وجيران ولا نحب لبعضنا إلا الخير والصلاح لا الفساد، وإن لم يتيسر ذلك المحل، فنجتمع مرة أخرى وننظر تاويلا آخر لا يحصل فيه ضرر للجانبين، فسكت قليلا وقال، ماذا تكون مدة هذا الإمكان وماذا نجاوب به إذا فتحت القمرة وسالوني النواب عن ورود بشدور مراكشة وما هي القضية التي ترد عليها ما نجيبهم به. قلت له أظنه تكون مدة طويلة نحو ستة شهور فاقل، فقال سيذكر ذلك لسلطانهم فإن وافق على ذلك فيه خير لكن بعدما يجتمع الراي على دفع رأس كبداتة لا نمضي الأمر فيه حتى يجوز بالقمرة ويساعدون عليه، وإن لم يمكن دفع هذا المحل واتفقنا على غيره فالأمر كذلك أيضا لأني لا أقدر نمضي أمرا بل حتى سلطاننا لا يقدر يمضيه إلا بعد مشاورة القمرة ... وبعده التقى السلطان والوزير وساعدوا على ما أجابنا به سيدنا أيده الله، والتقيتهم أنا عند الله وقالوا أنت على خاطرك قلت لهم هكذا ينبغي تكون المحبة الصادقة نطلب الله يكمل بخير ويجعل العاقبة خيرا، وما حصلنا على ما ذكرناه لكم حتى

جاز ما جاز، لكن بفضل الله وسعادة مولانا المؤيد بالله وبركة سيدي عبد السلام بن ريسون وسيدي أبي العباس ما طلبه سيدنا وما أجاب به ساعدوا عليه المطلوب من سيادتكم تطالع العلم الشريف على هذا وعند حلولكم مراكشة يوجه من ينظر ذلك المحل وأظن القمرة متاعهم لم يرضون ذلك ... الحاصل نحن نشرع في العمل الذي عملنا معهم بحيث لا تكون علينا حجة من جهتهم وربنا سبحانه يشرح صدر مولانا المؤيد بالله لما فيه صلاح المسلمين آمين، وما نلنا هذا إلا ببركة دعائه لنا ربنا سبحانه يعطينا خاطره.

وكما يصلك طيه جواب كتابك من وزير الأمور البرانية، كما يصلك نسخته بالعربي. وقد كنا طلبنا من سيادتكم كتابا شريفا نتمسك به عند ركوبنا من المراسي بتسريح الوصيفين الذين يسافرون معي لأني لا أقدر أسافر إلا بهما، وساعدتني لذلك، ولم يتأت ذلك في ذلك الوقت لضيقه.

وهذا الفصال لم يحضر عليه البشدور الضيص ددو لأنه بافرنسة، وتراني اليوم بتطوان ننتظر قدومه، ومهما يقدم لا بد لنا من الرجوع لطنجة ونزيد نكمل معه هذا الأمر وننظر وجه المدخل والمخرج. وقيد في 8 رمضان المعظم عام 1299".

وقد أجاب الوزير المذكور عن تلك الرسالة بكتاب مؤرخ بخامس شوال هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأود الأرضى الأمين الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وأرشدك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك معلما بما أنتجه توجهك من الحضرة الشريفة لمدريد من كونك لم تجد السلطان والوزراء بها وتوجهت لعنده لبلد في الجبل وقابلك أهل كل محل على العادة ولقيك لوزير الأمور البرانية وأنهيت له ما أجابك به سيدنا أيده الله على الفصول الثلاثة من كونه أيده الله يطلب قطع مادة الفصال في سنطكروز بكنية بالدراهم على الديوانات، وكون المقصود بهذه الحركة السعيدة هو الوقوف على عين حقيقة السنطكروز بكنية لكونها مجهولة عند الجميع ولم يعرف محلها أحد، وعند وقوف سيدنا أيده الله على حقيقتها وتقدير المهندسين إياها طولا وعرضا ورقمها في ورقة ورجوعه لمراكش، يوجه المهندسين لحجر كبدانة وينظرون المحل الذي طلبتم ويعرفونه في أي محل هو، ولمن هو ذلك المحل، وهل ينشأ عن دفعه ضرر أم لا، إلى آخر ما شرحته وحصلت معه أنه إذا لم يجتمع الرأي على دفع حجر كبدانة واتفقت معهم على غيره، فالأمر كذلك بعد مشاورة الكرطيل. وأعلمت بأن السلطان والوزراء التقوا بعد ذلك وساعدوا على ما أجاب به سيدنا أيده الله والتقيتهم أنت كذلك قائلين كن على خاطرك، وطلبت

بطلاع العلم الشريف بذلك وتوجيه من ينظر المحل الذي بحجر كبدانة، وظننت أن كرطيلهم لم يساعد على البدل أخذا من الجوازيط وأن الباشدور لم يحضر لهذا وأنت تنتظر قدومه لتتفاوض معه، وطلبت تسريح ركوب وصيفين لك بإخذان بيدك، وصرنا من ذلك على بال وأطلعنا به علم مولانا الشريف، فقال نصره الله أما المحال التي يذكر فيها سنطكروز بكنية فقد رجع منها المهندس وفي الإثر يصل لخديم سيدنا السعيد مَحمد بركاش وبيده صور الأماكن التي فيها البناء أو ما أشبهه من ماسّة إلى أصَكَى محققا ذلك بكيفيته بعد بذل المجهود في التقصي في ذلك والبحث عنه بما لا مزيد عليه، وحينئذ يظهر ما يكون في ذلك وغيره. وأما التوجه لحجر كبدانة فيكون بعد هذا. وأما الوصفان فقد ساعد سيدنا أيده الله على تسريحهما، والظهير الشريف بذلك يصلك، والسلام. في 5 شوال الأبرك عام 1299. محمد بن العربي بن المختار خار الله له".

وفي 24 شوال المذكور كتب السفير الإسباني بطنجة إلى بريشة رسالة يطلب منه فيها الجواب الذي وعد به من قبل عن هذه القضية، ونصها:

"الحمد لله وحده

محبنا الأعز الأود المعتبر السيد عبد الكريم بن محمد بريشة الأجل المحترم، نطلب الله تكون دائما بخير وعافية وبعد لما كنت بمجريد قلتَ إن حضرة السلطان عند رجوعها إلى مدينة مراكشة مرادها تقلب قضية الراس المسمى بالصبنيولية كَبُ دِلْ أكْوَه، يعني بالعربية رأس الما. وهو المحل قبالة كبدانة، وبعد ذلك بشهر واحد يكون عندها أعزها الله الجواب. والآن دولتنا يجب عليها تفتح الكرتس وتتكلم في القضية المذكورة، وها هي في انتظار الجواب الذي واعدتَه ومن حيث أنت تكلفت بالكلام في هذا لم نقصد إلى السيد محمد بارقش، وقصدنا إليك لنحصل على الجواب المطلوب بارك الله فيك وأدام وجودك، وعلى المحبة والسلام. في 8 سبتمبر سنة 1882 [56].

الباشدور لحضرة سلطان إسبانيا خُس ديزْدِدُ وكَسْتِلْيُو".

وقد أجابه بريشة برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده

إلى حضرة صاحبنا العاقل الكبلير المحترم بشدور حضرة سلطان إصبانيا الفخيمة سنيور ضون خوس ديزدد وكشطلي. لا زال سؤالنا عنك نحبك دائما تكون بخير وعلى خير، وقد وصلنا كتابك معرفا فيه أننا لما كنا بمدريد قلنا للوزير وأنه عند رجوع سيدنا نصره الله من الحركة لمراكشة يوجه من يقلب الكبو دي أكوا، وبعد ذلك بشهر واحد يكون عنده الجواب.

---

[56] - التاريخ المذكور يوافقه 24 شوال 1299.

اعلم أيها المحب وأن الذي كنا عقدناه مع الوزير هو وأن سيدنا توجه لحضرة سوس بقصد الوقوف على السنط كروز بكنية ومعرفتها لأنها مجهولة على الجميع، وعند معرفتهم إياها يعبرونها طولا وعرضا، وبعد ذلك عند رجوعه أيده الله لمراكشة، يوجه من له المعرفة للكبو دي أكوا المذكور من ينظره في أي قبيلة هو ولمن هو ذلك المحل وهل ينشأ في دفعه ضرر أم لا إلى آخره، وبهذا أخبرت الحضرة الشريفة، وأجابنا سيدنا الوزير أنه أطلع العلم الشريف وقال إنه في الإثر يوجه المهندس لخديم سيدنا سيدي مَحمد بارقاش، ونحن إن شاء الله بعد تاريخه بثمانية أيام نقدم عليكم إن شاء الله ونشافهكم بحول الله بما تقتضيه المصلحة للجميع بارك الله في مالكم وأولادكم وأدام عزكم. وحرر في 26 شوال 1299".

وبعد ذلك سافر بريشة إلى حضرة السلطان بمراكش، وباشر هناك هذه القضية وكتب إلى النائب بركاش بطنجة فأجابه بركاش برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأبر الأود المرتضى سيدي الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وحفظك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره وبعد وصلنا كتابك الأول والثاني وعلمنا منهما أنك بخير وعافية، وأخبرتنا أنك وصلت لحضرة سيدنا بخير وعافية ووجدت المهندس توجه لنواحي كيدانة قبل وصولك بثلاثة أيام، وعند رجوعه يظهر الأمر، فاعلم رعاك الله أن عشية أمس تاريخه تلاقى معنا باشدور الصبنيول، وأطلعنا على كتاب كتبه لك مضمنه أنهم يريدون السنطاكروز بنفسها، وطلب مني الكتابة لحضرة مولانا العالية بالله ونبين لمولانا أعزه الله أنه لم يبق إلا شهر لفتح الكرطيل عندهم، ويريدون أن يصدر سيدنا أيده الله أمره الشريف بأنه أيده الله موجود لوفاء الشرط الثامن ليستظهر به الوزير في الكرطيل حين يقع له السؤال في أمر السنطكروز والأمر الشريف المشار إليه يصدر لك كتابة لتكتب أنت للباشدور بمقتضاه أو يصدر لنا نحن لنكتب له على مقتضى ما فهمت من كتابه الذي كتب لك، وقد ألح عليّ في الكتابة لحضرة سيدنا أعزه الله، فها نحن كتبنا لسيادته أيده الله وبينا له مضمن ذلك، وطلب مني الكتاب ليتوجه صحبة رقاصه، فلم نجد بدا من مساعدته، فها الكتاب يصلك طي هذا ليرد لنا الجواب الشريف صحبة رقاصه، وعلى المحبة والسلام. في 11 حجة الحرام عام 1299. محمد بارقش لطف الله به".

ثم كتب بريشة إلى سفير إسبانيا بطنجة جوابا هذا نصه:

"الحمد لله وحده

إلى حضرة صاحبنا المنشطر المفوض من دولة إسبانيا الفخيمة المحترم الرائس العاقل سنيور خوس اديزداد وكستليو، لا زال سؤالنا عنكم نحبك دائما تكون بخير، وبعد قد وافانا كتابك تريخ 23 أكتوبر وقرأناه، وكل ما شرحته بمضمنه، وعرفتنا أن دولتكم الفخيمة عرفتك وأنها تريد انفصال مادة الفصل الثامن من الشروط على وجه جميل، وأنه باقي شهر واحد لفتح القمرة والوزير يريد الجواب بالإنعام، وأن سيدنا أيده الله موجود لدفع السنط كروز لمار بكنية ليجاوب به الوزير عند افتتاح القمرة. اعلم أيها المحب وأننا قبل تاريخه تذاكرنا مع سيدنا الوزير سيدي محمد بن العربي في شان هذه القضية، فوجدناه مساعدا للخير والصلاح بين الدولتين الفخيمتين، وأنهى كلامنا لعلم سيدنا دامت سعادته حتى قال أيده الله الجار القريب أولى بالمساعدة من غيره، ولنا أن نخيرهم في واحدة من الاثنين إما السنط كروز لمر بكنية وإما الكابو دي أكوى الذي طلبوا منا على يد بريشة، لأنا ما رأينا منهم إلا البرور والإحسان والمساعدة، وهذا جوابه أيده الله قبل ورود كتابك باربعة أيام، ولما ورد كتابك أطلعت علمه الشريف عليه، فأجاب نصره الله، ففي كتاب النائب الطالب محمد بارقش كفاية، وفي إثره يتوجه به اثنان مخزنية له وعليه العمل ومنه تأخذ الجواب لدولتكم المعتبرة. ونحن عجلنا لكم بجواب هذا الرقاص لأجل الاطمئنان، والرقاص قام هنا يومين، ونحن على ما تعهده من الصحبة والمودة والمبرة، وحرر في 26 حجة 1299. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

ويظهر أن قضية العلاقات بين دولتي المغرب وإسبانيا، واستبدال رأس كبدانة في الريف بأرض سانطا كروز كانت محل مداولة بين المغرب وبعض الدول الأجنبية. ودونك رسالة كتبها وزير الخارجية بالمغرب إلى سفير دولة إنجلترا بطنجة، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

المحب العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين المينسطر ويلم كارب اكرين لسلطانة اكريت ابريطن وانبريز الهند الفخيمة بإيالة مراكش، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، فقد وصلنا جوابك عما كتبناه لك عن الأمر الشريف أسماه الله وأعزه في شان إبدال المحل بسوس المسمى بسانط كروز بمحل آخر بكبدانة. بأنك أنهيت ذلك لوزير دولتكم المحترم الكبلير الماركس سليزبري فأجابك بأن دولة النجليز يظهر لها أن لا يوافق الجناب الشريف على هذا المطلب عملا بما أعطى به خط يده باشدور الصبنيول معك ومع باشدور الطليان على عدم النقص والزيادة في أراضي هذه الإيالة وإبقائها على حريتها وأن يدافعهم أيده الله عن هذا المطلب ويستاشر الطليان في ذلك لكونه أعطى معكم خط يده بما ذكر، وأطلعت بكتابك شريف

علم مولانا نصره الله وعلم جميع ما ذكرته فيه، فاعترف دام علاه باعتنائك وأثنى عليك، وها أنا أجازيك على لسانه الشريف عن ذلك بخير، وأمرني نصره الله أن نجيبك عن ذلك بأنه استشار الطليان في ذلك فأجاب بمثل ما أجبت به ونبه على أنه كان أعطى خط يده معك ومع باشدور الصبنيول بما ذكر وبأنه أعزه الله يستعمل ما أمكنه في المدافعة وعدم المساعدة على المطلب المذكور وإن رءا الأمر يفضي مع الطالب لذلك إلى ما لا ينبغي فيرتكب أخف الضررين بمساعدته على ذلك. ودمت بخير. وختم في 25 من جمدى الأولى علم 1307. محمد المفضل بن محمد غريط".

<u>مع سفير تركيا لمصلحة المغرب عام 1299:</u>

واطلع سفير تركيا بمدريد على مساعي تبذلها بعض الدول الأجنبية ضد مصلحة المغرب، فأطلع دولته على ذلك، كما أعلم به أيضا السفير المغربي بدافع التضامن الإسلامي. ودونك ما كتبه السفير بريشة بخطه في بعض مذكراته، ونصه:

"الحمد لله وحده في 24 رجب 1299 تلاقينا أحسن سرمد أفندي بشدور الدولة العثمانية بمدريد، وفرح بملاقاتنا كعادة الإسلام، وأخبرنا أنه بشدور قائما بالبريز سنين 5. فاستنشق بعض الأخبار تروج عند دولة افرانصة في شأن الغرب، فأعطى خمسة آلاف فرنك لمن أوقفه على حقيقة الأمر، يعني رشوة، فتحقق عنده أن الجمع المذكور اتفقوا على دخولهم للمغرب كيف يكون، فرجحوا إحدى طريقتين، الأولى على طريق فكيك إلى الكابو متع أكوا يعمرونه وهو رأس كبدانة. والثانية قاصدين فاس، ولما تحقق عنده ذلك، أخبر دولته، فعينوا بشدورا آخر لمحله وأمروه بالقدوم إلى اصطنبول، فلما وصل حكى لهم الواقع مشافهة، فبحثوا فيمن هو من الأجناس ينصح سيدنا أيده الله، فأظنه أخبرهم بشدور الصبنيول الذي هو هناك وأنه اليوم ما عنده أصدق منهم، فعينوا البشدور المذكور يقدم لمدريد بشدورا ويتكلم مع سلطان إصبانيا في شان هذه الدعوة ويخبره بالواقع، وحتى هو عنده ضرر كبير، ويقوم على ساق الجد في دفع هذا الضرر، ولأجل هذه الدعوة وجهوا البشدور اديوز ضادو للغرب لينبه سيدنا أيده الله. والآن طرق سمعنا أن سيدنا السلطان عين بشدور إلى اسطنبول، فقد سرنا ذلك وفرحنا غاية. الواجب على سيدنا السلطان يقوم على ساق الجد ويبذل جهده في تنظيم العسكر، وها دولتنا موجودة لإعانته فيما يستحقه من الأمور السياسية والمعلمين والسلاح وغيره، وقال أيضا السياسة التي رأوها اليوم موجودة هي جميع الأجناس يتعصبون ببعضهم ويظهرون المحبة، ونحن أولى منهم بذلك، إنما المؤمنون إخوة، وجمعتنا قول لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا قد ثبتت عندهم عداوة افرانصة،

وكذلك عندنا ثابتة من قديم، وكذلك لدولة إصبانيا، فينبغي لهؤلاء الدول أن يستعدوا لهذا العدو، لا سيما نحن جماعة المسلمين المخاطبين، يقول الله تعلى وأعدوا لهم ...، الحاصل، تذاكرنا معه كثيرا المرة بعد المرة، وهو في غاية السرور، حيث أمكنه أن يبلغنا ما اطلع عليه لنطالع به علم سيدنا نصره الله، وعرفنا أنه سيخبر الدولة العثمانية بملاقاتنا ومحاورتنا وأننا نبلغ ذلك لسيدنا نصره الله".

ظهير التوقير والاحترام لبريشة:

وفي آخر هذه السنة (1299) كتب السلطان لبريشة ظهيرا جديدا زاده فيه إكراما وتوقيرا واحتراما، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ثم الطابع الحسني الكبير، ونقش وسطه الحسن بن محمد ابن عبد الرحمن الله وليه 1291. وبدائرته بيتا البردة ومن تكن الخ، من يعتصم الخ.

يعلم من كتابنا هذا شيد الله مناره، وأطلع في سماء الاعتزاز بالله شموسه وأقماره، أننا بمنة الله وفضله، وقوته وحوله، زدنا خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بن الخديم الحاج محمد الحميدي المدعو بريشة التطاوني من التوقير والاحترام ما رقيناه به درج الاعتبار والاعتناء المستدام، وبوأناه بساط الرعاية، وألبسناه حلل العناية، حتى لا ينال جانبه بمكروه، ولا يحام حول ساحته بوجه من الوجوه، وحاشيناه عما يطالب به العوام، وأزلفناه لعلي جنابنا إزلاف مبرة وإكرام، لكونه من خاصة خدامنا النصحاء، ومن نبهاء سفرائنا اللقحاء، وجعلنا ذلك له ولأولاده الموجودين ومن سيوجد له في الحين أو بعد حين، حذوا بحذ وحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه وأن يعمل حده كلما انتضاه. صدر به أمرنا المعتز بالله في 29 حجة الحرام عام 1299".

قضية شريف وزاني:

وهذه رسالة كتبها إليه من طنجة سيدي الحاج عبد السلام الوزاني في شأن قضية أحد الشرفاء الوزانيين، مما يدل على أن بريشة كان من المحبين لآل البيت النبوي، الساعين في خيرهم حتى كان عميد آل وزان يتعلق به لقضاء أغراض الشرفاء، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

من عبد الله تعلى عبد السلام بن العربي بن علي بن أحمد بن محمد الطيب الحسني العلمي، إلى محبنا في الله التاجر الأبر الأمين الخيار المحب السيد الحاج عبد الكريم بن محمد ابريشة التطواني، أعزك الله وأعانك وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره، وبعد تجديد ما تعهده منا من المحبة والدعاء الصالح، أصلح الله الأحوال، وأقامك على أحسن

هذا واعلم رعاك الله وأسبل علينا وعليك الستر الجميل والفضل العميم
حال، هذا واعلم رعاك الله الذي كنت واسطة فيه أنت وبشادور اسبنيول لابن عمنا
كتب سيدنا نصره الله الذي كنت واسطة فيه أنت وبشادور اسبنيول لابن عمنا
سيدي محمد بن عبد الله الريفي الوزاني على أن يخدم في الخدمة الشريفة
بمكناسة الزيتون من أجل أمناء المستفادات وأجرته أجرة مثله في الخدمة، ثم
إنه لما دفع إليهم الكتب، صاروا يماطلونه ويسوفه، فلما لح عليهم في الخدمة
الجواب أجابوه أنه لا خدمة له، وإن أراد أن يعطوه ريالين في الشهر من غير
خدمة فذاك، وإلا فلا خدمة. وعليه فنحبك أحبك الله ورسوله، وعليه مجازاتك
أن تكون لهذا الشريف خير معين، كما توسطت له أولا، أن تكون له ناصرا
حتى يتمكن من مطلوبه، وتقف معه وقوف الكرام، ولا بد أن يجازيك الله وجده
رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، لأنك من أهل المحبة بارك الله فيك وفي
ذريتك، وأدام فضله عليك آمين، وعلى المحبة والسلام. في 22 صفر الخير عام
1300".

وهذه رسالة كتبها إليه الشريف الوجيه الفقيه مولاي عبد الهادي الصقلي،
مجددا معه عهد المحبة، وموصيا بصديقه السيد الحاج أحمد الركينة، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

رعيا لمحبنا وحفظا، وسعدا ناجحا وحظا، الأمين الأمجد الخير الأسعد
المحب في آل بيت رسول الله، المعظم لأهل نسبة الله، محل الأخ السيد الحاج
عبد الكريم بريشة، السلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا ومولانا رسول الله،
أما بعد أبعد الله عنا وعنكم ما يصم، ووصل جنابنا وجنابكم بحبل حفظه الذي لا
ينفصم، فموجبه تجديد العهد بمحبتكم بعهد راسخ، وميثاق لا يعتريه بحول الله
وقوته ناسخ، وإن سألت عنا فنحن بخير وهناء، صرف الله عنا وعنكم كل
عناء، هذا وإنا من يوم فارقناكم ونحن شاكرون لإحسانكم، لا هجون بذكركم،
نسئله سبحانه أن يجازيكم عنا أفضل المجازاة، بجاه من له المعجزات البينات،
وليكن في علم محبنا أن المحب الصادق السيد الحاج أحمد اركين طلب منا أن
ننبهكم عليه لما يتحققه من محبتكم في جانبنا ومحبتنا في جانبكم، فنحبكم بارك
الله فيكم أن تكونوا منه على بال لضعفه ولتعلقه بجانبنا، ولا تتركوه لمن يؤذيه،
فالضعيف والقوي في شريعة سيد الأولين والآخرين سواء.

وسلم منا على محل الأخ الأمين الأبر السيد الحاج محمد اللبادي وعلى
صهركم ذي الخلق الحسن والخلق المستحسن السيد العربي بنونة، وعلى جميع
إخواننا في الشيخ كل واحد باسمه، وزورونا شيخنا العارف بالله، الدر المكنون،
القطب الواصل، سيدي عبد السلام ابن ريسون، أعاد الله علينا وعليكم من
بركاته آمين، بجاه النبي الأمين، نطلبه سبحانه أن لا يجعله معكم آخر العهد
بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد. ويسلم عليكم نجلنا سيدي محمد أصلحه

الله، ونحن على محبتكم مخلصين صالح الأدعية لكم بضرائح الأولياء الكرام بحسن الختام، والسلام. في 23 من محرم الحرام فاتح عام 1305. محبكم عبد الهادي بن أحمد الحسيني الصقلي جعله الله من أهل الشهود والتجلي".

بين المغرب وفرنسا:

وأقام بريشة في بلده تطوان مدة عاش فيها عيشة الوجهاء الأعيان المحترمين الذين يرجع إليهم في الملمات، ويوقف عند نظرهم في المهمات.

وفي عام 1305، كانت فرنسا تستعد لإقامة معرض باريز، فعين السلطان مترجمنا للحضور بذلك المعرض وتمثيل المغرب به، وسافر إلى فرنسا في شوال تلك السنة، واتصل بالمشرفين على المعرض المذكور، واتفق معهم على ما يجب القيام به من الاستعداد لمشاركة المغرب في ذلك المعرض ببناء قسم خاص بالمغرب، إلى جانب القسم المخصص للدولة العثمانية المسلمة. ثم عاد بريشة إلى المغرب في ربيع الأول عام 1306، وبقي به إلى أن عاد إلى فرنسا مرة أخرى في أول شعبان من نفس العام.

وكان عندما عزم على السفر إلى باريس في المرة الأولى، صحب معه رسالة توصية به من وزير المغرب إلى وزير الخارجية بفرنسا، وهذا نصها بعد الحمدلة والحوقلة:

"المحب المحترم المفخم المعظم وزير الأمور البرانية بالدولة الفخيمة الفرنصوية الكبلير غني قويلي الموصوف بالنباهة والألمعية، أما بعد السؤال عن جانبكم الفخيم، ومحبة أن تكونوا في هناء وسرور وخير جسيم، فإن مولانا نصره الله قد عين للتوجه لسوق دار البلار[57] بافرانسة خديمه الأنصح السيد الحاج عبد الكريم بريشة، ورشحه لذلك لكونه من أنبل خدمة عتبته الشريفة، ذوي المكانة والنصيحة في خدمته المنيفة، فهو خديم وابن خديم وابن خديم، ولهم قدم راسخ في الخدمة الشريفة، ولهم عند ساداتنا من الحظوة والمكانة ما لا مزيد عليه. وأمرني أيده الله وأدام عزه وعلاه، بإعلام جانبكم الفخيم بذلك، لتتفقوا معه فيما عسى أن يعرض له عندكم، وتقابلوه بما يناسب مكانته من الاعتناء والبرور في الورود والصدور، كما هو الظن بكم، ودمتم في هناء وعافية، وعيشة راضية، وختم في 5 شوال الأبرك عام 1305 هـ".

ويا للغرابة من نفسية موظفي المغرب في ذلك العهد، فهذا وزير دولة يقدم إلى وزير دولة أخرى أحد كبار المبعوثين السلطانيين لتمثيل دولته في المعرض الكبير وللمخابرة مع فرنسا في العلاقات السياسية والاقتصادية التي بين الدولتين، وبدلا من أن يصفه بأنه من أعيان دولة المغرب ومن كبار

---

[57] - كانوا يطلقون اسم "دار البلار" على معرض باريز.

موظفيها النبهاء الموثوق بمعرفتهم وكفاءتهم الخ، يصفه بأنه خديم العتبة، وله خديم وابن خديم ابن خديم للعتبات، إنها لنفسية عجيبة !!!

واتصل بريشة بوزير خارجية فرنسا، وفي إحدى جلساتهما قال له هذا الوزير، بعد أن رفع يده إلى السماء، ما ذكره بريشة في إحدى رسائله، ونصه:

"والله دولة فرنسا في ما في نيتها حاجة تسوء خاطر مولانا الحسن (يعني سلطان المغرب في ذلك العهد) أيده الله، ولا يسمع لكلام الحساد (يعني الأجناس) يزينوا ملاقاتهم ويعرضنا للسوء ويقولون الفرنصيص نيته كذا ومراده كذا ولا تأمنوا به وانظر ما فعل بتونس الخ كلام الوزير، فأجابه بريشة بقوله: الفاعل هو الله سبحانه، ولا قوة لمخلوق على مخلوق، والذي قدره الله سبحانه كان الخ."

وكان بريشة قد صحب معه من المغرب تحفا مختلفة قدمها هدايا لرجال دولة فرنسا، ومنهم وزير الخارجية، ودونك الرسالة التي وجهها إليه مع هدية كنموذج لباقي الرسائل والهدايا، ونصها:

"الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

إلى حضرة صاحبنا المفضل المحترم المكرم الأمجد الوجيه الأرشد وزير الأمور الخارجية بدولة فرنصه المعظمة مسي غني قوبلي، لا زال سؤالنا عنك نحبك دائما تكون بخير وعلى خير، وبعد يصلك صندوق مكتوب عليه اسمك العزيز، داخله سيف بحمالته، مع كمية مغشيان بالفضة من عمل الغرب، هما إكراما منا لسيادتك بقصد التفكر والمودة، وليس قدرك عندنا لمثل هذا الإكرام، لكن الهدية على قدر مهديها، وإنما هي تفكيرة، المطلوب من سيادتكم تقبلها منا كما هو الظن بسيادتكم، أطال الله عمرك وزادك عزا وفخرا وسرورا. وحرر في فاتح محرم الحرام 1306. خديم العتبة الشريفة عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

وأثناء المدة التي أقامها بريشة بباريس، قام بمهمات رسمية، وأعمال مختلفة، منها العامة ومنها الخاصة، واقتنى من المعرض وغيره تحفا ونوادر، بعضها للسلطان وبعضها للحاشية والوزراء. وكان لآل بريشة ذوق لطيف في اختيار التحف والهدايا.

ومن الرسائل التي قبضها بريشة وهو بباريس، هذه الرسالة التي كتبها إليه الوزير السيد فضول غريط، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى الأجل المرتضى الأمين الأنصح السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله

وبعد وصلنا كتابك بشروعك في مباشرة الغرض المعلوم[55] وتوقفك على الدراهم، واطلعت بكتابك شريف علم مولانا نصره الله، فسر ونشط بذلك ودعا لك بالخير والتسهيل والتيسير وأمر أعزه الله بتوجيه عشرة آلاف ريال لك بقصد الغرض المشار إليه، وها هي تصلك على يد النائب السيد الحاج محمد الطريس، وإن توقفت على أخرى، فطير لنا الإعلام لتنفذ لك، ولا تغيب عنا أخبارك لأنها مفيدة جالبة للسرور، والله يقضي لك أغراض مولانا ويردك ظافرا بالمراد بخير وعلى خير آمين، وعلى الأخوة والسلام. في فاتح شوال عام 1306. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

وهذه رسالة أخرى من غريط المذكور إلى بريشة في نفس الموضوع، أي موضوع الحرابة، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد كتب نائب الدولة بطنجة في شأن الغرض المعلوم الذي كلفت بمباشرته وأجيب عنه بما نبهت عليه في كتابك للنائب السيد الحاج محمد الطريس حسبما تقف عليه في النسخة مما أجيب به عن ذلك الواصلة إليك طيه مع نسخة من كتابه المجاب عنه بما تضمنته النسخة المذكورة. وقد أمرني مولانا أيده الله بالكتابة لك بأن تتمم عملك في ذلك، فإن الأعمال بالخواتم، وذلك باستعمال ما عندك من السياسة والتلطف مع من تفاوضت معه في ذلك حتى تبطل ما احتج به النائب من أن نقل المعلومين مهانة لهم بين الدول، وما يحاوله من إبدالهم بغيرهم وتقع لك المساعدة على نقلهم ممن باشرت معه أمرهم ولو بزيادة دراهم أخرى له، كما أمرني دام تأييده بالتأكيد عليك في صرف وجه اعتنائك واهتمامك لذلك، وجعله من أهم الأمور وآكدها حتى تقضيه على أحسن حال وأكمله. وما تتوقف عليه من الدراهم لذلك أعلم به ينفذ لك. وعلى المحبة والسلام. في 3 من ذي الحجة عام 1306. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

والنسختان اللتان أحالت عليهما الرسالة السابقة، أولاهما من سفير فرنسا بطنجة إلى سلطان المغرب مباشرة، دون وساطة نائب السلطان أو وزيره، وتاريخها 20 ذي القعدة عام 1306، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده

---

[55] - الغرض المعلوم الذي أشار إليه الوزير في هذا الكتاب هو قضية الحرابة، أي الضباط الأجانب الذين يدربون الجيش المغربي، وكانت الحكومة المغربية تسعى للاستغناء عنهم، لما ظهر فيهم من الغش للمغرب والتجسس لدولتهم.

أدام الله النصر والتمكين، والظفر والعز والفتح المبين، للسلطان المعظم ابن السلطان المفخم مولاي الحسن، أدام الله عز سيادتك، وأيد نجاح أيالته السعيدة، ينهى لعلم السيادة أعزها الله، أن وزير الأمور الخارجية بباريز، أعلمني بتلغراف أن المبعوث من طرف سيادتكم لسوق باريز، قد أخبره بسعى أحد الدول الأجنبية لتجعل حرابة من جنسها بفاس، وقد زاد الحاج عبد الكريم بريشة أن حضرة سيادتكم رضيت من تخليص هذا المطلوب الذي لو صار يزيد في صائر عند حضرة سيادتكم وأن سيادتكم افتكرت أن الأقوم لتجانب هذا يكون ربما رد جميع الفسيالات الخدامين عند سيادتكم لبلدهم، وقال إن حضرتكم قد أظهرت حينئذ الرغب أن الدولة الفرنسوية ترضى في مهلة ما أن تجلب حرابتها من عند سيادتكم. فإننا نفهم ما يقع مرارا من الارتباكات للمخزن بسبب الطمع المصدر من المعارضين الذين يتقلقون حول زعماء الدولة السعيدة ونحن نرضى الرضاء الكلي أن نسعف الدولة السعيدة كل المرار الذي يكون هذا ممكنا من غير أن نكسر ما يناسب جاهنا أو للخير المشترك بين الدولتين المحبتين في الأمور السياسية، فلا يخفى عن جناب سيادتكم العلي أنه ليس ممكن أن دولة افرنسية تفتكر برد حرابتها من هنا في الوقت الذي دولتنا تنتهز أن تقبل سفير سيادتكم ببهاء وجلال، وإرسال هذا السفير لباريز لا سيما مقصوده أن يلاحم المحبة الموجودة بين الدولتين، فإن مثل هذا الفصل الذي لم تقدروا تفسر سببه الحقيقي لم يفهم عند العام وينتج منه أثر تكدير الخواطر، فإن عندنا في افرنسية لا بد أن الدولة مشتغلة البال في آراء العموم في تدبير سياستها مع الدول الأجنبية، فإن هؤلاء العموم لا يرون من هذا الفعل إلا المعاملة القبيحة من الدولة المراكشية، فحينئذ نكون في أضيق حال لتكونوا في المستقبل واسطة الخير إذا اقتضت ضرورة الزمان أن ندخل فيها، ومع ذلك لم تقدروا قبول رد الحرابة إلا إذا كان الرد لجميع رد الحرابة الأخرين والمهندسين من غير فرق الذين الآن في خدمة حضرة سيادتكم، وأن يكون سفر جميعهم في يوم خروج فسيالاتنا من هذه الإيالة، فإن صار هذا لا شك أن المخزن يبعد عن نفسه محبة عدد من الدول.

ونطلب من حضرة سيادتكم أن تسمح لي أن نعرض لسيادتها في هذا الشأن ملاحظة أخرى وهي أنه لو كان العسكر متعلما على أحسن التعليم يظهر من ذلك أنه ممكن أن هؤلاء لم يحتاجوا قط لمساعدة الحرابة الأجانب ولا بد أن حضرتكم السعيدة تهتم بزيادة عز مملكتها حتى لا تريد إسقاط تعليم عسكر سيادتها وتنظم هؤلاء العسكر كان عند سيادتها مقصود اعتنائها، وإذا لمراعاة ملاحظة السياسة التي لها قيمة نفسية وإنا لا ننكرها ولاكن يحتاج مع ذلك لا نعظمها، فإن أمرت حضرة سيادته الشريفة إطلاق جميع الفسيالات الأجانب

الذين في خدمتها، فإنها لا بد تلتزم بعد مرة أخرى لتطلب حرابة أخرى لسبب أنها ترى عدم انضمام العسكر كما هو اليوم، فحينئذ يوقف أمام سيادتها مشكلات أعظم من المشكلات الموجودة الآن، لأنها لم تقدر تقول في ذلك الوقت ما تقوله اليوم من أن الحرابة موجودة وليس لنا ترجيع في حكمنا الأول، وإذا طلبت لأحد الدول هؤلاء الحرابة فلا بد لتكدر خاطر الدول الأخر، فعلى ذلك نفتكر أنه ليس من إفادة المخزن أن يفعل شيئا به تنقيص انظمام عسكره الذي تعتمد عليه عند الحاجة، ويقدر يكون في وقت ما انجلاء استقلالية الدولة، ونحن نريد أن نزيد في حرابتها التغيرات التي ينتج منها الخير وتكون حسنة القبول عند حضرة سيادتكم ترى بعين القبول أن نبدل الكمندار دبري الذي سافر بفسيل آخر من فسيالات الطبجية الذي يكون مساعدا للكبطان متاع الطبجية الذي هو عند سيادتكم الآن، فكتبت لباريز بهذا الشان ولا ريب عندي أن وزير الحرب يبادر بموافقة هذا المرغوب. وأما فيما يتعلق بإلحاح الأجانب على المخزن ليجعلوا في فاس حرابة من عندهم، فإنه مستصعب عليّ أن نتكلم في هذه المسئلة، لأن الأخبار التي أوصلها الحاج عبد الكريم بريشة ما هي تامة، وحيث لو كانت تامة لتكلمت فيها بما يقطع المسئلة، ومع ذلك حضرة سيادتكم تسمح لي أن نعرض لسيادتها أنه يكون خطر للمخزن أن يقبل بسهولة فيما يطلبونه منه، لأن سيادته إذا قبلت هذا المطلب لا بد أن يسعوا في مطالب أخر تشبه ذلك، فإنه لا حق للدول الأجانب أن يلزموا المخزن في إعطاء مقاصات كهذه، وإن معاملة المساواة لا تتعلق إلا بما ينتج منه فائدة، سواء كان حكما سياسي أو تجاريا لفلان أو فلان من الأجانب وفيه مضرة للآخر، مثلا إذا عفا المخزن أهل فرنسيا أو البروص من بعض أعشار الديوانة، أو إذا منح لهما أن يوسقا بعض المسائل ويمنع غيرهما، فإن كان هذا فمن المعلوم وأن الدول المعتقدة في العهود مع الدولة السعيدة تقدر تطلب معاملة الموساواة في هذا، ولكن هذا العمل لم يتعلق في الفسيالات أو المهندسين أو الأطباء الذين رغبة حضرته الشريفة أن تستخدمهم عند سيادتها، لأن ذاته الشريفة أعزها الله هي وحدها تقدر تختار ما تريده في خدمة سيادتها من غير تحجير عليها، فليس قانون موجودا بين الدول أن يلزم المخزن أن يجعل في فاس أو في غيرها حرابة من الأسترياك أو السويد أو البرطقيز أو الصبنيول أو المركان يتعذرهم له موجود الآن في خدمته الشريفة حراب إنجليزي أو فرنسيس أو مهندسين طليان أو ألمان، وحكموا في جميع البلدان هذه المسئلة على هذا الوجه، والدليل على ذلك أن سلطان العجم عنده في خدمته أحد الأطباء الفرنسيس مختصا لعلاج ذاته هذه مدة من نحو ثلاثين سنة، فإن رتبة هذا الطبيب المختص عند السلطان هيجت مرارا الطمع لبعض الناس، ومع ذلك نواب الدول القاطنين في

السلطان المذكور ما خطر في بالهم أن يطلبوا أطباء من
تهران محل سكنى السلطان المذكور ما خطر في بالهم أن يطلبوا أطباء من جنسهم يكونون عنده. ولنرجع للمطلب الذي طلبوا من سيادة حضرته الشريفة، الآن يظهر لنا تقدر سيادته تجاوبهم بأنها استحسنت ما طلبوه منها، فإنهم يجعلون أناسا في خدمة سيادته، بل إنه ينتج من قبول سيادته لمطلبهم زيادة المصاريف على المخزن، فحينئذ لم تقدر تقبل ما قدموه لسيادتها ولو باللطافة وإن سيادته إذا أرادت في المستقبل ندخل بعض التغييرات في الحرابة المستخدمين عند سيادتها، فإنها لا بد أن تنقص ولا تزيد من الحرابة، وإن هذا التغير لا يمكن في المستقبل إذا قبلت سيادته فسيالات أخر. ونزيد على ذلك أن لا بد حضرة سيادته تتجانب عن مثل هذا المطلب على شرط أن لا يكون في جوابها إلا كلام الظرافة الذي لا يقدر يتكدر منه النائب الذي قدم المطلب، وأنا نكون دائما بحول الله حاضر لنقدم لسيادتكم جميع الأخبار أو النصائح التي تطلبها مني، ويكون أسهل لحضرة سيادتكم أن تكتب لي في الأمان بواسطة الإنسان السري المستعمل لذلك في هذه الأيام، وهذه الطريق تبين لي أنها أقوم من استعمال أناس غير رسمية الذين استعملوا في هذه القضية التي نتكلم فيها، لأن جميع الأخبار التي تصل لباريز توجه إليّ ويكون تعطيل الوقت بدون فائدة، والسلام على حضرة سيادته الشريفة ورحمة الله، والسلام. في 20 قعدة عام 1306.

الباشدور الفرنسيس المفوض بأكمل التفويض بطنوتر".

هكذا كما ترى كان نواب بعض الأجناس يغدقون على سلطان المغرب وحكومته من النعوت والألقاب والتواضع والنصيحة والاستعداد حتى للتجسس الخ، عندما يكون لهم غرض يسعون للحصول عليه، وهكذا كما ترى كان بعض الأجانب يريدون أن يلزموا حكومة المغرب إلزاما قبول ضباطهم في الجيش المغربي، كأن ذلك حق وامتياز حصلوا عليه ولا يمكن التنازل عنه. وكذلك كانت وما تزال نفسية بعض الأجانب إزاء شؤون المغرب، والأمر لله.

أما الرسالة الثانية، فهي جواب الوزير المغربي عن الرسالة السابقة للسفير المذكور، وهي بتاريخ 22 من ذي الحجة 1306، وهذا نصها بعد الديباجة العادية:

"وبعد وصل كتابك الذي كتبت لحضرة سيدنا العالية الله في شأن الحرابة، واستوعبه سيدنا أيده الله، وعلم جميع ما ذكرت فيه وأمرني أعزه الله أن نجيبك عن ذلك بأن بعض الأجناس ملحون في طلب استخدام حرابة من إيالتهم بالمغرب مساواة مع غيرهم، واعتذر لهم عن هذا المطلب بأعذار متعددة من جملتها أن المتعلمين من المسلمين تعلموا جميع ما كان يعرفه المعلمون الحرابة، وعن قريب يتوجه الحرابة الذين هنا لبلادهم، فأجابوا بأنه إذا توجه

الحرابة الذين هنا لبلادهم فلا يطلبون توجيه حرابتهم، وإلا فحيث تكمل مدة خدمة مهندسيهم الذين يخدمون هنا في غير تحرابت يأمرونهم بالبقاء هنا بقصد تحريب العسكر، وصمموا على هذا ولم يقبلوا عذرا. وهؤلاء المهندسون إنما كان جلبهم المخزن جبرا لخواطرهم وتسكيتا لهم عن طلب توجيه حرابتهم، فإذا به صاروا يحاولون بقاءهم هنا حرابة بعد الفراغ من خدمتهم إذا بقي حرابة غيرهم وإيقاع المخزن فيما فر منه. ولأجل هذا أراد المخزن نقل من هنا من الحرابة لبلاداتهم ليتأتى له نقل من هنا من المهندسين بعد فراغهم من الخدمة التي جلبوا لأجلها. وقد كانت الحضرة الشريفة على نية مشافهتك في ذلك حيث كنت بها، فصدها عنها ما كنت فيه من كثرة الأشغال المهمة التي من جملتها شغل الديون الذي لم تطلع على حقيقته إلا بعد الكلام الكثير فيه في مدة طويلة، وحيث تتلاقى بالحضرة الشريفة بطنجة إن شاء الله تشرح لك مشافهة هذه القضية بأوضح وأبسط مما ذكر أعلاه، حتى تصير على بصيرة فيها ولا يبقى عندك شك أن من هنا من الحرابة إذا لم ينقلوا لبلادهم يقع ما لا تحب أنت ودولتك المحبة من الضرر الكبير لجانب المخزن الذي لا يحتاج إلى شرحه للنبهاء أمثالكم. وختم في 22 ذي الحجة علم 1306".

وهكذا كان يتفوق بعض ساسة المغرب على بعض الساسة الأجانب، ولكن النتائج لم تكن دائما كما يحب المخلصون.

ولو تتبعنا أمثال هذه القضايا التي وقفنا على بحر زاخر من الرسائل والمستندات المتعلقة بها، لطال بنا الحال جدا، وهي جديرة بأن تؤلف فيها التآليف، فلذلك نقتصر هنا على ما ذكرنا، ونختم هذا الموضوع بثلاث رسائل فيها زيادة على بعض الأغراض المخزنية، ثناء عاطر على بريشة وكفاءته، وإشادة به وبأسلافه الخ، والأوليان كتبهما إليه الوزير السيد فضول غريط، ولنص أولاهما:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى وخديم سيدنا الأجل المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد أمرني مولانا أيده الله بالكتابة لك بأن تأخذ بيد خديمه الأرضى الأنصح القائد السيد الحاج المعطي بن عبد الكبير بن المدني المزامزي في أمور سفارته وتبصره فيما يأتي وما يذر، وتشير عليه بكيفية مباشرتها والطريق التي توصله لنيلها، لكونك عرفت أحوال تلك الناحية وأمورها، ولك الاطلاع التام عليها، ولا يخفى على نباهتك ودهائك من أين تؤكل الكتف في ذلك، كما أمرني دام تأييده بالتأكيد عليك في الوقوف معه في ذلك حتى يرجع ظافرا بالمراد، وفق ما ينبغي ويراد، فإنه لا يخفى عليك أن الوقوف معه في الحقيقة وقوف مع المخزن، وما

فيه من المزية التي لا تنسى لك، وعلى المحبة والسلام. في 12 من ذي القعدة الحرام عام 1306. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

ونص ثانيتهما بعد الافتتاح العادي:

"محبنا الأعز الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد انتخب سيدنا أيده الله للسفارة للدولة الفرانصوية المحبة خديمه الأرضى الأنصح الحاج المعطي بن عبد الكبير بن المدني المزامزي بقصد رد السلام وتجديد المحبة بين الدولتين، فيأمرك أعزه الله أن تكون منه على بال وتأخذ بيده في جميع الأمور، وتبصره وتبين له ما يأتي وما يذر فيها، وتقف معه حتى يرجع ظافرا بكل مراد، كما ينبغي ويراد، لأنك ذو نباهة وذكاء وسياسة ومعرفة بالأشياء، حنكتك التجارب، وعرفت الأمور وعرفتك، سيما بتلكم النواحي، ولا يخفى عليك من أين تؤكل الكتف فيها، وداركم دار خدمة ونصح لجانب المخزن خلفا عن سلف، فلتعرف ذلك ولتعمل بمقتضاه بالوقوف مع المذكور وقوف جد وحزم وتلطف وسياسة وكياسة، وانتهز الفرصة في نيل المزية بذلك التي لا تنسى لك، والله يقضي بكم أغراض سيدنا ويردكم سالمين محفوظين آمين، وعلى المحبة والسلام في 26 من ذي القعدة عام 1306. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

أما الثالثة فهي من الحاجب أحمد بن موسى، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

محبنا الأعز الأنجد الأمين الأرضى النبيه الأرشد السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله، وبعد فإن سيدنا أيده الله قد وجه حامله الفقيه الكاتب الأجل السيد أحمد الكردودي في أغراض شريفة بتلك الناحية، وصدر لك كتاب مولانا أعزه الله بالتعريف بذلك والإيصاء على الأخذ بيده فيما يعرض له، فزدناك هذا تأكيدا لما ذكر، وتنبيها على إرشاده لسلوك الطرق المؤدية لنيل ما يشافهك به من المقاصد، اعتمادا على ما ثبت من نباهتك وإصابة رأيك ومعرفتك بحقائق الأمور ببركة محبتكم العريقة في الجناب الشريف، وصدق خدمة أسلافكم التي لا زالت متوارثة لدى الخلف، عائدة بإظهار نجدتكم في مظاهر المزايا التي يعتز بها ويتشرف، أبلد الله الجميع ببركة سيدنا بإمدادات التسديد، وألهم الكل بعنايته وسعادته أسباب الإصابة والتأييد، بمنه آمين، وعلى المحبة والسلام. في 11 حجة الحرام عام 1306. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ثم قال بنونة في ترجمة بريشة ما نصه:

"ولما رجع للديار المغربية (يعني من سفارة مدريد عام 1297)، طلبه الجناب العالي لمرافقة ركابه، ثم توجه لأوربا لقضاء أغراض خصوصية للسلطان المقدس مولاي الحسن، ورجع فأقام بتطوان مدة سنوات حتى عام 1306 = 1889 م، وفيه رشحه المخزن الشريف سفيرا عن الدولة المغربية لحضور معرض باريز. وفي رجوعه منها وجه له مولاي الحسن تفويضا لإتمام مسألة طرفاية مع دولة إسبانيا عام 1308 = 1891، فأتمها بوجه مرضي بين الدولتين، وكان إذ ذاك مقلدا من لدن مملكة الدولة الإسبنيولية بالحمالة واكبر وسام "إيسابيل لا كاطوليكة" وباكبر وسام دون حمالة "المريطو ميلطار" وعدة وسامات أخرى صغيرة، كما كان مقلدا أوسمة أخرى فرنساوية نجهل اسمها ورتبها.

وجلس ج عبد الكريم بريشة بتطوان مع أهله أواخر عام 1308...".

وأثناء إقامته بها قدم له بعض أهاليها قصيدة في مدح السلطان، وأهل تطوان ليسوا من فرسان هذا الميدان، فأرسل بريشة تلك القصيدة إلى الوزير الصنهاجي، مصحوبة برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أسعد الله أيام سيدنا الفقيه العلامة الوزير الأمجد الخير الأسعد سيدي محمد بن أحمد الصنهاجي، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وموجبه تجديد العهد بسيادتكم والسؤال عنكم، جعلكم الله بخير وعلى خير، وبعد فيصلك طيه قصيدة أنظمها الشيخ أحمد بن سعيد في مولانا المنصور بالله لما قدم هذا الثغر حرسه الله، ولاذ بنا نوجهها للحضرة الشريفة على يدك، لأنه سمع عنك أنك تقف في أمور الأشراف والطلباء والمساكين مثله، وهو رجل مسن، وذو عيال، وهذه نحوى الأربعين سنة وهو مؤذن بالجمع الأعظم، وهو الذي كان يروي الحديث يوم الجمعة بالمسجد الأعظم.

نحبك سيدي بالفضل من سيادتك تباشر أمره مع مولانا المؤيد نصره الله، لعل الله تساعد ساعت الإجابة ويعطف عليه، لأن قلوب الملوك بيد الله سبحانه، وسمعنا أن مولانا المؤيد بالله عمل العرس لنجله الأسعد مولاي مَحمد حفظه الله وأقر عين الجميع به، ربنا سبحانه يجعل هذا الفرح فرح دائم بالهناء والسرور على جميع المسلمين بجاه جده صلى الله عليه وسلم، ونحن لا زلنا على العهد عن سيدنا وعنك في الدعاء بضريح الشيخ قدس الله روحه وجعلنا جميعا "..."[33] في حماه آمين، وعلى ما تعهده من المحبة والأخوة إلى يوم لقائه، ودمتم بخير. قيد في 26 جمادى الأول 1308. عبد الكريم بن مَحمد بريشة لطف الله بالجميع".

---

[33] - (كلمة غير مفهومة)

وقد أجابه الوزير المذكور برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد وصل كتابك وبطيه القصيدة التي أنشأها المؤذن الشيخ أحمد التطواني، طالبا إبلاغها لسيدنا، فقد دفعناها لسيادته وأنعم أعزه الله على المذكور بعشرين ريالا، أعطى الله سيدنا كل خير، وها كتاب الشريف لأمناء المرسى بذلك يوافيك طيه، وعلى المحبة والسلام. في 29 جمدى الثانية عام 1308. محمد بن أحمد الصنهاجي لطف الله به".

والقصيدة المشار إليها هي من الشعر الملحون، ومطلعها:

صولي يا تطوان وافتخر نجمك راهو عالي

بقدوم الأمير سيدنا مولاي الحسن[60].

ثم قال بنونة ما نصه:

"وفي آخر سنة 1309 عقد رحلته الثالثة إلى مكة المشرفة وأرض الحجاز وزيارة خير البرية صلى الله عليه وسلم، ورافقه في رحلته هذه وفد كبير من أعيان وأفاضل تطوان".

ولم يقدم بريشة على السفر إلى الحجاز، إلا بعد أن كتب للحاجب السلطاني بما عزم عليه، وأجابه الحاجب المذكور بكتاب هذا نصه:

"الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأمين الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله وبعد وصلنا كتابك بكون أصهارك لما عزموا في هذه السنة على حج بيت الله الحرام، تحرك شوقك لمصاحبتهم، ففعلت طالبا استعطاف الجناب الشريف في تزويدك بدعائه الصالح الخ. فأنهينا ذلك لكريم علمه، ودعا أعزه الله لك ولمن في رفقتك بقبول العمل ومصاحبة السلامة والعافية تقبل الله من سيادته وحوطكم في الظعن والمقام بسر عنايته. وقد وجهنا لك هذا الجواب على يد النائب السيد الحاج محمد الطريس كما طلبت. وعلى المحبة والسلام. في 7 قعدة عام 1309. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

وحج بريشة بيت الله الحرام وعاد إلى بلده تطوان، فكتب إلى الحاجب السلطاني أحمد بن موسى رسالة مصحوبة ببعض الهدايا المناسبة له وللسلطان، فأجابه الحاجب المذكور برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله

---

[60] - قد أثبتنا النص الكامل لهذه القصيدة في الفصل الثالث من الباب التاسع من هذا الكتاب، عند الكلام على زيارة السلطان مولاي الحسن لتطوان عام 1307.

محبنا الأعز الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله وبعد وصلنا كتابك بورودك من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبينا عليه الصلاة والسلام، بعد استجلابك صالح الأدعية بالحرمين الشريفين لجناب مولانا أيده الله، ووجهت ما قيد طرة كتابك من بركة الحرمين للجناب العالي بالله، طالبا من سيادته القبول وصالح الدعاء، فأنهينا ما ذكر لشريف علمه، وحل ما أتحفت به من سيادته محل القبول والاعتبار داعيا لك بقبول عمل وجهتك، وكذا بالبركة والقبول عما وجهته من تحفتك، تقبل الله دعاء سيادته، وأمدنا وإياكم ببركة عنايته. وقد وصل ما أكرمتنا به من ذلك، وعلمنا ما جلبته لنا من أدعية الخير هنالك، تقبل الله منك وجزاك عنا خيرا، وجعلنا وإياكم ممن نال في مقام الأبرار ذكرا، وعوضك في الدارين خير خلف وبركة، وعلى المحبة والسلام. في متم ربيع الأول عام 1310. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ولما توفي السلطان مولاي الحسن وتولى مكانه نجله المولى عبد العزيز، كتب بريشة إلى الحاجب أحمد بن موسى الذي تولى الصدارة، رسالة أجابه عنها بكتاب هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأود الأرضى الأبر الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وصلنا كتابك معزيا في مولانا المرحوم جدد الله عليه الرحمات وأكرمه بالنعيم وأسكنه من الجنات أعالي الغرفات، ومهنيا مولانا المنصور بما أولاه الله من الحلول محله والقيام بحقوق المسلمين واجتماع كلمتهم على بيعته، وأنك كنت بصدد الإتيان لذلك حين حل مكناس، فردك مرض ابنتك، ولا زلت تعالجها، وإذا حصل الفرج تقدم، وصار ذلك منا بالبال، فمولانا أدى فرضا محتما، ولن تموت نفس حتى تستوفي أجلها، ألحقه الله بالرفيق الأعلى، ورزقنا وإياكم والمسلمين الصبر على فقده، إذ مصيبتنا به واحدة.

وأما حلول مولانا المنصور محله، فقد اختار الله للمسلمين من يسوس أمورهم ويدبر أحوالهم بارك الله في عمره، وزاده نصرا وتأييدا وعزا وأعانه على ما به كلفه آمين. وأما ما ذكرت من سبب تأخرك عن القدوم لحضرته الشريفة فقد علمناه والعذر لك في ذلك شافاها الله وعافاها وفرج الهموم وكشف الغموم، وعلى المحبة والسلام. في 10 صفر الخير عام 1312. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

<u>سفارة مدريد عام 1312 (1895 م):</u>

قال حفيده بنونة في ترجمته ما نصه:

"ثم لما رجع من حجه المبرور واستراح نحو السنتين، رشحه جلالة السلطان السابق مولاي عبد العزيز بإثر نصره بعد وفاة أبيه مولاي الحسن، سفيرا مرة سادسة رسمية لدولة إسبانيا لأجل إدخال إصلاحات وتعديلات في شروط العقد الممضي بمراكشة ما بين جلالة سلطان المغرب والخنرال مارطينس كامبو، النائب عن دولة إسبانيا فيما يتعلق بمسألة حرب مليلية.

أخذ السفير بريشة هدايا كثيرة لجلالة الملكة ونجلها الصغير إذ ذاك جلالة ملك إسبانيا الحالي ضون ألفونسو الثالث عشر. وكان سفره من طنجة إلى قالص على مدرعة إسبنيولية (الرينا مرسيدس) يوم 29 رجب عام 1312 موافق 26 يناير 1895. ولما وصل مدريد وعرف كل الناس مقصد السفير بريشة من تعديل الشروط المنوه عنها، وأن تعديلها يضر بمصالح إسبانيا، صاروا ينظرونه شزرا، وأفكار الشعب لا ترضى بمطالبه، لكن الدوائر الرسمية أجملت مقابلته كما يليق بشرف دولتها.

نزل السفير المذكور بفندق روسيا (أوتيل روسيا) وأعلن يوم لقائه رسميا، فتهيأ لأن يصعد للقصر الملوكي، وعند خروجه من باب محل منزله، قرب منه أحد المدنيين ولطمه على جيده لطمة قوية، فرجع بريشة لمحله، ووقع القبض حينا على المعتدي، وبعد البحث وجد أن هذا الفاعل هو خنرال متقاعد خفيف العقل، يقال له ميكيل فوينطيس. وفي الحال أصدرت المحكمة الشرعية قضاءها على المعتدي الأحمق ببقائه طول حياته محجرا في المارستان.

أما السفير بريشة بعد دخوله لمحله امتنع من المشي لمقابلة الملكة، فقدم عليه كثير من المستعطفين ما بين وزراء وكبراء، وألح عليه في الاستعطاف غاية طبيب السلطان مولاي الحسن السنيور أوبيلو، والترجمان الشهير السنيور سايدرا، فساعدهم على المشي إلى القصر الملوكي، ولما وصله أبى أن يدخل لملاقاة الملكة، حالة كون شرفه ممسوسا، فخرج إليه صديق وداده رئيس الوزارة السنيور ساقاسطا والخنرال ضون مارطينس كامبو، وأقنعاه بما يرضي دولته ويحفظ شرفه، فساعدهما عند ذلك، وتقدم لغرفة استقبال جلالة الملكة المحترمة، ولما دخلها أجملت الملكة استقباله فوق العادة جبرا لخاطره. ومن غريب ما يذكر في ملاقاته هذه، كون جلالة الملكة نزلت عن كرسيها خلافا للمعتاد، وصافحته وهي قائلة: (يا سعادة السفير، أتأسف من صميم فؤادي على التعدي الذي وقع عليك، وإني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

ورجع السفير إلى محل إقامته، فتواردت عليه الوفود من كل المجامع وإدارات الجرائد، وزاره كل الوزراء مطيبين لخاطره، فرأى أن الذين كانوا من قبل ينظرونه شزرا، انقلبت أفكارهم بسبب الحادثة، وقامت حملة الجرائد وأندية الشعب والأحزاب السياسية ومجلس الأمة ضد ما وقع من التعدي الشنيع، فلم

يبع السفير بريشة إلا أن أبرق إلى جلالة السلطان بواسطة النائب سيدي الحاج محمد الطريس رحمه الله قائلا: "إن ما يصلكم من التعدي عليّ هو شيء لا أهمية له، ولا يمس عاطفة الوداد الإسباني المغربي، ولا يرى جنابكم العالي إلا ما يسر". فتقرر في مجلس النواب ومشور الوزراء أنه من شرف إسبانيا واللائق بنخوتها جبر خاطر السفير بريشة والاحتفال به كما يجب لمقامه. وهكذا تلقت لهجة الأمة كلها، فكان لهذه الحادثة أثر عظيم في تعديل العقد المراكشي الممضي بين الدولتين في 24 أبريل، ومن أهم تعديلاته إسقاط 1.400.000 ريال دوروس من 2.800.000 التي كانت مقررة به، وبعد أن كان سيدفع بكيفية خاصة تعدل دفع المقدار في الستة أشهر الموالية للتعديل، وعلى ما قرره مؤرخو الإسبنيول وصرحوا به في عدة مواضع أن دولة المغرب نجحت في سفارة بريشة هذه نجاحا لم يتقدم له مثيل.

قدم سيدي الحاج عبد الكريم بريشة من مدريد، ورفع بيده نتائج أعماله لجلالة السلطان مولاي عبد العزيز، فاستحسنها واستعظمها وأجاز سفيره بخمسين ألف ريال تذكارا عما قام به من خدمة وطنه وأمته، وسماه نائبا في جمعية السفراء بطنجة لسن إدخال الإصلاحات للمملكة، وبهذا الوظيف توفي رحمه الله".

ودونك بعض رسائل ومستندات تتعلق بهذه السفارة المدريدية وحواشيها، وفيها البيان الشافي عما راج في هذه السفارة من أولها إلى آخرها.

فهذا كتاب من السلطان إلى بريشة يدعوه فيه للقدوم على حضرته، وهو بتاريخ 8 جمدى الأولى عام 1312، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج عبد الكريم بريشة، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك، نأمرك أن تقدم على حضرتنا العالية بالله لغرض أكيد عاجلا، والسلام. في 8 جمدى الأولى عام 1312".

وفي نفس التاريخ كتب السلطان أيضا إلى النائب الطريس بطنجة كتابا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل جوابك عما اقتضاه نظرنا الشريف من توجيه سفير لدولة إسبانيا بأن لا فائدة في توجيهه اليوم لأجل ما شرحته، وحتى أن طلبته

الدولة تواعد به فقط لكون إسبانيا متساهلة الآن في مطالبها للأعذار التي اقتضاها الوقت، بحيث لم يبق لها مقال فيها، وصار بالبال.

فحيث كان توجيهه لا يترتب عليه سوى المصلحة، وهي حسم مادة كلامهم الآن في تلك المطالب وتسكين رعيتهم التي يحتجون بكثرة كلامها في ذلك وتأكيد المحبة والمودة بينهم، سيما وقد أجاب مرطنيس كامبوس عما كتب له في المطالب المشار إليها بأن سلطانتهم أجابته بأن يتوجه سفير في شأنها على العادة وأكد في توجيهه، عينا الخديم الحاج عبد الكريم بريشة لذلك، وكتبنا له بالقدوم على شريف حضرتنا عاجلا، ليصحب معه التحفة المعتادة، وعززناه بكاتبنا الطالب عبد الكريم ابن سليمان، فأعلم نائب الصبنيول بذلك، والسلام في 8 جمدى الأولى عام 1312".

واقترب موعد وصول بريشة إلى مقر السلطان، فكتب الحاجب السلطاني إلى قائد المشور كتابا أمره فيه بأن يعين محلا مناسبا لينزل به بريشة، وهو بتاريخ 17 من الشهر المذكور، ونصه:

"الحمد لله

محبنا الأعز الأرضى رئيس المشور السعيد الباشا القائد إدريس بن العلام، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا أيده الله، وبعد فعين محلا مناسبا لنزول الأمين الحاج عبد الكريم بريشة المستقدم على الحضرة الشريفة، واعتن به ولا بد، وعلى المحبة والسلام. في 17 جمدى الأولى عام 1312. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ووصل بريشة إلى الحضرة السلطانية، وقدم – على عادته – هدايا لرجال الدولة، ومنهم أمين الأمناء، ودونك ما جاء في بطاقة عليها إمضاء بريشة والأمين التازي، ونصه:

"الحمد لله وحده

أنعم الله صباح أمين سيدنا الأمجد سيدي عبد السلام التازي حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فيصلك صحبة الحامل ترزيم بيانه بطرته هو من بركة سيدي السعيدي، المطلوب من سيادتكم الإقبال، وعلى المحبة والسلام. 30 جمدى الأول 1312. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

والذي بطرته ما يلي:

"تفصيلة صطان 1

تقصيصة ملف 1

شقاق 4"

وقد كتب تحت ذلك ما نصه:

"الحمد لله وعلى المحب الأبر الأرضى الأمين السيد الحاج عبد الكريم أزكى السلام عن خير مولانا الإمام، وبعد فقد وصل ما بأعلاه، أخلف الله وبارك لكم وأجزل بركم آمين، وعلى المحبة والسلام في تاريخه. عبد السلام التازي لطف الله به".

وأرسل سلطان المغرب المولى عبد العزيز إلى ملك إسبانيا ألفونسو الثالث عشر، كتابا قدم إليه فيه السفير بريشة، وهذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله المفوض إليه أمره في سره ونجواه، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين وهو

(هنا محل الطابع السلطاني الكبير)

أدام الله تأييده ونصره، وزين بكل خير عصره، إلى المحب المفخم المعظم المحترم، سلطان دولة إسبانيا المعتبر، السلطان ألفنس الثالث عشر، أما بعد حمد الله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، فقد اقتضى حق الجوار والموالاة، والصداقة والمصافاة، توجيه خديمنا الأرضى الأنجد، الأنصح الأرشد، الحاج عبد الكريم بن مَحمد بريشة سفيرا لدولتكم الفخيمة، المعتبرة الوسيمة، بقصد تأكيد المحبة وتجديد المودة بين الدولتين، والسعي في كل ما يزيد في الخير بين الإيالتين، وانتخبناه لذلك لذكائه ونجدته، ونباهته وفطنته، وكونه من أعيان حاشيتنا، ومن الراسخين القدم خلفا عن سلف في شريف خدمتنا، وعززناه بكاتبنا الأرضى الأنجد الطالب عبد الكريم بن محمد ابن سليمان، وحملنا السفير المذكور ما يذكره عنا لجنابكم المشكور، من جميل الاعتقاد، وما يؤكد المحبة والوداد، وينمو به الخير بين الجانبين ويزداد، وإننا على يقين من أنكم تصدقونه في ذلك، وتقابلونه هو ومن معه بمزيد البرور، وتمام الاعتناء في الورود والصدور، حتى يرجع مقضي الأغراض ظافرا بكل مراد، كما هو المعروف من حسن شيمتكم والمعتاد، لأنكم جيراننا، والجار متعين عليه حب الخير لجاره، وأحق بمراعاته واعتباره، ونحن معكم على ما كان عليه أسلافنا مع أسلافكم من المحبة والمودة والصداقة وأزيد، ولا يزال ذلك بحول الله يتجدد بيننا وبينكم ويتأكد، لا زلتم في سرور وهناء، في كل آناء، ولا برحت دولتكم الفخيمة بعين الاعتناء ملحوظة، وعهود محبتها وصداقتها محفوظة، وختم في 6 رجب عام 1312".

وفي نفس التاريخ كتب وزير خارجية المغرب إلى الرئيس مارطينس كامبوس الإسباني رسالة قدم له فيها السفير بريشة أيضا، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

المحب الذكي، النبيه الألمعي الملحوظ بعين الاعتبار، والاعتناء والاحترام والوقار، رئيس عساكر الدولة الصبنيولية الفخيمة المعظم في النفوس، الرئيس الكبلير الخنرال مرطنيس كمبوس، بعد مزيد السؤال التام عنكم، ومحبة أن تكونوا بخير في جميع أحوالكم، فأن سيدنا أيده الله عين خديمه الأرضى الأنجد الأنصح الأرشد السيد الحاج عبد الكريم بريشة سفيرا لدولتكم الفخيمة الرفيعة الوسيمة، وانتخبه لذلك لكونه من أعيان حاشيته الشريفة، ومن الراسخين القدم خلفا عن سلف في خدمة أعتابه المنيفة، وقد توجه لطنجة بقصد الركوب منها لبلادكم والوفود على رفيع حضرة سلطانكم المعظم المحترم، ومعه كتاب شريف له على العادة، والتحفة المعتادة، وأمرني مولانا نصره الله بإعلامك بذلك، وبالتأكيد عليك لتقف مع سفيره المذكور كما هو المعروف والمعتقد في جانبك المشكور، حتى يرجع مقضي الأغراض والأوطار، مثنيا عليك ثناء الروض المعطار على وابل الأمطار، بقيت عزيزا معظما رفيع المقدار، وعليك المعول في مهمات الأمور والمدار، ولا برحت في سرور وهناء، ظافرا بكل ما تحب وما تشاء، وختم في 6 رجب عام 1312. محمد المفضل بن محمد غريط".

وفي نفس التاريخ أيضا كتب الوزير المذكور إلى بريشة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأجل المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فيصلك بطيه زمام الأمور التي تتكلم فيها عند دولة الصبنيول، وتباشر أمر مساعدتها عليها، فطالع عليه النائب السيد الحاج محمد الطريس، وتفاوض معه في ذلك، وعلى المحبة والسلام. في 6 رجب عام 1312. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

وفي ثامن رجب كتب السيد أيضا رسالة أخرى هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الخير الأجل المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فيصلك بطيه كتابان شريفان للنائب السيد الحاج محمد الطريس في شأن سفارتك لبلاد إسبانيا، فادفعهما له، كما يصلك بطيه أيضا كتاب لمارشال الصبنيول الكبلير مرطنيس كمبوس بالوصية عليك والوقوف معك فيما توجهت عليه، وكتابان لباشدور الصبنيول بطنجة في شأن سفارتك أيضا، فادفعه له،

والله يصحبك بالسلامة والتيسير في المقام والمسير، وعلى المحبة والسلام. في 8 رجب عام 1312 محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

والكتابان اللذان ذكر الوزير غريط في رسالة 8 رجب أن السلطان بعثهما إلى النائب الطريس هذا نص أحدهما:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فيرد عليك الخديم الحاج عبد الكريم بريشة المعين للسفارة لدولة إسبانيا، ومعه الكاتب الطالب عبد الكريم ابن سليمان وقواد الجيش والتحفة المعتادة المبينة في التقييد طيه، وكتابنا الشريف لسلطان إسبانيا، فأمرك أن تبين له ما يأتي وما يذر مع الدولة المذكورة في تأخير ما لا يتأتى تنفيذه الآن من شروط حدادة مليلية المنعقدة مع المارشال إلى وقت إمكان تنفيذه وتلافيه مع باشدور الصبنيول، وتقف في ركوبه ومن معه، والسلام. في 5 رجب عام 1312".

وفي سابع رجب المذكور، كتب الوزير باسم السلطان أمرا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يأمر سيدنا أيده الله كل من يقف على هذا من خدامه العمال الذين يمر بهم حمله الأمين الحاج عبد الكريم بريشة والفقيه الكاتب السيد عبد الكريم بن سليمان ومن معهما من المخازنية والخيل والحمّارة والبغال في طريق توجههم من الحضرة الشريفة إلى طنجة المحروسة، أن يقوم بمؤنتهم وعلف ما معهم من الخيل والبغال ليلة مبيتهم عنده أو بتراب إيالته، ويعتني بجانبهم في أمر العسة ليلا وغير ذلك مما يتوقفون عليه حتى ينصرفوا من عنده إلى من يليه بسلام، والسلام. في 7 من رجب الفرد عام 1312. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ووصل بريشة إلى مدريد، ووقع له ما حكاه بنونة كما سبق.

وفي أثناء إقامة بريشة بمدريد، وقع ما يفهم من هذه الرسالة التي بعثها السلطان إلى النائب الطريس بطنجة، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فقد بلغ لشريف علمنا أن دولة إسبانيا بصدد الكلام مع الخديم الحاج عبد الكريم بريشة في جعل جمع بمدريد من باشدورات الدول على الوفق الذي كان جعل بالمحل المذكور والكلام فيما تضمنه هذا الوفق من أمر الحماية

والمخالطة والاتفاق مع الخديم المذكور على مساعدة المخزن على ذلك، وعليه فنأمرك أن تعلمه بذلك وتوصيه بأن يجيبهم إذا تكلموا معه في ذلك بأن لا إذن عنده من جانبنا العالي بالله في الكلام معهم في شيء خارج عن قضية مليلية سوى القونص الذي أرادوا نصبه بفاس، والسلام. في 15 رجب عام 1312".

وأثناء مكث بريشة بمدريد أيضا، كتب إليه قائد تطوان رسالة يرغب منه أن يشفع في يهودي تطواني كان مسجونا بإسبانيا، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله

حبينا الأجلين المحترمين خديم مولانا الأنجد المكرم السيد الحاج عبد الكريم بريشة وكاتب الحضرة العالية الفقيه الأمجد الخدن الأود سيدي عبد الكريم، رعاكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا دام نصره العزيز، وبعد فلا يخفى على مجادتكم ما يوصي به مولانا أيده الله ولاته في شأن أهل الذمة لأجل المأثور في حقهم عن سادات هذه الأمة.

وقد تعلق بنا بعض أعيانهم في تطوان في قضية أحد أبنائهم اسمه إلياس بن بيدال إسرايل التطواني أصلا ودارا، كان يتجر بمليلية، وحكم عليه بسجن ست سنين على يد حاكمها الجنرال ماسياس في قضية لا تصعب الشفاعة بها فيه، فسجن في غرناطة هذه عام وثلثه، وألحوا في الكتابة لسيادتكم، طالبين الشفاعة فيه أن يعفى عنه فيما بقي من مدة السجن.

وبما أنه من أهل الذمة الداخلين تحت ظل مولانا أعزه الله، تعين علينا التعلق بكم في ذلك مساعدة لهم وامتثالا لما نحن مأمورون به من البحث لهم عن حقوقهم. فأرجو من كمال اعتنائكم بذل المجهود في التلطف في قضاء هذا المطلب بما أمكن لدى هاتيكم الدولة، حتى يأذنوا بتسريح هذا اللائذ بلواء الإسلام، تنويها بهذا الدين ومملكته، وتعظيما لهما، قضى الله بكم الغرض الشريف، ويسر على يدكم للإسلام كل خير، وجمعكم بالأهل سالمين آمين، وعلى المحبة والسلام. 10 شعبان الأبرك عام 1312. محمد بن أحمد الخضر السلاوي لطف الله به".

ويظهر أن اليهود كما تعلقوا بقائد تطوان ليتوسط لهم في إطلاق سراح مسجونهم المذكور، تعلقوا أيضا بالقاضي السيد محمد عزيمان ليتوسط لهم هو أيضا في ذلك، فكتب رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

من الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل الحجة الأمثل قاضي محروسة تطوان وهو محمد بن علي عزيمان الله وليه ومولاه أعزه الله تعالى بمنه وحرسها، إلى النائب الأرشد الخير الأحفل السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المؤيد بالله، وبعد فقد تعلق بجانبنا اليهودي

الحزان في شأن دعوة اليهودي ليه إسرائيل الذي هو بسجن غرناطة فيما اتهم به من دعوة مليلية مع الريف كما هو مبين بكتاب الحزان، فنطلب منك أن لا تقصر معه، وتكون خير معين فيما طلبوه منك، والله يجازيك ويجعل البركة فيك، والسلام. في 11 شعبان عام 1312".

وفي عاشر شعبان، كتب النائب الطريس من طنجة إلى بريشة بمدريد رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

حبيبنا الأعز الأرضى خديم سيدنا الأحظى سيدي الحاج عبد الكريم بريشة، حفظك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله بوجود مولانا المنصور بالله، وبعد فلا زائد على ما افترقنا عليه، أدام الله لنا ولكم السلامة، ظعنا وإقامة آمين. هذا وقد كان ورد علينا من سيادتك التلغراف الأول والثاني والثالث وأفاد الكل بخير وعلى خير، ودخل علينا السرور العظيم بما صدر من دولة إسبانيا وكبرائها من التعظيم والترحيب والبرور التام في جانبكم على عادتها المألوفة من الاعتناء الكامل مع سفراء دولة المغرب، غير أنه بقي الحال في خاطرنا عما صدر من الأحمق معكم، لكن نطلب المولى سبحانه أن لا يعقب ذلك إلا بمزيد الإقبال والرفعة. وقد كنا عرفنا محل ولدنا البار الفقيه سيدي محمد الصفار بالتلغراف الأول حينا ولا ما يشوش البال، بفضل الله الكبير المتعال. كما وصلتنا مكاتيب من سيادتك، وساعة الوصول وجهناها لمرصى له .... كما يعود سلامنا على الرفيق الفقيه الكاتب سيدي عبد الكريم ابن سليمان، كما تسلم لنا على وزير الأمور البرانية ومن سأل عنا، ودمتم بخير، والسلام. في 10 شعبان عام 1312. محمد بن العربي الطريس لطف الله به".

ثم في 21 شعبان كتب الوزير غريط إلى بريشة كتابا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الماجد الأبر الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك معلما بحلولكم بمدريد، وبما قوبلتم به من مزيد المبرة والاعتناء، ثم أخبرت بالواقع لك يوم الملاقاة حين خروجكم للتوجه لها، وقد ساءنا ذلك وكدرنا غاية، وكتب بذلك للفقيه الوزير السيد أحمد بن موسى، فها جوابه يصلك بما فيه كفاية حفظكم الله ووقاكم، وعلى المحبة والسلام. في 21 من شعبان عام 1312. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

ولم نقف على كتاب الوزير المشار إليه.

وفي 22 شعبان المذكور، أرسل بريشة من مدريد إلى الوزير الصدر أحمد بن موسى رسالة يظهر أنها من إنشاء رفيقه الفقيه الكاتب السيد عبد الكريم بن سليمان، وهذا نصها بعد الافتتاح العادي:

"وبعد فبعدما قدمنا لكم الإعلام بما راج في قضية الأربعمائة ألف الباقية من المليون المعجل وانفصال الكلام فيها على إيصالها لمرسى الجديدة للأجل المنصرم بمتم شوال المقبل، روجنا الكلام مع من لهم النظر في القضايا التي توجهنا لأجلها مدة من اثني عشر يوما في عدة مجالس ونحن نسبح معهم بحار المناظرة كفرسي رهان، وتارة بليونة وإرخاء العنان، ونحن نترصد الظفر بأحسن الوجوه وأجداها نتيجة، إلى أن يسر الله سبحانه في حل القضايا ما لم يكن خاطرا ببال بالنسبة لما كانت تنفصل عنه المجالس، وحاصله أن قضية الثمان والعشرين مائة ألف ريال لما خضنا معهم في ضرب سكتها عندهم، لم تسمح نفوسهم بربح الطابع المخزني كله، وصاروا يحومون على المشاطرة فيه تارة، وتارة على أقل زيادة على جفاوة الصوائر اللازمة بدار الضرب، وقد أمعنا النظر في جميع وجوه ضرب السكة، فوجدنا نتيجتها كلها لا تجدي بالنسبة لما نؤمله مع استشعارنا منهم الرغبة في قبض الدراهم بعينها، وإن لم يصرحوا بذلك، ولمحنا في الكلام لما ذكر طمعا في اقتناص المراد فيهم من هذه الحيثية، فصدق الله الفراسة بوجود الانقياد منهم، ومخضنا معهم الكلام في ترك هذا المنوال الراجع لضرب السكة من أصله والرجوع لإسقاطنا من أصل الدين ما توافق الرأي على اعتباره من نطريس مدة الأجال المستقبلة وربح السكة إن لو ضربت المجموع منها أربع عشرة مائة ألف ريال التي هي شطر الباقي من الدين ويدفع لهم الشطر الباقي الذي هو أربع عشرة مائة ألف أيضا دفعة واحدة في سكة الذهب من غير صرف إما بطنجة أو الجديدة لأجل ستة أشهر بعد النفخ والطبخ، أولها تاريخ وصول الإعلام للحضرة الشريفة بما ذكر. (وفي الشروط أولها تاريخ الختم). وأما قضية قنصل فاس فقد انفصلنا فيه على حيازتنا خط يدهم بإسقاطه بالكلية.

وأما البلاد المحرمة التي في حدود مليلية، فقد انفصلنا معهم على إمهالهم في الكلام فيها سنة واحدة بخط اليد لاتقائهم تشييع أكثر من ذلك عند رعيتهم ووعدوا مشافهة بالمساعدة على زيادة عام آخر أو أكثر.

وأما قضية إبطال مرسى مليلية، فأجابوا عنها بأنهم كانوا عازمين على طلب زيادة أخرى، وهي فتح مرسى سبتة للخدمة، فكيف يساعدون على إبطال مليلية وقد حل برعيتهم ومخزنهم فيها ما حل، ولا زالت الرعية في هرج ومرج وتطرق ألسنتها بالكلام فيهم ويهددون بالقيام عليهم لادعائهم الغبن وعدم الإنصاف فيما ضاع لهم من الرقاب والأمتعة بهذه الوقعة. وغاية ما حصلنا

عليه معهم إمهالهم الآن في الجواب عن ذلك لمضي سنة بينما يتم سكون الرعية ويظهر ما يكون.

وهذا القدر المتيسر في هذه القضايا كلها إنما حصل بسعادة سيدنا، وبما وفق الله سبحانه في قلب الرينة من النهضة والاعتناء بحضها الوزراء الأفراد على رد هذه السفارة مجبورة الخاطر بما أمكن، وإظهارها لهم ما بها من الاهتمام والاغتمام لذلك، وإلا فلا أخال الحصول على البعض على مقتضى ما وجناهم عليه أولا، ولكن الله ذو فضل على العلمين.

وجميع ما أبرمنا معهم في هذه القضايا كله على جعل المشورة فيه والخيار للجناب الشريف مدة من أربعين يوما أولها تاريخ خط اليد الذي سنحوزه بما ذكر كله إن شاء الله بعد هذا بيومين. وأعلمنا سيادتكم بالواقع لتكونوا على بال، وحيث نحوز خط اليد المذكور نطير لكم الكتب به بحول الله. وهذه زبدة ما أدى إليه اجتهاد فكرتنا ليلا ونهارا وترددنا للمجالس وأفراد الأعيان آصالا وأبكارا، ولم نأل جهدا بما عرفنا الله وألهمنا إليه، في صدق الخدمة الشريفة وإخلاص النصح لجانب الإسلام. ولو شرحنا تفاصيل ما دار في هذه القضايا لما وسعتها الكراسة، ونسأل الله الإصابة في القول والفعل، والوقاية من خطإ مهاوي الجهل، عنه آمين، وعلى المحبة والخدمة والسلام. في 22 شعبان الأبرك عام 1312."[1]

وبمضمنه كتب للأمين السيد عبد السلام التازي وللحاج محمد الطريس بما عدى فصل إبطال مرسى مليلية".

وكان بريشة قد كتب لأمين الأمناء التازي رسالة بتاريخ 11 من شعبان المذكور، فأجابه التازي برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأمين الأعز الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله ونصره وبعد وصلنا كتابك المؤرخ ب 11 هذا الشهر مخبرا بالأربعة مجالس التي روجت الكلام فيها مع الوزير فيما توجهت لأجله من قبول ما وقع به الفصال بمراكش وإرادة دفعه جملة بشرطين، إسقاط الطريس مدة تقسيطه ودفعه سبيكة فضة باعتبار عيار ريالهم بعد إسقاط صائر ضربه، واستفهمك هل الفضة تحت اليد أو تشترى وطلب نصف الربح فيها، وبحث عن سبب الدفع جملة وعن موجب تأخر بقية القدر المشترط تعجيله ولم يقبل فيها عذرا ولم تجد بدا من فتح الباب لأجل دفعه بحصره في أيام 80 آخرها متم شوال المقبل، وأشرت لما هم فيه من التشغيب

---

[1]. هذه الرسالة بظهرانها أرسلت إلى الوزير المذكور بتاريخ 24 من الشهر المذكور، وقد أجاب عنها الوزير المذكور بتاريخ 8 رمضان، وأثبت نص الجواب فيما بعد.

وكثرة القيل والقال مع الرعية، ولذلك توقفوا فيما تباشره معهم وطلبوا أن تعلم بذلك، وعلمنا جوابك عن الفضة من عدم الاطلاع وسكوتك عن الربح وجوابك عن المراد بالدفع جملة، وذلك هو الواقع، فإن المال ما بقي يتوجه قسطه كل ستة أشهر فبالضرورة يبقى ذلك التشوف، ومادته تنحسم بدفع المال جملة. وقد افهم كلامك أن الانطريس مسلم لديهم أمره، وعليه فعند صفاء الأمر تجد المد ويحسب ما يجب فيه على نسبة أقساطه في الوفق المتقدم معهم. وأما طلبهم الإسهام في الربح، فقد علمت أن المقصود من إرادة الدفع جملة مع ما يلحق في ولا سيما الآن، هو التخفيف مع النكتة التي أجبت بها فيه، وإن كان ولا بد فالثمن في الربح بعد حط صائر دار الضرب المعلوم بها مع كراء حمل الفضة من طنجة لمدريد ولو لم يكن لهم سهم في الربح لكان الكراء على جانب المخزن. ودفع الفضة يكون بالميزان بطنجة، وإن لم تكن مساعدة منهم على الثمن فيتدرج إلى الربع وإلا فالغاية للثلث لهم، وكون الفضة تحت اليد أو بالشراء فقد علمت أنها ليست تحت اليد ولكن لا يفصح لهم به بل يبهم فيه ما أمكن، وعلى كل حال لا يشتريها إلا نائب المخزن من غير واسطة أحد أجنبي أيا كان، فاطمئن من ذلك، ولن تتعرض لأمر مليلية مع أننا على يقين من أنك على بال منه، وأنك تتفرغ من هذا زاكلو الذي أنت متقبض به معهم الآن وترد الوجهة لمباشرة أمرها، والمولى يوفق ويعين على إتمام الغرض وفق المراد، ويهدي إلى الصواب، وعلى المحبة والسلام. في 28 من شعبان الأبرك عام 1312. عبد السلام التازي لطف الله به".

وفي 29 شعبان كتب إليه الوزير أحمد بن موسى رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا الأرضى الأمين الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك المؤرخ بثاني عشر شهر التاريخ مخبرا بأنكم شرعتم في مباشرة قضاء الأغراض التي توجهتم لأجلها، ومهما أردتم فتح باب لتحصيل المراد، إلا أغلقوه بما وقع من التراخي في توجيه الأربعمائة ألف ريال الباقية من القسط الأول المعجل، وكلما اعتذرتم عن ذلك بعذر من الأعذار، إلا أجابوكم بأنها لو كانت نفذت من أول الأمر لوصلت إلى محلها قبل حدوث المانع، ولم يسعكم إلا ضرب أجل قدره ثمانون يوما، أولها يوم تاريخ كتابكم لإيصال ذلك للجديدة، لغاية شوال، وإلا فيعيدون الانطريس من فاتح ذي القعدة. وذكرت أن جميع كبراء الدولة قالوا إنهم متحققون باستقامة الطريق من مراكش إلى الجديدة، وقالوا لو كان ذلك توصلوا به لسهلت مباشرة الأمور كلها، لأنهم في مشقة مع الرعية بسبب هذه المماطلة. وأشرت بتعجيل تنفيذ ذلك، وإجابتك عنه وصار بالبال. وقد أنهينا ذلك

لمولانا أيده الله، فأذن لك نصره الله في إمضاء الأجل المذكور وإجراء العمل عليه وإعلامهم بأن العدة المذكورة تكون عند تمامه بالجديدة أو طنجة بحول الله، بحيث أيتهما تيسر إيصال ذلك إليها، يكون الدفع فيها إن شاء الله، فعرفهم بذلك ليعينوا من يحوز بأحد المحلين المشار إليهما، وعلى المحبة والسلام. في 29 شعبان الأبرك عام 1312. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

والرسالة السابقة – كما رأيت – تشير إلى الأربعمائة ألف ريال الباقية من القسط الأول المعجل. وقد وقفت على رسالة كتبت قبل تاريخ الرسالة السابقة بنحو خمسة أشهر، وفيها أن المبلغ المذكور ميسر، وهذا نصها:

"... وبعد فساعته وصلنا كتاب شريف قدره منيف، يتعلق بأمر الأربعة ملايين من الريال التي انعقد الفصال عليها مع سيدنا المقدس بالله ومع دولتكم، وحاصل ما تضمنه أن الأربعمائة آلاف ريال الباقية من المليون المعجل، تركها سيدنا المقدس محسوبة ميسرة موضوعة في صناديقها ببيت مال مدينة مراكش، بقصد توجيهها للجديدة، فقضي عليه قدس الله روحه، ولا زالت موضوعة هناك على الوجه المذكور، والحالة أنها مسقطة من كناش أمين بيت المال، فارغة من ثمة باقية موضوعة فيه على وجه الأمانة من قبل مخزنكم وبنفس هناء الطريق وتسكين روعة الرعية وردها للجادة تدفع لكم على الفور بحول الله. هذا ما يتعلق بأمر المليون الأول، وأما ما يرجع لمشاهرة الثلاثة الملاين المؤجلة على سبعة أعوام ونصف، فعند انتهاء أجل كل قسط من تلك الأقساط، يؤديه المخزن بفور انصرام الأجل المتضمن في شروط امليلية. وها المخزن أمر بتيسير واجب القسط الأول الذي قرب أجله يحل، وعند تنضيضه يوجهه بحول الله. وأعلمناك لتكون على بال مما ذكر ولتعلم دولتكم المحبة بذلك ليتحقق لديها، وإن كانت على يقين وأن دولة المغرب غير متساهلة في شؤونها، بل لا زالت في تجديد ارتباط عقد المحبة والصداقة، زيادة على المحبة الموروثة خلفا عن سلف، على أن المعتقد في جناب دولتكم قبول مطلق العذر، فأحرى الأعذار التي اقتضاها الوقت الحاضر التي لا تحتاج إلى مزيد توضيح، وأنت مجاز خيرا في سعي المصالح بين الدولتين المحبتين. وختم في 14 ربيع الثاني عام 1312".

وفي ثامن رمضان أرسل الوزير أحمد بن موسى إلى بريشة جواب رسالته التي تقدمت بتاريخ 22 من شعبان، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأمين الأعز الأرضى الأنجد السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله ونصره وبعد وصلنا كتابك المؤرخ بـ 24 شعبان المتصل بأنك بعدما قدمت الإعلام بما راج في قضية

الأربعمائة ألف ريال الباقية من المليون المعجل والفصال الكلام فيها على إيصالها للجديدة للأجل (80) المغيا بمتم شوال المقبل إن شاء الله روجت الكلام مع من لهم النظر في القضايا التي توجهت لأجلها في عدة مجالس تترصد الظفر بأحسن الوجوه فيها، إلى أن يسر الله في جلها، بكون قضية الثمانين والعشرين مائة ألف ريال، لما خضت معهم في ضرب سكتها عندهم، لم تسمح نفوسهم بربح الطابع المخزني كله، وتشوفوا للمشاطرة فيه زيادة على صوائر دار الضرب، واستشعرت منهم الرغبة في قبض الدراهم بعينها، ورأيت أن تلمح للكلام فيها طمعا في التوصل للمراد من هذه الحيثية، فوجدت منهم انقيادا لذلك، فلذلك رحبت في إسقاط ما يتحمل من الانطريس مدة الأجل المستقبلة ومن ربح السكة، فتوافق الرأي على إسقاط الشطر في مقابلة ذلك وهو أربع عشرة مائة ألف، ويدفع لهم الشطر الباقي في سكة الذهب بطنجة لأجل نهايته ستة أشهر أولها تاريخ وصول الإعلام للحضرة الشريفة.

وبأن قضية قنصل فاس انفصلتم على أن يعطوا خط يدهم بإسقاطه بالكلية، وبأن البلاد المحرومة التي في حدود مليلية وقع الفصال على إمهالهم في الكلام فيها بخط اليد سنة للسبب الذي بينوا، ووعدوا مشافهة بالمساعدة على زيادة عام أو أكثر.

وفي إنهاض مولاي عرفة بأن لا بد من إقامة من ينزل مقامه مع العسة.

وفي إبطال مرسى مليلية بأنهم كانوا عازمين على فتح مرسى سبتة للخدمة، فإن ساعدوا على إبطال مليلية وقد حل برعيتهم فيها ما حل ولا زالت تموج في ذلك، تتطرق ألسنتها بالكلام فيهم ويهددون بالقيام عليهم مدعين الغبن وعدم الإنصاف فيما حل بأهاليهم وأنه لا يسوغ إصدار أمر إلا بعرضه على الكرتيل وجموع القامرة، وأن غاية ما حصلت عليه معهم إمهالهم الآن في الجواب عن ذلك لمضي سنة، بينما يستقيم سكون رعيتهم.

وأشرت لما رأيت من اهتمام الزينة واعتنائها بحضها الوزراء الأفراد على إجبار الخاطر بما أمكن، ونبهت على أن جميع ما أبرمت معهم في هذه القضايا كله على المشورة فيه والخيار للجانب الشريف مدة من أربعين يوما أولها تاريخ خط اليد الذي تحوزه بما ذكر وأنك لما تحوزه تعلم به، وصار بالبال.

فلما إسقاط الشطر فقد وافقت فيه وأصبت، فإن ربح السكة مع الانطريس وإن كانا أكثر منه، إلا أن أمرهما يستدعي طولا وكبير شغل، بخلاف الإسقاط فإنه أخف كلفة وأيسر عملا، غير أنه لا بد من زيادة فسحة في أجله بجعله اثني عشر شهرا كاملة حتى لا يحصل ضيق في الأداء، وإن لم يتأت ذلك فلا أقل من عشرة أشهر.

وأما الذهب فلكون أمره غير متيسر، فانظر هل يغني عنه ريالهم الرائج، فإن أمكن فيها ونعم، وإلا فيدفع ما تحت اليد من ريال الفرنصيص لأنه مثل الذهب ويكمل بريالهم بصرفه الآن، وإلا فالكل من ريالهم بصرفه الآن أيضا، وإن كان لا بد من الذهب بعينه، فامض عليه وتنبه في العقد لكون الفصال السابق مختوما بخاتم كل من الجانبين لتكون الإحالة في هذا العقد عليه بما يقتضي نسخه، وليطبع عليه بخاتم مخزنهم كذلك.

وأما إسقاط القنصل من فاس فهو من دليل المحبة، فجاز الزينة كثيرا عن ذلك وجاز الواسطة.

وأما الإمهال في قضية الأرض المحرومة بحدود مليلية سنة مع إعطائهم الكلمة فيها، فجازهم عن ذلك أيضا.

وأما من يقوم مقام مولاي عرفة، فإنه يكون هناك رجل من ذوي البال مع العسة.

وأما إبطال ديوانتها، فالحامل عليه هو ما بين الجانبين مؤسسا من المحبة والحرص على بقائها سالمة مما يكدر صفوها، لأنه لم ينتج فتحها فائدة بسبب خوض الجوار وما ينشأ عنه بين أهلها وبينهم، وهو الذي أفضى إلى ما وقع وجانب المخزن أعزه الله يتحرى ذلك، ولأجله حد عقد فتحها في ثلاث سنين، ثم بعدها من أراد نقضه من أحد الجانبين فله ذلك ويعلم الآخر. على أنهم لا نفع لهم في فتحها، وإنما النفع لجانب المخزن أعزه الله، ومع ذلك فالمخزن يسامح فيما يناله منها تأثيرا لجانب المحبة التي بين الجانبين لتبقى في الزيادة، وحيث طلبوا الإمهال في شأنها سنة فلا بأس مع بقائهم على كلمتهم في مباشرة أمرها لما تمضي السنة، والمولى سبحانه ييسر ويعين.

وأشرت لما بذلته من الجهد واستفراغ الوسع في ذلك وفي صدق الخدمة وإخلاص النصح، وذلك محقق معلوم وإنك لمثاب عنه مأجور، وعلى المحبة والسلام. في 8 رمضان المعظم عام 1312. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ومن الرسالة السابقة وغيرها، نعرف أن إسقاط حكومة مدريد لمليون وأربعمائة ألف ريال (وذلك هو نصف المبلغ الذي كان لا يزال على المغرب أداؤه بصفة غرامة حربية عما لحق الإسبانيين من الخسائر في قتال مليلية) لم يكن بصفة ترضية لجانب بريشة ودولته، في مقابل اللكمة التي تلقاها من ذلك الإسباني الأحمق المتعصب، بل إنما كان ذلك الإسقاط في مقابل تعجيل الحكومة المغربية لدفع المبلغ المطلوب، وأن المبلغ الذي أسقط إنما هو في مقابل الانطريس وصرف السكة الخ. بل إن وزير المغرب يذكر كما رأيت في رسالته السابقة أن مبلغ الانطريس وصرف السكة أكثر من المبلغ الذي تنازلت

عنه حكومة مدريد، وأن الذي تنازل عن بعض حقه هو المغرب لا غيره. وهذا شيء لم نكن نعرفه قبل قراءتنا لهذه الرسائل، وإنما كنا نظن كما كان يظن جل الناس بتطوان وغيرها، أن حكومة الرينة أرادت أن تبرهن على نبلها فتنازلت عن نصف الدين الذي لها على المغرب، جبرا لخاطر السفير بريشة الذي صفع بدون موجب، وترضية لحكومة المغرب التي أهين سفيرها الرسمي في عاصمة إسبانيا.

وفي نفس تاريخ رسالة الوزير، أي في ثامن رمضان، أرسل أمين الأمناء التازي إلى بريشة رسالة تعتبر كحاشية لرسالة الوزير وتكملة لها، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأمين الحظي المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله ونصره، وبعد وصلنا كتابك مؤرخا بـ 24 شعبان المتصل، مخبرا بما روجته بعد قضية بقية المعجل، من القضايا وما تيسر فيها بعد التي واللتيا، وأحطنا علما بما شرحته فيها بعد بذل الجهد واستفراغ الطاقة، وصار ذلك منا على بال.

وفي جواب الفقيه (يعني الوزير) حفظه الله عن ذلك كله كفاية. وساعة تصفية الأمر في المال وحيازه حجته ليدك سالمة عجل بالإعلام به للفقيه الوزير على يد النائب الطريس، وأكد عليه في إنهاض رقاصين عليه بالشرط لتناهز الفرصة في تنضيض العمل. والمقاولة (1500) التي هي من جملة الصائر في الإثر تصلك، وعلى المحبة والسلام. في 8 رمضان المعظم عام 1312. عبد السلام التازي لطف الله به".

وبطرة الكتاب المذكور ما نصه:

"هذا والأجل الذي حد لك الفقيه الوزير حفظه الله لم يجد بدا منه لأن المال الذي ينفذ لذلك لا بد من توجيهه متفرقا لا دفعة واحدة، والمحل الذي يتوجه منه لطنجة أو للجديدة لا بد من ترقب سلامة طريقه، وذلك يستدعي طولا ضرورة، وجانب المخزن أعزه الله إذا أعطى الكلمة يحرص على التوفية بها، على أنه يهتم بأمره بمجرد ما تعلم بصفائه، حتى إنه إذا تيسر داخل الأجل يدفع لهم قبل حلوله، والمقصود التوسعة التي يوفى بما يعقد داخل أجلها، لكن إن لم تجد مساعدة البتة، فلا تنقض الفصال معهم ولا تمضيه لستة أشهر وطير الإعلام، تم به".

وبعد انتهاء السفير بريشة من المفاوضة مع الحكومة الإسبانية فيما توجه لأجله، أبرم معها بمدريد عقدا مؤرخا بـ 29 شعبان عام 1312 موافق 24 فبراير سنة 1895، وهذا نصه:

"بسم الله القادر على كل شيء

حضرة سلطان مراكشة وضون ألفنس الثالث عشر بنعمة الله وقوانين الدولة سلطان إسبانيا وعلى لسانه مدة صغره ضونية ماريا كريسطينا نائبة المملكة يريدان تقوية حسن المخالطة الحاصلة والحمد لله بين إسبانيا ومراكش لأجل حسم مادة القضايا التي انبنى عليها الوفق المجعول بمدينة مراكشة في خامس مارس عام 1894 أربعة وتسعين وثمانمائة وألف، فاقتضى نظرهما إنشاء شروط أخرى متفرعة عن الوفق المذكور، وأن يعينا نائبين مفوضين عنهما في ذلك، فعينت حضرة سلطان مراكشة خديمها الأمين الأنصح المنتخب عندها للسفارات المهمة السيد الحاج عبد الكريم بريشة ابن الحاج محمد بريشة التطواني، وله النيشان الأكبر من المقامة السلطانية إسبل الكاطوليكية، والنيشان الأكبر من المرطو ملطار، يعني من مقام أهل المزايا الحربية المميز بالأبيض، وحضرة سلطانة إصبانيا نائبة المملكة عينت ضون الخنذرُ كرُ يَرْد وكمس دي لبرنا له النيشان الأكبر السلطاني متع كرلوس الثالث والنيشان الكبير بلطفسية دي كرسنط ومتع بيُو التاسع وخبير بأصول القوانين وكبير أعضاء ديوان الآداب والأخلاق والسياسة وبشدور مدة حياته ووزير أمور البرانية الخ الخ الخ. وبعدما تقبل المفوضان المذكوران بتفويضهما التام الصحيح، وقع بينهما الاتفاق على الفصول الآتي ذكرها ادرفرند يعني بعد إمضاء الحضرة الشريفة لذلك.

<u>الفصل الأول:</u> إن الحضرة الشريفة لا زالت موافقة على مقتضى الشرط الأول من العهد المجعل بين مراكش وإسبانيا المختوم بمدينة مراكشة في 5 مارس عام 1894 أربعة وتسعين وثمانمائة وألف الذي هو تربية الفعال من أهل الريف على ما صدر منهم بمليلية في شهرين أكتوبر ونونبر عام 1893 ثلاثة وتسعين وثمانمائة وألف، وجددت الموافقة على أن التربية المذكورة إنما يلزم تنجيزها في الإبان الذي تتيسر فيه القوة الاستعدادية لذلك لكون الدولة حضرة الكاطوليكية يعني الإصبنيولية متيقنة من حضرة سلطان مراكش الوفاء بالعدل والإنصاف في هذا الأمر، كما قبلت الدولة الإصبنيولية وعد الجناب الشريف بغاية التربية لجميع أهل الريف الذين يصدر منهم تعدي في المستقبل على حد من الحدود المقررة في الشروط الموافقات الجارية بين الجانبين.

<u>الفصل الثاني:</u> إن الآجال المبينة في آخر الشرط الثاني من الموافقة المراكشية لتحديد الأرض التي تكون محرمة بين الحدادة المراكشية وامليلية بعد تمام إفراغها من السكان النازلين فيها وتهديم الديار القائمة بها ونقل أشجارها وإبطال حرثها، يزاد فيها الآن عام آخر توسعة في الآجال من تاريخ الذي تختم به هذه الموافقة.

الفصل الثالث: التزمت الحضرة الشريفة على مقتضى الشرط الرابع من الموافقة المراكشية أنه حيث ينهض مولاي عرفة من حوز مليلية ينزل بها حالا أربعمائة من المخازنية مع قائدهم وتبقى هنالك في مجاورة مليلية، وكذلك يلزم الدولة المراكشية من الآن جعل العسات المناسبة في مجاورة الحصون الاصبنيولية المجاورة لإيالة الجناب الشريف ليتم حصول المقصود من الشرط الأول بالمعاهدة المراكشية المذكورة.

الفصل الرابع: إنه لما تضمن الشرط السادس من الشروط المعقودة بمراكشة التزام الدولة المراكشية أداءها للدولة الاصبنيولية مليونا واحدا من الريال معجلا من المال المفاصل به في قضية مليلية ولم يدفع من هذا القدر إلا خمسمائة ألف ريال وتسعون ألف ريال وثمانية آلاف ريال وأحد وعشرون ريال، وبقي للدفع اربعمئات ألف وتسع عشرة مائة ريال وتسعة وسبعون ريالا، التزمت الدولة المراكشية بإحضار هذه العدة المذكورة بمرسة الجديدة، ودفعها للدولة الإصبنيولية هنالك، وذلك لأجل نهاية ثمانون يوما أولها من التاريخ المختوم به هذه الموافقة، وإن تأخر الدفع لسبب يلزم الدولة المراكشية أداء إنطريس لإصبانيا عن القدر المتأخر بحساب ستة في المائة في كل عام مدة التأخير.

الفصل الخامس: لما دفعت مراكشة للدولة الإصبنيولية في 31 دجنبر عام 1894 أربعة وتسعين وثمانمائة وألف، المائتي ألف ريال تثنية الواجبة في القسط الأول من الأقساط الخمسة عشر المشروط أداؤها في الشرط السادس من الشروط المعقودة بمراكشة، وبقي منها لم يدفع أربعة عشر قسطا بحساب مائتي ألف ريال تثنية في كل قسط مجموعها ثمان وعشرون مائة ألف ريال، وعدت الدولة الشريفة بأدائها للدولة الإصبنيولية أربع عشرة مائة ألف ريال ذهبا دفعة واحدة تكون في مقابلة مجموع الأقساط الأربع عشرة، وذلك لأجل نهايته ستة أشهر، فتلقت ذلك الدولة الإصبنيولية بالقبول والتسليم، على أن يكون دفع ذلك بإحدى المراسي العربية، وذلك بعد دفع الأربع مائة ألف ريال والتسع عشرة مائة ريال والتسعة والسبعين ريال الباقية من المليون المعجل المشار إليه في الفصل الرابع من هذا الوفق. وحيث تحوز الدولة الإصبنيولية الأربع عشرة مائة ألف ريال ذهبا في مقابلة الأقساط الأربعة عشر تتم براءة ذمة الدولة المراكشية من جميع ما عليها من المال الراجع لتعويض الضائع بمليلية بالإبراء التام الشامل العام، وللدولة المراكشية أن تدفع الأربع عشرة مائة ألف ريال المذكورة من أي نوع من أنواع سكك الذهب الجارية في كل بلد، ولكن يعتبر صرفها بما تعتبر به الدولة الجارية فيها.

الفصل السادس: إنه لما تضمن الشرط السادس من الشروط المعقودة بمراكشة تلقى الحضرة الشريفة الالتزامات المقررة فيه بالقبول، اكتفت الدولة الإصبنيولية بكلمة الحضرة الشريفة في الوفاء بذلك، ولا زالت الآن على ذلك الاعتقاد ولكن إن عرض مع ذلك لجناب الحضرة الشريفة موجب اضطراري لتأخير الوفاء بدفع القدر من المال الموافق للفصل الخامس قبله يليه، فإنه يلزم الدولة المراكشية أداؤها لدولة إسبانيا الانطريس عن القدر الذي تأخر دفعه بحساب ستة في المائة في العام، وإذا عاق عائق عن الدفع أكثر من عام، فإن دولة إسبانيا تكون لها القدرة على المداخلة في ديوانات مراسي طنجة والدار البيضاء والجديدة والصويرة، ويكون لها النظر في إسقاط حق المداخلة في الديوانات المذكورة إن ظهر لها ذلك، على مقتضى الشرط السادس من الشروط المعقودة سابقا بمراكشة.

الفصل السابع: إن كان ما لم تشمله الموافقات المجددة في هذا الشرط من المعاهدات المعقودة سابقا بين الدولة الإصبنيولية والدولة المراكشية، يبقى مقرر الحكم على حاله، خصوصا ما بقي من الشروط المعقودة بمراكشة بتاريخ خمسة مارس عام أربعة وتسعين وثمانمائة وألف، وخصوصا الباقي من الشروط الأخر القديمة المتعلقة بمليلية وحصونها.

الفصل الثامن: هذه المعاهدة تقرر بإمضاء الجانبين ورجوع النسختين للمبادلة فيهما بطنجة في مدة أربعين يوما معدودة من يوم التاريخ المختوم به هذا الشهر، وعلى هذا المنوال وضع المفوض لهما من الجانبين ختمهما بطابعيهما بمدينة مدريد يوم الرابع والعشرين من شهر فبراير عام 1895 خمسة وتسعين وثمانمائة وألف عجمية الموافقة للتاسع والعشرين من شهر شعبان عام 1312 اثني عشر وثلاثمائة وألف هجرية.

موضع الطابع: عبد الكريم بن محمد بريشة.

الحمد لله النسخة من الشروط المرسومة يسرته تقابلت بمثل الأصل فألفيت موافقة له حرفا بحرف، وعلى ذلك ختم نائبا الجانبين بوضع خط يدهما، وذلك في تاريخ رابع أبريل سنة 1895 موافق 7 شوال عام 1312. محمد بن العربي الطريس لطف الله به ـ ثم خط عجمي. وبعده الطابع".

والعقد المحال عليه، أي المبرم بمراكش في خامس مارس سنة 1894 هذا نصه:

"بسم الله القادر على كل شيء

كما أن الواجب تكميل فصال العهود الصحيحة بين دولة المراكشية ودولة السبنيولية المناسبة لحصر امليلية وأرضها التي لا زالت بغير تكميل إلى الآن، وليتجنب في المستقبل تكرار الوقائع المحزنة مثل التي وقعت في الأرض

المذكورة في شهر أكتوبر وشهر نونبر من العام الفارط، اقتضى نظر حضرة سلطان المراكشية وحضرة سلطانة إسبانيا المملكة على لسان نجلها المعظم السلطان ضون ألفنس الثالث عشر، يتعين مفاوضتهما الحضرة الشريفة عينت وزيرها في الأمور الخارجية الفقيه السيد محمد المفضل بن محمد غريط وحضرة سلطانة دولة إسبانيا عينت ضون أرسنئى مرطنيس دي كميس قبطان خنرال من الجيش الدولة أعضاء الديوان المملكة رائس الجيش المحرك بأفريكية وكبلير من النيشان العظيم من طويسن دي أورو ونيشان الأكبر من مرنواشن المملكة والحرابة دي سان فرناندو وسان إرمنخيلد ومريط مليطار ونيشان كبير كردن من الاخيون دي أونور الفرنسوية وكوليار من الطوري اسبادا من البرتغال ونيشان كبير مرليوبلد من الوسطرية ونيشان كبير كردن من الدركون دي أورو من الأنام وبيده نوس وشخوص أخرى من تفضيل في وقائع الحرب الخ الخ الخ الذين بعدما تقابلا في تفويضهما التام ووجدوهم صحيحين كما ينبغي، وقع بينهما الفصال التي ذكرها وهي:

الشرط الأول: حضرة سلطان مراكشة التزمت كما هو مقرر في الشرط السابع من عهود الهناء والمحبة المجعولة بين مراكشة وإسبانيا في تطوان بتاريخ 26 أبريل عام 1860 ألف وثمانمائة وستين، وكما ذكرت الحضرة الشريفة لباشدور حضرة سلطانة إسبانيا في الملاقاة التي وقعت بينها وبينه بمدينة مراكشة بتاريخ واحد وثلاثين من يناير من عام الجاري بتربية الفعال من أهل الريف على ما وقع في مليلية في شهر أكتوبر ونونبر من عام 1893 ثلاثة وتسعين وثمانمائة وألف. والتربية تكون من الآن على وجه شرع المغرب وعرفه، وإن تعذر أمرها تكون في الصيف الآتي، ودولة الجلالة الكطوليكية يكون لها الطلب بتأكيد من دولة الحضرة الشريفة أن يتمم تربية وعقوبة العصاة الفعال من القبلية المذكورة إذا لم تتممها الحضرة الشريفة على مقتضى شرع المغرب وعرفه.

الشرط الثاني: بقصد التكميل التام للشرط الرابع من الشروط التي تاريخها أربعة وعشرين من غشت عام 1859 تسعة وخمسين وثمانمائة وألف، وكما هو موافق في رسم شهادة حدادة حصن مليلية وأرضها محرمة بتاريخ 26 من ينيه عام 1862 اثنين وستين وثمانمائة وألف، تعين الدولتان وكلاء مراكشية وإصبنيولية ليجعلوا حدودا للأرض التي تكون حرما بين الحدادتين المراكشية والصبنيولية لتعرف من جهة الأرض المراكشية الأرض المحرمة، ويجعلوا إعلامات بالحجر في كل قنت من قنوت حدادة هذه الأرض المحرمة، وتكون هذه العلامات بالحجر الكافي والبناء الكافي، ويكون بين كل قنت من قنوت هذه الحدادة مسير مائتي مطرو. وهذه الأرض الداخلة بين الحدادتين

تكون محرمة لا يجعل فيها طريق سوى طريق التي يكون المرور عليها من أرض مراكشة إلى أرض إسبانيا، ويكون الرجوع عليها، ويكون الحرث ممنوعا فيها، وكذلك الرعي، ويمنع أيضا دخول الجنود من الجانبين لهذه الأرض المحرمة، ولا يدخل لها أحد قط من رعايا الجانبين الذين يذهبون من أرض إلى ارض أخرى حاملا السلاح، بل من أراد الدخول إليها يدخل بدون سلاح، وتكون هذه الأرض المحرمة فارغة قطعا من سكانها الذين هم بها الآن في تاريخ اليوم الأول من شهر نونبر من العام الجاري، والديار والحراثة الكائنتان وقتئذ في الأرض المحرمة يكونان مهدومان على يد سكانها في التاريخ المذكور، عدا أشجار الثمار يقدرون على انتقالهم إلى شهر مارس من عام خمسة وتسعين وثمانمائة وألف.

الشرط الثالث: المقابر والباقي من قبة سيدي ورياش يكون مدورين بالصور كما ينبغي، ويجعل بابا في ذلك الصور لأجل دخول المسلمين بغير سلاح لذلك المحل المحرمة، ولا يدفن أحد في المستقبل في تلك البقعة، ولا يعطاه إذن بالدفن بها، ومفتاحها يكون بيد قائد عسة حضرة سلطان مراكشة المذكورة في الشرط الآتي ذكره، بقصد زيارة أهل المقابر مقابرهم.

الشرط الرابع: لأجل منع التعدي مرة أخرى من جانب أهل الريف، يقع الوفق الذي ينبغي على ما هو مقرر في الفصل السادس من المعاهدة التي تاريخها ستة وعشرون من أبريل سنة 1860 ستين وثمانمائة وألف لحضرة سلطان مراكشة التزمت بجعل قائدا مناسبا بحدادة مليلية، ومعه طائفة قدرها أربعمائة من المخازنية لعسة مليلية وعسة بادس وعسة النكور وعسة حجرة كبدانة، دائما حسبما هو معهود في الفصل السادس من شروط حدود مليلية التي تاريخها أربعة وعشرون من غشت سنة 1859 تسعة وخمسين وثمانمائة وألف، والفصل الخامس من عهود الهناء والمحبة بين مراكشة وإسبانيا التي تاريخها 26 من أبريل سنة 1860 ستين وثمانمائة وألف. وهذا القائد الذي يكون بحدادة مليلية، يكون إلى نظره عمال القبائل المجاورين لمليلية والنكور وبادس وحجرة كبدانة، كما يكون أيضا الجنود الكافي في عسة سبتة وقائد مناسب يكون مقيما معه.

الشرط الخامس: تعيين عامل من كبار الدولة المراكشية يكون من الآن ولما يستقبل بحدادة مليلية، وتأمره الحضرة الشريفة بالوقوف والمحافظة على الحقوق وفصال الدعاوي على مقتضى الحق لتبقى المخالطة على وجه الإحسان والمحبة مع ولاة حصن مليلية، وحيث يعين مخزن مراكشة هذا العامل يعلم به دولة إصبانيا، والدعاوي التي يباشر فصالهم على وجه الحق هي المتعلقة بالمخاصمات ونحوها. وإن وقع بينه وبين حاكم مليلية مخالفة في فصال دعوة

منها، فترفع لنائبي الدولتين بطنجة. وأما المطالب العظيمة والدعاوي الكبيرة المتشعبة، فيكون النظر فيها وفي فصالهم للدولتين.

الشرط السادس: حضرة سلطان مراكشة ألزمت بإعطاء عشرين مليونا من البسيطة الواجب فيها أربعة ملايين من الريال الصبنيولي في معاوضة صائر الدولة الصبنيولية على نازلة قبيلة كلعية مع أهل مليلية في شهر أكتوبر ونونبر سنة 1893 ثلاثة وتسعين وثمانمائة وألف. مليون واحد من الأربعة ملاين المذكورة، يؤديه مخزن مراكشة معجلا في مدة من ثلاثة أشهر عجمية مبدأها من تاريخ العقد الذي هو يوم الاثنين خامس مارس العجمي سنة 1894 الموافق للسادس والعشرين من شعبان عام 1311، وآخرها رابع ينيه سنة التاريخ. والثلاثة ملاين المؤجلة المقسطة على سبعة أعوام ونصف، أولها يوم الثلاثاء الخامس من ينيه سنة 1894، يجب في كل قسط مائتا ألف ريال عند انتهاء نصف كل سنة وهو ستة أشهر من السنين المذكورة. فالقسط الأول آخرها في رابع دجنبر سنة 1894، والثاني رابع يونيه سنة 1895، والثالث في رابع دجنبر سنة 1895، والرابع في رابع ينيه سنة 1896، والخامس في رابع دجنبر 1896، والسادس في الرابع من ينيه سنة 1897، والسابع في الرابع من دجنبر سنة 1897، والثامن في الرابع من ينيه سنة 1898، والتاسع في الرابع من دجنبر سنة 1898، والعاشر في الرابع من ينيه سنة 1899، والحادي عشر في الرابع من دجنبر سنة 1899، والثاني عشر في الرابع من ينيه سنة 1900، والثالث عشر في الرابع من دجنبر سنة 1900، والرابع عشر في الرابع من ينيه سنة 1901 والخامس عشر في الرابع من دجنبر سنة 1901، وبه تمام الأقساط. ويكون دفع الأقساط في مراسي طنجة والجديدة في التواريخ المذكورة أعلاه بيد المعين على ذلك من دولة إسبانيا.

المال الذي يدفع في الأقساط المذكورة يكون من السكة الصبنيولية الجارية في أرض إسبانيا، وكذلك سكة ريال المسمى إسبيل دون سكة نصف ريال وبسيطة فليبينوس، وحيث هذا الدفع بالأجلات تحتاج إلى الضمانة، ولكن حضرة سلطانة إسبانيا اكتفت بكلمة السلطان على الضمانة، وإذا كملت سنة من السنين المذكورة وتأخر مخزن المغرب على دفع واجبها، فللدولة الصبنيولية أن تحسب أنطريس بحساب ستة في المائة في السنة على العدد الذي تأخر دفعه، وإذا كثر التأخر في الدفع أكثر من عام، فتكون لدولة إسبانيا القدرة لمداخلة في ديوانات أربع مراسي، وهي طنجة والدار البيضاء والجديدة والصويرة، والدولة الصبنيولية يكون لها النظر في ترك حق المداخلة في الديوانات المذكورة إن ظهر لها ذلك. والمخزن المغرب لا يسلف المال من أحد من الدول أو من تجارهم إن كان هذا السلف تكون فيه مداخلتهم في ديوانات المراسي المغربية

حتى تستكمل دفع الأربعة ملايين المذكورة. وإن توقف مخزن المغرب على سلف المال لأداء ما حل عليه من الأقساط المذكورة، يتفاوض مع دولة إسبانيا في ذلك، وإذا تيسر لمخزن المغرب ما يدفعه من واجبات الأقساط قبل حلول أجلها، فله أن يدفعه.

الشرط السابع: هذا العهد يقرره حضرة سلطان المغرب وحضرة سلطانة إسبانيا ورجع لمدينة طنجة في مدة ستين يوما أو قبل لو يقدر يكون. وعلى هذا المنوال المفوضان أسفله نزلوا خطوط يدهم في نسختين وختموها بطوابعهم في الاثنين بمدينة مراكشة بتاريخ 5 خمسة من مارس سنة 1894 أربعة وتسعين وثمانمائة وألف العجمي الموافق لستة وعشرين 26 من شعبان سنة 1311 أحد عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة.

طابع – ختم – محمد المفضل بن محمد غريط الله له

ونازلة مليلية انتهت وما بقي مطلب آخر فيها زائد على المطالب المذكورة في هذه الشروط السبعة.

ختم محمد المفضل بن محمد غريط الله له.

نسخة من انفصال مليلية صحيحة. محمد الطريس لطف الله به بتاريخ 28 قعدة عام 1311 موافق 2 ينيوه سنة 1894 مسيحي. ثم خط عجمي.

الحمد لله المجتمعان النائبان المفوضين الخاتمين عقب تاريخه على انجعال ابدل النسختين المثبتة بخط يد حضرة سلطان مراكشة وحضرة سلطانة إسبانيا نائبة المملكة على لسان نجلها السلطان ضون ألفنس الثالث عشر المحتويين على الوفق في فصال نازلة الواقع في مليلية في أشهر أكتوبر ونونبر سنة 1893 ثلاثة وتسعين وثمانمائة وألف المختوم في مدينة مراكشة بتاريخ 5 خمسة من مارس عام تاريخه. وعند إبراز النسختين المذكورتين لبعضهما بعضا ووجدنا على سبيل القان فصار البدل المذكور كذلك وشهد النائبان المذكوران بخط يدهما على ذلك فيهما معا ووضعا طابعهما وختم في 28 قعدة عام 1311 موافق 2 ينيوه سنة 1894 مسيحي. محمد بن العربي الطريس لطف الله به، ثم خط عجمي، وبعده الطابع".

وأرسل بريشة نص العقد الذي أبرمه بمدريد إلى حضرة السلطان فأمضاه وأرسل إلى النائب الطريس بطنجة، نسخة منه مطبوعة بالطابع السلطاني صحبة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فتصلك طيه نسخة من الشروط المنعقدة بين خديمنا الحاج عبد

الكريم بريشة وبين وزير الأمور الخارجية لدولة إسبانيا المتعلقة بالشروط المنعقدة بين كاتبنا الطالب المفضل غريط وبين مارشال الصبنيول مرطنيس كمبوس بمراكشة، مطبوعا عليها بطابعنا الشريف. فنأمرك أن تدفعها لنائب الصبنيول يوجهها لدولته بعد أن يدفع لك نظيرتها مطبوعة بطابع سلطانهم وتقابلها معها، والسلام. في 3 شوال عام 1312".

وانهى بريشة مهمته بمدريد وعاد إلى المغرب فارسل رئيس القصر الملكي بإسبانيا إلى سفير دولته بطنجة تلغرافا هذه ترجمته الحرفية:

"الرجاء تبليغ البلاغ الآتي إلى عبد الكريم بريشة: إن الملكة سيدتي التي تسلمت بسرور عظيم تلغرافكم الذي تكرمتم به، قد أمرتني بالإعراب لكم عن تشكراتها الفائقة، وهي تعبر لكم بهذه المناسبة عما تحتفظ لكم به من الذكريات التي مصدرها ما انتم مزينون به من الخصال التي ظهرتم بها بشكل واسع أثناء إقامتكم في هذا البلاط وفي بلاد إسبانيا. وتقبلوا يا حضرة السفير التحيات الخالصة الودية لصاحبة الجلالة، والمولى يحفظكم في رغباتكم.

الرئيس الأعلى للقصر الملكي دوق مدينة سيدونيا.

مدريد – 11 مارس 1895"

(وهذا التاريخ يوافقه 14 رمضان 1312.)

فيظهر من ذلك أن بريشة كان قد وصل إلى المغرب، وبعث منه تلغرافا إلى القصر الملكي بإسبانيا قبل ذلك التاريخ.

ولعل تعجيله بالعودة إلى المغرب قبل تسلمه لجوابي الوزير وأمين الأمناء، إنما كان إيقافا لهم أمام الأمر الواقع، وتفاديا من تلقيه أوامر جديدة تعرقل إكمال ذلك الاتفاق الذي لم يبلغه إلا بشق الأنفس.

وقبل الرابع والعشرين من رمضان كان بريشة قد وصل إلى فاس عاصمة المغرب، وعرض نتائج سفارته على السلطان ورجال دولته، ثم كتب إلى وزير خارجية إسبانيا رسالة هذا نص جلها:

"الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

إلى حضرة صاحبنا الوزير المعظم المحترم وزير الأمور الخارجية بدولة إسبانيا الفخيمة المحترمة سنيور ضون .... لا زال سؤالنا عنك نحبك دائما تكون بخير وعلى خير، وبعد فقد حللنا الحضرة الشريفة بفاس حرسه الله، والتقيت بحضرة مولانا نصره الله، ودفعنا للوزير الكبير المعظم سيدي أحمد بن موسى بن أحمد الفصول الذي عقدنا مع جنابكم بمدريد تريخ 28 ابراير الموافق 24 شعبان عام 1312، فطالعهم وأصردهم على مولانا أمير المؤمنين، فاستحسن ذلك وأمر أيده الله ونصره بطبعهم، فطوبع في تريخ 24 رمضان 1312. وقررنا لسيادته فرح الدولة المعظمة بسفيره وبمن صحبه معه

وبروزكم لديه، وأمر أيده الله بتوجيه الفصول المذكورة ليد النائب ح محمد الطريس مع اثنين من العمال لتدفع ليد البشدور متاعكم بطنجة ويحوز مثلها. وكمل المنيول الأول لما قدمت حرصت في تنفيذ ما وعدناكم به، فساعدنا سيدنا الوزير وقام على ساق الجد وأمر بحساب ذلك وفي الإثر يوجهون لثغر طنجة حرسه الله، وإن شاء الله يصل ذلك قبل نفود الثمانين يوما الذي عقدنا معكم.

والمال الكبير الذي هو على ستة شهور، فسيدنا أيده الله على نية النهوض لمراكشة، ومن هناك يوجه ذلك للجديدة بحول الله وإلا غيرها ..."(لم نقف على تتمة الرسالة المذكورة).

ولم يكن ذكاء بريشة ومعرفته من أين تؤكل الكتف، لينسياه جانب الكتاب الرسميين الذين هم مفاتيح أقفال الوزراء، ففي تاريخ 26 رمضان، أي بعد وصوله لفاس بقليل، كتب بطاقة هذا نصها:

"الحمد لله وحده

حبنا في الله الفقيه الأجل الشريف مولاي أحمد البلغيثي، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد، يصلك صحبة الحامل قجار داخله مجانة ذهبا، المطلوب من سيادتكم الإقبال برك الله فيكم، وعلى المحبة والسلام. في 26 رمضان 1312. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله بالجميع"

وتحت ذلك ما نصه:

"الحمد لله. وعلى محبنا الأعز الأرضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة السلام عن خير مولانا الإمام، وبعد فقد وصل ما أتحفتنا به أعلاه، كثر الله خيرك وعوضك الله خلفا وبارك فيك، وعلى المحبة والسلام. الطاهر بن أحمد البلغيثي".

وفي 13 شوال كتب النائب الحاج محمد الطريس رسالة أعلم فيها بأنه قد تم تبادل النسخ المطبوعة رسميا من العقد مع سفير دولة إسبانيا الخ، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى وخديم سيدنا الأجل الأحظى سيدي الحاج عبد الكريم بن محمد بريشة، حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا المؤيد بالله، وبعد فقد وصل كتابك صحبة الشروط المنعقدة بمدريد بقصد التوجيه بها لمدريد بعد مقابلتها والختم عليها بالطابع الشريف، فقد قوبلت بالشروط المماثلة لها أتم مقابلة، معلما عليها بالطابع الشريف، ووجهنا بها لمدريد على يد نائب دولة الصبنيول بطنجة بعد أن حزنا منه النسخة المقابل بها مختوما عليها بطابع دولتهم، وقد وجهنا بها للحضرة العالية بالله صحبة هذا،

وبه وجب إعلامكم، ودمتم بخير، وعلى المحبة والسلام. في 13 شوال الأبرك عام 1312. محمد الطريس لطف الله به".

وبعد عودة بريشة من سفارته سقطت الوزارة الإسبانية، وتولى كانوباس صديق بريشة رئاسة الوزارة، فكتب إليه بريشة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

إلى المحب الأعز الأود المعظم المحترم الأفخم ذي الوزارة العظمى بحضرة الدولة المحبة الاصبنيولية الفخيمة المعتبرة المعظمة الوسيمة، جناب الوزير سنيور ضون كنباص كشطلي، بعد السؤال عنك وعن كافة أحوالك، ومحبة أن تكون بخير وعافية دائما، فقد بلغنا خبر حلولك محل وزارتك الكبرى ورجوعك لمكانتك التي تزداد إسبانيا بك فيها فخارا وذكرا. وقد فرحنا لذلك فرحا كثيرا وأدخل علينا وعلى أقاربنا وأحبابنا نشاطا وسرورا، حيث رجع الشيء إلى أصله، وأسند الأمر لأهله، وها نحن نؤدي حق تهنئتك بذلك ونطلب منك أن تبلغ سلامنا للمحبة سنيورة الرينة المحترمة وتنوب عنا في تهنئتها بذلك، وفي مجازاتها على فرحها وبرورها بنا بمدينة مدريد ونواحيها، ونطلب الله أن يسمعنا عنكم ما يسر الخاطر، بدوام الهناء وظهور المزايا والمآثر، ثم أخبرك بأن وزير سيدنا المنصور بالله الصدر الأعظم سيدي أحمد رعاه الله قائم على ساق الجد والاعتناء في توجيه المعجل عن ثمانين يوما واصلا لطنجة، وقد عين الأمناء الذين يتوجهون به في الإثر، كما عين أيضا الأمناء الذين يتوجهون لحساب العدد المؤجل لستة أشهر بمراكشة، بحيث يكون عند انتهاء الأجل ميسرا ليدفع بمرسى الجديدة إن شاء الله. وختم في 16 شوال عام 1312. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

وفي نفس التاريخ كتب بريشة للدوكي دي تطوان الوزير الجديد لخارجية إسبانيا رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

إلى جناب المحب الأعز المعظم المحترم الأفخم ذي الوزارة المحترمة، والمكانة الفخيمة المكرمة، جناب الوزير الأجل الركن المعتمد الأجل، سنيور ضون الدوكي دي تطوان، بعد مزيد السؤال عنك وعن أحوالك ومحبة أن تكون بخير وعافية دائما، فقد سررنا بما بلغنا من خبر حلولك مكانة الوزارة الخارجية بالدولة المحبة الاصبنيولية الفخيمة، ونشطنا بذلك غاية، حيث كانت هذه الرياسة في أهل محبتنا ومحبة الجناب الشريف، ونرجو من الله أن يسمعنا عنكم ما تزدادون به فرحا وسرورا، ونشاطا وحبورا، هذا وقد قدمنا الكتب لكم على يد نائب سيدنا نصره الله بطنجة بالإعلام بوصولنا الحضرة الشريفة وصول سلامة وعافية وإمضاء سيدنا نصره الله مضمن الوفق الذي وردنا به من

مدريد، ولما شرحنا لوزير مولانا الصدر الأعظم الفقيه سيدي أحمد رعاه الله ما قابلتنا به الدولة الاصبنيولية من الفرح والبرور، وما لها من المحبة في جانب سيدنا نصره الله ودولته، قام على ساق الجد في تنضيد المال المعجل وتيسير المؤجل بعدده، ليدفع كل من العددين في إبانه وبمحل دفعه، وفاء بمقتضى الوفق المذكور. وختم في 16 شوال 1312. عبد الكريم بن محمد بريشة لطف الله به".

وفي 25 شوال كتب السلطان إلى النائب الطريس رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل جوابك عن النسخة الموجهة لك من الشروط المعقودة مع وزير الأمور البرانية بإصبانيا على يد الحاج عبد الكريم بريشة مطبوعة بطابعنا الشريف بأنها وصلتك ودفعتها لنائب الصبنيول على الوجه الذي أمرناك به وحزت منه نسخة أخرى مطبوعة بطابع سلطانهم وجهتها لحضرتنا الشريفة بعد مقابلتها، وصار بالبال، فقد وصلت النسخة التي وجهتها وحلت لدينا محلها، والسلام. 25 شوال الأبرك عام 1312".

ومما وقفت عليه من الوثائق التي لها علاقة بالمال المترتب على قضية مليلية، رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

حفظ الله بمنه مجادة وسعادة نائب مولانا الفقيه الأعز الأمجد الأسعد الأنجد الرائس الأحظى الأجل سيدي الحاج محمد الطريس، أدام الله حفظك وسلام على سيادتكم ورحمة الله بوجود مولانا نصره الله، وبعد فليكن في كريم علمكم أن سيدنا الإمام دام نصره وعلاه، كلفنا بأمر المال المرتب في قضية المليلية، وأمر أسمى الله أمره بأن نعرفك بحلوله ثغر الجديدة وأن قدره مليون واحد وأربعمائة ألف ريال وأن تعرفنا بقدر الصرف لما في المال المذكور من السكة الصبنيولية السالمة، وأما السكة الذهبية والفرنصيص فلا شيء يجب فيها، وأن تبين لنا أيضا من يحوز المال منا، وأنه إذا حاز يعطينا الحائز المذكور خط يده به براءة لنا، وها نحن سيدي أعلمنا لسيادتك بحلول المال ثغر الجديدة طالبين منك البيانات المذكورة، وكنا قدمنا لسيادتكم تفصيل ذلك صحبة الرقاص من مراكشة، نطلب الله نقبض جوابه بالفضل من سيادتكم التعجيل ولا بد، برك الله فيكم، وبه واجب إعلامكم أعزكم الله تعلى ورعاكم، وعلى محبتكم والسلام. في 27 شوال الأبرك عام 1313. المدني التازي وفقه الله. بناصر بن جلون لطف الله به".

الأمين يطلب أمة للوزير عام 1313:

وكتب الأمين التازي إلى بريشة رسالة يطلب فيها أمة عارفة بالطبخ والحلاوي، وهذا نصها:

"محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد طلب الفقيه الوزير السيد أحمد حفظه الله ورعاه إماء عارفات بأنواع الطبخ وأنواع الحلاوي ماهرات في التنوع في ذلك كله وتعداد أشكاله، ولما كان مثل من اجتمع فيه ما ذكر لا يعثر عليه عند مطلق الناس استشرنا بعض الأحبة هنا في أن يدل على من عنده الجامع لتلك الأوصاف مع حصول الكفاية له بغيره، فدل على أناس -6- جلهم أحباء منهم جانبكم، على أن تؤخذ من كل منهم أمة بثمنها الذي لا غلو فيه ولا زيادة، وعليه فالمؤمل من ودادكم في جانب الفقيه حفظه الله ورعاه، تأثير جنابه بأمة تكون على الوصف المذكور وزيادة، وقدر لها أنت الثمن وحوزها لأخيكم الأجل الناظر السيد الحاج محمد، فإنه قادم على الأعتاب الشريفة ليصحبها معه، وأعلم بالثمن لينفذ لك، ومثلك لا يحتاج إلى إيصاء بالاعتناء في مثل هذا، وعلى المحبة والسلام. في 6 ذي الحجة الحرام عام 1313. عبد السلام التازي لطف الله به".

وأمثال بريشة من الأشخاص الذين وقفوا حياتهم وجهودهم على خدمة الحكومة ومراعاة رجالها، يعتبرون مثل هذا الطلب المهذب، أمرا يتحتم تنفيذه في الحين، فلذلك بعث بريشة في الحال بالأمة المطلوبة على سبيل الهدية والإكرام، وأجابه التازي عن وصولها برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا جوابك عن عارفة الطبخ والحلاوي لسيادة الفقيه وزير سيدنا الأعظم السيد أحمد بن موسى حفظه الله ورعاه بكتابتك لتطوان بتعيينها ودفعها لأخيك السيد الحاج محمد، وبينت اسمها وأنها تتقن تنوع الطبخ، وأن العمدة في الحلاوي على الحرائر، وأنها إكرام لجانب الفقيه المذكور رعاه الله، فقد وصلت صحبة الأمين السيد الحاج محمد اللبادي، وأطلع الفقيه الوزير حفظه الله بجوابك المشار له، وجزاك خيرا عن صنيعك وعفو برك، وعلى المحبة والسلام. في 11 محرم الحرام عام 1314. عبد السلام التازي لطف الله به".

وكان أعيان كل بلد بالمغرب، ومن بينهم الوجيه الحاج عبد الكريم بريشة، يعدون عند الأمة كنواب البرلمان عند الدول الديموقراطية، يفكرون في مصلحة وطنهم عموما، ومدينتهم خصوصا. وهذا بريشة يعرف أن بلده تطوان

قد قل فيها القمح والشعير، وهما في مقدمة المواد الأساسية لحياة الناس ودوابهم، فكتب بذلك لرؤساء الدولة، ليأمر السلطان بإرسال الحبوب إلى هذه المدينة وبيعها بها بالأثمان العادية ليرتفع الضرر عن مختلف طبقاتها.

وهذه رسالة من الأمين التازي إلى بريشة حول هذا الموضوع، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل المرتضى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابك بما أخبرت به لما وصلت للدار البيضاء، عما بلغه القمح والشعير بتطوان، وكتبت بذلك للفقيه الوزير حفظه الله، وطلبت منه إصدار أمر سيدنا أعزه الله لأمناء الدار البيضاء بوسق ألفين مدا من القمح وألف من الشعير ليباع بتطوان، فقد دفع الكتاب بذلك للفقيه الوزير رعاه الله، ونحن على بال من ذلك. سلما على الصهر الحاج العربي، كما يسلم عليكم الكاتب، وعلى المحبة والسلام. في 27 ربيع الثاني عام 1314. عبد السلام التازي لطف الله به".

وهذه رسالة أخرى من الوزير الصدر أحمد بن موسى إلى بريشة، وقد أخبره فيها بصدور الأمر السلطاني بإجابة رغبته في موضوع إرسال الحبوب إلى تطوان، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

محبنا الأرضى الأمين عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك بما أخبرك به أهل تطوان بالجديدة وبالدار البيضاء من كون القمح بلغ بتطوان ثمانية وعشرين بليونا للمد، والشعير بنصف ذلك للمد، ونبهت على إعانة الضعفاء هناك بتنفيذ ألفي مد قمحا ونصفها شعيرا من الأعشار التي بالدار البيضاء، وانهينا ذلك لمولانا أعزه الله، فاستحسن تنبيهك على ذلك وأمر بأن تكون على بال من التنبيه على مثل ذلك، وقد صدر الأمر الشريف لأمناء مرسى الدار البيضاء ومرسى أسفي بوسق القمح والشعير لتطوان على نحو ما كان تقدم في مثله وأكد عليهم في ذلك، وعلى المحبة والسلام. 9 جمدى الأولى عام 1314. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

وقد استمر بريشة يباشر القضايا الرسمية، ويحل المشاكل الأجنبية، بتكليف من السلطان ودوائره المخزنية، إلى أواخر عمره. وهذه رسالة كتبها إليه أمين الأمناء التازي، وهي من أواخر ما تسلمه بريشة من دار المخزن، وفيها الإشارة لمرضه الذي توفي منه، إذ لم يعش بعد تاريخها إلا نحو شهر ونصف، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأجل الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابك المؤرخ بثامن هذا الشهر، مصحوبا بكتاب الفقيه الوزير حفظه الله، في شأن المائتين والخمسين ريالا، وبمباشرة قضية اليهودي البرازيلي الذي يبيع تباغة مسحوقة مع نائبهم وجُعلها، وان بقية دراهم الحدادة لا زالت لم تدفع

أما المئتان والخمسون ريالا فقد نفذت، وكتاب التنفيذ في الإثر. وأما قضية اليهودي البرازيلي فنحب أن تبالغ كما هو الظن بك ولا تقصر، وجعلها مسوكر لما تعلم ينفذ، ودراهم الحدادة توجه إذن تكملتها من قبل ولا يكون إلا وصل. وأما حالك وألمك فنعرفه، ونسئل الله سبحانه أن يكمل بعافيتك وشفائك مما ألم بك. والتوجه يكون بحول الله ولكن نحب أن توسع خاطرك بارك الله فيك، حتى تقضي الغرض وفق المظنون بك والمطلوب منك، وقد علمت ما لك من الثواب الجزيل فيما تباشره من أمر المسلمين والربح الكثير مع الله سبحانه، تقبل الله منك وأعانك، وعلى المحبة والسلام. في 26 ذي القعدة عام 1314. عبد السلام التازي لطف الله به".

بريشة في الميدان الاقتصادي:

قال حفيده بنونة في ترجمته ما نصه:

"كل ما ذكرت من خدمات ورتب وأشغال سياسية، لم يكن بمانع لبريشة المذكور مما يعتبره قواما لحياته، من تعاطي التجارة بنواب مخصوصين، واشتراء أراض بنواحي متعددة من القطر المغربي، والقيام بفلاحتها وغرس الأجنة، وغير ذلك من أسباب الاستعمار، فتملك أراضي واسعة ودورا متعددة بالدار البيضاء والغربية وتطوان".

وقد ذكر المترجم أسماء شركائه في التجارة، مع ما دفع لهم على سبيل القراض بما يبلغ رأس مال تجارته أربعين ألف ريال في أعوام 1294 إلى 1297، كما هو مبين في كناشه بالتفصيل. غير أننا هنا نقتصر على أسماء من تجاوز سهم تجارته معهم ألف ريال، كما أفادنا به حفيده صديقنا الحاج محمد بنونة حفظه الله، ودونك ذلك:

دفع للحاج عبد السلام بن عبد النبي بن جلون الفاسي التويمي من الريال	4.180
ولابن عمه الحاج الطالب بن جلون	1.000
ولابني عمه هاشم وعبد اللطيف بن محمد بن جلون التويمي	1.000
ولأولاد الحاج البرنوصي بن جلون	1.000

ولأخيه الحاج العربي بريشة	6.000
ولصهره الحاج العربي بنونة	6.000
ولصهره عبد الرحمن اللبادي	1.500
وللعياشي بن زكري	1.000
وللتاجر كربل المانوس	1.000
وللحاج العربي بن عبد الكريم بن جلون التويمي	1.000
ولابن عمه ح بناصر بن البرنوصي التويمي بن جلون	1.000
وللسيد عبد السلام بن كروم	1.000

ثم هناك شركاء آخرون أعطاهم رؤوس أموال صغيرة، تتراوح مبالغها بين مائة ريال وألف، وعددهم يربو على الثلاثين، منهم أحمد بن المهدي الموقق، وعبد الله النجار، وح محمد الفزاري، وح الخياط بن زكري الفاسي، ومحمد الشقور التطواني. وكانت له شركة أخرى مع سيدي أحمد ابن ادريس، والحاج محمد بن عبد الخالق الصفار بالجديدة، وشركة أخرى مع أحمد فرج الرباطي بلندن، وأخرى مع محمد بن العياشي بناني تارة بمرسيلية وتارة بجنوة، وشركة أخرى مع اليهودي فللو بإنجلترة. ومن عملائه أفراد من عائلة بناني وعائلة الحبابي بمصر والمغرب، وعائلة مزور، والحاج المختار الخلادي التطواني بمراكش، وعائلة بنونة بفاس، وعائلة الرفاعي بالرباط، والبنانيو من تطوان وابن عزوز من مراكش الخ.

ختام حياته رحمه الله:

وقد ختم بنونة ترجمة بريشة بما نصه:

"كان رحمه الله متدينا للغاية، محبا للخير وأهله، لا يرد من قصده ولا يخيب من أمله، جمع من محاسن الدين والدنيا ما يقر له به كل تطواني.

ولم يعش من أبنائه (يعني من بعده) إلا أربعة، ثلاث بنات من زوجه عائشة بنت سيدي محمد اللبادي المذكور سابقا، تزوجت كبراهن (فاطمة) سيدي الحاج العربي بنونة، والثانية (خديجة) سيدي محمد بن محمد الصفار، والثالثة (رقية) سيدي أحمد بن عبد الله مدينة، والرابعة كانت بنت أمة، وتوفيت بعده بمدة سنة.

وعندما قربت وفاته، أوصى بوقف ثلث متاعه، وأن يوقف في أملاك ثابتة، وعهد به إلى صهره بنونة المذكور، على أن يقسم نصف مدخوله على أحفاد الفقيد، والنصف الثاني تشترى منه في كل سنة ملبوسات لضعفاء تطوان، بعد تقديم أقاربه المستحقين، غفر الله لنا وله ونفعه بعمله آمين"

وكانت وفاته رحمه الله بتطوان يوم الجمعة 10 محرم الحرام عام 1315 موافق 11 يونيه سنة 1897.

أما الثلث الذي أشار إليه حفيده بنونة، فهو من أهم الأثلاث الشهيرة بتطوان، وهذا نص الوصية به:

"الحمد لله عهد وأوصى الأمين الأجل السيد الحاج عبد الكريم بن الحاج محمد (فتحا) بريشة الحميدي التطاوني، أنه إن قضى الله بوفاته، وأدبرت من الدنيا أيام حياته، فيخرج من متخلفه من قليل الأشياء وكثيرها، جليلها وحقيرها، العقار وغيره، الثلث الواحد، ويوقف في أصول ثابتة، ويكون شطر مستفادها لأولاد أولاده وأولادهم وأولاد أولادهم وهلم جرا ما تناسلوا وامتدت فروعهم، فإن انقرضوا، رجع حبسا مؤبدا على الزاوية الريسونية بتطوان، يصرف في الحصر والزيت والحزب والإمامة والتدريس والتوريق وغير ذلك. والشطر الثاني يرتب منه مهلل بمنار الزاوية المذكورة قبيل أذاني العشاء والصبح على الدوام، ويعطى على ذلك ريالين في الشهر، كما يرتب واعظ بالزاوية المذكورة قبيل الزوال، ويعطى ريالين أيضا في الشهر، كما يرتب أيضا عشرة من حملة القرآن يقرءون الحزب بالزاوية المذكورة صباحا وعشيا، ويعطون على ذلك ثلاثة ريال في الشهر، كما يعطى لقارئ همزية الإمام أبي عبد الله البوصيري عند ضريح سيدي عبد السلام بن ريسون سقى الله ثراه ريالين اثنين في الشهر، والباقي من الشطر الثاني من مستفاد الثلث يشترى به على رأس كل سنة كساوي من حياك وجلالب وقشاشب وبلاغي، ويفرق ذلك على الفقراء والمساكين، وإن كان في أقاربه متصف بالفقر، فيقدم على غيره، كما يقدم الأقرب فالأقرب منهم، ويبقى ذلك على حاله حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبدل عن حاله ولا يغير عن سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ثم إن هذا الإيقاف إنما يكون بعد أن يعتق عنه جميع الإماء اللاتي تكون على ملكه يوم موته، وتلحق بحرائر المسلمات فيما لهن وعليهن، ويعطيهن حوائجهن وفراشهن ودباليجهن وعشرة ريال للواحدة، ويجعل من الشطر الثاني أيضا زيادة على ما ذكر من المرتبات أربعة مصابيح بجوار الجامع الأعظم، أحدها بباب دار الموصي القديمة، والثاني بباب دار الفقيه السلاوي، والثالث في نقيبة الجامع المذكور، والرابع قرب مكتب أهرار، ويكون ذلك حبسا مؤبدا كالسابق. ومن ذلك أيضا يعطى صاحبه السيد العربي هيدور يوم الموت خمسين ريالا، ويكون له سكنى الدار التي يسكنها مدة حياته من غير شيء يلزمه.

قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم والدار الآخرة، وجعل النظر في تنفيذ هذه الوصية وإيقافها وتفريق ما يفرق منها لصهره السيد العربي بنونة،

ثم لأكبر أولاده إن كانوا ذكورا، وإلا فأكبر إخوته، ويعتبر في ذلك الرشد، ولا يدخل في ذلك غير الذكور، عهدا وإيصاء صحيحين نافذين بعد الموت. عرف قدره شهد به عليه بأتمه وعرفه، وفي غرة رجب الفرد الحرام عام أحد وثلاثمائة وألف. ألحق ويعطين حوائجهن وفراشهن ودباليجهن وعشرة ريال الواحدة صح به. وألحق أيضا لصهره السيد العربي بنونة ثم صح به التهامي بن محمد أفيلال الحسني العلمي لطف الله به وعبد ربه محمد بن محمد عزيمان لطف الله به".

الحاج العربي بريشة 1317:

ولايته على الدار البيضاء عام 1300:

لقد عرف السلطان مولاي الحسن قيمة الحاج العربي بريشة ومقدرته ونشاطه، فأسند إليه عمالة الدار البيضاء، ودونك نص الظهير السلطاني بتلك الولاية:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع السلطاني الكبير ونقش وسطه (الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه 1291)

خدامنا الأرضين كافة أهل ثغر الدار البيضاء المحروس بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الأنجد الحاج العربي بريشة، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا لما يأمركم به من خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، والسلام. في 27 ربيع الأول عام 1300".

وتولى الحاج العربي حكم مدينة الدار البيضاء التي كان مقيما بها من قبل، وقد عرف أحوالها وأحوال سكانها وسكان القبائل القريبة منها، فقام بحكمها وبتسيير شؤونها بما عهد فيه من الحزم والضبط والصرامة.

وإني في هذا التاريخ أنتهز الفرصة كلما سنحت لإثبات ما أحصل عليه من الوثائق التي تساعد على معرفة أية ناحية من نواحي تاريخ المغرب وشؤون دولته وشعبه، وما تاريخ تطوان في نظري إلا ناحية من تلك النواحي، فلذلك أثبت هنا ما وقفت عليه من الوثائق والمستندات التاريخية التي لها علاقة بالحاج العربي أثناء ولايته لعمالة الدار البيضاء، لأن في عدد منها معلومات تاريخية لا يعلمها كثير من الناس، وربما قدمت لبعضها أو ذيلت عليها ببعض الملاحظات، على عادتي في مثلها.

ثم إن من المعلوم أن المغرب لم تكن به صحافة في أوائل هذا القرن، فكانت الدوائر الحكومية حينما تريد إبلاغ الأمة بيانا رسميا عن مسألة ما، تكتب الى ولاة المدن رسائل تقرأ على منابر المساجد، فيعرف الناس منها البلاغ

الرسمي عن أهم حوادث الدولة. ومن هذا القبيل رسالة كتبها السلطان إلى الحاج العربي عن "السماعلة"، وهم جماعة من سكان بعض القبائل البدوية، إذ كانوا من العصاة، فغزتهم القوات السلطانية وقضت عليهم، ودونك الرسالة المذكورة، وهي مكتوبة بقلم أدبي على الطراز الأندلسي المغربي القديم، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فإن السماعلة لما لم يسمعوا ولم يجيبوا الداع، وانحرفوا عن الجادة ولم يكن منهم ذو رشد ولا ذو لب واع، واعتراهم الانحلال في أداء الواجب الذي حرمه الله، ولم يخافوا إرهاقهم بسطوة الله، لم ينفع فيهم وعظ ولم تعمل ذكرى، ولا أثر فيهم إنذار ولا بشرى، لغلبة سفهائهم، وتهور رعاعهم وغواتهم، وكنا نسمع عنهم ما يسود لدينا صحائفهم، ويقضي عليهم بمؤاخذتهم ويصرف إلى إجابة الداعي صوارفهم، فطفقنا مع ذلك نرسل إليهم عنان الاسترعاء، ونمد لهم ولم نقذف في روعهم روعا، فلم نذقهم من أول الأمر مرارة ولم نضقهم ذرعا، ليكون الإقدام على الفتك بهم كخبر جهينة، وليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة، ثم وجهنا لهم مقدمة من جيشنا السعيد، وأعذرنا لهم بما ليس عليه من مزيد، فتعرضوا لهم بما كان عنهم يبلغنا، ويقرر من تهورهم وتماديهم على غيهم لدينا، وكنا في ذلك اليوم ممتطين صهوة الرحيل، فعجنا إليهم حيث كانوا على قرب من السبيل، فوجدناهم التجأوا إلى قصر لهم متحصنين، بعد أن جمعوا به أموالهم وأهاليهم وتجردوا للحرب متعنتين، ظانين أنهم مانعتهم حصونهم من الله، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وأحدقت بهم جيوش الله المنصورة إحداق الهالة بالقمر، ولم تقهم من الله واقية حصن ولا لبن ولا حجر ولا مدر، وكنا أوقفنا الجيش ساعة عن المباداة بالقتال، وضربهم بصواعق المدافع والإجهاز عليهم بالحلبة ورمي النبال، حتى إذا أيقنا أن الله سبحانه لم يرد بهم خيرا، وتوفرت دواعي الانتقام منهم سرا وجهرا، وعلمنا تفياهم من ظلال التمادي على المخالفة فينا، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا، أمرنا بضربهم بالمدافع، وهد حصنهم وتفريق هاتيك المجامع، فلم تكن إلا برهة من النهار، إذ أخذهم الله وألبسهم ثوب الذلة والصغار، فقطعت منهم رؤوس، واقتنصت منهم مساجين، واستأصلتهم يد البؤس، ثم لما خيمت الجيوش محدقين بمن بقي بالقصر، وجعلت عليهم يد الغلبة والقهر، اقتحموا الخروج منه حيث أيقنوا بالهلاك على كل حال، فنشب بهم من كل ناحية القتال، ولم ينج منهم إلا القليل، فكانوا صرعى ما بين جريح وقتيل، وتركوا نساءهم وصبيانهم وأموالهم، بما كان أمر وأفظع وأدهى لهم، وتفرقوا عراة شذر مذر،

ولم تبق لهم ذمة عند الله ورسوله في ورد ولا صدر، وهذه سنة الله فيمن بغى، وحاد عن السنة والجماعة وطغى، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، وأعلمناكم لتأخذوا بحظكم من الفرح، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، والسلام. في 26 رمضان عام 1300".

وعلى عادة الولاة الكبار، بعث الحاج العربي وفد التهنئة العيدية يحمل الهدايا المعتادة إلى السلطان بمناسبة عيد الفطر، فأجابه السلطان عن وصول ذلك الوفد وتقديم هداياه برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فقد وصل كتابك معلما بمن وجهته لشهود عيد الفطر مع ركابنا السعيد، والنيابة عنك في المثول بحضرتنا العالية بالله والتفيء بظلها المديد، فقد وفدوا وحضروا هاتيك الحضرات، واغتنموا بوارق قبس تلك المشاهد على بساط المسرات، وفازوا بشهود دعوة المسلمين، واغتبقوا بعد الاصطباح من معين بركة المؤمنين، وأدوا ما وجهته معهم من الهدية، وحملتهم من آداب التهنية، ورجعوا مسرورين، وبأيادي الله مغمورين، عوضكم الله خلفا، وبوأكم من حصون عافية الله غرفا، وأصلحك وأصلحهم ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 8 شوال عام 1300".

وهذه رسالة سلطانية أخرى، وفيها الإعلام بقضاء الجيوش الحكومية على بعض القبائل المتمردة الخ، وهي من صنف الرسالة السابقة المؤرخة برمضان هذا العام، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي ابريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فإنا لما أتممنا بعون الله عمل السماعلة، وأرهفنا بحول الله في رقابهم وأموالهم سيوف سطوة الله القاصمة العاملة، كما قدمنا لكم، حتى صاروا في بساط السمع والطاعة لله ورسوله مخيمين، وفي ربوع الإنابة مقيمين، نهضنا عنهم إلى جوارهم بني خيران، وقد بلغنا عنهم أنهم أرسلوا عنان الفساد، ومدوا أيدي العداء والعناد، وحيث خيمنا ببحبوحة أرضهم، وأرسينا جنود الله المنصورة في طولهم وعرضهم، ورد منهم من أراد الله بهم خيرا، وانقادوا لداعي الله فأدوا الواجب وأعلنوا بالطاعة جهرا، ومن خذله الله منهم شرد في

فرقا من سطوة العزيز القهار، فلم يفجاهم إلا أن أمرنا القفار، وسد نطاق النفار، العارفين بوزرهم كما يعرف الأساليب ابن هاني جوارهم من السماعلة وزعير، والأخذ بمخانقهم والتضييق بهم في ملجئهم وزهير، فملأنا مسامعهم بضربهم، وعززناهم بطائفة من جيشنا السعيد لشد عضدهم وإقامة أودهم، ومضايقهم، فزحف إليهم القبيلتان بخيلهم ورجالهم، وأحاطوا بهم محدقين بخيامهم ورحالهم، فأتوا على جميع ما لهم من المال، وأوثقوا من مساجينهم من أذاقه الله مرارة الوبال، فطوقت المساجين بالأغلال، واقتنصت من أفنيتهم ووسط الخلال، واقتسمت الأموال بين القبيلتين والجيش أثلاثا، ولم يبق الله لأولئك الفساد أرضا ولا عرضا ولا مالا ولا أثاثا، معاملة لهم بما اقترفوه من شؤم الفساد، ومجازاة لهم من جنس عملهم في هاتيك البلاد، وهذه سنة الله فيمن تسربل بسربال العناد، وتمادى على الغي وظلم العباد، أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وأعلمناكم لتأخذوا بحظكم من الفرح، وتعلموا أن طير اليمين بفضل الله غني بكل صدح، والله يديم على المسلمين جلباب العافية، ويدفع عنهم كل يد عادية، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والسلام. في 13 شوال عام 1300".

وهذا جواب وفد عيد الأضحى وتهنئته، والوفود والهدايا العيدية، كان لها في العلاقات بين الولاة والدوائر المخزنية العليا والوسطى شأن وأي شأن. وكان كتاب دار المخزن يتبارون في تنميق رسائل الأجوبة عن رسائل تلك الوفود والهدايا، وكانت لبعض أولئك الكتاب جولات في ذلك الميدان واستفادات تفتح أبواب المعاني والبيان، واللها تفتح اللها كما قيل من زمان. ونص الجواب المذكور:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد وصل كتابك معلما بأنك قلدت هدي وفود بوسم الامتثال، ووجهته للنيابة عنك في إقامة شعائر حضرات البكرة والآصال، بعد أن يحرموا بسبحة الضحى، ويقفوا بعرفات عوارف يوم النحر والأضحى، فينخرطوا في سلك من لبى وصلى ونحر وضحى، فقد وصلوا ووقفوا، ولزلال ماء زمزم الأفراح والمسرات ارتشفوا، وفازوا بشهود رونق أبهة صبيحة العيد، وشاهدوا بركة المسلمين ودعوتهم في ذلك المشهد الحميد، والمحفل الأنور العتيد، وطافوا بالبيت القصيد، ولمسوا ميامن الحجر بيمنى المزيد، وكشفنا لهم عن محيا الترحيب الشريق، وأجرينا عليهم عوائد أيام التشريق، وأسهمنا لهم في المنزل

في هاتيك الصبيحة وفي سائر حضرات الأسبوع وسط القبائل ومجامع الوفود، بموقف مزده بتأدية الهدايا في بحبوحة جيش الله المنضود، وأسنة سطوة الله بارقة، والألوية كالسعف بالبشائر والتهاني واليمن والإسعاد خافقة، إلى أن بلغوا الهدي محله، وجللناهم بما نجل به قبائل طاعتنا الجلة، فكانت نيابتهم عنك أحسن مناب، ثم حلقوا رؤوس الإياب، وأحلوا وأفاضوا من حيث أفاض الناس وأولوا الألباب، أصلحك الله وأصلحهم وعوضكم خلفا، ورضي عنك وعنهم وسربلكم بسربال العافية والهناء والتوفيق كل وقت وزلفا، والسلام. في 16 حجة عام 1300".

وهذا جواب هدية عيد المولد النبوي الشريف عام 1301، ونصه:

"الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد وافى حضرتنا العالية بالله وفدك الذين أعرتهم طرف الشهود، وأمطيتهم طرف الحضور نيابة عنك في مزدهي صبيحة الموسم النبوي واليوم المشهود، والمثول في نوبتهم وسط وفود القبائل وحدائق جيوش الحضرات، وإبلاغ الهدية وآداب الهنيات، فقد حضروا صبيحة الليلة الغراء، والموسم الذي افترت مباسمه عن درر مولد المخصوص بعجيب المعاينة ولطيف المكالمة ليلة الإسراء، وخفقت على مفارقهم ما شاقهم من رؤية أعلام الفتح والنصر المؤزر ساقة وصدرا، وأعشى الأعين ما غشيها من بروق البنود المخجلة الثواقب والزهرا، وشاهدوا دعوة المسلمين، وفازوا ببركة جمع المؤمنين، وأدوا ما وجهته معهم من هدايا السنيات، وحملتهم من آداب التهنية على بساط القبول والعمل بالنيات، وأنلناهم من نوالنا الفياض، ما غمرتهم بركته في المقام وعند الاستنهاض، ورجعوا مسرورين، وبجلائل الرضى وأيادي الله مغمورين، عوضكم الله بالخلف، وأبعدكم عن إيراد موارد التلف، إنه سميع مجيب، نصر من الله وفتح قريب، والسلام. في 22 ربيع الأول عام 1301".

وكان السلطان مولاي الحسن رحمه الله يعتني بشأن رعيته، ويسعى في إيصال النفع إليها ودفع الضرر عنها بكل ما في الإمكان، ومن عمله في هذا الشأن، أمره بكتابة كراسة فيها وعظ وإرشاد وتحذير وإنذار، وقد بعثها إلى ولاة المغرب لينشروها بين طبقات الأمة ويعمل الناس بمقتضاها فتصلح أحوالهم، وأرسل نسخة منها إلى الحاج العربي صحبة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده.وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الصغير للسلطان مولاي الحسن ونقشه) الحسن بن محمد الله وليه ومولاه

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد شرح الله صدرنا لتجديد الأمر بإقامة شعائر الدين، وإحياء ما عفت رسومه من دعائم الإسلام اقتفاء لسنن الأئمة المهتدين، وأودعنا ذلك كراسة طلائع طلعها نضيد، ونخلها باسقة بالحسنى والمزيد، جعلها الله جلاء للقلوب، ونورا يهتدى بها في الغياهب ودياجي الغيوب، ومطهرة من دنس المخالفة، وترياقا يبري من عاهة الإثم والمجانفة، والباعث عليها كون العامية غلبت في سائر الأقطار، والجهالة امتد ظلها فتفيأه الرعاع والأصدار، ولأجل ذلك أذعنا تلك الكراسة في الأفاق، وكتبنا للعمال قاطبة بالعمل بما فيها وسارت بها الرفاق، حتى سالت بأعناق مطاياها الأباطح، وهبت بنوافحها اللواقح، وها هي توافيك بيد حامله إتحافا، زفت إليك عرائس مخدراتها زفافا، فلتقرأها على خدامنا أهل الدار البيضاء، حتى يفهموها فهما تفصيلا لا جزافا، وليكن إقراؤها في المسجد الأعظم على العادة، ولتحض العلماء والفقهاء والمرابطين وأهل الخير والدين، على العمل بمقتضى ذلك، وشد عضدهم على تنفيذه وسلوك هاتيك المسالك، إن الله يدفع بالسلطان ما لا يدفعه بالقرآن، الحديث، وذلك هو المقصود الأهم من إبرازها للوجود، لا مجرد قراءتها وحكايتها لسامعها، فإن ذلك لا يداوي العليل، ولا يشفي الغليل، بل يكون كناحت صخرة بعسيل، على أن المقصود من العلم هو العمل، والعمل بدون علم لا يقبل، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل، فقال العلم بالله والفقه في دينه، وكررها عليه فقال السائل يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرني عن العلم، فقال صلى الله عليه وسلم إن العلم يكفيك معه قليل العمل، وإن الجهل لا يكفيك معه كثير العمل، وقال تعلى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، قال الزمخشري رحمه الله، أي الذين يعملون والذين لا يعملون، ففسر العلم بالعمل بدليل السياق وهو قوله سبحانه أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة الآية، وعلى كل حال فالمقصود من العلم هو العمل إذ هو روحه، والجسد بدونها معطل، وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بأجود الأجواد، قلنا بلى يا رسول الله، قال الله أجود الأجواد، وأنا أجود بني أدم، وأجود الناس من بعدي رجل علم علما فنشره، الحديث. وعليه فمن لم يعمل بما في هذه الصحيفة كان كمن أذن ولم يصلّ، وأشرف على الفلاح ولم يصل، أو كان كمن عزم على عمل بر واعتراه التعويق، فعض يد الندم إذا استبان النهار الشريق، والمرجو من الله سبحانه أن تقع في القلوب، وأن يحصل النفع بها فتؤثر تأثيرا عجيبا عاما لسائر القبائل والشعوب، يكون بحول الله سببا لإنقاذ مهجهم واستخلاصهم ونجاتهم، ويتداركهم الله بألطافه الخفية، ويجبر كسرهم ويتلافاهم بهذه الذكرى المنجية، إذ بها تنبعث النفس لاقتفاء سبيل

المؤمنين، وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين، والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، والمسؤول منه سبحانه أن يخلص النية ويجزل الثواب، إنه كريم مفضال غني وهاب، والسلام. في 27 ربيع الثاني عام 1301".

وهذا جواب السلطان على وفد التهنئة وهدايا عيد الفطر عام 1301، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد وصل كتابك معلما بمن وجهته لشهود عيد الفطر مع ركابنا السعيد، والنيابة عنك في المثول بحضرتنا العالية بالله والتفيء بظلها المديد، فقد وفدوا وحضروا هاتيك الحضرات، واغتنموا بوارق قبس تلك المشاهد على بساط المسرات، وفازوا بشهود دعوة المسلمين، واغتبقوا بعد الاصطباح من معين بركة المؤمنين، وأدوا ما وجهته معهم من الهدية، وحملتهم من آداب التهنية، ورجعوا مسرورين، وبأيادي الله مغمورين، عوضكم الله خلفا، وبوأكم من حصون عافية الله غرفا، وأصلحك وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 6 شوال المبارك عام 1301".

وهذا جواب وفد التهنئة بعيد الإضحى عام 1301، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى القائد الحاج العربي ابريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك لحضرتنا العالية بالله، معلما بأنك أصحبته للوفد من عادتك الذين وجهتهم لشهود أيام الله، والنيابة عنك في تأدية آداب حضرات عيد الأضحى، والمثول يوم النحر وما بعده لدينا في جملة من امسى وأضحى، ولبى وذكر اسم ربه فصلى ونحر وضحى، فقد وردوا ووقفوا بعرفات عرصات شريف الحضرات، واستلموا الركن اليماني بشفاه المبرات، واصطبحوا بمنى الأفراح معين المسرات، بعد أن اغتبقوا من مناهل الصفا كؤوس الهنيات، وصافحوا يمين المزايا، وأحرزوا قصبات السبق في ميدان السرايا، حيث الأسنة بوارق، وشموس الجيوش المنصورة بالله شوارق، وبنود الميامن على المفارق خوافق، كأنها بهار وأقحوان وشقائق، وأيادي الله تتزايد وتتعاقب وتترا، ولوامع الأسعد تخجل رامح السماكين والسها وسهيلا والشعرا، ولما أدوا الهدية، وآداب الحضرات السبع بمسبعات الأمنية، رجعوا فائزين مسرورين، وبأيادي الله وآلائه مغمورين، أصلحك الله وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 17 حجة الحرام عام 1301".

وفي سنة 1302 أضاف السلطان إلى الحاج العربي ولاية بعض القبائل أيضا، فازداد بذلك نفوذه اتساعا. وهذا نص الظهير السلطاني بتلك الولاية، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خدامنا الأرضين قبيلة بني ورا كافة، وفقكم الله وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبعد، فقد ولينا عليكم خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وأسندنا إليه النظر في أموركم. فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الكل لرضاه، والسلام. في 11 ربيع النبوي الأنور عام 1302".

وهذا جواب وفد التهنئة بعيد المولد النبوي عام 1302، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي ابريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك معلما بأنك وجهت من وجوه إيالتك وعرفاء عمالتك، نوابا عنك في المثول لدى ركابنا السعيد بين القبائل، وحضور الموسم النبوي الجامع لأشتات الشمائل، ومحاسن الميامن والشمائل، فقد وصلوا واتصل حبلهم بالموكب الجليل، والمشهد الذي أورى قبس الإسعاد في مجامع التمثيل، وروى بنفائس الترتيب وجوامع الترتيل، فشملتهم عناية حضرات الموسم، وافتر لهم عن أيادي الله السابغة ركن ذلك المبسم، وتوالت بحمد الله الأفراح، بمولد سيد الوجود الماح، الماحي بوجوده سورة صورة الإشراك، المحيي بشريعته المثلى ما كانت نوابه من الأرسال أرسلت فيه الإبل العراك، عليه وعليهم سلام الله، ما توالت أيام الله، ومن ثم اغتنم الوفد من هاتيك المحاسن، واغترفوا من زلال معين غير آسن، فرتعوا في رياض شريف هاتيك الحضرات، وتلاقوا على بساط المسرات، وأوصلوا عوائد الهدية، وأدوا ما حملتهم من آداب التهنية، وقوبلوا بالجمال، ورجعوا على أكمل حال، أصلحك الله وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 18 ربيع النبوي الأنور عام 1302".

وهذه فرقة من قبيلة زناتة، أراد رجالها أن يبرهنوا للسلطان على كامل طاعتهم وخضوعهم، فتقدموا إليه متبرعين بنصف جميع ما يملكونه ليضم إلى بيت مال المسلمين، فتقبل السلطان منهم تبرعهم، إلا أنه قرر إبقاء ما تبرعوا به تحت أيدي أصحابه على سبيل الأمانة، وجازاهم بإدخالهم تحت حكم الحاج العربي بريشة، وكتب إليه بذلك رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد فإن حملته خدامنا أولاد معزة فرقة من زناتة لما حملتهم محبتهم في جانبنا العالي بالله وتبرعوا على بيت المال عمره الله بنصف مالهم صامته وناطقه، وتقربوا به لأعتابنا الشريفة تترسا من حادث الخطب وطارقه، واقتضى نظرنا الشريف رده عليهم وإبقاءه أمانة بأيديهم، على أن يكونوا يؤدون من مستفاده الكلف، حتى لا يفضي به إلى الإجحاف والتلف، أنعمنا عليهم في مقابلة حسن نيتهم وصدق خدمتهم بإسناد النظر فيهم إليك، وجعلهم في ولايتك من جملة من لديك، أسعدك الله بهم وأسعدهم بك، فنأمرك أن تعاملهم بالجميل، وتحملهم على كاهل العدل الذي هو بنيل مرامهم كفيل، وتجريهم على ما في ظهيرنا الشريف الذي بأيديهم، وإذا طالعته فرده إليهم يتمسكون به، والسلام. صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في 17 رمضان 1302".

وهذا جواب التهنئة بعيد الفطر عام 1302، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك بالإعلام بأنك أوفدت على حضرتنا العالية بالله، من وجهته نائبا عنك لشهود أيام الله واغتنام الحضور مع ركابنا السعيد في حضرات عيد الفطر السبع، والانخراط في سلك جيوش المسلمين وبركة الجمع، فقد وردوا، ولمعين زلال فيض الله ارتشفوا ووردوا، وعمتهم دعوة المؤمنين، وشاهدوا من عجائب صنع الله ما شاهدوا من جملة الموقنين، إذ أصبحوا وغرة محيا العيد الميمون على صفحات وجوههم أشعتها تسطع، وبنود السلم على مفارقهم بوارقها تلمع، ومدافع السلامة على ربا الظفر والتمكين ذات بروق ورعود، تصدع الشعب والعلم من صداها كما تصدع قلب كل مريب شرود، إلى غير ذلك مما سنحت به أيادي الامتنان، وأظلت به أعلام الإحسان، وأدى الوفد الموجه ما وجهته معهم من الهدية، وأحسنوا آداب التهنية، ونشروا أعلام المآب، وامتطوا متن الانقلاب وهم على بساط السرور، فائزين منشرحي الصدور، عوضكم الله خلفا، وبوأكم من حصون عافية الله غرفا، و أصلحك وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 6 شوال عام 1302".

ثم أسند السلطان إلى الحاج العربي حكم أقسام أخرى من قبيلة زناتة، وعد إدخالهم تحت حكمه من الشفقة عليهم والرفق بهم الخ، وكتب لهم بذلك ظهيرا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خدامنا الأرضين كافة مغراوة وعراية وغزوان من قبيلة زناتة، سددكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فقد اقتضى نظرنا السديد، ورأينا الموفق بالله الرشيد، إسناد أمركم لخديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة شفقة عليكم ورفقا بكم وإلحاقا بإخوانكم أولاد معزه في إسناد أمركم إليه، وجعلكم في ولايته من جملة من لديه، فوليناه عليكم، فنامركم أن تكونوا عند أمره ونهيه فيما يأمركم به من أمور خدمة جانبنا العالي بالله، أسعدكم الله به وأسعده بكم، والسلام. في 16 شوال الأبرك عام 1302".

وحل عيد الأضحى من سنة 1302، فبعث الحاج العربي وفد التهنئة حاملا الهدايا المعتادة، وأجابه السلطان عن ذلك برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد وصل كتابك معلما بأنك أوفدت على حضرتنا العالية بالله من أنبته عنك في شهود أيام الله، والانخراط في سلك جيوش المسلمين عند أداء سبحة الضحى، والبروز إلى المصلى ضحى يوم النحر والأضحى، وما يتبع ذلك من باقي مشاهد الحضرات، المفترة ثغورها عن درر هاتيك المسرات، فقد وفدوا مهللين، وباللجا إلى الله مبتهلين، وبمآزر السمع والطاعة لله ورسوله متوشحين، وبحصيات الجمار في أعين الكسل رامين، ولهدي شعائر الامتثال مقلدين، ولإمام مناسك الاهتداء مقلدين، فوقفوا بعرفات الاطمئنان، واغترفوا من بحر البر والامتنان، ثم أصبحوا بمنى نيل المأمول مخيمين، ضاربين سرادق اليمن وبالضحايا متبررين مقيمين، فأنهلناهم من مناهل الصفا معينا، وبوأناهم من روض الرضى حصينا، قصدا إلى التشبه بذوي الفلاح، فإن التشبه بالكرام رباح، فحلوا وأحلوا بهاتيك الحضرات، وتسربلوا بنسيج اليمن على بساط المبرات، وأسفرنا إليهم عن وجه القبول، وعاملناهم بالجميل في ذلك المثول، وأدوا الهدية، وأبلغوا ما حملتهم من آداب التهنية، ورجعوا مسرورين فائزين، ولقصبات السبق حائزين، عوضكم الله بالخلف المتوال، وأصلحك وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم وبارك في الزرع والضرع والرجال، والسلام. في 14 حجة الحرام عام 1302".

ولم يكتف الحاج العربي في هذا العيد بوفد واحد، بل أرسل وفدين اثنين، أحدهما نائب عن الباشا نفسه وعن ثغر الدار البيضاء، وجوابه هو الذي قرأت، والوفد الآخر كان رجاله من بني ورا وزناتة عن القبائل التي تحت حكمه. والعادة أن كل وفد يجب أن يحمل هداياه العامة والخاصة للكبار والحواشي. وقد أجاب السلطان عن هذا الوفد أيضا برسالة قريبة من الرسالة السابقة.

والأعياد وحفلاتها، وتهانيها ووفودها، كانت فرصا تنتظرها طبقات مختلفة من الناس، فهذا المتولي يستغلها ليقدم طاعته وخصوصه، وليبرهن على كامل إخلاصه وولائه للحاكم المطلق الذي بيده التولية والعزل والسعادة والشقاء، فيوطد الولاة مراكزهم بالهدايا التي يعدون من سعادتهم قبولها منهم، وأعضاء الوفود ينتهزون الفرص لتمثيل مدينتهم أو قبيلتهم، فتظهر وجوههم وخيولهم، وينظر الناس مظاهر ثروتهم ووجاهتهم، فيعلن امتيازهم ويظهر فضلهم.

هذا زيادة على الكتاب وغيرهم من الذين يصلهم حظهم من الهدايا، والهدية يستحليها كثير من الناس، لأنها ربح لا تعقبه خسارة. وهكذا كان من العادة التي لا يمكن التخلي عنها، إرسال الوفود والهدايا في كل عيد من الأعياد الثلاثة الكبرى في كل عام، وصار ذلك كأنه فريضة واجبة أو ضريبة لازبة.

وحل عيد المولد النبوي من سنة 1303، فكان الوفد وكانت الهدايا، وكان الجواب المعهود الذي يدعو فيه السلطان لأصحاب تلك الهدايا بأن يعوضهم الله خلفا، ويبوئهم من الجنة غرفا، وهذا نص الجواب المذكور:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك صحبة من وجهتهم من إيالتك وافدين على حضرتنا العالية بالله معلما بأنك أنبتهم عنك في شهود مشاهد عوارف العد، وأداء آداب المثول على بساط الامتثال، والانخراط في سلك جنود الله وجيوش المسلمين والكون في هذه الخلال، فقد وفدوا وحضروا بهاتيك الحضرات، وقاموا عنك بالواجب وتفيأوا ظلال هاتيك السمرات، وتعرضوا لنفحات عرف من بميلاده خمدت النيران، وغارت العيون وتصدع الإيوان، وتتوج بجواهر الأمن مفرق الوجود، وازدان اليمن وازدهى الخصب وصفا الورود، حتى لم يفتهم من هاتيك البركات مرحمة، ولا من عرف تلك النفحات مغلمة، وأدوا الهدية، وما حملتهم من آداب التهنية، وتلاقوا فلقيناهم ترحيبا، وأنلناهم بشرا وتقريبا، ورجعوا على مطايا البرور، وفازوا بمزية الحضور، عوضكم الله خلفا، وبوأكم من مقتضيات

الامتثال غرفا، وأصلحك وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 15 ربيع الأول عام 1303".

وطلب نواب الدول الأجنبية من الحكومة المغربية أن تسمح للتجار بشراء الحبوب والمواشي من المغرب ووسقها إلى الخارج لتنتفع الأمة بأثمان ما يباع من ذلك، ولكن عددا من الناس كان يعارض في ذلك بدعوى أن فتح باب الوسق للخارج يكون سببا في غلاء المعيشة وتضرر ضعفاء الأمة من ذلك الخ.

ورأى السلطان أن هناك حلا وسطا للمشكلة، فعرض ذلك الحل على أعيان الأمة ليبدوا رأيهم فيه، وكتب إلى كبار الولاة بأنحاء المغرب كتابا أصحبه الوزير السيد محمد المفضل غريط برسالة من عنده وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا وخديم سيدنا المرتضى القائد السيد الحاج العربي بريشة رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فالكتاب الشريف الواصل إليك صحبته يأمرك مولانا نصره الله أن تقرأه على علماء إيالتك وفقهائها وشرفائها ومرابطيها وأشياخها وأعيانها والأمثل فالأمثل، وتفهمهم مضمنه، وما أجابوا به طير به الإعلام لجانبه الشريف ولا بد، وعلى المحبة والسلام. في 6 رجب عام 1303".

والكتاب السلطاني المشار إليه في الرسالة السابقة هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(الطابع الصغير ونقشه الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فقد كان طلب بعض نواب الأجناس بطنجة على وجه الخير والمحبة فيما سلف من أعوام، تجديد شروط التجارة بقصد تسريح المسائل الممنوعة الوسق كالحبوب مطلقا والأنعام والبهائم ونحو ذلك، ونقصان صاكة الخارج، ذاكرين أن تسريح ذلك فيه النفع لبيت المال وللرعية. وهذه مدة من خمسة أعوام ونحن تدافع ونسادد ونقارب بما يقتضيه الوقت والحال، عملا بقول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في وقائع وقضايا سددوا وقاربوا حرصا على إبقاء ما كان على ما كان، إذ لا أقل منه، سيما في هذا الزمان الذي أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله: يأتي على الناس زمان يمر فيه الحي على قبر الميت فيقول ليتني مكانك، وحاشا لله أن تتسبب للمسلمين في غلاء، أو نوافق لهم على ضرر، وكفى بالله شهيدا، وكيف والله سبحانه استرعانا عليهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته. والآن اشتد حرصهم على ذلك وتمالأوا

فيه على كلمة واحدة، وصمموا عليه، ولما أفضى الحال إلى ما أفضى إليه، مما لا ينبغي ولم يمكن إلا الإعلان بذلك والمشاورة فيه مع من يعتد به، استشرنا فيه جميع من يشار له بالخير والفضل والدين والعقل والذكاء والدهاء، موثوقا بديانته وأمانته، فلم يشيروا فيه بخير، واتفقوا على أن لا مصلحة في تسريح ذلك أصلا، وبينوا ما يترتب على الكل من المفاسد. ففصل الحيوان أول ما يترتب على تسريحه من الضرر غلاؤه على ضعفاء الرعية، بل يؤدي إلى فقده بالكلية من هذه الإيالة، وأشياء أخرى لا يفي بها التعبير هنا. وفصل النقص من صاكة المراسي يترتب عليه ضعف المدخول الذي منه يقوم المخزن الجيش والعسكر ومصالح الرعية، وأعظمها تضعيف الرعية بالقبض منهم كتضعيف المكوس الخ. وضرب الخراج عليها تقوية لبيت المال والجيوش. وما أبداه بعض نواب الأجناس الراغبون في تسريح ذلك من المصالح المالية العائدة على رعيتنا السعيدة على مقتضى ما ظهر لهم ردوه بما يطول شرحه ولا يفي به قرطاس. ولما رأينا الأمر استحال إلى أسوإ حال أو كاد، تداركنا هذا الخرق بالرف، وجنحنا إلى السلم امتثالا لقوله تعلى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها الآية. وارتكبنا أخف الضررين، فاقتضى نظرنا الشريف إن ظهر لكم درءا لتلك المفاسد المقدم على جلب المصالح، أن يساعدوا على تسريح مسائل بقصد الاختبار من تلك الأمور الممنوعة الوسق، كالقمح والشعير وذكران البقر والغنم والمعز والحمير ثلاث سنين فقط، على شرط الاختبار في المنفعة التي ذكروها في تسريحه، الكل بإعشاره المعلوم في مثله، على أن يكون تسريح ذلك في وقت غلته مع وجود الخصب مدة من ثلاثة أشهر، وبعد مضيها يثقف ولا يسمع كلام من أحد في تسريحه، ولا يقبل منه عذر فيه، وفي العام القابل إذا كان صالحا يسرح ثلاثة أشهر بقصد الاختبار أيضا، وإذا كان ناقصا لا يقع اختبار بتسريحه المدة المحدودة، ويبقى متفقا على أن ذلك ليس بشرط، وإنما هو على سبيل الاختبار حتى يظهر.

ولتعلموا أنكم لن تزالوا في سعة، فإن ظهر لكم ذلك فالأمر يبقى بحاله، وإن ظهر لكم ما هو أسد وأحوط في الدفاع عن المسلمين، فأعلمونا به إذ ما نحن إلا واحد من المسلمين، وأعلمناكم بما كان امتثالا لقوله تعلى وشاورهم في الأمر. وتأسيا بالشارع والأقل ما عند الله خير من ال .... وفق ....[62] والسلام. في 6 رجب الفرد عام 1303".

وحل عيد الفطر من سنة 1303، فكان الوفد وكانت الهدية، ووقع الجواب عن ذلك برسالة أثبتها هنا أيضا بالرغم من تقدم أمثالها، ليقارن من

---

[62]. هنا بعض كلمات انمحت بالرطوبة.

يهمه أسلوب الإنشاء في ذلك العهد بينها وبين بقية الرسائل، ويرى ما فيها من تفنن وابتكار أو إعادة وتكرار، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فمن أوفدتموه عيادة، قياما بمستحسن العادة، قد تشرفوا بكريم حضراتنا العلية، واستضاءوا بشوارق أنوارها المضية، وقاموا بالواجبات، وأحسنوا النيابة في تلكم الصفات، وشهدوا الخير ودعوة المسلمين، وكانوا من المغفور لهم المكرمين، وصلوا وهنوا، وأهدوا وأدوا، وانقلبوا بفضل من الله ورحمة حبرة وسرورا، وقلدوا بالمنى أجيادا ونحورا، وفازوا بالرضاء والقبول، والدعاء وغاية السول، واستجلبوا مثل ذلكم لكم، فأصلحكم الله ورضي عنكم، والسلام في 7 شوال الأبرك عام 1303".

ومن هذا القبيل جواب تهنئة عيد الأضحى من نفس العام، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى القائد العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد وافى كتابك بيد من استنبته في إقامة شعائر العيد الأكبر العتيدة، واغتنام التثام رحاب حضرتنا السعيدة، واستنشاق أرجها الفواح، والاسترواح بندى نسيم تلكم الأدواح، فقد وصلوا، وعلى مقصودهم حصلوا، فشهدوا الخير ودعوة المسلمين، وحضروا المشاعر والمشاهد، وعبروا المعابد والمعاهد، وجلبوا لكم من الخيرات، ما فاق الظنون وجاوز الغايات، وأدوا الهدية، أحسن تادية، أحسن الله لكم الخلف، وأصلحك وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 16 حجة الحرام متم عام 1303".

ومن نفس القبيل أيضا جواب هدايا عيد المولد النبوي من سنة 1304. وقد استطاب السلطان فيه لوفد التهنئة من ثمار القبول رطبا وبسرا لعلهما كانا آخر ما تمتعت به روح الحاج العربي على كرسي ولاية الدار البيضاء وقبائلها. ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع الكبير للسلطان مولاي الحسن)

خديمنا الأرضى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد وصل كتابك صحبة الوافدين على حضرتنا العالية بالله من إيالتك، معلما بأنك أنبتهم عنك في شهود ميامن هذا الموسم الأكبر، والانخراط في سلك جيوش الإسلام التي جمعها الله في هذا المظهر، فقد وردوا ونابوا عنك أحسن

مناب، وأدوا الهدية وسائر الآداب، ولقيناهم من الجلالة بشرا، واستطبنا لهم من أثمار القبول رطبا وبسرا، وتوجهوا بسلام فائزين، ولأرج حضرتنا العالية باالله مستنشقين، أصلحك الله وأصلحهم، ورضي عنك وعنهم، والسلام. في 20 ربيع النبوي الأنور عام 1304".

وانتهت ولاية الحاج العربي على الدار البيضاء، ولا ندري الظروف التي أحاطت بذلك الانتهاء.

وكان الحاج العربي قد احتفظ لنفسه – كما تقدم – بإحدى الإماء الشركسيات اللاتي كان قد اشتراهن من مصر، وقد تزوج بها فولدت له عدة إناث، وكانت له أيضا أمتان، خلف معهما من أبنائه الذكور أربعة هم: الشقيقان عبد الواحد ومصطفى، والشقيقان عبد الصادق والعربي، وخلف معهما عدة إناث أيضا.

وأخيرا أدركه الموت الذي لا بد أن يدرك كل مخلوق حي، فانتقل إلى رحمة الله في 17 صفر عام 1317.

أما أبناؤه الأربعة المذكورون فترتيبهم على حسب سنهم كما يلي:

1. السيد عبد الصادق
2. السيد عبد الواحد
3. الحاج العربي
4. السيد مصطفى

والأربعة ليس لهم أبناء ذكور حتى الآن (1374 – 1955).

فالسيد عبد الصادق ولد في العقد الأول من هذا القرن، واشتغل بالتجارة سنين عديدة، وهو الآن كاتب في الحكومة الخليفية بمشور تطوان. وهو رجل منزو مقتصر على شؤونه الخاصة، بعيد عن المجتمعات والشؤون العامة.

والسيد عبد الواحد ولد في العقد الثاني من هذا القرن، واشتغل بالتجارة مدة، ثم تولى وظيف الحاجب لسمو الخليفة السلطاني بتطوان مولاي الحسن بن المهدي حفظه الله، وهو متقلد لهذا الوظيف إلى تاريخنا هذا. وهو رجل أخلاقي فيه أدب وحسن سلوك ومجاملة وتواضع وديانة وميل إلى أهل الخير والفضل.

والحاج العربي مشتغل بالتجارة، وهو مشتغل بشؤونه الخاصة.

والسيد مصطفى اشتغل بقراءة العلم في شبابه بتطوان، ثم انتقل إلى فاس، ودرس فيها بكلية القرويين، وقد رافقني بها في السكنى والقراءة عام 1339 مدة رأيت فيها من تودده وحسن عنايته ما لم أنسه. وهو من المولعين بالصيد البري. وقد انقطع عن الحياة العلمية واقتصر على قراءة حزب القرآن بالجامع الأعظم.

وخلف الحاج العربي أيضا خمس إناث: إحداهن تزوجها الحاج عبد الكريم بنونة. وأخرى تزوجها السيد عبد السلام الحصار ثم الحاج عبد السلام

هرون، وأخرى تزوجها الحاج العربي مدينة ثم السيد العربي الحمّار، وأخرى تزوجها السيد محمد بن عبد الرحمن بريشة، وأخرى تزوجها الحاج محمد جسوس ثم أخوه عبد الكريم.

النائب السلطاني الحاج محمد الطريس 1326:

هو الفاضل الوجيه الأمين النزيه الحاج محمد ابن الوجيه الأمين الحاج العربي الطريس الأندلسي التطواني.

وعائلة الطريس من العائلات الأندلسية النبيلة بتطوان، والحاج العربي المذكور كان من أعيان تطوان، وقد ولاه السلطان المولى عبد الرحمن حكم مدينة الصويرة وأمانة ديوانتها، وفي سنة 1261 كان متوليا بها، وقد استمر قائما بوظيفه فيها إلى أن توفي بها ودفن بسيدي مكدول عام 1270 كما في كتاب "الشموس المنيرة"[63].

وابنه الحاج محمد (المترجم)، ولد بتطوان عام 1241، ونشأ وشب بهذه المدينة كما كانت عادة أبناء الأعيان في ذلك العهد، قراءة مقتضبة، ونزهات متواليات، وتلذذ بملاذ الحياة مع الشباب والفراغ والمال، إلى أن ينتهي عهد الشباب ويحل عهد الكهولة، فينصرف الرجل إما للتجارة وإما للفلاحة وإما للوظيف. وأهم ما كان من الوظائف لدى الأعيان، هو الأمانة بإحدى مراسي المغرب، وأهم ما كانت أعين طلبة العلم ترنو إليه، هو وظيف العدالة في ديوانة إحدى تلك المراسي.

ومترجمنا من هذا القبيل، قبيل أبناء الأعيان، إلا أنه أثناء إقامة والده بالصويرة، سكن معه بها مدة درس فيها مختلف العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك، فبرع في ذلك وامتاز به على كثير من أقرانه. وقد أسند إليه وظيف أمين بديوانة مرتيل، ميناء تطوان. وفي سنة 1292 اقتضى نظر السلطان مولاي الحسن ترتيب أمر المستفاد المخزني بمدينة الدار البيضاء. وبعد ذلك الترتيب، عين الحاج محمد الطريس أمينا لذلك المستفاد. وهذه رسالة السلطان في الأمر بذلك الترتيب، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد اقتضى نظرنا العالي بالله ترتيب أمر مستفادات الأبواب والمنافع هناك، على ما هو مرتب بفاس ومكناس، وقد وجهنا خديمنا الأرضى الأمين الطالب محمد التازي الرباطي الذي كان متوليا ذلك

---

[63] ـ تاليف الفقيه أحمد الرجراجي. طبع الرباط عام 1354 – 1935. صفحة 30.

بفاس، ليرتبه على أحسن ترتيب، على ما يقتضيه الحزم والضبط في أمرها، وصحبته الأمين الذي عيناه له بقصد البقاء لمقابلة ذلك هناك. فنأمركم أن تشدوا عضده على ترتيب ذلك كما ينبغي، وتشدوا عضد الأمين الذي يتركه هناك، وأن تمكنوه من جميع المدخولات من مستفاد المنافع وكراء الأملاك ومستفاد الكبريت والمواريث وغير ذلك، ليرتبها ويحوز مستفادها ويدفع لكم ما تحصل كل يوم، وتقتصروا أنتم على مستفاد المرسى وسقا ووضعا لا غير، والسلام. في 10 شوال الأبرك عام 1292".

وتسلم الأمين الطريس محله في شهر ذي الحجة الحرام من نفس ذلك العام، إلا أنه يظهر أنه تضايق من ذلك الوظيف الذي كان إلى جانبه فيه شخص لا تتحمل عجرفته. فصار الطريس يتعلق بجهات مختلفة، يتوسط بها لإعفائه من ذلك الوظيف، وهذا ما يفهم من رسالة كتبها إلى صديقه الأمين الحاج عبد الكريم بريشة الذي كان في ذلك العهد أمينا بحضرة السلطان في فاس، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأرضى وأمين مولانا الأعز الأحظى السيد الحاج عبد الكريم بريشة، أمنك الله وأتم السلام على أخوتك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد كتبنا لك صحبة رقاص قبل هذا ولم تجبنا، فعسى المانع خير، ولا زلنا في انتظار جوابك بما يسر البال إن شاء الله. هذا وقد وجهنا لسيدنا الفقيه حساب الشهر صحبة هذا الرقاص وببعض الأمور التي من خطتنا ويتعين علينا الإعلام بها، نسأل الله أن يكون ذلك موافقا للصواب. فنحبك أخي بارك الله فيك أن تتلطف على مباشرة ذلك وأن تكون من جانبنا على بال، حتى يتم الله مدة خدمتنا على أحسن حال بجاه النبي. والآن فإننا لا طاقة لنا بهذا الرجل لما هو عليه من الظلم والفجور ومحض الكذب وشهادة الزور، وقد بقي لنا من سنة خدمتنا شهر قعدة الحرام القابل، لأن أول خدمتنا شهر حجة الحرام سنة 1292. وقد كتبنا لسيدنا الفقيه معلما بانقضاء مدة خدمة وطالبا من فضله أن يطلع علم مولانا أعزه الله بذلك ليعين نصره الله بدلنا، فالمؤمل من سيادتك أن تكلمه في ذلك بارك الله فيك، مسلما عليك ابن عمك السيد محمد بن عبد الرحمن والأمين السيد ح محمد بن جلون وكاتبنا بأتمه وأنماه، وعلى المحبة وسؤال صالح الأدعية والسلام. في 12 شوال الأبرك عام 1293. محمد الطريس لطف الله به".

وأعفاه السلطان من أمانة المستفاد بمدينة الدار البيضاء، وولاه الأمانة بمرساها، وقضى في ذلك الوظيف المدة العادية، أي نحو السنة، ثم أعفاه وأمره بالاستراحة، وهذه رسالة السلطان بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمينا الأرضيين الأمينين بمرسى الدار البيضاء الطالب عبد السلام بناني والحاج محمد بن العربي الطريس، وفقكما الله وسلام عليكما ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فإنا عينا خديمينا الأمينين الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي والحاج محمد بن محمد بريشة التطواني للخدمة بالمرسى بدلكما على العادة، ووجهناهما بعد أن نبها وبصرا هنا مشافهة بما يكون عليه عملهما في خدمتهما. فنأمركما أن تمكنوهما من جميع ما تحت أيديكما من الأوامر الشريفة والكنانيش وأوراق الشروط ورسوم الديون وغير ذلك مما جرت العادة أن يحوزوه، وبصروهما في مدة خدمتكما ودلوهما على ما وقفت فيه خدمتكما ليكونا على بصيرة فيما يكون عليه عملهما في خدمتهما، ثم بعد الفراغ من ذلك، يتوجه كل منكما للاستراحة، والسلام. في 16 رمضان المعظم عام 1294".

إلا أن الطريس، قبل أن يتمكن من التوجه إلى بلده لتلك الاستراحة، أتاه أمر السلطان بالعود مرة أخرى لأمانة المستفاد. ودونك رسالة بذلك من الأمين التازي، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأحظى السيد الحاج محمد الطريس، رعاك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد وصلنا كتابك معلما بما فيه بأن مولانا أعزه الله أمر بانتقالك للخدمة في المستفادات، فسرنا ذلك وفرحنا غاية الفرح لخاطر سيدنا معك ورضاه عنك وحسن ظنه الشريف بك، فهنيئا لك ثم هنيئا.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فينبغي لك أن تتلقى ذلك بالقبول، وتشمر عن ساعد الجد في الخدمة على الشروط المقررة فيها، وما خرج عنها تعلم به شريف الحضرة على العادة في ذلك، وأعظم الأمور وأهمها أمر البناء، فقد وقع فيه التساهل، وضاعت أرض المخزن. وعليه، فاجمع البنائين واسترعي عليهم بأن يكون عملهم على ما في الكتاب الشريف الذي كان ورد لك ولغيرك في شأن البناء. وبالجملة، فكن على بال من أمر الدار البيضاء في الخدمة، ولا تستثقل الكتابة للحضرة الشريفة في شيء، بل اكتب ولا عليك. وقد ظهر لنا من حيث النصيحة أن توجه على أولادك وتجمع شملك بهم، ونحن اليوم بحضرة مولانا العالية بالله بمحل يسمى وادي اكرو بزعير، وكلهم طائع، وقد شرعوا في الدفع، والمحلة السعيدة بخير. هذا ولتكن من أمر الأملاك ببال، وإياك أن تفتح في ذلك بابا، وحتى إذا دلس أحد على المخزن، فراجع في ذلك، وإن أراد أحد ممن له ملك في شركة المخزن أن يتولى كراء الملك على يده فامنعه ولا بد، فإن المخزن هو الذي يعقد

الكراء في الأملاك كلها، خاصها ومشتركها. وبهذا أمرنا أعزه الله، وأعلمناك لتكون على بصيرة من ذلك، لأنه ربما يقع من الدكالي تلبيس في شيء من الأشياء. والملك المشترك إذا احتاج لإصلاح فيصلحه الشريك لا غير، والمخزن إنما يكري ويأخذ حظه من الكراء. وخذ نسخة من الجواب الذي ورد للأمين الحاج محمد هرون في شان الدكالي للتوقف عليه، وكن على بال من أولاد الباشا ليلا يكروا الحوانيت التي تقدم الأمر الشريف في شأنها. ورد البال للعدول هناك، لأنه بلغنا أن الغربي أحد العدول لم يتصف بأوصاف الشهادة، فأعلمناك بذلك، وعلى المحبة والسلام. في 6 شوال عام 1294. محمد التازي لطف الله به".

وكان الطريس أمين المستفاد يرسل إلى العاصمة من حين لآخر ما يتوفر لديه من المال، مع البيانات المتعلقة بذلك. ودونك رسالة من الحاجب السلطاني في الموضوع، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأمين الأرضى الحاج محمد الطريس، سلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره، وبعد وصلنا كتابك ومعه زمام ما تحصل من مستفاد الدار البيضاء عن شهري ذي القعدة وذي الحجة الفارطين ولاء، وذكرت أنك وجهت ذلك لفاس. وأطلعنا به العلم الشريف وصار بالبال، وعلى المحبة والسلام. 15 ربيع الأول عام 1295. موسى بن أحمد لطف الله به".

ومن الغريب أن الكيف الذي يحارب أشد المحاربة في كثير من البلاد، كانت الحكومة بالمغرب تسعى في إيجاده بالسوق، وتحضر منه القناطير المقنطرة ليحصل عليه طالبوه بكل سهولة. ودونك رسالة لها علاقة بهذا الموضوع، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى الأمين الأحظى السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا فيه باحتياج الصاكة هناك إلى الكيف، وطلبت أن نوجه لك منه أربعة قناطير، فاعلم أن القدر الذي منه هنا إنما يكفي الصاكة في خدمة نحو الشهر، فقف في جلب ما تحتاج إليه الصاكة منه هناك واحتاط لذلك قبل تعطيلها، وعلى المحبة والسلام. في 25 ربيع الأول عام 1295. محمد التازي لطف الله به".

وفي أواسط سنة 1296، أسند السلطان إلى الطريس عمالة (باشوية) مدينة الدار البيضاء، وهذا نص الظهير السلطاني بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع السلطاني الكبير، ونقش وسطه (الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الله وليه)

خدامنا الأرضين أهل ثغر الدار البيضاء كافة، وفقكم الله وأرشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فقد ولينا خديمنا الأرضى الأمين الحاج محمد بن العربي الطريس التطواني، وأسندنا إليه النظر في أموركم الخاصة والعامة. فنامركم أن تكونوا عند أمره ونهيه فيما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه، والسلام. في 18 جمدى الثانية عام 1296".

وكتب السلطان المذكور ظهيرا يأمر فيه القائد الطريس بأن يدفع للأمناء ما يقبضه من الذعائر، أي الغرامات المالية الخ، وهذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

يعلم من هذا المسطور الكريم المقابل أمره بالإجلال والتعظيم، أننا أذنا لخديمنا الحاج محمد بن العربي الطريس أن يكون يدفع جميع ما يدخل عليه من الذعائر وغيرها لخدامنا أمناء الدار البيضاء. فنأمرهم بقبض ما يدفعه لهم من ذلك ويثبتوه معه بكناش خاص به يبقى محفوظا عندهم حتى يطالعوا به علمنا الشريف، والسلام. في 20 جمدى الثانية عام 1296".

وتسلم الطريس عمله، والنزاهة والحزم هما الصفتان اللتان امتاز بهما بين أمثاله. وكانت بمدينة الدار البيضاء فوضى، فأعاد الأمور إلى نصابها، ونشر العدل، وأمّن الناس، فعرف كل واحد حده ولزمه من مواطنين وأجانب.

وضرب القائد الطريس شخصا محميا، فكانت مشكلة وشكاية قنصلية، فكتب إليه السلطان في ذلك رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى القائد محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته، وبعد فإن قونصو المركان لا زال يتكلم في دعواه عليك بأنك ضربت الحاج عزوز، وهو في حماية جنسهم، ويطلب أربعمائة ريال، فنأمرك بجعل سداد معه ولا بد، وكف لسانه عنك، وهذا إن كان له حق في ذلك، وإلا فأجبه بمسكت يصرفه عنك، والسلام. في 7 قعدة عام 1297".

والطريس كان رجل جد وعمل، ينتقل ما دام المجال أمامه مفتوحا محافظا فيه على كرامته، فإذا رأى ما لا يرضيه، طلب إعفاءه ليريح ويستريح. وهذا كتاب سلطاني جوابا له عن طلب الإعفاء من وظيف الولاية بالدار البيضاء، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)
خديمنا الأرضى القائد محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك طالبا إعفاءك من الولاية هناك ولو بيدلها لأجل ما شرحته، وصار بالبال، وسنرى فيه والسلام. في 16 ربيع الثاني عام 1299".

وبعد مرور نحو العام على ذلك التاريخ، أجاب السلطان رغبته وأعفاه من ذلك الوظيف، وهذا نص الكتاب السلطاني بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)
خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته وبعد فمنذ كتبت لجانبنا العالي بالله بضعف قوتك وضيق صدرك وعجزك وطلبت إعفاءك من الخدمة لأجل ذلك، ولما شرحته من حال من هم إلى نظرك، وأجبناك بأننا قبلنا عذرك وعما قريب توجه لمحلك بقصد الاستراحة وبأنك عندنا في مقام الخدمة، ونحن ننظر من يصلح للخدمة في محلك، إلى أن شرح الله صدرنا لخديمنا الأنجد الحاج العربي بريشة، وها نحن وجهناه بقصدها، وعليه فتوجه لمحلك مثابا مأجورا تستريح به، حتى نعين لك الخدمة التي أنت عندنا بصددها بحول الله، والسلام. في 26 ربيع النبوي عام 1300".

وعاد الطريس إلى بلده، وكتب إلى السلطان رسالة بلغه فيها أنه عزم على تزويج ولديه، وطلب منه أن يعينه على ذلك، فأجاب رغبته وكتب إليه رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه
(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)
خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بتأهبك للأوبة وعزمك على الإعراس للولدين ذاكرا من فراغ اليدين، مستمنحا من جانبنا العالي بالله الإنعام بما تستعين به على ذلك الحال، فصار بالبال. جمع الله الشمل بالأهل والآل على أحسن حال، وبارك للبنين، بالرفاء والبنين، وقد أنعمنا عليك بخمسمائة ريال إعانة على ذلك وعلى الولدين والزوجتين بكسوة للواحد مشتملة على ما هو مبين بطرته، وكتابنا الشريف لأمناء مرسى الدار البيضاء بدفع الجميع لك يصلك طيه، والسلام. في 21 جمدى الأولى عام 1300.
(وبطرة الكتاب ما يلي):

كسوتان من المحصور للولدين العروسين 2

وكسوتان ثنتان للزوجتين مشتملتين على:

تفصيلتين حرير اثنتين 2

وطرفين ملف اثنين 2

وشقق خفيف أربعة 4

وطرفين شطروان اثنين .... 2".

<u>الطريس ينوب عن النائب السلطاني بطنجة:</u>

وهذه رسالة يأمر السلطان فيها الطريس بأن يقوم مقام النائب السلطاني بطنجة مدة غيبته في أوربا للاستشفاء، وفي هذه الرسالة من ثناء السلطان على الطريس ما لا يوصف به كثير من الناس، ونصها بعد الديباجة المعتادة:

" .... فقد طلب من جانبنا العالي بالله خديمنا الطالب مَحمد بركاش التوجه لبر النصرى بقصد مداواة ما ألم به وتعيين من ينوب عنه في غيبته، فأذنا له في التوجه وفي تعيينه، فعينك لذلك فساعدناه، لما نعلمه من جدك وحزمك وديانتك ونصحك وصدقك وأمانتك وتوطئ كنفك وسعة صدرك وتثبتك في الأمور، ومعرفتك ما تأتي وما تذر في الورود والصدور، وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك نأمرك أن تعجل بالتوجه لعنده، ليبين لك الأمور التي تدور على يده وما فعله فيها، حتى تصير على بصيرة في ذلك كله، لتعرف ما تأتي وما تذر في مباشرته، والله يعينك، والسلام.

4 جمدى الأولى 1301".

وهكذا كانت ثقة السلطان بكفاءة الطريس ونزاهته قد ازدادت، وبذلك أنجز ما وعده به في رسالته السابقة المؤرخة بـ 26 ربيع النبوي عام 1300، وأرسله إلى طنجة ليكون بها أولا إلى جانب النائب السلطاني السيد مَحمد بركاش الرباطي، الذي خلف النائب السيد محمد الخطيب التطواني. وحل الطريس بطنجة لهذا العمل في أواسط سنة 1301 كما رأيت، ثم بعد قليل أسند الوظيف المذكور إلى الطريس بصفة نهائية، وكان صاحب ذلك الوظيف هو القائم مقام وزير الخارجية بالمغرب في كثير من الأحيان، وكان مقره الرسمي هو مدينة طنجة التي كانت مركز جميع السفراء والقناصل الأجانب الذين هم وحدهم الوسطاء بين دولهم ودولة المغرب.

وتسلم الطريس عمله الرسمي بالمدينة المذكورة، قائما بمهام وظيفه، مكافحا في سبيل مصلحة وطنه وحكومته، مقابلا بمجموعة من الدبلوماسيين الأجانب الذين كانت لكل واحد منهم حاشية تشير عليه، ووراءه وزارة الخارجية لدولته، تمده بآرائها وإرشاداتها. فكان كل واحد من أولئك القناصل يسعى للتفوق على أمثاله، ويعمل لنيل امتياز خاص لدولته. وكان بعضهم يدس

من الدسائس الخاصة والعامة ويحيك من المؤامرات ويولد من المعاكسات ما تحتاج مقاومته لعقول الجبابرة ولجهود الأبطال، ولمرونة سياسية لا توجد إلا في أفذاذ الرجال. ويكفي أن نعلم أن مترجمنا ظل في وظيفه هذا ما يزيد على ربع قرن، لنعرف منزلته بين رجال المغرب في الربع الأول من هذا القرن، ذلك العهد الذي كثرت فيه المزاحمات الدولية والمعاكسات الاستعمارية، فكان الطريس يلقى فيه من المشاكل والصعوبات، والأزمات الداخلية، والصدمات الخارجية، ما لم يتقدم له نظير في حياة المغرب السياسية، ولكنه كان يتغلب على كل ذلك بإخلاصه ولينه وحسن سياسته حينا، وبصراحته وشدة صرامته أحيانا، وبرزانته ونزاهته وتيقظه في جميع الأحيان.

وفي بعض الظروف، بل في عدد من الأوقات، كانت الأزمات تشتد، والضغط الأجنبي يزداد، والتحفظ المغربي يتزمت، وأصحاب المصالح الخاصة بدار المخزن يتلاعبون ويتاجرون، وأرباب السلطات العليا حائرون، فلا يسع المترجم إلا أن يقدم استقالته، فتكون تلك الاستقالة هي أزمة من الأزمات، ولا يسع أصحاب الأمر والنهي وذوي النفوذ، إلا أن ينزلوا عن إرادتهم، فتحل المشاكل وتسحب الاستقالة، وتعود المياه لمجاريها.

وقد تكرر ذلك عدة مرات، في عدة مناسبات، ولكن بالرغم من كل ذلك، فإن كثيرا من آرائه وإرشاداته لم ينفذ، ولم يعمل بمقتضى نصائحه الخالصة في كثير من الأحيان، بل تغلبت على ذلك كله أغراض أصحاب المصالح والأهواء، فوقع المغرب في أزمات ونكبات، انتهت بعد وفاة المترجم بالطامة الكبرى والمصيبة العظمى التي هي الاحتلال، وما أدراك ما هيه. وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وتوفي السلطان الذي وضع فيه ثقته، وأسند إليه النيابة عنه، وهو مولاي الحسن، وتولى مكانه ابنه السلطان المولى عبد العزيز، فجدد ثقته به وأبقاه في وظيفه، ثم كانت ثورة الجنوب وعزل السلطان عبد العزيز في مراكش، فأبلى المترجم البلاء الحسن، وبذل ما كان لديه من جهود لتأييد جانب سلطانه عبد العزيز في شمال المغرب، لأنه كان عديم الثقة بثوار الجنوب، ضعيف الإيمان بصلاح سلطانهم عبد الحفيظ، إلا أن الثورة قد نجحت، وتم الأمر، وعزل سلطان، ونصب سلطان، فكانت الصدمة أكبر من أن تتحملها ذاته النحيلة وقد تجاوز الثمانين من عمره، فتألم ومرض ومات، بعد أن جدد السلطان الجديد ثقته به، وكتب له بذلك ظهيرا جديدا وصل إلى طنجة والمترجم على فراش موته رحمه الله.

هذه نظرة إجمالية على حياة الحاج محمد الطريس، وقد ترجم له شيخنا الرهوني حفظه الله، وذكر فذلكة عن وظائفه، ثم قال ما نصه: "ثم ولاه (أي

السلطان مولاي الحسن) النيابة استقلالا في العام نفسه (أي عام 1301) فأظهر من الكفاءة والاقتدار ما أدهش العالم وأكسبه ثقة السلطان والرعية والدول الأجنبية، وصار صيته في الشرق والغرب، واشتهر بالصدق والعدالة والعفة عن مد اليد لرشوة أو هدية أو غير ذلك، وحب الخير لجميع الناس والسعي بغاية الإخلاص في الجمع بين مصالح الدول الأجنبية والمحافظة التامة على استقلال المملكة المغربية إلى أن لقي ربه رحمه الله. وقد وظفت معه من رمضان عام 1324 إلى أن واريته حدثته بيدي ... رحمه الله، ولم أر منه منذ خدمت معه إلى أن توفي إلا ما يرضي من الصدق والنصيحة والجد والرأفة بعباد الله رحمه الله رحمة واسعة".

والترجمة الحقيقية للحاج محمد الطريس (كترجمة أمثاله من رجال السياسة والإدارة) إنما تعرف من مشاريعه ومواقفه ورسائله وما دار بين يديه من حوادث وأعمال، وما حل من مشاكل وكسر من أقفال. وتاريخ المترجم وأعماله هو في الواقع تاريخ جيل ودولة في ربع قرن، وإن ذلك ليستدعي إفراده بالتأليف للدرس والاعتبار، ولكن من لنا بذلك؟

وقد وقفت على الكثير من الوثائق المختلفة التي تكشف الستار عن حقائق القضايا التي مرت على يد النائب الطريس، وهي تعد بالآلاف، إلا أني سأقتصر هنا على بعض تلك الوثائق والمستندات، والرسائل والمحررات، مما له بالمترجم علاقة وصلة خاصة أو عامة، كما يعتبر على العموم من المواد التاريخية للمغرب، وذلك حفظا لها من الضياع، وإعانة لمن يوفقه الله لكتابة تاريخ مفصل لوطننا المغربي حفظه الله وسدد خطواته في طريق الرقي والمجد.

ودونك تلك الوثائق مرتبة على حسب التواريخ في الغالب، وربما رتب بعضها على حسب المناسبات في بعض الأحيان، مع بعض مقدمات أو بيانات، أو تعليقات وملاحظات، وستجد في هذه المستندات المهم وغيره، وسترى في بعضها عجائب وغرائب، وستعرف من بعضها كيف كانت المعاملات الرسمية، وكيف كانت التصرفات الأجنبية، والتدخلات القنصلية، والسياسة الدولية ...

ولنبدأ بالسنة التي بدأ الطريس فيها أعماله الرسمية بطنجة، وهي سنة 1301، أي ابتداء من أول هذا القرن الذي نعيش فيه، وهو القرن الرابع عشر للهجرة.

فهذه رسالة سلطانية عن إنشاء الإسبانيين لخط تلغرافي بين طنجة وإسبانيا، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد طلب باشدور الصبنيول جعل سلك الطلكراف بحرا بين طنجة وطريف أو الجزيرة الخضراء، على الشروط المجعولة مع النجليز في جعله بين طنجة وجبل طارق المبينة في التقييد طيه، فنأمرك أن تتلاقى معه وتساعده على جعله على الشروط المذكورة في التقييد المذكور، وذلك بعد أن تعقدها معه وتوجه نسخة منها لحضرتنا الشريفة مختوما عليها بطوابع نواب الدول بطنجة. وختم في 28 من ربيع الثاني عام 1301"[64].

وهذه رسالة سلطانية نعرف منها المرتب الذي كان النائب السلطاني يتقاضاه رسميا، وهو ريالان اثنان في كل يوم. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وافى كتابك طالبا صدور أمرنا الشريف لأمناء ثغر طنجة حرسه الله بتمكينك من الراتب الشهري على العادة، وصار بالبال. وها نحن كتبنا للأمناء المذكورين بتمكينك من ريالين مياومة، وكتابنا الشريف لهم بذلك يوافيك، والسلام. في فاتح جمدى الثانية عام 1301".

وهذه رسالة سلطانية في التذمر والتشكي من أعمال المغاربة المحميين بالأجانب، وبها أمر من السلطان لنائبه بأن يتصل بسفراء الدول الأجنبية ويطلب منهم رفع أضرار أولئك المحميين، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فغير خاف أن شروط الحماية خرقت بهذه الإيالة، وصارت الحماية تعطى لكل من شاءها بدون قانون، وأن ذلك نشأ منه الضرر الفادح للمخزن والرعية، الذي من جملته تطاول المتلبسين بتلك الحماية من أهل الذعارة

---

[64] - {في هذا الموضوع بالذات وقفت على رسالة سلطانية بتاريخ 10 شعبان 1304 في موضوع الإذن لنائب دولة إنجلترا بأن يجعل سلكا للتلغراف بين طنجة وجبل طارق بشروط معينة، وهذا نص الرسالة:

"الحمد لله العلي العظيم. (الحسن بم محمد الله وليه ومولاه). أذنا بحول الله لنائب دولة النجليز بطنجة كاربي اكرين، في جعل سلك الطلكراف بين طنجة وجبل طارق بحرا على شروط، وهي أن لا يكون إلا بين طنجة من البحر ولا يكون بمرسى أخرى، ولا يكون في البر، وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها، وذلك بعد قبول النواب للشروط المذكورة، والسلام. في 10 شعبان عام 1304"} ح. د.

والفساد والجرأة والتلصص، على العمال والولاة، وتعاصيهم عليهم، وترامبهم على الناس، وأكلهم أموالهم بالباطل، حتى أفضى بهم الحال إلى سفك الدماء وارتكاب كل أمر شنيع تنكره الطبائع وتأباه الشرائع، وتشوفت العامة بسبب ذلك للفساد والفتنة، وإن لم يتدارك ذلك بدواء يحسم مادته، يفسد النظام وتنحل عرى الأحكام، وتقع الفتنة التي هي أصل خراب العمران. وحيث كانت هذه الدولة المغربية بينها وبين الدول العظام كدولة النجليز ودولة ألمان ودولة الفرنصص ودولة الصبنيول ودولة الطليان، المحبة والموادة والصداقة والمعاهدة وحسن المخالطة والمعاملة وكمال الاتصال والمواصلة، تعين إعلامهم بهذا الأمر الفظيع الواقع بهذه الإيالة، ليقفوا في رفع ضرره عنها مراعاة للمحبة ووفاء بتلك المعاهدة. وعليه، فنأمرك أن تتلاقى مع باشدورات الدول المذكورة وتقرر لهم ذلك، وتطلب منه رفعه لدولهم والوقوف فيه لديها كما هو الظن بهم والمعهود منهم، وتجازيهم على لساننا الشريف بخير على ذلك ولا بد، والسلام. في مهل جمدى الثانية عام 1301".

وهذه رسالة سلطانية عن أخبار سفير إنجلترا بطنجة لنائب السلطان بها عن تصرفات شاذة من ابن سفير أمريكا هناك، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بإخبار باشدور النجليز لك بكثرة إعطاء ولد نائب المركان الحماية للناس وإشارته عليك بالكتب لوالده في ذلك، فكتبت له بما في النسخة التي وجهت وفق إشارته، وحيث يجيبك تطالع علمنا الشريف بجوابه، وصار ذلك بالبال. فالباشدور المذكور مجزي بخير على ذلك، وقد أصبت في مساعدته وفي الكتب للمذكور بذلك. والنسخة المشار إليها تصفحت وسلمت، والسلام. في 26 جمدى الثانية عام 1301".

وهذه رسالة سلطانية نعرف منها أن عددا من أهل القطر الجزائري وفدوا من وهران بحرا إلى تطوان، ولكنهم لم يسمح لهم بدخولها. فهل السبب في ذلك هو أمراض كانت فيهم؟ أو هو ضعفهم وعدم وجود من يصرف عليهم؟ الله أعلم بالحقيقة. ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن عامل تطوان كتب لك بما في كتابه الذي وجهت من تعرض المكلف بالسنيدة على دخول المسلمين – 170 – الواردين

من وهران للبلد وطلبه نصب الحرس لمنعهم ولو بالبارود، وتوقفه فيما يفعله في ذلك وفي إغاثتهم بالقوت، فأجبته بعدم إدخالهم للبلد وكتبت لأمناء المرسى بأن يقوتهم بما يرجعهم لوهران. وطلبت أمرنا الشريف لهم بإمضاء ما صيروه في ذلك، فقد أمرناهم وكتابنا لهم به يصلك طيه، والسلام. في 19 من شوال عام 1301".

وهذه رسالة كتبها السلطان في شان قضية بين أحد المغاربة وأحد الأجانب، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل جوابك عن محمد بن علي الجناتي من سكان فاس أحد غرماء الصرّاف المركاني المستظهر ببراءة مما عليه (50) من الريال للمذكور الموجه لك لتقف معه في إعمال الشرع مع خصمه، بأنك أجبت عامله بأن براءته حيث كانت ثابتة لم يبق له إلا أن يحضر رب الدين والمدين، وإذا سلم رب المال تلك البراءة، يقع الاستغناء عن إشخاص الغريم لطنجة، وبأن يكون عمله على هذا في نظائره، وصار بالبال. فحيث قيدت الدعوى أولا بطنجة، وكان المتكلم عليها بها، فالحكم والفصل يكونان بها ولو قيدت بفاس أولا لكان ما ذكر فيها على أن الخصم لم يبق له كلام حيث دفع رسوم دعاويه لمن يتكلم عليه ووكله لأن من وكل لا يخاصم، فامض على ذلك في هذه القضية وفي غيرها وما تفاصلت به أعلمنا به، وكذلك بما يفصل به غيرها ليقيد بكناش الغرماء، والسلام. في 25 شوال عام 1301".

ويلاحظ في هذه الرسالة وفي جل ما يأتي من رسائل، أن السلطان كان يتدخل بنفسه – فضلا عن وزرائه - في جزئيات المسائل الصغيرة والمشاكل الطفيفة، مما لا يترك وقتا للتفكير في الشؤون العظيمة للدولة، ولا يبقى معه مجال للقيام بالاستعدادات اللازمة للمحافظة على كيان الدولة وتوطيد مركزها الخ. مما أدى إلى النتيجة التي يراها الجميع.

وهذه رسالة سلطانية في شان شراء بعض الأسلحة، ونصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بوصول العشرين ألف ريال والمائتين ريالا والخمسة والأربعين ريالا والثلاثة والثمانين جزءا من الريال (83- 20245) التي من قبل الألف مكحلة والثلاثة مكاحيل المشتراة من صاحب الفبركة بالمركان على يد مكلين الحراب، وحيازة باشدور النجليز للعدد المذكور بالعد،

فالفى فيه خاصا (101) وزائفا (544) ما بينته من الريال، فأذنت للأمناء في تنفيذه وتوجيه الزائف لحضرتنا الشريفة، وطلب منك الباشدور إعلام جانبنا العالي بالله بأنه لا درك عليه في شيء ولا فيما يكشف الاختبار عن صلاحه أو ضده أو غير ذلك. والمتعلمان المرشحان للتعلم عند صاحب الفبركة المذكورة وصلا مع الترجمان جان، وحيث يصفي ما يرجع لتقدير مشاهرتهما يعلم به الأمناء، وصار بالبال. أما ما ذكره الباشدور من كونه لا شيء عليه فيما يكشفه الاختبار من صلاح ذلك أو ضده فهو كذلك لا شيء عليه فيه، لاكن مثله لا ينبغي له أن يقول هذا، بل ينبغي له أن يشير بوجوه الاحتياط في ذلك حتى لا تقع فيه شمتة. على أن كنطردة شرائه عقدت مع صاحب الفبركة المذكور على شروط منها مماثلة كل واحدة منها للمثال الذي تحت اليد في الصنعة وفي عمائره (1) الأربع عشرة وفي (2) سيرها تسعمائة يرضة وتقليب (3) مخزن المركان لها وتسليمه إياها و(4) طبعه عليها بطابعه وحينئذ تقبل وإلا فلا. وعليه فاعرض على الباشدور هذه الشروط وإن رأى أنها كافية في الاحتياط لا يمكن معها تدليس ولا شمتة في ذلك فذاك، وإلا فليشر بالكيفية التي يحتاط بها من ذلك. وأما المتعلمان المشار إليهما فلا يحتاجان لمشاهرة، لكون صاحب الفبركة المذكورة التزم القيام بمؤنتهما إلى أن يتعلما ما وجها لتعلمه، والسلام. في 25 جمدى الثانية عام 1302".

وهذا كتاب بعثه إليه السيد محمد بركاش في شأن خشب طلبه أحد السفراء الأجانب، ونصه بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى النائب الأبر المرتضى سيدي الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره، وبعد فهذه مدة ما قبضنا منك كتابا جعل الله المانع خيرا، ويصلك طيه كتاب شريف في شأن ما طلبه باشدور الطليان من عود العرعار (24) من مرسى الدار البيضاء لداره، وبطيه كتاب لأمناء المرسى المذكور بتسريح ذلك، وقد أشار لنا مولانا المؤيد بالله بأنه إذا لم يكن في ذلك خرق ولا فتح توجهه لك فوجدنا مثل هذا كان تقدم، وعلى المحبة والسلام. في 28 رجب الفرد عام 1302. محمد بركش لطف الله به".

وهذه رسالة سلطانية فيها الأمر بالوقوف مع سفير مغربي موجه إلى إسبانيا، ونصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فيرد عليك صحبته الخديم عبد الصادق بن أحمد الريفي المعين للسفارة لدولة إسبانيا، ومعه الكاتب الطالب أحمد الكردودي المعين للتوجه معه، فنأمرك أن تقف معهما حتى يتوجها، ويصلك بطيه نسختان من

كتابنا الشريف لكبيرهم المصحوب بهما السفير المذكور، فادفعهما للباشدور، والسلام. في 21 شعبان عام 1302".

وهذه رسالة سلطانية عن بعض مشاكل أصحاب الحمايات وتهربهم من أداء الواجبات المخزنية، ونصها بعد الثلاثة، الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك وبطيه كتاب باشدور الفرنصيص لك بما تشكى به مقدم عزائب الحاج عبد السلام الوزاني بزرهون من أن الأمناء ضيقوا بأصحابه الذين بتلك العزائب وسووهم مع الناس، وذكرت أن مباشرة الأمور مع النواب، صعبت عليك بسبب عدم السياسة من الأمناء مع أهل حمايتهم، وأنهم يحتجون عليك بمن يأتيهم متظلما وبيده ظهير شريف بتوقيره الخ ما ذكرته وصار بالبال. أما تشكي المقدم المذكور بما ذكر فمخالف للواقع، والواقع هو ترتيب جميع الشرفاء والمرابطين لمصلحة اقتضته، وهي إسقاط الكلف عمن كان من العزابة آفقيا، وتكليف من هو منهم من القبيلة التي بها العزيب، لأن إسقاط الكلف عنه وردها على قبيلته حيف وظلم لها، فأجب الباشدور بذلك. وأما الأمناء فلم تنفعهم سياسة مع المحميين لحمل الطمع لهم على حمايتهم للناس وتعرضهم لهم على ترتيبهم زاعمين أن ما عندهم من الحرث والماشية لهم، وأما احتجاجهم عليك بما ذكر فغير ظاهر، لأن أصحاب تلك الظهائر المتضمنة للتوقير فقط يحاولون إسقاط الواجب والكلف عنهم بها وإسقاط ذلك إنما يكون بالنص الصريح في الظهائر مع استمرار العمل به، والسلام. في 8 ذي القعدة عام 1302".

وهذه رسالة أخبره فيها السلطان بعزمه على إرسال سفير مغربي إلى ألمانيا ثم إلى أمريكا، ونصها (بعد الثلاثة):

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد عزمنا بحول الله وقوته على توجيه سفير لدولة البروس بقصد تجديد المحبة وتأكيد الوداد، وحيث يفرغ من هناك يتوجه لدولة المركان بقصد ما ذكر أيضا، فنأمرك أن تعلم بذلك الباشدورين، وما يجيبانك به طير لنا به الإعلام، والسلام. 17 محرم فاتح 1303".

وهذه رسالة سلطانية في شأن دعوى لبعض أصحاب الحماية أيضا، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل جوابك بأنك طالبت باشدور النجليز بإحضار الرسم المتضمن لما يدعي به كنسينو النجليزي من نهب لشياه (133) له وفرسة

وبقرة ودابتين وحوائج لنائبه محمد بن بوعزة الفرجي بإيالة المزابي على الأناس المذكورين فيه لتأخذ منه نسخة وتوجهها لحضرتنا الشريفة، فأحضره فألفيته مكتوبا بألفاظ عامية لا تفهم، وفيه أثر الريبة وأشكال عدول لا تعرف، ووقع العجز عن أخذ نسخة منه مفيدة وطلبت منه توجيهه لحضرتنا الشريفة فأبى معتذرا بخوف الضياع وصار بالبال. فاعرضه على الشرع هناك وما حكم به من صحته أو بطلانه أعلمنا به ليلزم المذكورون فيه بفصال الدعوى إن صححه وإلا فتبطل والسلام. في 17 من المحرم فاتح عام 1303".

وهذا كتاب سلطاني في شان عزم إسبانيا على إرسال سفير منها إلى المغرب، ونصه بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بما شافهك به باشدور إسبانيا من أن غرض سلطانتهم أن توجه سفيرها لحضرتنا العالية بالله، وطلب منك استئذان جانبنا العالي بالله في موضع الاجتماع وتعيين الوقت لذلك ليعلم بذلك دولته وصار بالبال. فمرحبا به غير أن كتابك لم يرد حتى ألفانا نهضنا بالسلامة لسوس، وبعد الإياب منه بحول الله يعين له وقت القدوم على حضرتنا الشريفة، والسلام. 13 جمدى الثانية عام 1303".

وهذه رسالة من وزير بريطانيا المفوض في الاحتجاج على مساعدة بعض ولاة المغرب لبعض رعايا فرنسا دون رعايا بريطانيا الخ، ونصها:

"الحمد لله وحده

نائب السلطان أيده الله الفقيه الأجل السيد الحاج محمد الطريس، السلام التام عليك نسئل عنك كثيرا محبة أن تكون بخير دائما، وبعد فمنذ كتبنا لك بتاريخ 29 جمدى 2 جوابا لكتابك بتاريخ 25 جمدى 2، مشتكين بأن رعية اكريت ابريتن وغيرها من الرعاية الذين نحن نائبا عنهم، لم يريدوا يؤدون كراء خزائن الذي تحت يدهم، وكنا أخبرناك بصدور الإذن منا بأن الذي تحت يده الخزائن، ذلك الكراء الذي بذمته يضعه تحت يدي القوانصة وينتظرون إلى أن نأمرهم ما يفعلوا به، فسمعنا عن المرة الأولى من خلائف اكريت ابريتن واديمارك واستغربنا من غير الخزين متاع التجار كربل جميع البناء الذي عليه الكلام لم يكمل بناؤه عدى الحيوط بدون سقف وأوقفوا الأشغال هذه مدة تسعة سنين، حيث إن الأمناء يذكرون ذلك لسبب أن الإذن الوارد من الحضرة الشريفة بأنه ليس عندهم بالعرائش دراهم، بعد ذلك بنوا اثنين خزائن وسقفوهما لتاجر من حمية الفرنصيص اسمه موشي بن شمول وخليفة اكريت ابريطن جعل الاسترعاء في ذلك الوقت والأمناء طلبوا منه تأخر الاسترعاء المذكور في ذلك الوقت المذكور عهدوه بأن الخزائن الذين هم بلا سقف يسقفوهم لاكن

ذلك العهد المذكور لم يوفوا به. فعلى كل ما ذكر فنسترعي على دولة السلطان على عدم جعل رعية اكريت ابريتن الذين يريدون الخزائن في منزلة مخصوصة مثل حمية الفرنصيص. فما يذكره من الاسترعاء لم يكف المال بالعرائش لم يقبل حيث ليس هو مذكورا في الشروط بأن الخزائن لا تبنى إلا إذا كان ما يكفي من المال بيد الأمناء في المرسة التي بها البناء سيما وجدوا المال الذي بنوا به لحمية الفرنصيص بالوقت الذي كنا أخبرناك مشافهة بالاسترعاء على دولة السلطان في هذه القضية، فأجبتنا بأن رعية اكريت ابريتن امتنعوا من سقف الخزائن المذكورة. فهذا يظهر منه العجب، واستغربنا لذلك حيث إن التاجر الذي استخدم ذلك الأرض لا شك أنه وقعت له الخطية في الحبوب التي كانت موضوعة فيهم من غير سقف من الأفات، فواحد أو اثنين منهم جعلوا فوق ذلك البناء المذكور سترة لحفظ ما فيه من ماله الخاص. فنحن بصدد الإذن لخليفة اكريت ابريتن ليبحث من رعية اكريت ابريتن إذ هم تأخروا في طلب عدم إكمال الخزائن المذكورة من المخزن. والذين بيدهم الأرض المذكورة يقبلوا أنهم لم يختموا على سقف المحل الذي أنعم عليهم والبعض منهم أرادوا أن يستخدموا ذلك المحل لجعل الحبوب فيه في وقت المصيف، وأيضا الذين جعلوا السترة لذلك من مالهم الخاص، فإنهم يلزم عليهم يؤدون شيئا قليلا من ذلك الكراء على استخدامهم لذلك الأرض والذين بيدهم الخزائن ولم يستخدموها قط فلا يجب عليهم كراء حتى يكمل البناء والسقف. فخليفة اكريت ابريتن ذكر بأنه سنة واحدة جعل فيه الحبوب فقط. الحاصل فنجدد أيضا الاسترعاء على دولة السلطان على ما ظهر من الخصوصية لأحد حمية الفرنصيص للبنا والسقف لخزينين وخزائن اكريت ابريطن تركوهم بدون كمال، فنطلب على ساق الجد بأن رعية اكريت ابريطن تكون في مرتبة الرعية المخصوصة في المحبة. فنطلب منك أن تكون على بال بأن هذا الكتاب فيه جواب على الخزين الذي بيد التاجر جرمطيطية ترجمان الديمارك، والسلام. في 22 مايو سنة 1886 موافق 17 شعبان 1303.

ومنه يصلك طي هذا تقييد مما كتبنا به لخلائفنا لتكتب بمثله لأمناء المرسى.

عن إذن منسطر ابلين بوطن شير لسلطانة اكريت ابريطن وانبرير الهند بإيالة مراكشة (إمضاء)".

وهذا كتاب بعثه وزير سلطان المغرب إلى باشدور فرنسا بطنجة في شأن أصحاب عزائب الحاج عبد السلام الوزاني، ونصه بعد المقدمة، وبعد وصلنا كتابك بشكاية الحاج عبد السلام الوزاني بأنه كتب للفقيه السيد علي المسفيوي حين صدر الأمر الشريف بترتيب قبائل الإيالة في شأن عزائبه،

فأجابه بأن عزائبه تترتب من جملة الإيالة، ولا يعطون شيئا، فإذا به صار العمال يخاطبونهم لليوم بالعطاء، ومن جملتهم عامل العرائش أراد أن يتصرف على أهل عزيب للحاج عبد السلام قرب القصر الكبير مع أن بيده ظهيرا شريفا بأنه لا يتصرف عليهم أحد ولا يلحقهم أحد بمكروه، وإن عجز هو - أي الحاج عبد السلام - عن إجراء الأحكام عليهم، فمتولي زاويتهم هو يحكمهم، وطلبت كف العمال عن عزائبه وإقرارها على عادتها، وأطلعنا بكتابك شريف علم مولانا، وصار جميع ما ذكرته فيه بباله الشريف، وأمرني أعزه الله أن نجيبك عن ذلك بأن الفقيه المذكور أجابه بما ذكر بناء على أن أهل تلك العزائب كلهم آفاقيون معاشة يحرثون معه ويسرحون له بهائمه بمنزلة الوصفان، فإذا به لما رتبوا تبين أن بعضهم من أغنياء القبائل التي بها عزائبه، وليسوا بآفاقيين وتضررت قبائلهم من القيام بكلفتهم وطلبت مساواتها معهم فيه فساعدها المخزن لكونه إنما أحدث هذا الترتيب بقصد رفع الحيف والظلم عن الناس، وإلزام قبائلهم بكلفتهم فيه ما لا يخفى من الجور والظلم المحرم في جميع الملل. وقد جعل المخزن ضابطا لعزائب الشرفاء والمرابطين، وهو أن من دخل لها بقصد التمنع من أداء ما وجب عليهم وسط إخوانهم فيلزم بأدائه. ومن كان آفاقيا ولم يصر من جملة القبيلة بطول المكث بها لا يلزمه شيء وإلا فحكمه حكم القبيلة أيضا، ومن جملة من دخلوا بعزيب المذكور المسمون بالتقييد طيه من أملياء قبائل إيالة العرائش الذين ليسوا بآفاقيين ليتستروا بها ويتقاعدوا عن أداء ما وجب عليهم وسط قبائلهم فألزمهم عمالهم أداءه. وأما ما يرجع للأحكام فإن كان فيما بين أهل العزائب فمتولي أهل زاويتهم هو يحكم بينهم فيه، وإن كان فيما بينهم وبين غيرهم من القبيلة فعاملها هو الذي يحكم بينهم فيه، ودمت بخير. وختم في 19 رمضان عام 1303".

وهذه رسالة من وزير إسبانيا بطنجة في شأن إسباني صاحب فلوكة بمرسى تطوان، ونصها:

"الحمد لله

الفقيه العاقل نائب وزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة السيد الحاج محمد بن العربي الطريس لا زال السؤال عنكم نطلب الله تكونوا بخير وعافية، وبعد إن عامل وأمناء تطوان منعوا الصبنيولي خوان كرسية أن يخدم بفلوكته في تلك المرسى، يعني مرسى مرتيل، وما دفعوا له الأربعة ريال كبيرة عوضا له بسبب الضرر الحاصل له من ذلك، ولو كتبتم لهم بأن يدفعوا الأربعة ريال وأمرتهم بأن لا يمنعوا الصبنيولي من تلك الخدمة. فغير خاف عليكم أن هذا أمر لا يقبل ولا نقبل من أحد يمنع الصبنيول من الخدمة في مثل هذا الذي لا يمكن منعه لأحد من رعية الأجناس، فإن أجريتم هذا أعطيتم سبيلا للدعاوي

والمطالب ولما هو أعظم من ذلك، كسرتم اعتبار هذه الإيالة عند الأجناس. وعليه فالمأمول عندنا أنكم تأمروا بالأوامر المناسبة كي لا تصدر دعوة مثل هذه التي تضر لمن يتسبب بها، وعلى المحبة التامة والسلام. في 14 يليه سنة 1886.

المنسطر المفوض لحضرة سلطانة إسبانيا قرب الحضرة الشريفة خس ديزدد وكستليو".

والتاريخ المذكور يوافقه 12 شوال 1303.

وهذه رسالة سلطانية جوابا عن قضية شخص قاتل يبحث بين الأجانب عمن يحميه من العقاب، وفيها أن عليه الأمان إلا فيما يوجبه عليه الشرع. ونصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك شارحا فيه حال محمد ولد بوقنيطر الحريزي وما بقي فيه من الحيرة بطنجة، حيث نبهت عليه نواب الأجناس ولم يجد من يحميه منهم، وذكرت أنه لاذ بك طالبا إرشاده لما فيه صلاحه، فأرشدته للتعلق بأعتابنا الشريفة، فخاف فأمنته ووجهته وطلبت إصدار الأمر لعامله بالاستيصاء به خيرا وصار بالبال. فالشفاعة أمر الشارع بها، وصاحبها مأجور، لاكن في غير الأمور التي لم[65] يتعلق بها حق لله تعلى ولعباده، وأي حق أعظم من قتل المذكور لسريات والده وزوجته طغيانا وظلما، وأي أمان يسقطه عنه، وعلى كل حال فهو في الأمان، إلا فيما يجب عليه شرعا ولا يسقطه عنه الشرع إلا بالأداء، والسلام. في 14 من القعدة عام 1303".

وهذه رسالة من أمين الأمناء محمد التازي يشير فيها على النائب الطريس باتخاذ طابع يطبع به رسائله عند مرضه، وعدم ترك الإمضاء لكاتبه، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى نائب مولانا الأجل الأحظى السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد بلغنا ما كان ألم بك وعوفيت منه، فالحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، جعله الله في ميزان القبول بمنه آمين. هذا وقد بلغنا أن الكاتب الذي معك يكتب المكاتيب ويضع فيها في الفرمة عن إذن الحاج محمد الطريس، ومن جملة ذلك أن قاضي الرباط قبض كتابا على هذه الكيفية، نطلب الله أن تكون عوفيت وتباشر الفرمة بيدك، وإلا فاجعل طابعا وفيه اسمك بخاتم رفيع ونقش

[65] - هكذا في الأصل.

جيد، لتكون تعلم به المكاتيب، وإياك التراخي في ذلك، وعلى المحبة والسلام. في 25 محرم الحرام عام 1304".

وهذه رسالة سلطانية في شأن حانوتين نفذا لأحد الأجانب قرب مسجد طنجة، ونصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن الحانوتين الصادر أمرنا الشريف لناظر أحباس طنجة بتنفيذ واحدة منهما للرومي المستخدم بالسنيدة، إحداهما بجوار المسجد الكبير والأخرى وسط سماط العدول، وأنك أيست الرومي المذكور من التوصيل لهما لسبقية أمرنا الشريف بعدم تنفيذ ما جاور المساجد، وأن التي منهما بسماط العدول بيد رجل ضعيف يتعاطى فيها التجارة مدة مديدة وصير على سقفها ما يزيد على الأربعين ريالا ولم يحاسب المسجد بها وطلب إقراره عليها بظهيرنا الشريف وصار بالبال. فرد لحضرتنا الشريفة التنفيذ الذي عند الرومي وتنفذ للمذكور، والسلام. في 11 جمدى الأولى عام 1304".

وهذه رسالة من أحد القواد بالتشكي من تعصب بعض المحميين وضربهم لرجال المخزن بالبارود، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأود ونائب سيدنا الأسعد السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد اعلم حفظك الله أن سيدنا أمرنا بتوجيه العسكر السعيد لحضرته العالية بالله، فكلمنا القبيلة فأجابوا بالسمع والطاعة وتوجهوا ليأتوا به وتوجهت المخازنية صحبة الأشياخ فأتى كل واحد بعسكريته عدا فرقة تسمى أولاد سعيد بن مَحمد امتنعوا، فوجهنا لهم على القدوم لدينا لنكلمهم على العسكر والحركة، فامتنعوا أيضا، فكتبت لخديم سيدنا الح العربي ابريشة في شأن من هم مخالطون فيهم للتجار وأخبرته بامتناعهم، وطلبت منه يكلم الاقناصوات الذي هم مخالطون لتجارهم ليقومهم للحركة السعيدة وأداء ما يجب عليهم في وسط قبيلتهم من المال والعسكر وإلا يحوزون إن كان لهم شيء عندهم ليجد المخزن الكلام معهم فيما ذكر، فتكلم مع قونص النجليز على أصحاب تجاره، فأجاب أنه أمر تجاره يوجهون على المخالطين ويكلمهم على ذلك هذا جوابه فانتظرناه مدة فلم يظهر لذلك أثر، فوجهت بعض المخازنية لأحد العساكرية من أولاد سعيد بن مَحمد المذكور، حيث بلغني أنه مستخف في الفضا، فلما توجهوا المخازنية وجدوه يحرث على زوجة، فقبضوا عليه وأتوا به لدينا، فتلقاهم بوزيان الزنقي وأخيه بلعباس وابن عمهم محمد بن العياشي، وضربوا المخازنية بالبارود وسرحوا العسكري من يدهم وقتلوا فرسا للمخازنية من عتاق الخيل ثمنه مائتان ريال وعشرون ريالا،

وتوجهوا للدار البيضاء عند صاحبهم جورش وخصي النجليزي، فكتبت أيضا للحاج العربي بريشة وأخبرته بما فعلوه المذكورين، فكتب لقونص النجليز بما وقع، فأجاب أن التاجر المذكور وجه على أصحابه المذكورين وطلب منه يكتب لنا أن لا تمد اليد فيهم حتى يتحاسبوا مع التاجر المذكور هذه مدة وتلاقوا معهم بالدار البيضا وسكتوا على دعوى المخزن، ووجب إعلامك لتكون على بال وتكلم نائب النجليز على القضية، فإننا نعرفوا أن المخالطون لا يحملون السلاح ولا يضربون الناس بالبارود، وإن وقع بهم ظلم يشتكون على اقناصواتهم، فإذا بهؤلاء صاروا بخلاف ذلك، وصاروا يضربون المخزن بالبارود ويبقون على جسارتهم ويجدون من يدافع عنهم بما لم يكن، وبه وجب إعلامك، وعلى تمام المحبة والسلام. في 9 رجب الفرد عام 1304. عبد السلام بن محمد بن رشيد وفقه الله".

وهذه رسالة من السلطان في شأن لجوء بعض الفساد لعزيب الشرفاء من آل وزان، ونصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فإن فساد أولاد دليم الذين خرجوا عن عاملهم الخديم القائد علال بن الشليح متمادين على عتوهم وعنادهم قد استرعينا عليهم وحذرناهم عاقبة ذلك، فلم يزدهم ذلك إلا نفورا، وازدادوا طغيانا بفرارهم للمازرية عزيب الحاج عبد السلام الوزاني ونقل زرعهم وأمتعتهم وأموالهم إليها بقصد التمادي على الزيغ والفساد، وما دروا أن ذلك المحل لا ضريح فيه وليس بزاوية، وإنما هو محل للحرث، على أنا لو فرضنا أنه حرم، فالحرم لا يجير عاصيا، وقد أرادوا بذلك التمنع من المخزن وتصيير الوطا كالجبل، مع أنهم من المخازنية الذين تجري عليهم الأحكام أينما كانوا وإلا فسد النظام، وقد أمرنا لأجل ذلك بالاسترعاء على مقدم العزيب المذكور بإخراجهم من ثمة وتطهير ساحتهم منهم، وحتى إن وقف له عارهم، فيخرجهم في الأمان ويصالحهم مع عاملهم، فإن فعلوا فذاك، وإلا فإن أصابتهم مصيبة فذنوبهم على رؤوسهم كما وقع للحشم وبني عامر حياة سيدنا الجد قدسه الله لما تمنعوا بالفرار للمازرية في قضية محبي الدين، فأكلوا وضربوا واستخرجوا منها مكرها عليهم، وكذلك هؤلاء أولاد دليم أكلوا ثمة في مرة أخرى حيث صدر منهم من الطيش ما أوجب لهم ذلك، والكل حياة الحاج العربي الوزاني رب العزيب المذكور، وأعلمناك لتكون على بال من ذلك وتعلم به نائبك ليعلم به الباشدور ويتكلم مع الحاج عبد السلام بتطهير ساحة عزيبه من درن أولئك الفساد وبإبعادهم منه، فإن إيواءهم من الخرق والإفساد على المخزن والسلام. في 28 قعدة عام 1304".

وهذه رسالة سلطانية يعلم فيها بإرسال سلطان المغرب هدية إلى ملك إسبانيا ووالدته الخ. ونصها (بعد الثلاثة) الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فيصلك صحبة قائد الرحا الوصيف الحاج محمد بن قاسم منون، خنجار منبت إتحافا من جانبنا العالي بالله لسلطان إسبانيا، مع خلخالين من الذهب تحفة لوالدته، فادفعهما لباشدورهم ليوجههما لهم على يده والسلام. في 5 من ربيع الثاني عام 1305".

وهذه رسالة سلطانية لها تعلق بالحماية الأجنبية بالمغرب، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا شافهك بورود الاستفهام عليه من دولته عن رأيه في الحماية وورود مثل ذلك على باشدور الفرنصيص واجتماعهما وإجابة كل منهما بأن رأيه أن تزال رأسا واتفاقهما على أن يصلح الوفق بإزالة الحماية والنطرلزسيون منه وصار بالبال، والسلام. في فاتح جمدى الأولى عام 1305".

وهذا كتاب سلطاني في شأن سفر النائب الطريس إلى عاصمة إسبانيا وإلى حضرة البابا بروما، ونصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك وبطيه الكتاب الذي كتبه كبير رهبان إسبانيا بإذن باشدورهم ودفعه لك، وعلمنا مضمنه الذي من جملته الإشارة بتوجهك لمدريد لمباشرة إصلاح الوفق، بعد توجهك لعند البابا، لما فيه من المصلحة التي بين (كذا)، وعلمنا ما ذكرته في شأن توجهك لمدريد، وصار بالبال. فقد استحسنا ما أشار به الباشدور من توجهك لعند البابا قبل توجهك لمدريد واستصوبناه. وعليه فتوجه على بركة الله عزما لعند البابا، واعمل بحساب الرجوع من عنده لحضرتنا الشريفة لتشافه وتتوجه لمدريد، وحتى إن رأيت أن مقامكم برومة يطول، فلا تمكث بها، واترك الخديم والكاتب المذكورين يتممان الكلام مع البابا، وأقدم على حضرتنا الشريفة بقصد ما ذكر، فخذ بالحزم والعزم في ذلك، وإياك أن تتوانى وترتكب ما لا يستحسن بالتأخر عن الجمع بمدريد ونحوه. وها كتابنا الشريف للبابا مع نسخة منه يصلانك طيه، فادفعهما للخديم عبد الصادق، وحز منه كتابنا الشريف للبابا الموجه له مع الكتاب المذكور، ورده لحضرتنا الشريفة، لأنك غير مذكور فيه، وتوجه معه أنت والكاتب المشار إليه، وما تتكلم

به مع البابا، الكاتب المذكور يبينه لك، فقد مكناه من تقييده وأمرناه بتبصيرك فيه، والسلام. في فاتح جمدى الأولى عام 1305".

والرسالة السابقة كما رأيت، فيها الكلام على توجيه النائب الطريس إلى البابا - رئيس النصارى الكاثوليكيين في العالم - ومقره كما هو معلوم هو مدينة روما عاصمة إيطاليا.

ومن المعروف أن السلطان المولى الحسن كان قد أرسل إلى بابا روما المذكور سفارة مغربية لحضور الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة عيده الخمسيني، وكان النائب الطريس على رأس تلك السفارة التي حملها طراد إسباني من ميناء طنجة إلى نابولي، وكان من جملة أعضائها الكاتب أحمد الكردودي والحاج محمد بن عبد الصادق. وقد اجتمعت بالبابا في 25 فبراير سنة 1888 (موافق 12 جمدى الأخيرة عام 1305). وألقى النائب الطريس باللغة العربية خطابا ترجمه الراهب لرشوندي الإسباني المشهور الذي صحب السفارة من طنجة، وبعد إنهاء تلك السفارة لمهمتها حملها الطراد المذكور إلى ميناء طنجة أيضا.

وهذا كتاب من وزير المغرب إلى وزير إسبانيا بطنجة في شان سماح الحكومة المغربية لتجار الأجانب بوسق العظام من الموانئ المغربية لمدة سنة واحدة، ونصه:

"الحمد لله ولا قوة إلا بالله

المحب العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين منيسطر دولة الصبنيول الفخيمة الكبلير خس ديزددو كستليو، بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما فقد أخبر المحب منيسطر دولة الألمان الفخيمة أن تجار رعيتهم يطلبون تسريح وسق العظام من مراسي هذه الإيالة السعيدة لتوفر عدد كثير منها تحت أيديهم بها، ولم يجدوا سبيلا لوسقه لمنع المخزن له بسبب ما وقع من نبش المقابر ووسق عظام الموتى، وذكر أنهم التزموا بأن لا توسق العظام إلا من ديوانة المرسى، بعد أن يقلبها طبيب الستيدة ويشهد كتابة بأن لا عظام فيها للآدمي، وحينئذ توسق. فاقتضى نظر مولانا نصره الله حيث ارتفع وزال سبب منع وسقها المذكور بالتزام التجار بما ذكر وإشهاده كتابة بأن لا عظام فيها للآدمي، تسريح وسقها لجميع التجار لمدة سنة مبدأها شهر شوال الآتي على الشروط المذكورة وعلى شرط إن مضى الأجل المذكور وادعى أحد من التجار بقاء شيء منها تحت يده وطلب وسقه، لا يسمع منه كلام فيه، وبعد مضي السنة يثقف وسقها. وأصدر نصره الله أمره الشريف بذلك لأمناء المراسي وعمالها، وأعلمناك أيها المحب بهذا لتعلم به تجار رعيتكم، ودمت بخير. وختم في 5 رمضان عام 1305".

وهذه رسالة من بعض الأمناء بالتشكي مما أحدث بعض القناصل في داره مما يضر بالجيران، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أسعد الله أيام حبنا الأعز الأرضى وخديم مولانا الأجل المرتضى الوجيه الأسعد الأبر الأمجد سيدي الحاج محمد الطريس وسلام على سيادته الفخيمة ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله أدام المولى عزه وعلاه، وبعد فليكن في كريم علمك أن قنصل الاصبنيول أحدث في الدار التي يسكنها بناء، ومن جملته أنه فتح سرجمين كبيرين لجهة البحر أشرف منهما على براح الدار التي لجانب المخزن مجاورة له وكان يسكنها أمناء المرسى من أهل تطوان، ثم هي اليوم في يد من يستخدم بالمرسى من أهل الرباط. وغير خاف على علم سيادتك أن الدار إذا انكشف براحها واحد بيوتها للغير يتعطل الانتفاع بها وتتعذر السكنى بها، وها موجب ذلك يوافي سيادتك بما أحدثه، فالظن بسيادتك الكريمة أن لا تقصر في أسباب منعه من ذلك، حيث هو ضرر محض، وقد احتج في فتحها بأن قنصلي الفرنصيص والبروص أحدثا مثل ذلك، ولا حجة له، لأنهما فتحا في المحج المطروق ولم يشرفا على دور الناس، أما هو فقد فتح في محل يطلع منه على العورات، كما أنه حوز من طريق العامة والمحج المسلوك محلا مسامتا للروض الذي بيده متصلا به بقرب الدارين المذكورتين وحوط به حائطا من الحجر المقلقل وعقد له بابا وجعل لها دفة وضاقت الطريق بسبب ذلك، والظاهر من حاله أنه أراد أن يتوصل بما أحدثه إلى تحويز ذلك الموضع وإضافته لروضه بعد السكوت عنه وطول المدة. وأعلمنا سيادتك لتكون على بال، فلا يجد إلى ذلك سبيلا. والمولى سبحانه يثبتكم ويزيدكم ويعينكم ويحفظ المسلمين فيكم، وبه الإعلام، وعلى المحبة والسلام. في 26 شوال الأبرك عام 1305.

نائب الحاج العربي بريشة وفقه الله

عبد ربه محمد فرج لطف الله به

عبد الوهاب بن محمد بنيس أمنه الله بمنه

(وبطرته ما نصه)

كتب لباشدور السبنيول في ذلك بتاريخ متم شوال عام 1305".

وهذه رسالة سلطانية في شان دخول أسلحة للريف عن طريق مليلية وبيان أن في ذلك ضررا يجب رفعه، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد بلغ لشريف علمنا أنه دخل من مرسى مليلية لقبائل الريف ما يزيد على العشرين ألفا من مكاحل الكلاطة الرومية الممنوعة الدخول بغير إذن المخزن حسبما في الشروط. وعليه فنأمرك أن تعلم باشدور الصبنيول

بذلك، فإنه لا يخفى عليه ما في دخولها وبيعها للرعية من الضرر الكبير، لأن جل قبائل هذه الإيالة جبلية تأبى الانقياد والإذعان لإعطاء الحقوق بتحصنها بأوعار جبالها وتخومها، وبما بيدها من احريش والعصي والمكاحل التي هي والعصي سواء وأحرى إذا عمرت أيديها بمكاحل الكلاطة فلا محالة تزداد إباية وامتناعا من إعطاء الحقوق ويتسع خرق فسادها، وتكلمه بأن يقف في منع دخول ذلك من مرسى مليلية وغيرها من مراسيهم المجاورة لهذه الإيالة ويتدارك الخرق الواقع بما دخل منها للريف بمنع دخول قرطوسه وبيعه لهم ليبقى ما بأيديهم منها معطلا لا قرطوس له إذا نفذ ما بأيديهم منه في المضاربة مع بعضهم بعضا، وتعرفه بأننا أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مليلية ولأمناء مراسي هذه الإيالة برد البال لذلك ومنع إخراجها لهذه الإيالة، وإن خرج شيء منها يحوزوه على وجه الكنطربنض ويعلمونا به، والسلام. في 7 ذي القعدة عام 1305".

وهذه رسالة في شأن خلاف وقع بين بعض أصحاب المراكب الإنجليزية وأمناء مرسى تطوان ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"وعلى نائب سيدنا الأجل الصدر المكين المبجل سيدي الحاج محمد الطريس أوفى السلام وأزكاه وأنماه وأذكاه ورحمة الله عن خير مولانا أعزه الله، وبعد فقد وصل كتابك الأعز معلما بتشكي بعض رؤساء المراكب من جنس الانجليز بواسطة نائب جنسه هناك، بأنا منعناه من تسريح المونة له ولبحريته على المألوف لهم مع أمناء مرسى تطوان، من تسريحهم لهم مونة خدمة المركب مرتين في الجمعة مدة إقامتهم بالمرسى، وألزمناهم بإنزال مونة كل يوم بيومه، مع أن ذلك مضر بهم لبعد المرسى عن البلد، وأمرت بإجرائهم على مقرر العادة من تسريح مونة ثلاثة أيام فثلاثة مدة مقامهم، ومعلما أيضا بأخبار الرئيس المذكور أنا ألزمناه بطبع المنفشط مع أن الكلام على ذلك حقه أن يكون مع قناصل الأجناس في الفسينات، وقد كان صدر الأمر الشريف بتكليم نواب الأجناس في ذلك وفعلتم، فمنهم من أجاب وجعل يطبع عليه، ومنهم من امتنع كالإنجليز طلب الأجرة على الطبع، وأطلع بذلك العلم الشريف، فهو أعزه الله من ذلك على بال، وبان لنا جعل الورديان بالمراكب ساعة ورودها، غير أن هذا الرئيس الشرعي لكون البحر بمرسى تطوان غير مأمون، فقد يعظم البحر في بعض الأحيان بغتة ويضطر إلى الخروج من المرسى لسبتة أو غيرها ويلزم عليه سفر الورديان معهم وفيه ما لا يخفى. فاعلم حفظك الله أن الأمر بخلاف ما تشكى به هذا الرئيس لأن مونة خدمة المراكب مدة إقامتها بالمرسى أمر واجب لا يسعنا منعه ولم يطلبنا أحد بتسريح مونة ثلاثة أيام لمركبه فمنعناه كما أخبر هذا المتشكي، والواقع هو أنهم يطلبون منا تسريح خنشتين من الفول

في كل جمعة بغير صاكة مدة مقام المركب في المرسى وإن طال في مقابلة المأكول من خبز وخضرة ولحم ومذبوح دجاج وغير ذلك مما يؤكل بالمراكب وفي تسريح الفول أو غيره من الحبوب في مقابلة ما ذكر ما لا يخفى من كبير الضرر، وبمطالعة سيادتك نسخة السركلار الموجه لهم في هذه القضية الواصلة إليك ووقوفك على فصولها، تعلم ما وقع به الإعلام لهم، وكتبنا بمضمنه كتابا خاصا لقنصول الصبنيول حيث طلبه منا فليس فيه طلب لطبع المنفشط، وإنما فيه طلب طبع ورقة الكوشطوا على مقتضى عادة من عدى الانجليز من الأجناس، وأما العسة بالمراكب وجعل الورديان بها فشيء متعين بهذه المرسى السعيدة لما هو واقع فيها من كثرة الكنطربانضو. وما تعلل به الرئيس المتشكي من لزوم سفر الورديان مع أهل المركب زمن هيجان البحر فهو على ندوره لا محذور فيه، وغاية ما فيه أن يكون كأحد أهل المركب، على أن جل المراكب الواردة لهذه المرسى تدخل للوادي فتسلم من ءافاة الهيجان. وهذا ما وجب به الإعلام، وعلى المحبة والسلام. 13 قعدة الحرام عام 1305. ج محمد القباج وفقه الله. محمد النجار وفقه الله. محمد أشعاش لطف الله به".

وهذه رسالة سلطانية في شأن ما طلبه نواب بعض الأجناس من إحداث طريق جديدة بطنجة، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن جل نواب الأجناس بطنجة اجتمع رأيهم على أنه إن حل جانبنا العالي بالله بطنجة طلبوا أمورا من جملتها تجديد الطريق وتنميقها على هينة طرقهم من باب طنجة إلى محل فنار أشقار ليمروا عليها لجناتهم وأملاكهم، مع أن من جاورهم من أهل البلد ولا منفعة فيه لجانب المخزن، وبلغك أنه يلزم في صائرها ريال 60000. والبروس والصبنيول والطليان والنامسة غير موافقين على ذلك، وصار بالبال. فابحث عن باقي تلك الأمور التي يريدون طلبها لتكون على بال منها وبيسر ما يجابون به عنها عن سعة، والسلام. في 3 محرم عام 1306".

وهذه رسالة سلطانية في شأن شيخ مغربي مسجون لخلاف بينه وبين أحد الأجانب، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن شيخ الغربية التهامي بن زوينة الذي وقع بينه وبين الفرانصيصي السواح ما وقع لا زال بالسجن، وكنت بصدد مباشرة أمر تسريحه مع الباشدور، فاخترمته المنية، ومن بقي نائبا عنه لا يناسب الكلام معه في مثل هذا، وذكرت أنه لا بأس بتسريحه هو ومن معه من أصحابه إن اقتضى ذلك نظرنا الشريف، وصار بالبال. فالأولى هو إبقاؤهم

بالسجن إلى أن يرد الباشدور الجديد ويعرفه العامل بنازلتهم ويحسم مادتها معه على يدك، وقد أمرنا العامل بذلك، والسلام. في 4 جمدى الأولى عام 1306".

وهذه رسالة من وزير خارجية المغرب في شأن نهب قبيلة بقيوة الريفية لمركب إسباني الخ، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى ونائب سيدنا أعزه الله المرتضى السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابك بأن نائب الصبنيول ورد عليك مخبرا بأن بقيوة قبضوا على مركب بساحلهم ونهبوا ما فيها وأسروا البحرية وجعلوهم تحت أيديهم، وذكر نازلة مركب أكدير ونازلة الرحماني بالدار البيضاء، ثم كتب لك بما في كتابه الذي وجهته مع نسخة من جوابك له عن ذلك، وأطلعنا بذلك شريف علم مولانا نصره الله، وحيث يحل أيده الله بثغر طنجة يحسم مادة القضايا المذكورة على موجب الحق، وعلى المحبة والسلام. في 25 محرم عام 1307. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

ومن المعروف أن السلطان قد حل بمدينة طنجة في غد ذلك التاريخ.

وهذه رسالة من سفارة بريطانيا بطنجة، مصحوبة بلائحة الأشخاص المغربيين الذين كانوا تحت حماية الانجليز في ذلك العهد، ونصها:

"الحمد لله وحده

نائب السلطان أيده الله محبنا الفقيه الأجل الأفضل الأمثل السيد الحاج محمد الطريس، السلام التام نسئل عنك كثيرا محبة أن تكون بخير دائما. أما بعد فنوجه لسيادتكم وفقا للشرط السابع من أوفاق مدريد، زمامين محتويين على رعية السلطان الذين لهم حماية اكريت ابريطن، وينظر جنابكم أنا جعلناهم في زمامين، أحدهما متضمن للسماسرة فقط، والثاني لمن أحمي بغير السماسرة كخدمتهم مع دولة اكريت ابريطن أو مع موظفيها مرتبين على حسب مواضع سكناهم بقصد تسهيل الأمر عليكم، وعلى المحبة والسلام. في 21 شتنبر سنة 1889 موافق 25 محرم عام 1307.

عن إذن منيسطر بلين بوطنشير لسلطانة اكريت ابريطن وأنبرير الهند بايالة مراكش (فلان) – (هنا إمضاؤه بالإنجليزية)".

واللائحة المشار إليها هذا نصها:

"الحمد لله. زمام المحميين لدولة اكريت ابريطن من قبل خدمتهم لها ولموظفيها:

مواضع سكناهم	أسماؤهم	وصف خدماتهم
طنجة	حيم سكسو	ترجمان اللكصيون النجليز وفق الشرط السادس عشر من أوفاق مدريد
	هرون أبنسور وعياله	
	السيد محمد بن يحيى الصغير	كاتب اللكصيون النجليز
	السيد أحمد بوزنقر	كذلك
	السيد محمد بن الحاج علي لعمرتي	مخزني دار اللكصيون النجليز
	إدريس اجواو السعيدي	كذلك
	عبد السلام داوود	مخزني قونصو خنرال النجليز
	العربي بن الحاج عبد الله العمرتي من السواني	مخزني
	خدام الباشدور ساروليم كاربي اكرين ومنهم: الحاج محمد بن ج أحمد لعمرتي من السواني	حارس عرصة بريكاف في السواني
	المبارك السوسي	متعلم المائدة عند الباشدور ساروليم المذكور
	محمد إدريس الريفي	رباع العرصة
	الشريف السيد الرشدي البقالي	متعلم
	أحمد الشعيري الجبلي	روى الباشدور المذكور
	المرابط الريفي	كذلك
	قدور بن سي حمان الحضري	راعي البقر ومتعلم
	المرابط حمادي	مثله كذلك
	محمد بن محمد لعمرتي	كذلك
	علي بن أحمد الزرولي	متعلم
	المرأة رحمة اللوينوة	متعلمة
	عيشة اليهودية	متعلمة
	خدام قونصو اكريت ابريطن: محمد الريفي	متعلم له

	فاطمة التطونية	متعلمة كذلك
	قدور الزفري	روى له أيضا
	خدام لخليفة الباشدور ساروليم: علي العوامي	متعلم
	محمد العوامي	روى له
	اليهودية حنينة	متعلمة له
	خدام الباشدور القديم سرجان ومنهم: حمان أياسين	طباخ له
	محمد الانجري	روى له
	محمد الريفي التمسماني	رباع العرصة له
	خدام القونصو القديم ومنهم: عبد السلام أزطوط	طباخ له
	محمد السبيطي	متعلم له
	الحسن السوسي	خداما له
	محمد لعمرتي	كذلك
	عبد السلام بوتحريين	متعلم له
	المرأة الشريفة رحمة بنت السيد محمد العروصي	متعلمة له
	خدام مسطر ابروكس النجليزي ومنهم: عبد السلام بوجمعة	حارس أملاك ابروكس وكاتب السر لساروليم
	عبد الله السوسي	رباع العرصة له
تطوان	السيد عبد الخالق اسكيرج	كاتب في خدمة تقنصوات
	محمد بن يحيى التطوني	مخزني محبوس لأجل كبر سنه خدم لحو 40 سنة
	محمد المصلوحي	قائم في مرتبة بن يحيى المذكور
العرائش	ماير مططى	ترجمان تقنصوات
	الحاج محمد بن حيون	كاتب هناك
	محمد بن احميدو	مخزني هناك
	نسيم بلسولي	متعلم للخليفة النجليز
الرباط	الحاج بنعيسى بن راجع	ترجمان

	عمر بن أحمد الزياني	مخزني
	محمد بن العباس	متعلم للخليفة النجليز
	المرأة مسعودة بنت بعز	متعلمة له
الدار البيضاء	التهامي بن محمد الشافعي	كاتب تقنصوات
	الحاج إدريس بن الحاج عبد الكريم	مخزني
	الحاج محمد المذكوري	متعلم للخليفة النجليز
	بوعز بن محمد البيدوري الحريزي	كذلك
الجديدة	مسعود بن شمعون	ترجمان تقنصوات
	الحاج محمد بن الحبيب	مخزني هناك
	قدور بن العربي	متعلم
	السيد عبد الله بن أحمد الرفع	كاتب تقنصوات
أسفي	مولاي أحمد الدادسي	كاتب
	إبراهيم بن سبات	ترجمان
	الحاج محمد عظيم	مخزني
	العياشي بن عمر	متعلم
	العيدي بن عامر	كذلك
السويرة	يعقوب بن شمويل بي	ترجمان
	أحمد بن محمد الضماني	كاتب
	الهاشمي بن عبد السلام	مخزني
	السيد أحمد المعاشي	امشوري
	محمد بن الحاج الحسن امربيط	قضاي
مراكش	السيد بو بكر بن الحاج البشير القنجاوي	وفق الشرط السادس عشر من شروط مدريد

21 – 9 – 89".

وكان بين بعض رجال المخزن من وزراء ونحوهم تنافس وتحزب يفهم من عدة رسائل وقفت عليها. وقد كتب أمين الأمناء التازي إلى النائب الطريس رسالة طلب منه فيها أن يكون إرساله لمكاتبيه السلطانية بواسطة الحاجب (أحمد بن موسى)، لا بواسطة غيره كغريط، (أي فضول)، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى الأمجد خديم مولانا النائب الأنجد السيد الحاج محمد الطريس، رعاكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله وبعد فإن مما يتعين التنبيه عليه والإرشاد إليه أخذا بالحزم في التصرف وبناء الأمر على أساس أن تكون كتابتك بما يعرض لك في أمور التصرف من إخبار به أو إجابة عنه مقتصرة على الجناب المولوي أعزه الله خطابا لسيادته الكريمة

من غير توسط بأحد كالفقيه غريط، وما تكتبه لسيدنا كتابا واحدا أو متعددا اجعله طي كتاب للفقيه الحاجب، معلما له بعدد المكاتب ليجيبك عنها بالوصول ويقف في أجوبتها ولتختر فيما تنهضه من الرقاصين من يكون ذا ثمرة وجد، مؤكدا عليه في إيصال المكاتب للفقيه المذكور وموعدا له إن تعرض له الغير وحازها منه كغريط أيضا، بأن العقوبة الشديدة تلزمه، وبهذا بحول الله يستقيم لك الأمر وتستريح من تعب الخوض المتقدم ولا تبقى في التصرف شهوة لأحد، بل يجري الأمر فيه على مقتضاه، والله يعيننا وإياك ويهدي الجميع لما فيه رضاه، وعلى المحبة والسلام. في 25 صفر الخير عام 1307. محمد التازي لطف الله به".

وهذه رسالة من السلطان في شأن امتناع أحد اليهود المحميين من أداء الكراء عن حانوت بيده للأحباس، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فإن ناظر أحباس الدار البيضا كتب لحضرتنا الشريفة في شأن حانوت لجانب الحبس بيد اليهودي هرون الزكوري على يد قونصو البردقيز، بأنه لما طالبه بأداء كرائها أراد أن يقتطع منه ما اشترى به مفتاح الحانوت المذكورة وما يزعم أنه صيره عليها، مع كونه لم يأذن له فيه، والعرف أن لا يقتطع شيء من ذلك من كراء حوانيت الحبس، وقد امتنع من أداء الكراء لأجل ما ذكر، وعليه فنامرك أن تتكلم مع باشدور البردقيز بأن يلزم اليهودي المذكور بأداء كراء الحانوت المذكورة لناظر الحبس على العرف الجاري في حوانيت الأحباس أو يتخلى عنها، والسلام. في 5 جمدى الثانية عام 1307".

وهذه رسالة يثني فيها السلطان على دولة البروس (ألمانيا) ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بما شافهك به المحب نائب البروس من إبلاغه دولته ما إليه أشرت، وجوابها له بما شرحته، وعلمنا موجب تطييرك الإعلام بذلك وصار بالبال. فنامرك أن تجازيه هو ودولته المحبة على لساننا بأن ذلك هو المعروف من سيرته، والمعهود من اعتنائه وفطنته، ولا شك أن العاقل إذا باشر أمرا أحسن تصريفه، أو تكلف بغرض وافق نيل المراد تكليفه، وقد تحقق لنا من جانبهم ما ظنناه، وظهر من جميل سعيهم ما قصدناه، حيث صدقت فيهم نتائج الاعتقاد، وكان واسطة في كمال الاتصال وفوائد الوداد، وتجديد حسن الموالاة، وتأسيس أسباب الائتلاف، مع دولته المحبة السالكة طريق الحق والإنصاف، دامت كما تحب في بلهنية، وبقيت ملحوظة بعين الأمنية، ولا زالت في

ضخامة، يزيدها تعاقب الجديدين تجديدا، ولا برحت في فخامة، يكسوها تتابع الملوين تأسيسا وتأكيدا، والسلام. في متم ربيع النبوي عام 1308".

وهذه رسالة كتبها السلطان إلى عدد من عمال القبائل المغربية لتعريفهم بمهمة النائب السلطاني بطنجة، وإعلامهم بما يجب عليهم عمله في القضايا التي لها علاقة بالأجانب، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد كتبنا للعمال المذكورين بطرته بما نصه:

(وبعد فقد عرفت أنا إنما نصبنا الخديم الطريس بقصد التكلم فيما يجب مع نواب الأجناس مما يرجع للقضايا والدعاوي التي بين هذه الإيالة المحروسة بالله ورعايا الأجناس والمخالطين والسماسرة الذين لهم من رعية الإسلام على مقتضى الشروط والدواعي، وقد كتب الآن معلما بأنه كثيرا ما يكتب لكم بتنفيذ ذلك بما تقتضيه القواعد التي كلف بها، فلا تجيبونه، وتتساهلون في ذلك حتى إن الدعوى تكون صغيرة وبالتساهل فيها وبعدم النظر في العواقب تكون كبيرة عويصة تحتاج إلى طبخ ونفخ، وذلك كله من سوء تدبيركم وعدم خوفكم ولم تراعوا كوننا إنما جعلناه واسطة بيننا وبين تلك الرعايا تسهيلا عليكم وتقريبا للمشاق وقياما بالواجب في ذلك، والذي يكون عليه عملكم الآن فيما يرجع للسماسرة الذين مع نواب الأجناس هو أنه إذا كان المتشكي بك من قبلهم وكتب لك الخديم الطريس في شأنهم فلتنفذ ما يكتب لك به ولا تقربهم بشيء، ثم إن سلمته فذاك ومضى، وإن لم تسلمه فنفذه، وأعلمنا لننظر في ذلك ويقع الكلام مع الخديم المذكور بالمقتضى، وإن كنت أنت المتشكي بهم وكتبت للطريس بشكواك وأجابك في شأنهم، فلتمض على ما يكتب لك به أيضا، ولتجر على الحكم السابق من التسليم أو عدمه والإعلام بذلك إن لم تسلم. وأما المخالطون، فالضابط فيهم معلوم، ومن خرج عنه منهم، فلتكتب لعامل العرائش أو نحوها يتكلم في ذلك مع مخالطه في حوز ماله إن انصرمت المدة ويجعل معه أجلا في الاسترعاء عليه، فإن فعل داخل الأجل فذاك، وإلا فلتكتب للخديم الطريس به ليكون شاهدا على الاسترعاء، ونفذ الحكم فيه بالقبض عليه، أي على المخالط المفتات الخارج عن الضابط، وأحص متاعه بالعدول ولا تمد فيه يدا، وأعلمنا، والسلام.)

وأعلمناك بذلك لتكون على بال وتعلم جنابنا الشريف بمن جرى على ذلك منهم ومن لم يجر عليه، والسلام. في 20 رجب الفرد عام 1308.

(وبطرته ما يلي):

عمال الشاوية كافة – عمال دكالة كافة
عمال عبدة كافة – عمال حاحة كافة
الخديم الحمري – الخديم الشيظمي
الخديم المسكيني – عاملا الغرب
الخديم العرايشي – الخديم الشروطي
الخديم بوسلهام ابن الخياط – الخديم الثوري
عاملا مختار – الخديم السحيمي".

وهذه رسالة من السلطان بالموافقة على ما اقترحه النائب الطريس من تولية الحاج محمد بن عبد الصادق، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله
(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك شارحا أحوال ولد الخديم القائد عبد الصادق بن أحمد، الحاج محمد، وعرفنا ما أثنيت به عليه من صلاح الحال، وصار بالبال. فقد ولبناه مكان والده على من كان إلى نظره من المدينة والقبائل، أسعدهم الله به وأسعده بهم، والسلام. في 24 رجب عام 1308".

وكان بين الحكومة المغربية وحكومة الجزائر في ذلك العهد، وهي فرنسا، خلاف على أرض توات المغربية، وهي واقعة على الحدود، فكتب السلطان في شان ذلك إلى نائبه بطنجة رسالة هذا نصها:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فتصلك مبيضة نأمرك أن تكتب بها لكل واحد من نواب الأجناس الأربعة الألمان والنجليز والصبنيول والطاليان، وما يجيبونك به وجهه عزما، ثم من اقتضى الحال مشافهته قبل الكتابة له، فشافهه، والكتابة لا بد منها لكل من المذكورين، ليحصل الجواب الذي هو المقصود، وإذا وصلك هذا الكتاب وبطيه المبيضة المشار لها فاجب بالوصول عزما، والأجوبة وجهها بعد ذلك، والسلام. 23 محرم عام 1309.

مبيضة نواب الأجناس دون الفرنصيص، على مقتضى إشارة المشير:
وبعد فإن جنس الفرنصيص ادعى أن الصقع التواتي من حيزه ومن عديد رعيته مع أن ذلك لم يدعه قبل ولا طمحت نفسه إليه ولا كان لهم في حساب حتى حدث ذلك الآن لما أملوه ولم يعتبروا ما هو مقرر من الدلائل والحجج على كون ذلك الصقع من عمالة رعية سيدنا نصره الله في القديم والحادث منها وهو أقوى دليل وأعدل شاهد على منع دعواه، والحجة قائمة عليه به أن كارطة العمران المجعولة بموافقة سائر الأجناس عام أربعة وثمانين وثمان عشرة مائة

عجمية مذكور فيها أن بلاد توات من حساب رعية سيدنا أيده الله، تحد برعية تونس وهذه الكارطة كما في علمكم سلمها الأجناس كلهم وأعطوا خطوط أيديهم على صحتها وتسليمها ومنع كل من يريد نقضها، ولا شك أن تحت يد دولتكم المحبة نظيرا من هذه الكارطة، ومنها أن أهل هذا الصقع ما برحوا يخطبون باسم مولانا نصره الله في الجمع ويدعون لجنابه العالي بالله على منابرهم إلى الآن، ومنها أن العمال من جوارهم هم الذين يتولون عليهم ويدفعون زكاتهم وأعشارهم لبيت مال رعية سيدنا نصره الله، وفي كل سنة كان الأمناء يتوجهون لحيازتها، ومكاتبهم تتوارد على الحضرة الشريفة، ولم تنقطع وفودهم عنها، وكانوا في طاعة ساداتنا الملوك أسلاف سيدنا أيده الله، ومكاتبهم ووفودهم لم تنقطع عنهم مدة حيازتهم كذلك، ولا زالت موجودة قائمة العين عندهم. وقد أمرني مولانا نصره الله بالكتابة لك ولغيرك من نواب الدول المحبة بالتعريف بذلك لتتأملوا فيه ويظهر لكم عدم الحق للمدعي فيما يدعيه وتجيبوا بما ينقطع به طموحه لما يؤمله، فإنكم مع هذا البيان بالضرورة لا تخفى عليكم وجوه مدافعته وقطع نظره عن مراده والتمام".

وهذه رسالة تعرف منها أن النائب الطريس قد كرر طلب إعفائه من وظيفه، فلم يساعده السلطان على طلبه، وعين له خليفة من أهل بلده تطوان، وهو الحاج محمد الصفار، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد اقتضى نظرنا الشريف إعانتك فيما أنت مطوق به من هاتيك الخطة بالخديم الحاج محمد الصفار بلديك نحو العامين، ويبدل بغيره معينا آخر لك، حيث كررت طلب الإعفاء الذي لا سبيل إليه، لقيامك بواجب تعين عليك القيام به واغتنام ثواب ذلك المنصب مما يغبط فيه أخو الإيمان، والله المستعان. وقد أوصيناه بأن يكون عند إشارتك، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وبعد تصفية أموره بثغر الجديدة المحوط بالله، يوافيك في الإثر، والله يعينكم ويسددكم، والسلام. 28 رجب الفرد الحرام عام ثمانية وثلاثمائة وألف".

وهذه رسالة من السلطان في شأن بعض المغربيين الذين حاولوا الاحتماء بالأجانب لأكل أموال الناس بالباطل، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فإن محمد بن الحسين الحمري الزرهوني الصخيرتي كان شيخا على جماعته وقبض منهم الواجب وتقاعد عليه وتخالط مع محمد

الموفق محمي الفرنصيص، فوقع الكلام معه فتخلى عن مخالطته وحاز منه ما تخالط معه فيه وقبض عليه عامله حتى يؤدي ذلك، ثم ورد باشدور النجليز لهنا، فتعلق به ابن عمه بوعزة الحمري، فتشفع فيه لجانبنا العالي بالله، فقبلنا شفاعته على شرط أن يؤدي ما بذمته من ذلك، وأن لا يعطيه حماية، فقبل ذلك حسبما بخط يده بحضرتنا الشريفة وسرح، ثم بلغ لشريف علمنا أنه توجه هو وابن عمه المذكور لطنجة بقصد الدخول في الحماية، وعليه فنأمرك أن لا تقبل من أحد مخالطته ولا حمايته، حيث هو في خدمة المخزن، ومتبوع بما ذكر، وتقبض عليه هو وابن عمه المذكور، وتوجههما واصلين لحضرتنا الشريفة، والسلام. في 28 من ذي الحجة عام 1309".

وهذه رسالة سلطانية في شأن دعوى سمسار محمي، ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن نائب المركان كتب لك في دعوى ولد بوغربال المراكشي سمسار التاجر إسحاق قرياط محميهم، فأجبته بمقتضى كتابنا الشريف الوارد عليك في النازلة، فأعاد الجواب بطلب تسريح المذكور ورد رسومه له ورفعه لمجلس الشرع مع خصمائه إما بفاس وإما بغيرها من المدن والمراسي مما يقتضيه نظرنا الشريف عدى مراكش فلا يعمل فيها الشرع حسبما بكتابه الذي وجهت وصار بالبال. فأعظم محال الشرع وأشهرها هو فاس، وقد عرض على الشرع بها ما حكم به الشرع على المذكور بمراكشة فسلمه، وكان من حقك أن تدافعه اكتفاء بما قدمناه لك ولو تلويحا سيما تصريحا، فإنه لا يخفى عليك ما في نقل الدعاوي من قاض لأخر بدون موجب، من فتح الأبواب على القضاة، مع كون المذكور من أبناء الولاة المتبوعين الذين لا تسوغ حمايتهم، والسلام. في 26 من جمدى الأولى عام 1310".

وهذه رسالة سلطانية فيها الإذن بدفع عشرة آلاف ليرة لنائب إنجلترا، ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن نائب دولة النجليز كتب لك بما في كتابه الذي وجهت من طلبه تنفيذ القسط الثالث من معاوضة الطرفاية وصار بالبال. فقد أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى الدار البيضاء، بأن يوجهوا لك العشرة آلاف إبرة الواجبة من القسط المذكور في سكة الريال بومدفع، بصرفه على طريق البحر بطرقته، وكتابنا الشريف لهم بذلك يصلك طيه، فوجهه لهم وحزها منهم وادفعها للنائب المذكور، وحز منه خطه بتوصله بها، والسلام. في 10 شعبان عام 1310".

وهذه رسالة من السلطان بأسماء الأشخاص المعينين للسفر إلى ألمانيا لتجربة بعض المدافع، ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد أخبر الخديم الزكاري أن التاجر كروب أعلمه بأنه بصدد تجربة المدفعين المصنوعين بفبركته لبرج الرباط، فأمرناه بأن يتوجه لذلك مع المسمين بطرته، وأعلمناك لتكون على بال وتقف في تسفيرهم لعند التاجر المذكور بقصد ذلك عاجلا، والسلام. في 29 من ذي القعدة عام 1310".

وهذا ما كتب بطرته:

"كبير طبجية طنجة الحاج إدريس بن عبد الواحد، أمر عامل طنجة بتوجيهه.

المهندس الزبير سكيرج أمر عامل طنجة بتوجيهه.

الطالب محمد سباطة الرباطي كبير طبجية الرباط وخليفته، أمر عامل الرباط بتوجيههما".

وهذه رسالة من قنصلية دولة ألمانيا بطنجة، في طلب السماح لعالم ألماني بإدخال بندقية صيد لميناء الصويرة، ونصها:

"الحمد لله. جناب الأجل الأفخم الفقيه المعتبر السيد الحاج محمد الطريس نائب الحضرة الشريفة، لا زال السؤال عنك نطلب الله تكون بخير وعافية، وبعد إن العالم الدكتور برنار موريتس مدرس اللغات الشرقية في مدرسة برلين، متوجه إلى الصويرة، ومنها إلى مراكش، وكون الوزارة في برلين أوصت به وصية خاص، وحيث معه مكحلة للصيد، فأرجوكم أن تسلموني كتاب إلى أمناء الصويرة، كي يسرحوا له المكحلة المذكورة التي لا يمكنه السفر دونها، وحين حضور الدكتور المذكور أسلمه كتابكم، وعلى المحبة والسلام. 31 يوليو 1893.

نائب أشغال دولة ألمانيا كونت هنكل".

والتاريخ المذكور يوافقه 17 محرم عام 1311.

وهذه رسالة من السلطان في شأن الثائر أبي العيش بقبيلة أنجرة، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بكثرة طيش أحد أولاد بولعيش من أهل أنجرة، وطغيانه وترامیه على الناس بالسفك والنهب حتى أفضى به الحال إلى نهب عدد من المعز بحدادة سبتة لبعض النصارى سكانها وتوجيه قائد الحدادة من تبعوه فترك رؤوس المعز المذكورة وفر، فأتوا بها وردوها لربها بعد أن ضاع منها نحو الستة، وحيث رفع الصبنيول لك هذه النازلة كلمت امقدم مرارا

بالقبض على المذكور وزجره بما يستحقه، فلم يبال لكونه معهم على الحالة التي بينت. والمذكور صار يتردد للحدادة المذكورة مترصدا نصرانيا ليضربه بالبارود، فشعر به أهل العسة وطردوه من الحدادة وصار بالبال. فقد ألزمنا امقدّم القبض عليه وأكدنا عليه فيه وجعلنا عهدته عليه، والكتاب له بذلك يصلك طيه، فوجهه له وما يظهر لك منه في ذلك أعلمنا به، والسلام. في 16 شعبان عام 1311".

وهذه رسالة سلطانية في شأن يهود محميين معتدين بقبيلة دكالة، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد أخبر عامل أولاد عمران من دكالة أن بعض يهود الجديدة وآسفي يردون لسوق إيالته بقصد البيع والشراء، وصاروا يترامون على المسلمين ويسبونهم ويمدون اليد فيهم ويضربونهم، ووقعت الفتنة بذلك في السوق، وكاد أن يكسر وينهب، ولما تكلم معهم خليفته في ذلك، لم يقصروا في مقابلته ومواجهته بالسوء، فأمرناه بأن يقبض على من عاد منهم لذلك، ويوجهه لشريف حضرتنا ولا يمد يدا في متاعه قبل إعلام قوانص الحامين لهم احتياطا عليهم وعلى أمتعتهم، إذ ربما يقع لهم بين إعلامهم وورود جوابهم قتل أو جرح ونهب لأمتعتهم من المسلمين الذين يترامون عليهم في ذلك السوق، ويفضي ذلك إلى الفتنة به ونهب أمتعة الناس، وأعلمناك لتكون على بال من ذلك إذا وقع القبض عليهم وتظلموا وقلبوا الحقيقة، والسلام. في 19 شعبان عام 1311".

وهذه رسالة سلطانية بتنفيذ ثمن قرطاس اشترته الحكومة المغربية، ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن التاجر كطش الفرانصيصي يطلب ثمن المليون الثاني من قرطوس مكاحل مرتيني والكومبلي، فقد أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة بتنفيذه له على يدك، وكتابنا الشريف لهم به يصلك طيه، والسلام. في 3 رمضان عام 1311".

وهذا كتاب من وزير الخارجية بالمغرب إلى وزير إسبانيا بطنجة في شأن ما تقرر من الزيادة في بعض الضرائب الجمركية بموانئ المغرب، ونصه:

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

"المحب العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين منيسطر دولة الصبنيول الفخيمة الكبلير مركيس دي بُطِينْطَدْ فرناري. بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير على الدوام، فقد أمرني مولانا نصره الله

بالكتابة لك بأن المال الواقع به فصال نازلة مليلية له بال وبيت مال هذه الإيالة جل مدخوله من المراسي، ومدخولها لا يقوم بذلك المال وبمؤنة العسكر والجيش وشئون المخزن وبالمعاوضات التي تعطى في القضايا، كقضية الطرفايا وحميان بالصحراء ونحوهما، فاقتضى النظر الشريف لأجل ذلك إعانة مدخول المراسي بجعل صاكة مسائل العطرية الداخلة منها المبينة في التقييد طيه بثلاثين في المائة، فإنه دام علاه بعدما عزم على الكتب لدولتك المحبة بذلك، اختار أن تكون مباشرته معها على يدك، لما يعلمه أيده الله من محبتك وصداقتك، وأنك لا تقصر في الوقوف في ذلك، وتكون فيه وفق الظن بك والمعتاد منك، جزيت خيرا وبقيت كما تحب، وعجل لنا بالجواب عن ذلك لنطالع به العلم الشريف، وختم في متم رمضان عام 1311. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

وتوفي سلطان المغرب مولاي الحسن بن محمد عليه رحمة الله ورضوانه، وبويع نجله السلطان المولى عبد العزيز، فكتبت الهيئة الحكومية بالمغرب بذلك إلى النائب السلطاني بطنجة، وهذا نص كتابها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فإن مولانا المنصور بالله رحمه الله اختار الله له ما عنده وأجاب داعي مولاه في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس الذي هو يوم تاريخه، أسكنه الله فسيح جنته، وتغمده برحمته ورضوانه. وقد اجتمع أعيان الدولة وقواد الجنود والجيوش والعسكر وعمال القبائل والأعيان الحاضرين في المحلة السعيدة، واختاروا لهم وللمسلمين ما اختاره الله في أزله، فبايعوا نجله الأطهر سيدي مولاي عبد العزيز، بيعة عامة تامة، وأعلمناك لتكون على بال من ذلك، وتعلم نواب الأجناس بذلك، وتؤكد في الوقوف مع العامل والقاضي هناك، وأعيان أهل البلد بكتب بيعتهم وتوجيهها لشريف الحضرة، والله يصلح أمور المسلمين بمنه، وعلى المحبة والسلام. في 3 حجة الحرام عام 1311.

- المعطي بن العربي بن المختار لطف الله به
- محمد بن العربي الصغير
- إدريس ابن العلام لطف الله به
- أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به
- علي المسفيوي وفقه الله
- محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

وتربع السلطان المولى عبد العزيز على عرش المغرب، فأقر النائب الحاج محمد الطريس في وظيفه، واستمرت المعاملة معه كما كانت في عهد السلطان السابق.

وهذه رسالة سلطانية في شأن مدفعين صنعا في معمل كروب الألماني لبرج الرباط، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ثم الطابع السلطاني، ونقشه:(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأن التاجر كروب الألماني كتب للخديم الزكاري بأنه تجمل له في صائر مدفعي برج الرباط المجلوبين من عنده عن واحد وستين يوما، ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثمانية وعشرون من الفرنك، وأن هذا ترتب له من الوقت الذي كان وجه فيه بيان ما بقي له من الصائر الأول المنفذ على أمناء مرسى الدار البيضاء ولم يقبضه إلى الآن، حيث الأمناء المذكورون عجزوا عن ذلك لعدم المدخول، وأن التاجر المذكور ذكر أن المدفعين إذا تأخر ورودهما، فإنهما يبقيان عنده إلى العام القابل، ويلزم عليهما من الصائر اليومي ما لزم عليهما في المدة السالفة وصار بالبال. فقد أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة الجدد بأن يدفعوا له القدر المذكور بصرفه، وكتابنا الشريف لهم بذلك يصلك طيه، فادفعه لهم وحزه منهم ووجه للتاجر المذكور واكتب له بأن يوجه بابور المخزن المعد لحمل ذلك بالرفقة الثالثة الباقية عنده، ولا يؤخرها، فإن تأخيرها ليس بقانون ولا شرط، واسترع عليه في ذلك، إذ لا معنى لحصر الرفقة برمتها مع البابور المذكور في صائر قريب قدره العدد المذكور إلى أن يكتب ويصله الجواب ثم يترتب صائر آخر عن المدة بعده، وهكذا، والأيام تمضي، وهذا ليس بقانون تجاري، والسلام. في 28 من المحرم فاتح عام 1312".

واجتمع القاطنون بعاصمة فاس، من أعيان مهاجري القطر الجزائري، وأرادوا قطع ألسنة السماسرة الذين يحاولون أن يفصلوهم عن الحكم المغربي الإسلامي، فقرروا بيعة سلطان المغرب، وصاروا كلهم من رعيته المغربية، وكتبوا بذلك شهادة شرعية أرسلوا منها نسخة إلى النائب الطريس ليطلع عليها نائب فرنسا الذي يتكلم باسم الجزائريين الخ، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله رافع منار الإسلام على كل ملة، خافض درجة الكفر ومن انتمى إليه ببراهين قواطع الأدلة، والصلاة والسلام على من سن الهجرة وفضل المهاجرين، سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه الذين

هاجروا لنصرته، فصاروا أئمة يقتدى بهم في كل وقت وحين. وبعد فلما قدم لهذه الحاضرة الإدريسية، المحفوفة السنية، بعض النصارى من إيالة الفرانسيس، وصار يلتمس دخول المهاجرين بها من الجزائر وتلمسان وعمالتهما في حمايته، ونفوذ حكمهم فيه بمقتضى سيرته، فزع من ذلك أهل المروءة منهم والعقلاء والعلماء، وذوو الرأي والدين والفضلاء، واحتجوا على أنفسهم وإخوانهم بنصوص الشريعة المطهرة، أنه لا يسوغ لمؤمن رفض .... الإسلام، والدخول في ولاية الكفرة، فيعد من الناكثين والمارقين، بعد أن كان في سواد المهاجرين، وكيف يسوغ الخروج عن هذه الدولة الفخيمة، الفائزة على من عداها بمكارم الأخلاق، المتحلية بصفات الكمال في جميع الآفاق، التي زادها الله شرفا وجاها، ورفع منصبها على سائر المناصب وأعلاها على من علاها، ومد يدها بالنصر والعدل فزكت وقد أفلح من زكاها، واختار منها أقوم قوم بالثناء على سيرتهم الحميدة مسامع وأفواها، وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها بأقواها، ونزهوا نفوسهم عن نقائص كالليل إذا يغشاها، فظفروا بمناقب فاخرة فإذا هي لطالبها كالنهار إذا جلاها، وقد هجروا إليها وتركوا من عداها، فآووا برأيهم السديد، إلى ركن شديد، وزهدوا في أحوالهم وأهاليهم في سبيل الله، وقطعوا النظر عما ألفوه بأرضهم من نفاذ الأمر وعظيم الجاه، فأبدلهم الله خيرا مما ألفوه، وما أمروا قط من جانب الدولة العلية أدام الله نصرها بأمر تكلفوه، ووجدوا في الأرض مراغما كثيرا وسعة، حسبما وعدهم مولاهم مع نعيم الجنة، ومن مات منهم فقد وقع أجره على الله ولا زالوا على ذلك لله حامدين، منتظرين مصداق قوله تعلى، لقد تاب الله على النبيء والمهاجرين، ممتثلين قوله صلى الله عليه وسلم، من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه، وقول الله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، مجتنبين وعيد قوله تعلى ومن يتولهم منكم فإنه منهم، وقوله تعلى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية، مما يصح أن يكون دليلا وحيث أصغى لقوله بعض الأفراد ممن لا اعتناء لهم بأمر الدين وممن لا خبرة لهم بنصوص العلماء العاملين، وكان مولعا بحب العاجلة، مصغيا للأقوال الفاجرة، أراد الأعيان والأشراف وأهل الفضل من خلاصة المهاجرين أن يمتازوا عنهم مما اختصوا به وسنوه لذريتهم إلى يوم الدين، فاقبلوا أفواجا يتسارعون، وبكلمة الحق يتشاهدون، وأشهدوا على أنفسهم أنهم برءاء ممن دخل في حماية هذا العدو براءة تامة، وقطعوا منه الوصال والوفاق، لما رأوه من مخالفتهم وعدم استقامتهم، فضلا عن أن يوافقوا رأيهم الفاسد بالاتفاق. وأنهم منذ قدموا لهذه الحضرة بقصد الهجرة، قطعوا التشوف عن

وطنهم وعمن استولى عليهم، وهجروا ديارهم وأموالهم وقرابتهم كما أمر الله تعلى ابتغاء لمرضاته، واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق لهم تعلق بالعدو المستولي على الوطن، وتقلدوا بيعة ملوك الدولة العلوية في عنقهم كما يوجب عليهم قوله صلى الله عليه وسلم من مات وليست في رقبته بيعة لملك مات ميتة جاهلية. وقد بايعوا مولانا عبد العزيز الذي أعز الله به رعيته، كما بايعوا قبله آباءه وأجداده، من لدن هجرتهم أيام السلطان مولانا عبد الرحمن، أسكنه الله فسيح الجنان، إلى وقته، ودخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وصاروا رعية من جملة رعيته، وقد عمهم فضله وإحسانه، كما فعل بهم أسلافه الكرام رحم الله جميعهم، واقتفى آثارهم نصره الله في الأمر بتوقيرهم واحترامهم والإحسان إليهم وصلتهم وزجر من اعتدى عليهم، وعدم تكليفهم بأمر يشق عليهم، والالتفات لبعض ما يصدر من بعض ولاتهم لتدارك الأمر بما يرضيهم من ذلك، خلد الله ملكهم، وأعلن في سماء السعادة مجدهم، وأدام عزهم ونصرهم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. فكان ممن حضر لدى شهيديه، شاهدا على نفسه ومعترفا ومستلزما لمضمن ما سطر أعلاه، أشخاص الأسماء المرقومة يمنته الذين أولهم النقيب، وآخرهم سيدي محمد الشرشاري وولده سيدي محمد، المشتملة على خمسمائة وستة وأربعين اسما، ومن عداهم لا يسعهم هذا، وهم بحال كمال الإشهاد عليهم عارفين قدره، شهد عليهم بما فيه وعرفهم معرفة عين واسم في مهل ربيع النبوي الأنور عام 1312".

وهذه رسالة في شأن إصلاح فندق "عين الجديدة" الذي ينزل وينام به المسافرون بين تطوان وطنجة، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك شارحا فيه أمر فندق عين الجديدة الكائن بقبيلة بني ودراس المعد للصادرين والواردين من عهد سيدنا الجد قدسه الله، وما آل إليه من التداعي للسقوط وتكاسل أمناء مرسى تطوان المحروسة بالله في إصلاحه، وطالبا إصدار شريف أمرنا لهم بإصلاحه لما بينته، وصار بالبال. فقد أصدرناه لهم، والكتاب لهم به يصلك بطيه، والسلام. في 19 رجب عام 1312".

وهذه رسالة يتذمر السلطان فيها من فساد أصحاب الحمايات الأجنبية وإفسادهم للرعية، ويأمر نائبه بطنجة أن يكلم نواب الأجناس في ذلك، ونصها (بعد الثلاثة):

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فإن المحميين والمخالطين من القبائل أبدأوا وأعادوا في الخوض والسعي في الفساد، حتى كانوا هم أصل ما صدر من قبائلهم من الانحراف والطغيان، والزيغ والعدوان، وأفضى بهم الحال لما سمعوا بتصدي المخزن للضرب على أيدي الفساد، إلى الذهاب بالبغاة والفساد، لعند تجار الأجناس يحمونهم، ومن جملتهم المحميون والمخالطون من إيالة الخديم ابن شيد وغيره من عمال الشاوية ومن بني حسن والغرب، وهذا لا ينبغي السكوت عليه ولم يقع مثله في إيالة من الإيالات سوى في هذه الإيالة المغربية.

وعليه فنأمرك أن تتكلم مع نواب الدول في ذلك بعد أن تتلاقى مع النائب المحب، وتتفاوض معه في كيفية الكلام معهم فيه، وتقف في وقف هذا الخرق العظيم، فإن المخزن لا يسكت على هذا الفساد الواقع في رعيته من الأجانب، وما أنتجه كلامك معهم في ذلك، طير لنا الإعلام به، والسلام. في 19 رمضان عام 1312".

وهذه رسالة سلطانية إلى أمناء طنجة في شأن تقويم إصلاح دار الحراسة بحدود سبتة، ونصها بعد الثلاثة:

"خدامنا الأرضين أمناء مرسى طنجة المحروسة بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فنأمركم أن تقوموا إصلاح دار عسة حداده سبتة بالعدول، على يد قائدها، ووجهوا رسم تقويم ذلك لحضرتنا الشريفة فورا، والسلام. في 24 قعدة الحرام عام 1312".

وهذه رسالة يأمر السلطان فيها بدفع عشرة آلاف ريال من قبل دية ألماني قتل، ونصها (بعد الثلاثة):

"خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد أمرنا خدامنا أمناء السكة السعيدة هنالك بأن يدفعوا لك عشرة آلاف ريال من باقي مشاهرة المحرم ومشاهرة صفر بصرفها ريالا فرنكا بعد أن يبدلها لهم أمناء المرسى المحروسة بالسكة الرومية الرائجة، فإذا حزتها منهم، فنأمرك أن تعجل بدفعها لنائب دولة الألمان، تتميما لمعاوضة دم الألماني المقتول، وأزعج الأمناء المذكورين لدفعها لك من غير تأخير، والسلام. فاتح صفر 1313".

وهذه رسالة من بعض أعيان المغاربة القاطنين بمصر إلى النائب الطريس، طالبين منه أن يرفع إلى السلطان رغبتهم في تولية الحاج محمد بن العباس بن شقرون لشؤون المغاربة بمصر، بعد أن تكلموا في تصرف المتولي السابق الحاج عبد الواحد التازي، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سيدنا الفقيه الأجل العلامة الهمام الفاضل وزير المقام العالي بالله المكرم المحترم سيدي الحاج محمد الطريس، رعاه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه. السلام على سيادتكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وأيد مجده وعلاه، وبعد فقد كنا عرفنا سيادتكم بما حصل من الحاج عبد الواحد التازي الذي كان معينا سابقا بالحكومة المصرية وكيلا لإدارة خزينة بيت مال دولة مولانا أمير المؤمنين بالديار المصرية، ولتداخله فيما لا يعنيه مع حكام مصر والتسبب في مشاكل مع جميع خلق الله واغتيال حقوق الأرامل والأيتام من ورثة المغاربة الذين توفوا بمصر في مدة وجوده بها قد رفعت عليه قضايا لدى الحكومة المصرية، وصدر في حقه أحكام مخلة بشرف دولة مولانا أمير المؤمنين أيده الله واتبعها الموجودين بمصر، ولما أرادت الحكومة المصرية تنفيذ الحكم عليه، فر هاربا منها وتوجه بلاد المغرب من مدة ثمان سنوات، ولم يعد إليها للآن كما هو معلوم لسيادتكم، وفي كل هذه المدة، والحاج محمد بن العباس ابن شقرون قائم بإدارة أشغال التوكيل بمصر بغاية العفة والصداقة والاستقامة، ولم يحصل منه ما يخل بالراحة حتى استوجب ثناء العموم من مغاربة ومصريين، وفي هذه اليومين قد حصل التعرض له في هذه الوظيفة ممن يدعى السيد رشيد أبو النصر بدعواه أنه وكيل عن الدولة من قبل الحاج عبد الواحد التازي المذكور، وعلى ذلك طلبتنا الحكومة المصرية نحن وأعيان المغاربة الموجودين بمصر، وسألتنا عمن نرضاه وكيلا لإدارة أشغال المغاربة، حتى يكون معتمدا لدى الحكومة المصرية، فأقررنا جميعا على الحاج محمد بن العباس بن شقرون المذكور، لما هو مشهود فيه من العدل والاستقامة والعفة والأمانة وإيصال الحقوق لأربابها. وقد أجابت طلبنا الحكومة المصرية. ولما كان هذا مما يجب عرضه على أعتاب مولانا أمير المؤمنين أيده الله ونصره، قد تحرر منا ومن جميع المغاربة التابعين لدولة مولانا أمير المؤمنين حفظه الله موجب بذلك لأعتاب سيدنا نصره الله ولما هو معلوم للخاص والعام من مكارم أخلاق سيادتكم والمدافعة عن رعايا الدولة، قد أحببنا أن يكون وصول ذلك الموجب للأعتاب الكريمة على يد سيادتكم، لما لها من المكانة عند مولانا أمير المؤمنين نصره الله، حتى تنالوا من مراحم مولانا حفظه الله غاية مطلوبنا وهو صدور أمره الكريم بتثبيت الحاج محمد بن العباس ابن شقرون المذكور في وظيفة وكيل دولة مولانا أمير المؤمنين نصره الله بمصر ليدافع عن رعاياها لدى الحكومة المصرية ويحفظ حقوقها كما هو حاصل منه منذ إقامته بأشغال الوظيفة المذكورة من وقت هروب الحاج عبد الواحد التازي من مصر إلى الآن، وها هو الموجب المذكور مرسول لسيادتكم من طيه داخل مظروف موقعا عليه منا ومن جميع المغاربة التابعين للدولة الموجودين بمصر، نرجو من

سيادتكم توصيله لأعتاب مولانا حفظه الله، ثم ومرسول صورة منه موقعا عليها أيضا لتكون تحت نظر سيادتكم للعلم بما اشتملت عليه، وها نحن في انتظار أمر سيادتكم بما ترونه عند الاطلاع على صورة الموجب المذكور لأجل نكون مطمئنين نحن وأتباع الدولة بوصول الموجب المذكور لمولانا حفظه الله، ويكون لسيادتكم بذلك الثواب من الله سبحانه وتعلى، ومنا الدعاء والفاتحة بمقام سيدنا الحسين رضي الله عنه وعلى جده أفضل الصلاة والسلام. في 7 صفر الخير عام 1313. عبد السلام الباني ح محمد الحلو لطف الله به

المرجو من مكارم فضلكم الجواب عن هذا. محمد الحلو".

والموجب الذي أشارت إليه الرسالة السابقة موجه من مغاربة مصر إلى سلطان المغرب مولاي عبد العزيز بن الحسن. وهذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

مولانا الإمام الهمام العلوي الهاشمي العدل في الأحكام، الموصوف بالكرم والشجاعة والشهامة والحزم والنجدة والزعامة، المتواضع لله، المتوكل في جميع أموره على الله، أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العلمين مولانا عبد العزيز بن الشريف الجليل الأصيل الماجد أمير المؤمنين مولانا حسن أدام الله ملكه ورعاه أبد الأبدين ودهر الداهرين.

يعرضون عبيد مولانا أمير المؤمنين الخاضعين المقيمين بمصر أن الحاج عبد الواحد التازي كان معينا بالحكومة المصرية وكيلا لإدارة خزينة بيت مال دولة مولانا أمير المؤمنين أيده الله بالديار المصرية، ولتداخله فيما لا يعنيه مع حكام مصر ورفعه قضايا على حكومتها، قد انبنى على سيء تصرفه الازدراء بعموم المغاربة الموجودين بمصر، ثم رجع واغتال حقوق الأرامل والأيتام من ورثة المغاربة المتوفين في مدته وقضى عليهم الزمان بوضع يده على تركاتهم، وكثيرا ما أعرضنا بذلك لأعتاب مولانا أمير المؤمنين، ثم ولعدم إدارته ومعاملته بالقسوة لبعض المغاربة رفعت عليه دعاوي من الحكومة المصرية تأديبية فيما ارتكبه من التعدي الممنوع حصوله بمصر، ولتحققه صدور أحكام ضده مخلة بناموسه وناموس كل مغربي بمصر، فر هاربا منها لبلاد المغرب، وكتب جوابا منه لنظارة داخلية حكومة مصر، يقول فيه إنه متوجه للأقطار الحجازية، وقد أناب عنه الحاج محمد بن العباس بن شقرون ليقوم مقامه في أعمال التوكيل بالديار المصرية، فالداخلية كتبت للمحافظة بعدم اعترافها بتوكيل الحاج عبد الواحد، وأنه معتبر عند الحكومة المصرية بصفة شيخ طائفة لا وكيل لدولة، وما دام غير معتبر التوكيل، فلا يعتبر عنه وكيل، وبذلك نشر في الوقائع المصرية (الجرنال المصري) بهذا المعنى، وصارت

حكومة مصر غير معتبرة لأحد بصفته وكيلا عن هذه الدولة، ولنجاز أعمال المغاربة ومصادفة أوان الحج ووجود حجاج مغاربة، تعطلت عن السفر إلى بيت الله الحرام لعدم وجود وكيل. فبالمساعي الكلية اقتضى رأي الحكومة المصرية وعبيدكم قبول الحاج محمد بن العباس ابن شقرون المذكور ليقوم بعمل بيت المال وترحيل الحجاج المسافرين إلى بيت الله الحرام، وقد أقام بذلك العمل ومضى عليه نحو الثمان سنوات، وهو قائم به أحسن قيام، من ترحيل المسافرين وتأدية حقوق الأرامل والأيتام وجميع من عامله يدعو لمولانا أمير المؤمنين بالنصر والتأييد على حسن صنعه في بقاء هذا الرجل معدن العدل والاستقامة ومحو ما تسبب فيه الحاج عبد الواحد التازي من صدور أمر من الحكومة المصرية باعتباره شيخ طائفة كمشايخ الأسواق مثل العطارين والقيسريات وسوق الحايك وما يماثلهم، وأن لا وكيل بمصر. وقد آن للحكومة المصرية أن تقترع أبناء المصريين لتقبضهم بالعسكرية وإلا يدفعون بدلا نقدي للحكومة، وبذلك يعافون من الخدمة العسكرية، ولفقر واحتياج المغاربة وعدم مقدرتهم على دفع البدل النقدي، فيسعى كثير من عبيد مولانا أمير المؤمنين أيده الله ومساعدتهم قد صدر أمر باعتبارهم أجانب وتابعين لعظمة مولانا أمير المؤمنين أدامه الله ونصره وأيد به الدين القويم، وبعد ذلك قد ظهر السيد رشيد أبو النصر وبيده توكيل من الحاج عبد الواحد التازي بصفته وكيلا عن الدولة مصر حاله فيه بإدارة التوكيل بمصر وبظهوره في الوجود فالحكومة المصرية قالت بعدم الاعتراف بتوكيل الحاج عبد الواحد بصفته وكيلا لدولة، وما هو إلا شيخ طائفة كما سبق الإيضاح، فإذا لا يعتبر توكيل السيد رشيد عنه بالصفة المذكورة ولا يسوغ قبول وكيل مثل هذا، فقد دعت الضرورة لاعتبارهم أن الحاج محمد بن العباس بن شقرون هو القائم بأعمال المغاربة من مدة ثمان سنوات للآن وقائم أحسن قيام، فهو المسؤول لدى الحكومة المصرية فيما يختص بالقرعة العسكرية وقبولها الشهادات التي تصدر منه لمن يعتبره مغربيا، وبذلك يعافى من القبض عليه للعسكرية، فالتزموا العبيد الخاضعين لمولانا أمير المؤمنين أن يرفعوا لأعتاب مولاهم مستغيثين بذاته الشريفة وبجده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدر الأمر الشافي بتعيين وكيلا في الديار المصرية ليدير شأن العبيد الضعفاء الخاضعين للواء عدل مولانا أمير المؤمنين أدامه الله ملجأ للقاصدين غير الحاج عبد الواحد المذكور، أو صدور إرادة سنية بتثبيت الحاج محمد بن العباس ابن شقرون وجعله وكيلا بالديار المصرية ليدير شأن عبيد مولانا أمير المؤمنين، لأنه مشهود فيه الاستقامة وحسن السير والسريرة والأخلاق والمعاملة والعفة والأمانة وراضيين عنه حكام مصر لحسن سلوكه كما وعبيد مولانا أمير المؤمنين يلتمسون ذلك، ولا زالوا باسطين

أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعلى هم والأنساب والأصهار والأصحاب بأن يديم بقاء مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العلمين ناصرا للدين مدة أبد الأبدين ودهر الداهرين بجاه سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

تحريرا بمصر في يوم الاثنين المبارك سابع شهر صفر الخير عامه سنة 1313.

شهد بذلك عبد السلام الباني. شهد بذلك الحاج محمد الحلو لطف الله به. محمد أبو النصر برادة. شهد بذلك كاتبه الحاج إدريس علال التازي لطف الله به. كاتبه محمد أسعد برادة. شهد بذلك الحاج الجلالي بن المدني الرباطي (طابعه). شهد بذلك الحاج علال برادة (ط). شهد بذلك الحاج مسعود بناني. شهد بذلك محمد حماد البناني (ط). شهد بذلك الحاج محمد العساوي العسال (ط). شهد بذلك الحاج أبو بكر بن إبراهيم (ط). شهد بذلك الحاج التهامي الرايص (ط). شهد بذلك العساوي محمد العسال. شهد بذلك الحاج محمد بن إبراهيم (ط). شهد بذلك الحاج التهامي بن العربي البويبراهيم (ط). شهد بذلك الحاج محمد المكودي (ط). شهد بذلك السيد محمد الجنوني. شهد بذلك (ط). شهد بذلك الحاج عبد السلام العرايشي (ط). شهد بذلك الحاج عبد القادر أحمد الشرقي السنوسي (ط). شهد بذلك الحاج عبد السلام محمد الحبابي (ط). الحاج محمد اللبار (ط). مولاي أحمد العلوي (ط). الحاج علال بنونة (ط). الحاج بوبكر المرجاوي (ط). الحاج الطيب برادة (ط). مكي محمد بنونة (ط). الحاج محمد بن عبد السلام بنونة (ط). الحاج عبد النبي بن الحاج محمد عمور (ط). مولاي بوبكر المنجرة (ط). شهد بذلك أحمد العسال (ط). أحمد بن الحاج محمد بنونة (ط). الحاج أحمد بن كيران (ط). شهد بذلك عبد ربه محمد بن محمد العلج لطف الله به آمين. الحاج عبد الرحمن العسال (ط). الحاج عبد السلام بن كيران (ط). السيد عبد الرحمن العلمي (ط). إدريس بن الطيب برادة. الحاج عبد القادر بناني (ط). الحاج إدريس بن عبد الرحمن بن كيران (ط). محمد محمد بنونة (ط). محمد بن الخياط. الحاج عبد الوهاب بن محمد التازي (ط). الحاج محمد برادة (ط). الحاج أحمد بن الحاج محمد بن كيران (ط). الحاج محمد بن عبد السلام الفلالي (ط). السيد محمد بن محمد الدباغ (ط). الحاج إدريس التازي (ط). الحاج محمد بن عبد النبي مزور (ط). الحاج عبد المجيد المجدولي (ط). الحاج أحمد بن إدريس بن موسى (ط). الحاج أحمد بن إدريس التدلي. الحاج الطاهر بن أحمد برادة (ط). الحاج محمد بوزوبع (ط). محمد العسال (ط). أحمد اللفت الحيحي (ط). الحاج العربي بن عبد السلام البازغي (ط). أحمد زموري (ط). عبد الخالق السبتي (ط). السيد محمد بن العباس القدميري (ط). الحاج محمد بن العياشي الحريشي (ط). أحمد محمد بنونة (ط).

محمد بن أحمد بن شقرون. محمد عبد القادر اللبار (ط). بلال علي برادة (ط). الحاج عبد القادر اللبار (ط). الحاج حسين بن أحمد التطواني (ط). الحاج محمد الغزاوي (ط). عبد الحي محمد الازرق (ط). أحمد محمد الازرق (ط). الحاج عبد السلام التازي (ط). الحاج الخياط بن الحاج محمد برادة (ط). الحاج عبد اللطيف القباج (ط)".

والأشخاص الذين أثبت حرف (ط) عقب أسمائهم، قد أمضوا بأسمائهم وألقابهم وطبعوا تحت ذلك بطوابعهم الصغيرة على العادة المصرية.

ووصل ذلك إلى حضرة سلطان المغرب، فعين للقيام بأعمال رعاياه المغاربة بمصر وكيلا هو الحاج محمد بن قاسم الحلو، وكتب بذلك إلى النائب الطريس رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد كلفنا خديمنا الأرضى الحاج محمد بن قاسم الحلو القاطن بمصر، بما كان مكلفا به خديمنا المرحوم الحاج عبد الواحد التازي، من النظر في أمور المغاربة بمصر والإسكندرية وأعمالهما، وأذنا له في استنابة من ترضى أمانته عنه بالأسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة فيها القرار من تلك الديار. وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه مع كتابنا الشريف له بما ذكر. فنأمرك أن توجههما له وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه من أمر المصارفة مع الأجانب ثمه وغير ذلك من الكتب لنائب النجليز هنالك بتعريفه بذلك وإعلامه به ليكتب لكبيرهم بمصر في شأنه إن كان الحال يقضي إعلامه بذلك، وإلا فأنت أعرف، والسلام. في 22 ربيع الثاني عام 1313".

وكتب سلطان المغرب إلى سلطان الدولة العثمانية رسالة في شأن الوكيل المغربي الجديد بمصر، وطلب منه الإذن للحكومة المصرية بالاعتناء بالوكيل المذكور ومساعدته في أعماله، وهذا نصها:

"المقام الذي يتأكد إجلاله، ويتجدد في معارج السعادة ظفره وإقباله، ويستبشر الإسلام من أجله بارتفاع مناره، وتبتسم ثغور المفاخر من مظاهر آثاره، وتحمى ساحة الهدى بصوارم تعصيده، وتصان راية الرشاد بحسن توفيقه وعز تأييده، مقام الكرسي الجليل المعظم، وتاج المحامد المنظم، وكفيل الملة المحمدية في أقطار العرب والعجم، والمدافع عن حماها الشريف كل ما هجم، السلطان المؤيد، والخاقان الكبير الممجد، المتصف بأجل الصفات عزا وفخرا، وسيرة ونظاما وتأييدا ونصرا، المظفر المعان، أبا السعادات السلطان،

السيد عبد الحميد خان، أدام الله جنابكم المعظم محفوفا بوقاية الله وعنايته، وأبقى رياح البشائر والمسرات نافحة من أرجاء ساحته، وعليكم أزكى التحايا المناسبة لما خص الله به مقامكم المعظم من خصائص المزايا، ما دامت الأقدار الأزلية مصحوبة بتوالي الألطاف، وما جرت سفينة النجح في بحار الأمنية برياح الإسعاف.

أما بعد حمد الله ناصر دين نبيه الكريم بمن ارتضاه من عباده، الموفق من استرعاه إياهم لمناهج إرشاده، المؤيد من أقامه في حفظ هاتيك المثالية الإخلاصية بسر إمداداته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث متمما لمكارم الأخلاق، ومطهرا للأرجاس، المفضلة أمته به لقوله تعلى كنتم خير أمة أخرجت للناس، وعلى آله وأصحابه الذين أسسوا لحفظ شريعته الطاهرة أركانا، وكانوا على رعاية مصالحها إخوانا وأعوانا، فأهم ما يزهو به القلم والطروس دوام الدعاء الصالح لجنابكم الرفيع بما تستطيبه القلوب وترتضيه النفوس، مع الاستبشار بسعادة أحوالكم الجارية بتوفيق الله على مقتضاها، الموصولة بصالحات العزائم التي ترضى المحب لكم وبرضاها، ثم إن المرفوع لمواطن عنايتكم السامية، ومصارف أنظاركم الكريمة الإقبالية، هو الإعلام والتعريف بمن نصبناه من قبلنا بصفة وكيل المغاربة الموجودين بمصر والأسكندرية والواردين عليهما والمترددين إليهما، وهو الحاج محمد الحلو المعين مكان الوكيل قبله الحاج عبد الواحد التازي الصائر لعفو الله، تطلعا لجميل عادتكم مع أسلافنا الكرام المقدسين بالله في الإذن من عظيم جنابكم للحكومة الفخيمة المصرية بالتنبيه عليه واعتباره في القضايا المتعلقة بعمله مع الموكل عليهم والإسعاف بما يعود لشد عضده عليها مع انسحاب أنظاركم السعيدة على إقرار المراعاة المعهودة لمثله ولنظرائه من وكلاء الدول مع رعاياها الملحوظة هناك بجميل عنايتكم، والمحفوظة مصالحها بمحامد رعايتكم، مع التنبيه على إسعاف رغائب حجاج المغاربة بإعطائهم التسريحات السفرية على مقرر العادة الجارية، فإن سعادة إعزازكم كفيلة لنا بحصول الأماني، وسطوة معاليكم الرفيعة زعيمة لشريف جنابنا بحفظ مواد البشائر والتهاني، أبقى الله بدرها في كمال وإسعاد ..."

وكان النائب الطريس وخليفته الحاج محمد الصفار قد استعفيا من وظيفهما، فأعفى السلطان الصفار وأقر الطريس، وهذا نص رسالته بذلك:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك شارحا فيه ما تعانيه مع من ذكرت من قصال

القضايا وعدم إذعانهم وتشوفهم إلى ما يتسع به الخرق، مع عجزك عن مقابلتهم، طالبا إراحتك من التكليف وإعفاءك مع الخديم الحاج محمد الصفار لعجزه كذلك، وتعيين غيركما للتكليف على مقتضى ما أشرت به، وصار بالبال. فالخديم الصفار قد أرحناه وأعفيناه لعجزه، فليتوجه لمحله مثابا مأجورا، وها كتابنا الشريف بالإذن له في ذلك يصلك لتدفعه له. وأما أنت فها نحن منك على بال، فلتقم على ساق الجد في المباشرة، وعما قريب يرد عليك الجواب بما تقر به عينك بحول الله وقوته، سددك الله وأصلح دينك ودنياك وأخراك أمين، والسلام. في 13 جمدى الأولى عام 1313".

وهذه رسالة من أمناء إحدى المراسي المغربية بإرسال ثمن بارود اشترته الحكومة المغربية، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى نائب سيدنا المنصور بالله سيدي الحاج محمد الطريس أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد فقد خرجنا بأداء ثمن الثلاثمائة والخمسين برميلا من البارود الواردة لمدينة الدار البيضاء والعدوتين على يدك من التاجر اخوان فيريس شار لكث كمبانية الفرنصيص في مدة خدمة الأمناء قبلنا الحاج عبد الرحمن لحلو القاسي والحاج بوبكر بن جلون الرباطي، وقدره – 15,050 خمسة عشر ألف ريال وخمسون ريالا صبنيولية. وقد يسرت، وها هي تصلك في بابور الألمان ابركي صحبة حامله الطالب السيد محمد بن أحمد البيضاوي في سبعة صناديق، بقصد أن تدفع لصاحبها التاجر اخوان المذكور وقبض خط يده بتوصله بها وفق الأمر الشريف أسماه الله المحوز من الأمناء المذكورين، وعلى المحبة والسلام. في 7 قعدة حرام عام 1313. أحمد بن عبد الله وفقه الله. المهدي التازي وفقه الله".

وهذه رسالة سلطانية في شأن رجل يريد الاحتماء بالأجانب الخ، ويعلم منها أن النائب الطريس قد جدد طلب إعفائه من وظيفه، وأن السلطان وعده بقبول طلبه عما قريب. ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل جوابك عما كنا أصدرناه لك في شأن المجذوب الشغروشني الذي يروم التلبس بحماية الصبنيول من مباشرة أمره مع نائب الجنس المذكور بعدم سوغ ذلك، لتقدم تكليفه من قبل المخزن وعمارة ذمته بتباعات إلى آخر ما أوضحناه لك، ذاكرا أنك شارع في مباشرة نازلته، وأنك ستعلم بمآلها، معتذرا عن إغفالك ما تقدم لك من التنبيه بالكون منه على بال إذا ورد لذلك الثغر الطنجي بقصد الاحتماء، وجوابك عنه بكبر السن وشغل البال وضعف الفكرة عن تذكر التنبيه الذي طال بك عهده، ولأنك لأجل هذا تطلب الإعفاء، وصار بالبال.

أما شروعك في مباشرة الكلام مع النائب المذكور فقد علمناه، وأما عذرك عن عدم تذكر التنبيه السابق، فمقبول، وسبحان الله الجواد يكبو والسيف ينبو ولا تثريب عليك، سددك الله، وأما ما عللت به طلب الإعفاء، فعلة مقبولة، وعلى كل حال فها نحن من ذلك على بال، وعما قريب تساعد على مطلوبك بحول الله، والسلام. في 28 قعدة الحرام علم 1313".

وهذه رسالة من الوزير الصدر في شأن قضية الشغروشني المذكور في الرسالة السابقة، والذي يدافع عنه حاميه قنصل إسبانيا، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا خديم سيدنا الأرضى النائب السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا أيده الله، وبعد وصل جوابك بشرحك لنائب الصبنيول ما عليه الحاج المجذوب الشغروشني من الخوض فيما لا علقة له به وبيان الواقع في قضيته مع وصيف سيدنا الطالب مَحمد السلوي وجوابه لك مشافهة بما شرحته من قلقه واغتياظه، مدعيا أن ما نسب للرجل فيه تدليس على جانب المخزن، ومقابلتك له بالمناسب حتى سكن روعه، محتجا بكونه لا يقدر على الطعن في ثبوت سمسرته للكبانية المعتبرة عندهم بصبانيا، وبأن ما يدعيه السلوي من ترامي الشغروشني على بلاد المخزن خلاف الواقع الذي هو حيازة السلوي منه جميع البلاد التي كانت منفذة له من جانب المخزن، وأنه زاد عليها حيازة البعض من بلاد الشغروشني التي يملكها بمواجبه الشرعية، وأشرت بأن الذي يقتضيه نظر المصلحة العامة هو جبر خاطر هذا النائب بإلزام السلوي الكف عما ثبت ترامية عليه من البلاد المملوكة لهذا الشغروشني بالحجج المسلمة شرعا وأدائه دراهم ما ضاع للكبانية المذكورة بسبب ضربه على عزيب الشغروشني إلى آخر ما ذكرت، وصار بالبال بعد إنهائه لعلم مولانا المنصور بالله، فأجاب أعزه الله بأن كلا من الخصمين الآن يدعي بدعوى معارضة لدعوى الآخر، وإذا تعارض كلام المتداعيين، فبالضرورة أنه يرجع للحجج التي تؤيد القول المقبول وترد المردود ويرتفع بها النزاع والإشكال. وحيث احتج هذا النائب بالمواجب الشرعية التي يدلي بها الشغروشني وأحال في تأييد كلامه عليها وألزم المتكلم عليه العمل بمقتضاها فقد أصدر أيده الله شريف أمره بإعمال الشرع بفاس في قضية البلاد وقضية النهب المدعى به على يد عم سيدنا مولاي عرفة، بعد إحضار الحجج التي بيد الشغروشني والتي بيد خصمه وإيقاف الفلاحين والعدول من قبل قاضيي فاس وصاحب مولاي عرفة ونائب كل واحد من الخصمين على عين حدود البلاد والمحل المدعى بوقوع الضرب والنهب فيه حتى يتحرر المحق من المبطل، ومن ثبت عليه حق يلزم بأدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن

بينة، وعليه فيأمرك أيده الله أن تجيب الباشدور بما ذكر، ليأذن هو لذلك الشغروشني في الحضور لمقابلة دعاويه وعدم تخلفه عنها، حتى يتم تحرير الواقع فيها الذي لا لبس فيه ولا زيادة ولا نقصان بالمواجب المثبتة على يد القاضيين لينفذ الحكم حينئذ بالمقتضي بحول الله.

كما يأمرك دام علاه أن تكتب أنت أيضا لمولاي عرفة بالإذن الصادر من الباشدور للشغروشني، ليكون على بصيرة من تنفيذ الأمر على مقتضاه، وعلى المحبة والسلام. في فاتح صفر الخير عام 1314. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ثم هذه رسالة سلطانية في شأن سعر بعض المعشرات بالموانئ المغربية، ونصها بعد الثلاثة:

"خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد وقع العثور في حساب أمناء مرسى الدار البيضاء على إثبات صاكة ما يوسق من حبوب القزبور بخمسة بلايين للقنطار، مع أنه في معاهدة الصبنيول داخل في عموم الحبوب بعشرة بلايين للقنطار، وفي معاهدة الألمان بعدها غير مذكور، وها نحن ألزمناهم غرامة ذلك وبأن لا يعودوا لتعشيره بأقل من عشرة بلايين للقنطار في المستقبل، وأن يحتجوا على من نازعهم في ذلك بأنه داخل في لفظ الحبوب بعشرة بلايين للقنطار في معاهدة الصبنيول، وبأن معاهدة الألمان بعدها غير مذكور فيها وفي فصلها الرابع تخصيص المسائل المعينة فيها بحيث لو كان داخلا في عموم لفظ الصبنيول لمنع. وعليه فنأمرك أن تكون على بال من ذلك وتحتج بما ذكر في المعاهدة المشار إليها على من يتكلم معك في ذلك من النواب، وتعرفهم بأن أمناء مرسى الجديدة سالكون سبيل ما هو في المعاهدة المذكورة، والسلام. في 22 صفر الخير عام 1314".

وهذه رسالة من قنصل ألمانيا في التشكي من مغربي مدين لتجار ألمان، ونصها:

"الحمد لله جناب الأبر الأجل الأفخم السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، نائب الحضرة الشريفة، لا زال السؤال عن أحوالك ومحبة أن تكون بخير دائما، وبعد فإن محمد بن محمد بن شقرون الفاسي بذمته إلى التجار الألمان هسنر وجواخمسون مبلغ قدره تقريبا سبعمائة فرنك 700، وذلك بموجب لطرة فات أجلها من 13 أبريل عام 1893، وأن المديون المذكور التجا أخيرا إلى زاوية قائلا إنه لا يمكنه تخليص ما عليه، فأرجو من جنابكم تسلموني كتاب مؤكد واضح إلى خليفة العامل في فاس ليستعمل كل الجهد في إلزام المديون المذكور بدفع الدراهم المذكورة، ويمنعه عن عمل رسوم غير صحيحة

إلى بعض أهالي المدينة بقصد الاختلاس وإبطال ما بذمته كما هو الخوف، وأجازيكم خيرا على المحبة الدائمة.

في 21 غشط عام 1896 الموافق 10 ربيع الأول 1314.

نائب أشغال دولة ألمانيا بارون فون بوشة".

وشعر النائب الطريس باحتياجه إلى إعانة مادية من السلطان، وكتب بذلك، فأجابه الوزير الصدر برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا خديم سيدنا الأرضى النائب السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا المنصور بالله وبعد وصل كتابك مذكرا فيما تقدم من ملازمتك خدمة الجناب الشريف أعزه الله إلى أن كبر سنك ووهن عظمك، طالبا استمطار سحائب جود مولانا وكرمه في الإنعام عليك بما يعود عليك وعلى أولادك من جزيل نواله الذي تعودته، وصار بالبال بعد إنهائه لعلم مولانا المنصور بالله، فكان ما أعلمت به من تقدم صدق خدمتك وبذل مستطاعك فيها مقررا لدى الجناب الشريف أسماه الله لا يحتاج إلى تعريف، وقال أعزه الله حيث تكون متوجها لتطوان فلتعلم بذلك ويكون في الطلب خيرا إن شاء الله، وعلى المحبة والسلام. في 20 ربيع ني عام 1314. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

ثم بعد نحو خمسة أشهر نفذ له السلطان إعانة هي وسق خمسين ألف فنيكة من القطاني، وكتب إليه الصدر بذلك رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى النائب السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله وبعد فالنفع الذي قدمنا لك الجواب بوعد الجناب الشريف أعزه الله بالإنعام عليك به، قد عينه أسماه الله، وهو الإنعام عليك بتسريح وسق خمسين ألف فنيكة من القطاني على التفصيل طرته، أعطى الله مولانا خير الدارين وأبقاه (كذا) ظلال امتنانه ممدودة على خدامه النصحاء المعتبرين. وها المكاتيب الشريفة الصادرة بذلك تصلك طيه، وعلى المحبة والسلام في 14 رمضان المعظم عام 1314. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

وبطرته ما يلي:

فبمرسى الدار البيضاء ما يلي: فنيكات 20

وبمرسى الجديدة: فنيكات 15

وبمرسى أسفي: فنيكات 15

50 ج

وكتب التازي أمين الأمناء إلى الطريس، مخبرا بهذا الإنعام، مهنئا به رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضى خديم سيدنا الأجل الأحظى النائب السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فإن أمر الإنعام الشريف عليك قد تيسر ووقف الفقيه الوزير حفظه الله ورعاه في شأنه لأجلك وما قصر جزاه الله خيرا وبارك في عمر سيدنا المنصور بالله، وذلك بتسريح صاكة خمسين ألف فنيكة من القطاني، وداخلنا من السرور والفرح لك ما يعلمه الله، لأننا أعرف بحالك، وها كتاب الفقيه رعاه الله بطيه المكاتب الشريفة بذلك يصلك بطيه، وإن ظهر لك تستتيب الأمناء عنك في ذلك حتى لا يقع فيه كسران فإنهم يعتنون بجانبك في ذلك، وأعلمنا لنكتب لهم ويزيدون اعتناء واهتماما بالشأن، وما أحسن الأشياء إذا حلت محلها، وعلى المحبة والسلام في 15 رمضان المعظم عام 1314. عبد السلام التازي لطف الله به".

وغاب النائب الطريس عن مقر وظيفه، فكتب السلطان إلى خليفته الحاج محمد اللبادي رسالة في شأن تدخل أحد القناصل في شؤون أناس لا حق له في التدخل فيها، ونصها (بعد الثلاثة):

"خديمنا الخليفة الأرضى الحاج محمد اللبادي أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فقد أخبر الخديم ولد ابَّ محمد الشركي بفاس أن دوارا من أولاد السيد الشيخ الذين في إيالته قد تعلق بقنصل الفرنصيص الذين بفاس وصاروا يتعصبون على عاملهم المذكور ويتقاعدون عن أداء الهدية التي جرت العادة عليهم بها منذ سنين طويلة ولا كلفة عليهم سواها، مع أنه لا وجه لتعلقهم بأحد، ولا لتكلم المتكلم فيهم، لأنهم من إيالتنا السعيدة منذ أزمان، وتجري عليهم أحكام المتولي عليهم وعلى محل نزولهم، وحتى على فرض ملاحظة انتقال آبائهم وأجدادهم من تراب الإيالة الجزائرية، فشروط الحدادة الشرقية مصرحة بأن كل من كان من الإيالة الغربية وانتقل لتراب الإيالة الشرقية، يجري عليه حكم الإيالة الشرقية، والعكس بالعكس، وأما الدوار النازل من هؤلاء أولاد السيد الشيخ بتراب الشبانات من قبيلة الشراردة، فإنما قبل كلام المتكلم فيهم سابقا لوجه، وهو أن تكلمه فيهم كان من حيث طلبهم الإذن في رجوعهم لتراب الإيالة الجزائرية وهم بصدد ذلك، وعليه فنأمرك أن تتكلم مع نائب الجنس المذكور في ذلك هنالك بطنجة، ليكف قنصلهم بفاس عن العود للتكلم في شأن

هؤلاء وفي كل ما فيه خرق للشروط المقررة بين الجانبين، ليبقى بساط حسن المعاملة سالما بين الجهتين، وتعلم بالمآل، والسلام. في 9 رجب عام 1314".

وهذه رسالة من بعض الأمناء في شأن غرامة فرضت على بعض القبائل عوض بقر نهبت في أرضها الخ، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

حبنا الأعز الأرضى نائب مولانا الأجل المرتضى السيد الحاج محمد الطريس، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعلى وبركاته عن خير سيدنا أعزه الله ونصره وبعد فقد ورد علينا كتاب شريف بأن مولانا دامت سعادته وجه قائد المائة للنزول على الخديم سعيد بن العروسي بالكتاب الشريف الواصل إلينا طي الأول، حتى يدفع لنا ما ناب إيالته من غرامة رؤوس البقر الخمسة والثمانين التي كانت نهبت لكبانية تجار النجليز المسماة طنجة قبل بنحو السنتين، وقدر منابه فيها اثنتا عشرة مائة ريال وثلاثون ريالا وخمسة وعشرون سنطيما، كما أمر قائد المائة المذكور بالنزول على الخديم محمد بن قاسم المختاري بالكتاب الواصل إلينا أيضا حتى يدفع لنا ما بقي على إيالته من الغرامة التي نابتهم في القضية، وقدر البقية المذكورة خمسة وثلاثون ريالا وثلاثة وخمسون سنطيما، وأمرنا مولانا أعزه الله أن نحوز منهما العدتين المذكورتين ونوجهها إليك. فأما المختاري فقد وجه لنا البقية المذكورة وأجبناه بوصولها، وأما ابن العروسي فلم يدفع لنا من العدة التي نابت إيالته إلا تسعمائة ريال وثلاثين ريالا وخمسة وعشرين سنطيما، وذكر لنا أن الباقي وقدره ثلاثمائة ريال، كان وجهه إلى سيادتك قبل، اجتمع فيما قبضناه منهما تسعمائة ريال وخمسة وستون ريالا وثمانية وسبعون سنطيما 965,78. وها نحن وسقناها إلى سيادتك صحبة البابور مزيل الفرنصيصي في صندوق جديد بماركة الخاتم المعلومة نمر 1 مطبوع عليه فوق اللك نظير ما في البليسة الموجهة إلى سيادتك داخل غشاء صحبة بوسطة الفرنصيص. وقد أدينا كراء البابور هنا، فأجبنا بالوصول، بارك الله فيك، وعلى المحبة والسلام في 20 رجب الفرد الحرام عام 1314. عبد الخالق فرج لطف الله به. عبد السلام أقصبي لطف الله به آمين".

ووقع حادث في أحد مواخير طنجة ليلا، فقتل فيه أحد الإنجليزيين، ونشأت عن ذلك مشكلة دولية، وكتب النائب الطريس إلى نواب الأجانب بطنجة رسائل عن ذلك، وهذا نص إحداها:

"الحمد لله وحده

المحب العاقل الناصح منسطر الرزدنط لدولة اسطريا انكريا كلبرط كندي هُوهُن وارْط، بعد السلام التام عليك والسؤال عن أحوالك محبة أن تكون بخير وعافية، فغير خاف عن جنابكم ما يقع في بعض الأحيان بهذه البلد

وأطرافها من الوقائع المكدرة للجميع، وخصوصا نحن، فلقد تأسفنا لهذا الحادث التأسف الجسيم، ووقع في النفس من هذا المصاب الموقع العظيم. ثم إن المراد الأكيد بهذا المسطور، الإعلان وأن المخزن أيده الله قد بذل غاية المجهود قبل هذا التاريخ، وأشار بجعل ضوابط وقوانين لمنع وقوع ما يوجب الأغيار ويكون سببا لجبر الخواطر، فإذا به تعذر إجراء تلك القوانين لكون قواعد شرعكم وضوابط سياستكم منعت من إلزام رعيتكم وحمايتكم بذلك. وقد كنا كتبنا غير ما مرة لكم، واسترعينا عليكم بإصدار أوامركم بشد بوزضات الخمر والقهاوي وغير ذلك من المواضع التي فيها الشبهة بعد الساعة العاشرة من الليل، وبعدم خروج أحد بعد الساعة المذكورة بدون فنار، وحتى إن خرج به، فلا بد من إعلامه بموجب خروجه حينئذ. وقد كان الحامل لنا على ذلك وقتئذ هو الأخذ بالحذر من الآفات والتحفظ والتحرز والاحتياطات لصيانة الجميع، وخصوصا الأجنبيين القاطنين بالإيالة السعيدة، إذ الجناب الشريف أعزه الله لم يقصر في ترتيب العسة الواجبة على البلد وأطرافها، لكن لم يظهر لها أثر لعدم مساعدتكم على الضوابط المشار بها عليكم. كما لا يخفى على جنابكم أن سبب تعطيل الضابط الذي كان قبل من البحث عن أحوال الأجنبيين الخاليين من الأشغال الذين يردون لهذه الإيالة وردهم لمحلهم حيث كانوا على هذه الحالة مع عدم إجراء الأحكام والتصرف على من صدرت منه جريمة، كثر ورود الأجانب لهنا. ولا شك أن عدم إجراء الأحكام على الفعال كيفما كانوا يكثر منه فساد الأحكام ويتعذر بسببه ترتيب النظام، وأنتم معشر النواب المحترمين نظرا لما أنتم عليه من المحبة والجد والإنصاف، يجب عليكم أن تعترفوا بالحد الواجب للمخزن في ذلك، وأن تقفوا الوقوف الأكيد في الضوابط المشار إليها، عسى أن يستقيم أمر ذلك على أحسن ما ينبغي بحول الله. وما أنتجه المال في ذلك عرفونا به كتابة. ودمت في هناء وسرور تام، والسلام. في 23 رجب عام 1314.

محمد بن العربي الطريس لطف الله به".

وكانت العادة لدى الدوائر المخزنية العليا، أن تطلع نائب السلطان بطنجة على كل ما يدور بين حكومة المغرب والحكومات الأجنبية. وفي سنة 1314 بعثت الحكومة المغربية إلى دولة فرنسا سفيرا مغربيا للمخابرة معها في قضايا ومسائل معلقة بين الدولتين، المغربية والفرنسية، وقيدت تلك المسائل في لائحة بينت فيها وجهة نظر الحكومة المغربية في تلك المسائل، وأرسلت منها إلى النائب السلطاني نسخة هذا نصها:

"الحمد لله وحده

تحديد الفصول التي يتكلم فيها السفير الفقيه السيد مَحمد ابن الفقيه الوزير أبي عمران سيدي موسى بن أحمد في وجهته المباركة لباريز. وقيد في أوائل القعدة عام 1314.

1 – منها الكلام في شأن القنصل المنصوب بفاس، أن الشروط وإن كانت قاضية بنصب القنصل مطلقا بالمراسي وغيرها، لكن لحسن المعاملة وجميل المصارفة بين الدولتين، جرى العمل بالاقتصار على نصبه بالمراسي التي هي محل التعشير والتجارات الكبيرة واعتمارهم البناءات التي بيذهم لأجلها، دون المدن البربرية كفاس وشبهها، واستمر العمل على ذلك فيما سوى المراسي منذ سنين متطاولة. وبعدما وقع الكلام فيه حياة السلطان المقدس مولاي الحسن بما يقتضيه عموم الشرط، كان قدسه الله يجيب المتكلم بما يقتضي إبقاء العمل جاريا على ما كان عليه ويقرر له الأعذار اللازمة من نصبه ويعسر على المخزن والرعية احتمالها على فرض تعين قبوله فيقبل تلك الأعذار إلى أن تكلم في ذلك المنسطر المحترم دوبني، ثم تكلم بعده سفير الدولة المحترمة الفرنساوية المعتبر دومنبل، حيث ورد على الحضرة الشريفة الفاسية عـ 12. وأبلغ إلحاح الدولة المذكورة على قبول القنصل بفاس بعدما قررت له الأعذار التي تعذر معها قبوله فاختارت الدولة الشريفة إذ ذاك تقديم إظهار قبوله على جانب الرد والدفاع بالأعذار الواضحة المقبولة عند كل محب مع بقاء الدولة الشريفة على مراجعة الدولة الفخيمة الفرنساوية وقت الإمكان بشرح الواقع كما هو مقرر عند السفير المذكور وأجيب به وقت وروده على حضرة سيدنا المنصور بالله لتيقن الدولة الشريفة بأن الدولة الفرنساوية إذا حصل لها اليقين بالواقع و وشرحت لها الأعذار البينة لا تحب لهذه الدولة إلا الخير وكفاية المشاق في التنظيمات المخزنية وهناء الرعية ومحاشاتها بمن تعمد ضد ذلك.

ولا يخفى أن أهل هذه البلاد لا تألف طباعهم نصب القنصل لديهم ولا ما يترتب عليه، وبمجرد حلوله وتصرفه ازداد ضرر اليهود وتطاولهم حتى صاروا في هذا التاريخ يتداخلون مع كل من ورد من جانب الأجناس ويلابسونهم ويتسببون في إنشاء المشاحنة بينهم وبين أهل البلد ليتوصلوا بذلك إلى أغراضهم التي لا تخفى مراكز دوائرها فتترتب على ذلك أغيار ومكدرات يعظم على الولاة أمرها من حيث اعتبار المراعاة. والقنصل يدافع عنهم ولا يقبل كلاما ولا حجة لأهل البلد ولا يقتدي إلا بالكلام الناقل له من غير بحث عن حقيقة أمره، فتضيع بذلك حقوق لأهل البلد في أموالهم وأعراضهم وصار عامل البلد يتحمل معه المشاق في عدم قبوله حجج أهل البلد ولا يريد إلا قبول الحجج التي هي ليست من عرف البلد لا شرعا ولا تجارة، فزاد وجود القنصل بفاس تشعيبا خلاف ما كان عليه العمل قبل، ومن ذلك ما تشكى به عامل فاس في قضايا متعددة أراد

الخروج فيها عن عرف البلد وحججها تحت اليد، ولحق الناس من تطاولهم ضرر فادح وهم كبير، وهذا من أسباب المكدرات بين الجانبين. ولما نصب هذا القنصل على الوجه المذكور، وطلب بعض الدول المساواة بنصب قنصلهم بفاس أيضا، أجيب بقبوله على الوجه الذي قبل به قنصل الدولة الفرنساوية، بحيث إذا حصلت المساعدة برفع الأول، يرفع هذا الثاني أيضا، وحينئذ فجناب الدولة الفرنساوية الودادية أولى بقبول الأعذار المقتضية للمساعدة على رفعه وإبقاء الأمر على ما كان عليه لخصوصية المحبة المتقادمة وحقوق المجاورة القاضية على كل من الجانبين بمحبة الخير ودوام الهناء وكفاية المشاق للجانب الأخر.

2- ومنها قضية القطر التواتي الذي تقرر استبداد الدولة الشريفة بانسحاب حكمها عليه من عهد مولاي إسماعيل قدس الله روحه إلى الآن، ولم ينازعها فيه أحد قبل وبعد. وتصرف الدولة الشريفة في توات واقع على عين دولة الترك بالجزائر إلى أن تشوف والي الحكومة الجزائرية إلى المنازعة فيه وصارت الدولة المحبة الفرنساوية تتكلم في ذلك، مع أن حجج الدولة الشريفة وبراهينها الواضحة قاضية بالإنصاف لها في رد الكلام المنازع في هذا الموضوع حسبما تضمنته الحجج القائمة بذلك. ومن حقوق المجاورة لرعاية كل من المتجاورين لحرمة الآخر، فجناب الدولة الشريفة لا تتشوف لما ليس من إيالتها، فضلا عن المنازعة فيه، كما أن معتقدها في جانب الدولة الفخيمة محاشاتها عن مثل ذلك ورجوعها في هذه القضية لطريق الإنصاف إذا قرر لها الواقع وتيقنت حقيقة الأمر فيه على أن جانب الدولة الشريفة إنما يطلب سلوك الحق محافظة على جانب المحبة وحرمة حقوق المجاورة، حتى لا ينشأ عن المراجعة في هذا الموضوع ما يكدر صفوها. ولأجل هذه المحافظة كان من جملة ما تقدم جواب الدولة الشريفة في هذا المنزع أن المخزن لا يريد تعرضا لعيب ولا ما ينشأ عنه تغيير خاطر، وإنما يصرح بعدم التخلي عن أرضه ورعيته، ويطلب إعمال الحق والعدل في ذلك بإصدار أوامرها بقطع التشوف لتلك الناحية، حتى لا يبقى ما يكدر بين الجانبين، ولا زال على طلبه إلى الآن وحتى الآن.

3- ومنها الكلام في شان الأناس الذين تلبسوا بالحماية بعد الفتنة الماضية بالقبائل الحوزية، تروغا عن إقامة الحدود اللازمة لهم بما ارتكبوه من انتهاك محارم دور العمال وتهديمها ونهب الأموال وسفك الدماء، وكذا الأشياخ المعمورة ذممهم بما قبضوه من أموال المخزن وصاروا يتشوفون للتلبس بالحماية والمخالطة مع التجار وسيلة للتقاعد عليها، وصار القناصل يساعدونهم على ذلك، خرقا للشرط المنعقد بمدريد على يد نواب سائر الدول، مع أن فتح

باب تلبس الأشياخ ونحوهم من المكلفين عند جانب المخزن بالحماية ولو كانوا برءاء الذمم، مصائم للشروط، ولا يخفى ما يترتب عليه من فساد الأحكام وانحلال النظام حسبما تضمنته نسخ المكاتب الصادرة بالاسترعاء في ذلك لنواب الدول ونسخ الأجوبة الواردة عنها. وإن حصلت المساعدة في رفع يد الحماية عنهم، فجناب الدولة الشريفة يطلب من جناب الدولة المحبة الفرنساوية الإعانة على تتميم الغرض مع باقي الدول.

4 - ومنها فصل الكلام في شان أولاد سيدي الشيخ الشراقة المهاجرين بالمغرب، وشرط الحدادة الجزائرية صريح في أن جميع من التجأ من رعية أحد الفريقين إلى الآخر فلا يرده من التجأ لموضعه حيث أراد البقاء بملتجئه، ومن أراد الرجوع لمحله وموضعه فلا يتعرض له عامل ولا غيره، وحيث عزم على البقاء فيبقى تحت حكم عامل المكان الملتجئ إليه الخ. ثم صار القنصل المذكور يتعرض على أولاد سيدي الشيخ الشراقة المهاجرين ويريد التصرف عليهم داخل الإيالة الغربية السعيدة، وذلك خرق للشرط المذكور، والشروط مما يجب الوفاء بها. وبسبب ذلك صار المذكورون يتمنعون من إعطاء الحقوق الواجبة عليهم، فتعذر بذلك إجراء الأحكام عليهم. وجناب المخزن إنما يطلب متابعة الشرط المعمول به من لدن عقد، بحيث إذا أرادوا الرجوع لمحلهم عن خاطرهم، فلا يتعرض عليهم أحد من جانب المخزن، وإلا فيبقون بحكم الشرط من إجراء حكم عامل البلد على جميع من بقي منهم كان واحدا أو متعددا.

5 – ومنها قضية الملاينة الذين هم من جملة قبائل رعية المغرب قديما، ولم ينتسبوا قط للإيالة الشرقية، إلى أن صدر منهم ما استوجبوا به أداء الحق المترتب عليهم، فصار البعض منهم حينئذ يدعي الانتساب للإيالة الشرقية بإغراء من حمادي الوجدي، حيث كانت له مخالطة معهم، ومن ذلك الوقت والمراجعات صادرة من الحضرة الشريفة في شأنهم، زيادة على ما ترتب بسبب ذلك من المفاسد التي من جملتها إيواؤهم لأهل الجرائم الفارين من عمالهم والمطالبين بالحقوق المخزنية المترتبة عليهم وتحزبهم بهم في قطع الطرق ونهب القوافل وسفك الدماء، وهذه المدة كلها والمخزن غاض الطرف عنهم وتوقيا من إنشاء ما يكدر الخواطر بين الدولتين، منتظرا وصول إبان الكلام في ذلك الذي هو هذا. والمخزن محقق الرجاء في إصدار الدولة أوامرها بالكف عن التعرض عن هؤلاء ليمكن إجراء الحكم عليهم.

6 – ومنها الكلام في دعاوي أهل فجيج بالأضرار الحاصلة لهم من جوارهم أهل العين الصفراء، وكذا دعاوي غيرهم من قبائل الإيالة السعيدة على جوارهم من قبائل الإيالة الشرقية، ولا زالت لم تفصل وحججها تحت اليد، فتطلب الدولة الشريفة من الدولة المحبة الفرنساوية الاعتناء بالإنصاف في ذلك

كما اعتنى جانب المخزن بالإنصاف في جميع ما ادعى به أهل الإيالة الشرقية ونجز دفع دراهمها على التمام، كما يجدد الكلام في عدم العود لتكنيش شيء من دعاوي الجهتين في المستقبل، بأن يبادر حاكم كل من توجهت عليه مطالبة بشيء من الجانبين إلى الوقوف في أخذ الحق منه على طريق العدل والإنصاف والعرف الجاري بين الجوار.

7 – ومنها قضية تشكي السيد عبد الجبار الوزاني بتحويله من بلاده وما لحقه من الضرر في نفسه وأهله وأمتعته بسبب طول إبعاده عن وطنه، وبلغ فيه الضرر منتهاه، والدولة المحبة الفرنساوية لا يظن بها الموافقة على ذلك، مع أنه لا وجه لإبعاده، وإنما أصحبه المخزن معه رعاية للخواطر، وحينئذ فطريق العدل لا يخفى أنها قاضية بجعل تاويل بينه وبين أبناء عمه إما بسكناهم معا بوزان، وتكون لعامل المخزن اليد على من ترامى من أصحاب أحدهما لجانب الآخر بتربيته وإقماعه على وجه الحق من غير مراعاة لأحد، وإما انتقال أولاد السيد الحاج عبد السلام للسكنى بمحل والدهم بطنجة، وينقل السيد عبد الجبار للسكنى بالمحل الذي يعين له المخزن.

8 – ومنها قضية عزائب أولاد السيد الحاج عبد السلام الوزاني التي تضرر عمال القبائل الغربية باحتواء كل عزيب منها على عدد لا حصر له من القبائل المجاورين لها وإيوائها كل من تعلق به حق للمخزن أو الرعية أو كان من أهل الجرائم الذين يسعون في الأرض الفساد وتحزبهم على الظلم والتعدي والتعرض على العمال في الأحكام التي لا تومن الرقاب والأعراض والأموال إلا بنفوذها، وتقدم روجان الكلام في ذلك مع المنسطر المحترم دومنبل، وأجاب كتابة بما تضمن الوعد بالاجتماع مع نواب المخزن بطنجة على ذلك وجعل تاويل فيه بانحصار معتمري كل عزيب في عدد معين محصور من قوم صالحين حسبما بنسخ المكاتب والأجوبة الدائرة في ذلك مع عمال الغرب ومع المنسطر المذكور. فيطلب المخزن حصر عدد العزائب بإحضار الظهائر التي بأيديهم ليعلم منها عدد العزائب ومحالها وبيان الأشخاص الذين يكونون بكل واحد منها بأسمائهم وأنسابهم، والاقتصار على العدد المناسب لخدمة كل عزيب خاصا بما يتعلق بأشغاله وإن يكونوا من البراني لا من أهل البلد والحكم لعامل البلد، وجعل تقييد بذلك تكون نسخة منه عند باشدور المخزن بطنجة، وأخرى عند باشدور الفرنصيص، ويكون الأشخاص المذكورون ممن لا تعلق له بخدمة المخزن ولا ذمته معمورة بحق من الحقوق للمخزن ولا لغيره، وليس من أهل الجرائم الذين يتروغون عن أداء الحقوق. وإن مات أحدهم وأراد تعويضه على الوصف يعلم سفير افرانسة باشدور المخزن بطنجة بالبدل ليعلم عامله بالكون منه على بال.

9 – ومنها قضية الحرابة الذين طالما طلب سيدنا المقدس المساعدة على رفعهم كلهم حيث لم تظهر نتيجة في عملهم، فإن حرابة العسكر الذين بالرباط والذين بالحضرة الشريفة هذه مدة من نحو عشرين سنة وهم بالخدمة، ولم تظهر نتيجة لعملهم، وإنما يذهب عدد من المال في راتبهم سبهللا بالمكاتب والأجوبة الدائرة مع الباشدورات ورديكة ومسراو وبنتورط ولكن سيدنا نصره الله ظهر له أن الذي يصلح منهم هم الطبجية فقط، وأما حرابة العسكر فلم تظهر نتيجته، فيطلب سيدنا نصره الله أن لا يبقى من الحرابة إلا كبير واحد ومقدمان بحضرته الشريفة، ويرفع باقي الحرابة العساكرية الذين بالرباط وبالحضرة الشريفة، وإن تعلل وزير الخارجية بأنه ربما يقول الناس لماذا رفع حرابة الفرنسيس، وفي ذلك ما فيه، يجيب السفير بما يشفي به الإيراد وهو قبول فسيان طبيب في محلهم دفعا لما يقال، والطبيب فيه منفعة لا محالة، بخلاف الحرابة الذين هم جلوس فقط. هـ".

وهذه رسالة سلطانية في شأن العصاة من أهل قبيلة بقيوة الريفية الذين كانوا يسطون على الأجانب ويأسرونهم الخ، ونصها بعد المقدمات العادية:

"وبعد فقد اطلع علمنا الشريف بما بلغكم من خبر عود فساد بقيوة لمد يد النهب في مركب طلياني حامل للخشب وأسرهم منه الرئيس واثنين من البحرية على وجه المكافحة، ثم تعرضهم لمركب برطقيزي حامل الحلفاء وأسرهم منه خمسة من النصارى فيهم رئيس، وعدم حصولك على طائل فيما كتبت به لأعيانهم وقبائلهم ولأمناء مليلية في استخلاص الأسارى الذين تحت يدهم عدى النصرانيين اللذين وصلا منهم لطنجة على يد يهودي مشيرا بصرف وجهة الاعتناء لتدارك أمر هؤلاء لتروع نواب دول الأجناس بما بلغهم من خبر ذلك وخبر فساد إيالة حاكم الحدادة المليلية حتى أفضى به الحال إلى الانتقال لمليلية وصار بالبال. وقد تعينت المبادرة إلى تدارك الأمر في ذلك بالمتعين فأصدرنا لهؤلاء الفساد كتابنا الشريف صحبة ابن عمنا مولاي عبد السلام الأمراني الموجه إليهم برا بالاسترعاء والتحذير والإذن لينكفوا عما هم عليه من هذا الطغيان، وكلفنا ابن عمنا المذكور أن يجعل أهم أمره أولا هو السعي في استخلاص أولئك الأسارى من يد الفساد بما أمكن، ثم إن ظهر منهم ما يقتضي إنابتهم وردهم الحقوق المتعلقة بهم فذاك، ويرتب لذلك أساس يبنى عليه ضبط المعاملة معهم على وجه كفيل بالمراد إن شاء الله، وإلا فيطلع علمنا الشريف بالواقع لنصدر فيهم أوامرنا الشريفة بالمتعين بحول الله.

وأما الإدالة التي أخبرت بتراخي الخديم ابن عبد الصادق في توجيهها لتلك الناحية، فلتشرح بيان كيفيتها وعددها ومخرج قوتها لنصدر فيها أمرنا الشريف بما ينضبط به عملها، وعلى كل حال فلا بد من المبادرة الآن للضرب

على يد هؤلاء الفساد من ناحية البحر أيضا، فإن كان البابور التريكي رجع من الإصلاح الذي توجه له ووصل إليكم فنأمرك أن تعجل بتنفيذ ما تقدم لك من تقويمه بمدفعين والعسكر المبين لك وتوجيهه لسواحل الريف للقبض على كل فلوكة ظهرت من فلائك الفساد المذكورين بما فيها ولتطير الإعلام لتجاب بمزيد الإيضاح في العمل فيه وإن كان لا زال لم يرد فلتكتر بابورا أجنبيا وما يكفي من الكور والبارود والطبجية وكبيرهم الطالب إدريس ابن عبد الواحد وتعين رئيسا للبنديرة وإن كان رئيس المرسى بالكا فإنه أعرف بالمراد إن قرر له ويترك خليفة نائبا عنه بالمرسى ومائة من أنجاد عسكر طنجة وتطوان خمسون من كل واحد من الثغرين يكلف بهم كبير عاقل ويدفع لهم الأمناء المكاحل من العدة الجديدة التي تحت يدهم مع خمسين من القرطوس لكل مكحلة ويقومون ركاب البابور بما تبينه لهم من الكسوة والمونة الكافية لتعين أمينا يكون دفع ما ذكر لهم من البارود والكور والقرطوس والمكاحل والمونة ونحو ذلك مما يتعلق بخطته على يده. ثم إن العمل الذي يكون عليه البابور المذكور هو أن يكون ذاهبا راجعا بسواحل الريف محاذيا ليلا ونهارا، ومهما عثر على فلوكة ريفية إلا حازها بما فيها وأطلعها للبابور وقيد ركابها رئيس البنديرة في القيود والسلاسل التي تكون معدة عنده ولتأمر الرئيس بصرف وجهة الاهتمام لاستعجال السياسات التي تجلب أولئك الفساد لركوب البحر ليحصل مزيد الظفر بهم، وإن تأتى أن يكون بغير ضرب فهو أولى، وما يجتمع في البابور من المساجين والمتاع فليكن يوصله إليك بطنجة لتدفع المساجين للعامل والفلائك وما فيها من المتاع للأمناء ثم ما يعثر عليه البابور من المراكب الكبار الريحية لائذا بشاطئ البحر لأجل سكون الهواء فليجره لوسط البحر ليحول بينه وبين الفساد حتى يتوجه لحاله، وأما الصغار مثل الباركيات والفلائك التي تتصارف مع أهل الريف وتحمل لهم الكطربانض وغيره، فإن كانت كواغدها صافية مطابقة لما فيها والمحل الذي هي قاصدة إليه معين، فتترك تتوجه لحالها ويسلك فيها مسلك الكبار، وما تعذر منها فيه الشرط كلا أو بعضا، يجره البابور لطنجة ليحاز ما فيه من الكطربانض على يدك، ولتعلم نواب الأجناس بهذا العمل الذي كلف به المكلف من قبل المخزن بذلك البابور ليكونوا على بال، وليكن عقد الكنطردة مع وكيل البابور على يد نائب جنسه مطبوعة بطابعه، وليكن كلام رئيس البابور فيما يأتي وما يذر مع رئيس البنديرة، وكذلك رئيس الطبجية وقائد العسكر، ويبقى هذا البابور على عمله بالساحل المذكور إلى أن يرد البابور التريكي من الإصلاح، فيقوم بما كان في الأول المكترى ويوجه للقيام بعمله ويسترد المكترى لصاحبه. وها مكاتيبنا الشريفة لعاملي الثغرين بتنفيذ العسكر والبارود والمدفع والكور من طنجة وللأمناء بتنفيذ المكاحل والقرطوس

والكسوة والمونة ونحو ذلك تصلك طيه، فلتعجل بتنفيذ ما ذكر والإعلام به، والسلام. في 23 ربيع الثاني عام 1315".

وهذه رسالة من قنصل أميركا بطنجة في شان بعض الدعاوى ونصها:

"الحمد لله وحده

الدار القنصولية الأميركية الفخيمة. طنجة. 4 نونبر 1897. موافق 9 جمدى 2. عام 1315.

الوزير المحترم الفقيه النائب المكرم السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، لا زال السؤال عنك في جميع الأحوال نطلب الله تكون بخير وعافية، وبعد وصل كتابك بطيه كتاب عامل طنجة، وكما سيادتك طالعته وفيه يظهر لك أن القائد هو غالط بقوله إني سرحت الرجل الذي كان بالسجن على سريقة التاجر طريدانو، فانا سرحت كما سيادتك طلبت مني عدد المرة رجل مسكين وكبير السن وبصير لم يرى، كما كنت ذكرت لنا أنه كان بالسجن مقدار عامين، وقلت لنا أيضا إنه مسجون عن إذن الزكي على وجه الظلم لأنه الرجل لم أراد يعطي له عرصته، لأن الزكي كان مراده يقلعها له، والباشا المذكور لم يفيده يصور هذا التصوير ليفلت من وجه الصورة ويجعل ما هو واجب عليه، فعلى هذا نحن نقبض سيادتك مع الباشا المذكور ضامنين كيف مخزن دولتي الفخيمة يطلب يقبضون الفعال الذين كسروا وسرقوا حانوت التاجر طريدانو ليردوا له سلعته أو ثمانها دراهيم. ونرجو من سيادتك تجاوبنا وتخبرنا أنك بصدد البحث وجعل ما ذكر كما مخزن دولتي الفخيمة يطلب ويجب، ودمت بخير والتمام.

نائب الدولة الأميركية مسطر دابيد ان برك وفقه الله (ثم إمضاؤه بالأفرنجية)".

وهذا كتاب سلطاني في شان إصلاح البابور المغربي المسمى "التركي"، ونصه (بعد الثلاثة):

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بورود البابور التركي من محل إصلاحه في غاية الاتفاق على مقتضى الكنطردة المعقودة في ذلك مع زيادة إصلاح ما كان خفيا في الجهة الموالية فيه للبحر وفي قعر صواريه مما لا بد من مباشرة إصلاحه وإذنك للمباشرين له في زيادة ذلك وتعريفك خدامنا أمناء مرسى طنجة بالصائر اللازم على هذه الزيادة في الإصلاح وهو مائة ابرة وثلاث وأربعون ابرة إنجليزية، وأنك بصدد توجيه البابور المذكور لما قصد به بالريف طالبا إصدار الأمر للأمناء في تصيير هذه الزيادة وصار بالبال. أما إذنك للمباشرين للإصلاح في إكمال مباشرة ما كان خفيا وقت عقد الكنطردة، فقد أصبت فيه، إذ المقصود هو أن يكون سالما من جميع الحيثيات، سيما حيث كان المراد به حمل

المدفعين وتوجيهه لما هو بصدده. وأما صائر هذه الزيادة فقد أمضيناه، وها كتابنا الشريف لخدامنا أمناء المرسى هنالك بتصييره يصلك طيه. وعليه فإن كنت وجهته لما أريد به لناحية الريف على نحو ما قدمنا لك فذاك، وإلا فعجل، وعلى كل حال فاعلم بيوم توجيهه وبما رتبته فيه من الأعمال المتقدم لك بيانها، ولتكن تعلم بكل ما يتجدد لك من الخبر عن تلك الناحية، والسلام. في 10 شعبان عام 1315".

وهذه رسالة من بعض الأمناء في شأن تباغة (طابة) هل تعشر أم لا؟ ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا ونائب مولانا الأرضى سيدي الحاج محمد الطريس، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله وبعد فقد وصلنا كتابك طالبا فيه بيان أمر تباغة المستنشقة هل هي من قبيل المعشرات أم لا. فاعلم حفظك الله أن قبل هذه المدة طلب منا صاحب الكنطردة وسق ثلاثة قدور منها، فبحثنا هل العادة تعشيرها أم لا، فأخبرنا من أهل البلد بأن العادة إذا كانت الكنطردة مبيعة أو لجانب المخزن أعزه الله لا تعشر، وبقيت لنا من ذلك حزازة في النفس، فكتبنا لأمين الأمناء سيدي عبد السلام التازي حفظه الله نعلمه بالقضية، طالبين منه ما يكون عليه عملنا معه في ذلك، وها نحن منتظرون جوابه، وعلى المحبة والسلام. في 7 رمضان المعظم عام 1315. محمد بناني لطف الله به. أحمد السقاط لطف الله به".

وهذه رسالة في التعريف بحال يهودي من فاس ليعين سمسارا لبعض التجار الإنجليز، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

" محبنا الأعز الأرضى نائب سيدنا السيد الحاج محمد الطريس، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد ورد علينا كتابك الأعز بأنه أخبر نائب النجليز بطنجة أن كبانية تجارهم طلبوا تعيين يهودي بفاس المسمى بالطرة للسمسرة لهم بأن نعلم هل هو سالم الساحة وليس عنده مانع أم لا. فلتعلم حفظك الله أننا سألنا عنه الخاصة من اليهود ومن يعتد به منهم، فأخبر أنه جالس عند حده حافظ لمروءته، وأنه عازب وليس بمتأهل، وهذا ما وجب به الإعلام، وعلى المحبة والسلام. في 15 رمضان عام 1315.

ومنه فهذا اليهودي الذي بفاس اسمه مسعود لا موشي.

عبد المجيد ابن شقرون وفقه الله

(وبالطرة اسم: موشي بيبي بن شطون)".

وهذه رسالة من بعض الولاة المغربيين في شأن دعوى مع بعض المحميين، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"أدام الله سعادة نائب مولانا الأجل الأمجد سيدي الحاج محمد بن العربي الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فلتعلم حفظك الله بأننا وقفنا على كتابك الأعز بيد القائد السيد بوبكر ابن بوزيد بأن قنصل السبنيول رفع شكايته لنائب جنسه بطنجة بأننا تمادينا على محمي جنسهم المكي المعروفي وقبضناه عمدا، وأنه لما دار الكلام بيننا وبينه في ذلك، طلب حضورنا معه لدى العامل ليتبين الحق، وقد امتنعنا من ذلك، وعرفت أن ذلك مخالف للشروط. فاعلم رعاك الله أن سبب امتناعنا من الحضور معه هو أن القضية راجت بيننا وبينه كتابة، وكلما كتبنا له عن أمر أجاب بخلافه، بحيث إنه لم يجب على المقصود في الكلام ولم يقصر بالإجحاف، وقد طلب حضورنا فأجبناه بأن حضورنا لا يبعد إذ يجيبنا على مقتضى مكاتبنا له وذلك مراعاة من القيل والقال معه مما ينظر في مكاتبه من الخلافات، وقد لزمت علينا الحضور معه لدى العامل المذكور ليتضح الحق وتجري الأحكام على من تعين عليه. نعم فقد حضرنا امتثالا مع القنصل المذكور وخليفته عند العامل وانجر الكلام في القضية فأخبرناه بأن هذا الرجل المحمي هو قدم عندنا في جملة البقالين مدعيا مع بعضهم فيما هو حاصل لهم من الخرق في قاعة الوزن، فإن فيها حوانيت يبيعون بالتقسيط مثل الأوقية ونصفها كمثل البقالين الخارجين عن القاعة، فحكمنا عليهم بأن حوانيت القاعة لا يبيعون إلا بالجملة، والتقسيط هو معلوم للخارجين عنها، فأجاب المحمي المذكور دون غيره بما هو لفظه: ذَبَ تعرف، فأذنت بتوجيهه إلى السجن من غير استشعار بحمايته، ولما أخبرونا بأنه حماية جنس السبنيول، وجهنا من يرجعه، فوجدنا صاحب القنصل المذكور تعرض لهم في الطريق ومنع من يدهم الرجل المذكور بعد أن ضرب واحد من أصحابنا وقبض الثاني في أصبعه بعنف حتى ألمه، فأجاب القنصل المذكور أننا نعرفه حماية السبنيول، وقد ذكر لنا ذلك قبل توجيهه إلى السجن، وعنده شهيدين بذلك، أحدهما يهوديا حماية جنسه، والآخر حماية المركان، وكلاهما يهوديين ويحلفون على ذلك مع المحمي المذكور أيضا، فأجبناه بأن هذا الأمر وقع بمحضر عدد من الشهود، فيجب أن تقبض الشهادة من جميع من رأى وحضر، وذكر القنصل المذكور أنه لا يقبل شهادة أحد عدى الشهود اللذان عنده، وبعد الترد معه في الكلام، ذكر لما يحلفون جميع الشهود في المصحاف يقبلهم، ونحن نحلف معهم كذلك بأن لا علم لنا بحماية الرجل، والحاصل لم نحصلوا معه على طائل، والظاهر كان مراد هذا القنصل أن يجعل أصحابنا في السجن من غير حق واجتماعنا معه سمعنا من القنصل المذكور ما لا يرضي من الكلام، فمن جملته ذكره أننا ليس لنا طريق في الأحكام وإنما المتصرف في البلد هو العامل، وإن قبضنا مرة أخرى بعض الحمايات أو المخالطين يضرب

أصحابنا بالبارود، وغير ذلك مما لا يناسب، وبه وجب إعلام سيادتك، وعلى المحبة والسلام. في 5 شوال الأبرك عام 1315. أحمد بن محمد فرج وفقه الله بمنه".

وهذه رسالة من وزير خارجية تركيا إلى وزير الخارجية بالمغرب في شأن رجل مغربي مستوطن بتركيا، ونصها -على ما فيها-:

"الحمد لله وحده إلى معالي النضارات وزير الخارجية حكومة فاس الفخيمة حضرة صاحب الدولة المعظم.

أعطى لباب العالي عريضة مرسلة من مولانا أمير المؤمنين صورتها المترجمة لفا لدولتكم بإمضاء محمد الشهيبي أفندي من متابعة الدولة العالية العثمانية يبدي ويسترعي فيها أنه صار ضبط أراضيه الموروثة عن والده الكائنة نحو قصبة العرائش التابعة لحكومة فاس الفخيمة، وإني مراجعتها بالأصل لأجل استردادها بقيت بدون ثمرة وحيث إنه المذكور إليه دائما يطلب العدالة ونضرا للهجة الجامعة الإسلامية تبعث السلطانية السنية أي الموجودين بفاس وإيالتها مجزوم ومعلوم أنهم ينالوا على الحماية الكاملة لمتابعة السلطنة العثمانية مع حفظ حقوقهم المشروعة من جانب الحكومة العالية المتبوعة لدولتكم وبذل الهمة بما يقتضي، فأرجو صرف هممكم السامية الجميلة لاستحصال جميع الأسباب الازمة لإجراء العدالة بحوز المذكور صاحب الدعوة متخذا ذلك وسيلة بتأييد أساس المودة والارتباط والأمر في ذلك الباب لحضرتكم العالية المؤرخ 4 قعدة عام 1315.

وزير ناظر الخارجية أحمد توفيق بن إسماعيل حقي وفقه الله بمنه".

وقد ألصقت بالرسالة المذكورة صورة وزير الخارجية لتركيا، مع قطعة اقتطعت من جريدة يظهر أنها تطبع في بيروت، وقد جاء فيها ما نصه:

"مراسلات. طنجة. كتب إلينا منها أن رجلا مغربي الأصل من بلدة العرائش واستوطن المشرق اسمه محمد الشهيبي العرائشي مات أبوه وتركه وأخا له وأختا، فذهب هناك واقتسم مع أخويه ميراث أبيهم ثم أراد التسلط على أرض ميرية هناك يتداولها من يتولى هناك من الحكومة بالاستغلال، بدعوى أنها تخص والده، وتنازع هو ومن بيده الأرض لدى حضرة المحترم السيد الحاج محمد الطريس وزير خارجية المغرب بطنجة، فرد أمرهم للشرع العزيز، فأحضر أخواه المذكوران وسئلا، فأنكرا دعوى أخيهما وقالا ليست لوالدنا أرضا هناك أصلا، وشهد الشهود أيضا بأن ليس لوالده هذه الأرض، وإنما هي ميرية، فأبطلت دعواه. ولما كان الرجل مستوطنا بالشرق تحت ظل الدولة العلية العثمانية اشتكى إلى حضرة دولتلو توفيق باشا وزير الخارجية بالأستانة العلية، فكتب له كتابا للسيد محمد الطريس المشار إليه كي ينظر في

دعواه ويمكنه من حقه إن كان له حق، وكان الذي أغراه بالشكوى رجل مدني مقيم هناك، فجدد هذا الوزير النظر وأجرى التحقيق اللازم، فلم يجد له حقا في الأرض، ووجدها ميرية كما مر آنفا. قال المكاتب. وقد ذكرتنا هذه القضية ما كنا التمسناه غير مرة من ولاة الأمور بالسعي لدى الحضرة السلطانية بجعل وكيل لها في طنجة بالنظر لما يعود على الحكومتين بالفوائد والنجاح، والله يقضي ما فيه الخير والصلاح".

وشعر النائب الطريس بكثرة الأشغال واحتياجه لمن يعينه عليها من مساعدين وكتاب، وطلب ذلك من السلطان، فساعده بتعيين ولده الحاج أحمد خليفة له بدلا من الحاج مَحمد اللبادي، والإذن له في اختيار أربعة كتاب، وعين له وللموظفين معه أجورا مناسبة. وكتب إليه بذلك وبغيره رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد أطلع علمنا الشريف بما أعلمت به من افتقارك لمن يأخذ بيدك في الإعانة على مباشرة الأعمال المنوطة بديوان أشغالنا السعيدة بذلك الثغر الطنجي حرسه الله، وطلبك الإذن في رجوع الحاج مَحمد اللبادي أو تعيين من يقوم مقامه مع من لا بد منهم من الطلبة الكتاب لما شرحته من حال الأشغال المقتضية لذلك، وصار بالبال، وقد كان ذلك مختلجا بالصدر وعزم اهتمامنا مصروفا إليه قبل طلبك لاستفادتنا ما شرحته من سياق الحال، وكنا نتروى في كيفية ترتيب الموظفين لذلك، إلى أن أطلع علمنا الشريف بوقوع الحافر على الحافر، فتعين إنجاز المراد، واقتضى نظرنا الشريف تعيين ولدك الحاج أحمد خليفة لك، لما بلغ عنه من قيام الأهلية به، لكونه ناشئا في التمرين على حميد سيرتك ومتانة ديانتك وكون الولد أولى بشد أزر والده وأرعى للمحافظة على حمى خطة أبيه في مصادره وموارده، حقق الله فيه الفراسة وجعله على أثرك، على أن تكون جميع المكاتب الصادرة هناكم صغيرها وكبيرها ولو مجرد أجوبة، مختومة بعلامتك لا بعلامة غيرك. وأما الحاج مَحمد اللبادي، فقد اقتضى نظرنا الشريف إعفاءه من تلك الخدمة، وها كتابنا له بذلك يصلك طيه. وقد أنعمنا عليك بالانتفاع بالأملاك التي لجانب المخزن بيده، وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك أيضا، كما أذنا لك في تعيين أربعة من أنجب الطلبة الذين توفرت فيه الأهلية المناسبة لضبط الأشغال وإتقانها وإجراء عملها على مقتضيات أصولها وكتمان أسرارها، وجعلنا لك النظر في انتخابهم من تطوان أو العدوتين أو غيرهما من المدن، ومن ثبتت عندك أهليته فلتكتب عليه للخدمة المذكورة، نعم نأمرك أن تجتنب استكتاب أحد من أهل ذلك الثغر الطنجي، فإنهم

لا يصلحون لذلك من وجوه. وجعلنا لك في راتبك الشهري الخاص بك ثلاثمائة ريال، ولخليفتك مائة وخمسين ريالا، ولكل واحد من الطلبة الأربعة خمسة وسبعين ريالا، وها كتابنا الشريف للأمناء بتنفيذ ذلك وإسقاط ما كان قديما لك ولخليفتك، والكتاب يصلك طيه لتدفعه لهم على يدك، وإن عرض لك في بعض الأحيان أمر يقتضي زيادة المعين أو جعل مباشرة خاصة فيه مع أحد من النواب وظهر لك التعاون بالقائد عبد الله بن سعيد أو الأمين الطالب بناصر غنام، أو استنابة أحدهما في مباشرة الكلام مع بعض النواب على وجه الإعانة فقط ما داما هناك، فلك ذلك. وها كتابنا الشريف لكل واحد منهما بمقتضاه يصلك طيه، والمقصود بهذا كله توسعة الدائرة لك في تفرغ بركة فكرتك لاستيعاب ما هو منوط بك في موارد الأشغال وتدبير المتعين في مصادرها وعدم إتعابك بمناولة ما هو من شأن المتوظفين لديك، ونسئل الله أن يمدك بالمعونة والتيسير والبركة في العمر والدين، إنه ولي الإجابة وهو على كل شيء قدير، والسلام. في 7 ربيع الثاني عام 1316".

وكانت بيد الحاج محمد اللبادي أملاك مخزنية بطنجة ينتفع بمستفادها، فلما أعفاه السلطان من وظيفه، أنعم بمستفاد تلك الأملاك على النائب الطريس، وصدر بذلك ظهير سلطاني هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأبقى في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، أننا أنعمنا على ماسكه خديمنا الأرضى الأنصح الحاج محمد ابن الحاج العربي الطريس بالانتفاع بالأملاك التي لجانب المخزن بيد الحاج محمد اللبادي التطواني ليتعاون بمنافعها على القيام بخدمة أشغالنا السعيدة بذلك الثغر الطنجي حرسه الله، فنأمر الخديم اللبادي أن يتخلى له عنها، والسلام. في 7 ربيع الثاني عام 1316".

وكتب السلطان بذلك إلى أمناء مرسى طنجة رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خدامنا الأرضين أمناء مرسى طنجة المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فإن أملاك جانب المخزن التي بيد الحاج محمد اللبادي، قد أنعمنا على خديمنا الحاج محمد الطريس بالانتفاع بها، وأمرنا اللبادي بالتخلي عنها، وأعلمناكم لتحوزوها منه وتمكنوا الخديم الطريس منها على مقتضى ظهيرنا الشريف الصادر له بها، والسلام. في 7 ربيع الثاني عام 1316".

وهذه رسالة يستفهم فيها نائب دولة البرازيل بطنجة عن الأفيون هل هو داخل في امتياز الاحتكار أم لا، ونصها:

"الحمد لله وحده

جناب المحترم العاقل اللبيب نائب الحضرة الشريفة العالية بالله الفقيه سيدي الحاج محمد بن العربي الطريس، لا زال السؤال عنك نطلب الله أن تكون بخير، فالمطلوب من جنابك المحترم أن تخبرنا عن الأفيون هل هو داخل في مبيع كنطردة الطرقة بإيالة مراكشة أم لا، أجبنا مجازى خيرا، وعلى محبتك والسلام. في 13 شتنبر سنة 1898 الموافق 26 ربيع الثاني عام 1316. نائب الإيالات المتحدة البراسلية بالغرب جاكوب أطياس بطنجة".

وهذه رسالة سلطانية في شأن حجز بعض الولاة المغربيين بالريف لسلع من بعض الأجانب، ونصها (بعد الثلاثة):

" خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد أطلع علمنا الشريف بما أخبرت به من تكرر شكاية الصبنيول والطليان عليك في شأن المقبوض من سلع تجار الجنسين على يد كبيري محلتنا السعيدة بالريف وكتبك في ذلك للكبيرين المذكورين وجوابهما باستنادهما في التثقيف لما عندهما من أمرنا الشريف بذلك، ذاكرا أنه كان من حقهم أن يقدموا لك الإعلام بما عندهم من الأمر في ذلك لتبصرهم بكيفية التمشي فيه لكون ما ثقفوه ليس من قبيل الكنطربانض الممنوع الوسق حيث إن صناديق زيت الكاز المثقفة موسوقة من مرسى طنجة بورقة أمنائها ومرزاية والسكر والأتاي موسوقة من مرسى تطوان بورقة أمنائها أيضا، وجريان العادة في الجلد واللوز بجلبهما لمرسى تطوان ووسقهما لها من الريف، وأنه لأجل ذلك كتب نائب الصبنيول مسترعيا بما وجهته وصار بالبال. وقد وصل كتاب نائب الصبنيول الذي أشرت إليه وأطلع علمنا الشريف بمضمنه، غير أن الصادر لكبيري المحلة المذكورة إنما هو تجديد لما صدر قبل لمن تقدمهم، وصدر لك الإعلام به أيضا بتاريخ الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام أول وكل ما صدر بعده من المكاتيب كان يحاول فيه عليه. وها نسخة منه باللفظ تصلك طيه لتعيد مراجعتها وإمعان النظر فيها، فإن كنت سلكت مع نواب الأجناس ما أمرناك به من الإعلام لهم بالعمل الذي قرر لك فيه فيتعين أن تجيب نائبي الصبنيول والطليان عن السلعة التي يطلبون تسريحها، إذ المقصود بتقرير ذلك لهم في إبانه هو أن يكون استرعاء عليهم فيما عسى أن يعثر عليه بعده ولا يسوغ لهم كلام فيه، وإن كنت لم تعلمهم بذلك فيكون تفريطا وهو الذي أحوج إلى قيامهم بالكلام الآن مع كون المخزن معتمدا على ما قدمه لك وعده مؤسسا مع النواب. والدأب غالبا في المكاتيب التي جددت لك بعد الكتاب المذكور أن

يحال فيها عليه. وأما التعليل بكون الكاز موسوقا من مرسى طنجة بالبطاقة ومرزاية والسكر والأتاي من مرسى تطوان كذلك. فتأمل في هذه العلة هل تكون مسوغة لقبول السلعة المذكورة مع ما قدمنا لك تقريره من علة المنع التي هي أقوى من هذا كله، وهي أن موضوع السلعة التي تسرح من مرسى إلى مرسى خاص بالمراسي المفتوحة للوسق والوضع، والحالة أن المخزن لا مرسى له مفتوحة بالناحية المذكورة حتى يسوغ أن يسرح لها ما يتوجه من المراسي ويقبل ما يأتي منها بلا أعشار وكون الأمناء لا إذن عندهم من المخزن بالجري على ذلك وكون قوارب أهل الريف ممنوعة الروجان في البحر بالوسق. وقد تقدم على يدك الاسترعاء على نائب النجليز بعدم قبولهم فلانك المذكورين بجبل طارق وعلى نائب الصبنيول كذلك فيما يتعلق بناحيتهم. وأي علة للقرطوس الذي وجد مع ذلك وأنت تعلم أنه على فرض العثور على مثل ما ذكر بالمراسي المفتوحة للخدمة فإن ما يوجد فيه المسائل الحربية يحاز كنطربانض بما يوجد معه. والحاصل فإنه لم يظهر وجه الترخيص للمذكورين في تسريح السلعة المشار إليها باعتبار ما قررناه. وقد أجيب نائب الصبنيول بما تصلك نسخة منه وأحيل فيه على مباشرة الكلام في ذلك مع الأمين السيد بناصر غنام الذي صدر له الأمر بذلك وبمباشرته الكلام مع نائب الطليان أيضا لتطالعه على هذا الجواب وعلى النسخة الواصلة إليك طيه مما كتبنا لك به أول وعلى نسخة كتاب نائب الصبنيول الأصلي ونسخة جوابه وتدفع له أيضا نسخة مما كتب لك به النائبان المذكوران قبل وتزيده تبصره بما يستعين به على مباشرة العمل. وقد أصدرنا أمرنا الشريف لكبيري محلتنا السعيدة بالريف بإبقائهم ما ثقفوه تحت أيديهم على وجه الأمانة حتى يتبين لهم العمل فيه. وإذا توقف الأمين غنام في المباشرة على تسريح السلعة البحرية فاكتب لهما بدفعها لمن تعينه لهما ويقبضان خط يده بالحيازة، والسلام. في 24 جمدى الثانية عام 1316".

وكتب النائب الطريس من طنجة إلى كبيري محلة السلطان بالريف (وهما مولاي بوبكر بن الشريف والقائد محمد بن البغدادي) رسالة أمرهما فيها بالكف عن التعرض للمراكب التي تحوم حول سواحل الريف. فكتب الكبيران المذكوران إلى الوزير أحمد بن موسى رسالة هذا نصها بعد المقدمات:

"وبعد فاعلم سيدي أن النائب السيد الحاج محمد الطريس كتب لنا بأن جميع الفلانك والباركيات بهذا الساحل كلها للأجانب فلا تقربوا ساحتها، وكتب أيضا بالنهي والتحذير والتخويف من ذلك، وقد رفعنا اليد عن ذلك وطيرنا الإعلام لسيادتك لتأمرنا بما يكون عليه العمل. وكثرة الفلانك التي تحوم بهذا الساحل من غمارة إلى أجدير من بني ورياغل لمرسى النكور هي لليهودي بنط التطاوني، واعلم سيدي رعاك الله أن أهل أجدير يتصارفون مع النصارى

بحجرة النكور كما كان بقيوة، وأعلمنا سيادتك لتكون على بال، وعلى المحبة والسلام. في 20 رجب عام 1316".

وقد أجابهما الوزير المذكور برسالة هذا نصها بعد المقدمة:

"وبعد وصل كتابكما معلمين بما كتب لكما به خديم سيدنا النائب السيد الحاج محمد الطريس من التعريف بكون جميع الفلائك والباركيات التي تروج بتلك المياه كلها للأجانب وكفكما عن العود لمد اليد فيها فكففتما حتى تومرا بما يكون عليه عملكما، معلمين بأن أكثر الفلائك التي تحوم بتلك السواحل هي لليهودي بنط التطواني، وأن روجانها من النكور إلى غمارة إلى أجدير من بني ورياغل، وأن مصارفة أهل أجدير مع الأجانب كمصارفة بقيوة، فأنهينا ما ذكر لعلم مولانا أيده الله وصار بباله الشريف، كما كتب النائب المذكور أيضا بالإعلام بذلك للحضرة الشريفة لموجب اقتضاه الآن. وعليه فيأمركما سيدنا أيده الله أن تكفا الآن عن ذلك العمل إلى أن يتم صفاء الكلام الرائج فيه ويبين لكما ما تمشيان عليه بحول الله، ثم يأمركما أعزه الله أن تبحثا من الثقاة المأمونين ممن لهم مزيد معرفة واطلاع على سواحل الريف كلها القريبة منكما والبعيدة عنكما وتأخذا منهم بيان جميع النقط التي تروج فيها الفلائك من السواحل المذكورة بكل قبيلة، وعدد الفلائك التي بكل نقطة وأسماء رياسها الذين يستخدمونها ولمن تثبت ملكيتها هل لرئيسها أو لغيره كبنط المذكور حتى تحرروا حقيقة الواقع على الوجه التفصيلي من طرق متعددة وحتى إن لم تحصل الكفاية بالنقل الذي يعتمد عليه في تحقيق بعض النقط من الساحل المذكور ودعت الضرورة إلى معاينة محله، فلتوجها من طرفكما من يوثق بمعرفته ونباهته وصدقه لذلك المحل خفية حتى يحقق لكما الواقع فيه ويأتيكما ببيانه وعجلا بالإعلام بشرح الجميع في تقييد على الوجه التفصيلي. وأما أهل أجدير فيأمركما سيدنا أيده الله أن تستحضرا لديكما كبراءهم ومن يسمعون كلامهم ويتعادون لاشارتهم وتخاطبا هؤلاء المستحضرين لديكما بليونة وتلطف على سبيل النصيحة لهم بما بلغ عنهم من المصارفة مع الأجانب بالفلائك وغيرها مع أن جانب المخزن قد ثبت عنده ثبوت اليقين أن جميع الفلائك التي لأهل الريف بتلك السواحل فيها مفاسد عظيمة ومضار خطيرة لهم في دينهم ودنياهم، وأنه إذا بلغ جانب المخزن خبر اختصاص فرقتهم بهذه المصارفة وارتكابهم ما كان يرتكبه غيرهم من المفاسد بتلك الفلائك، فإنه لا يسكت على ذلك ويخشى عليهم من سطوته وإلحاقهم بالفساد في المعاقبة، وتشيرا عليهم بأن الأصلح لهم في دينهم ودنياهم هو ترك المصارفة مع الأجانب بحيث لا يعودوا لقرب شيء مما بلغ عنهم ولا لمعرفة أحد من أهل النكور أو غيرهم ولا لمن يحوم حماهم ويتبرعون منهم ويتركون الاشتغال بتلك الفلائك التي أوقعتهم في ذلك ويسلمون في الربح

الذي يأتي منها صيانة لدينهم وأعراضهم من أعداء الدين الذين لا يريدون بهم خيرا، إلى غير ذلك من وجوه التحذير والإنذار. ثم اجعلا الجواسيس عليهم خفية لاستيعاب أقوالهم وأفعالهم ببلادهم حتى يظهر ما عليه انطواء ضمائرهم من استقامة ورجوع للجادة أو غير ذلك، وأعلما بما تحرر لديكما من أمرهم، وعلى المحبة والسلام. في 23 شعبان الأبرك عام 1316".

وهذه رسالة من الوزير أحمد بن موسى في شان قضية قائد له علاقة بالأجانب، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى النائب الأجل السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابك معلما بما كتب لك به القائد الحاج المعطي بن الكبير المزامزي في شأن الحاج المعطي بن التهامي العريبي من زنانة من إيالته الذي قتل رجلا من إخوان العامل المذكور ظلما وتعصبا بمخالطة منويل الصبنيولي بالدار البيضاء، وجوابك له بالإذن له في القبض على الرجل وإعلام قنصل الجنس المذكور به على مقتضى الشروط، ولما حاول القبض عليه فر لطنجة مع أخيه صحبة التاجر المشار إليه، فكتبت لنائب الجنس بالواقع، وعارض بعدم صحة ما نسب لهذا العريبي، مدعيا أن العامل هو الذي أخذ أمتعة التاجر الذي عنده وطلب رفع النازلة لجانب المخزن أعزه الله ليعمل البحث فيها من خارج بحيث إن ثبت ذلك على الرجل فلا كلام له في إسلامه لعامله، وإلا فيكون النظر لجانب المخزن. وإن أخ القاتل بعدما رام بعض تجار الجنس المذكور اتخاذه سمسارا أجبته بعدم القبول لكونه شريك أخيه في الجريمة. وقد وصل كتاب باشدور الجنس المذكور في القضية بمضمن ما قررته في شأن الح المعطي ابن التهامي وبطلب إعمال البحث على يد المكلف من قبل جانب المخزن ويد قنصلهم، وأجيب بالمساعدة على ذلك، على أن يتوجه واحد من قبل عامل الدار البيضاء صحبة المسلم الذي يعين من قبل القنصل ومن يقيد لهما ما يتلقيانه من جوار محل الوقعة الذين لا علقة لهم بالعامل ولا بالقاتل، وحيث يرد الجواب بتحرير البحث في النازلة يظهر وجه الحكم فيها، وها جوابه يصلك طيه لتدفعه له، وأما أخ القتيل فلتكن على بال من عدم قبول مخالطته لأحد من الأجناس حتى يتضح منال القضية بحول الله، وعلى المحبة والسلام. في 7 شوال عام 1316. أحمد بن موسى لطف الله به".

وهذه رسالة من أميني مرسى الصويرة عن سفر البابور المغربي "التركي" وحمل المؤنة إلى طرفاية، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأجل ونائب مولانا الأسعد الأفضل سيدي الحاج محمد بن العربي الطريس، أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا

المنصور بالله، وبعد فقد وصلنا كتاب سيادتكم بوصول البابور السعيد التركي بما معه من المكاتيب مع الأربعة والثلاثين ريالا من قبل المعلم أحمد الحجام، وعلمنا قول سيادتك عن استعجال نهوض البابور من هنا لما طرأ من هيجان البحر وأذنت في تطيير الإعلام في شأن ما يتعلق بطرفاية من الأشغال الخاصة بها هل استوفاها البابور التركي كلها أو بقي شيء منها يحتاج لأجله توجيه البابور السعيد بعد هذا لتوقف التركي على الإصلاح وربما يطول وكون الحسني لا زال في الإصلاح أيضا الخ. فلتعلم رعاك الله أن جميع أمور طرفاية من مونة وغيرها فكله توجه البابور التركي والمونة عن أشهر تسعة أي نحو النصف من الحطب والماء هو الذي عجز البابور عن حمله وأما ما عدى ذلك فكله وصل إليها نعم الوفد المعين لاختيار مراسي سوس الذي منه الزبير اسكيرج لا زال هنا والنص على إركابهم في البابور الحسني وذلك قبل أن يحدث إصلاحه بطرفكم لتكون سيادتك منه على بال، وعلى الله بلوغ الأمل. وقد وصل فيما قبل تاريخه بأيام قلائل مركب ثالث من الفحم البالغ الغاية في الجودة بأطوان 306 – على يد موسى أفلالو وأودعناه الخزين المعد له. هذا فإن الرئيسين المسلمين المستخدمين في البابور التركي نزلا يوم سفره لقضاء ضرورياتهما فتأخرا شيئا عن رئيسه فركب فلوكته من غير انتظارهما، وبنفس وصوله للبابور سافر به، وقيل إن ذلك نكاية لهما، وإلا فلا كبير أمر حدث لإزعاجه للسفر بدونهما مع ورودهما للركوب وفلوكته لا زالت لم تصل للبابور، وها نحن وجهناهما صحبة هذا البابور الصبنيولي وأدينا الكراء عنهما، وعلى المحبة والسلام، في 2 ثاني قعدة الحرام عام 1316. أميني التعشير بالصويرة أحمد برادة وفقه الله. محمد الحاج لطف الله به".

وهذه رسالة من الوزير أحمد بن موسى عن حادث وقع بمراكش في ساحة ألعاب عاشوراء بين حرّاب (ضابط فرنسي) وأشخاص مغربيين، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى النائب الأجل السيد الحاج محمد بن العربي الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وقعت حادثة في يوم من أيام مشاهد موسم عاشوراء بهذه الحضرة المراكشية، وذلك أن من العادة المقررة في هذا الموسم الكبير عند أهل البلد استعمال فرجات متنوعة، ومن جملتها نصب آلات تعرف بالنواعير في فضاء المحل المجاور لجامع الربح ويحضرها الجم الغفير من الناس صغارا وكبارا لمشاهدة دوران الصبيان في تلك النواعير. ثم إن القبطان الفرنصيصي أحد الحرابة المصاحبين للركاب الشريف قدم لهذا المشهد ليأخذ صورته بآلة التصوير،

وكان معه أحد الطبجية المدفوعين لهم بقصد الأخذ بيدهم فيما يحتاجون إليه من الضروريات، وكان جموع الصبيان يتزايدون فيما بينهم على آلة من تلك الآلات، إلى أن سلمت لإحدى الجماعات، ومن المتعارف أن الفئة التي تسلم لمزايدتها في الناعورة يقع صراخ جميع الناس الحاضرين عليها ويحدث بسبب ذلك ضجيج كبير على العادة المشهورة عند الخاص والعام. ولما حدث ذلك الصراخ أخبر الطبجي المذكور القبطان بأن الصراخ واقع عليه، فغضب لذلك القبطان وأخذ الطبجي عصى كانت بيد أحد الواقفين للفرجة، وصار يضرب بها جميع من صادفه، ومن جملة من أصيب بالضرب المذكور وصيف صنو سيدنا المنصور بالله، فجرح بها جرح مضر فوق حاجب عينه، فاشتكى الوصيف المذكور على الحضرة الشريفة وأمر خليفة عامل المدينة بتحقيق القضية، فأحضر الخليفة عدلين وحضر معهما ترجمان الحراية وتلقيا من الطبجي الإقرار بصدور ذلك منه، ولما تحقق عند الجناب الشريف أن الطبجي ظالم فيما فعله وأنه كاد أن يتسبب في فتنة عظيمة بوسط جموع هذا الموسم، أمر أعزه الله كبير العسكر السعيد بتربيته، فوجه عليه كبير العسكر للكمندار بطلبه منه إحضاره فأحضره، وحيث حضر لديه وأقر أيضا بما فعل، وجهه للسجن، فورد الكمندار على كبير العسكر السعيد صحبة ترجمانه مستفهما سبب سجن الطبجي وأجابه ببيان السبب فأجابه الكمندار بمحضر ترجمانه وترجمان كبير العسكر بأنه لا تلزمه تربية لأنه هو الذي أذنه بفعل ما فعل وهو المواخذ بذنبه، وصار يطلب منه تسريحه بإلحاح وغلظة قائلا وإلا فيكتب للباشدور، فأجابه كبير العسكر السعيد بأن هذا الطبجي وأمثاله من الأصحاب الذين يدفعون لهم بقصد الأخذ بيدهم في ضرورياتهم ليسوا مأذونين بامتثال كلام الحراية فيما يؤدي إلى الضرب والجرح وإحداث الفتن كهذه الصورة، ومن ارتكب منهم شيئا من ذلك يؤدب بحسب جريمته، وأنه قد عين لهم بدل الطبجي المذكور، وأن الكتب للباشدور ليس من وظيفه الكلام فيه، وانصرف لحاله. وتعين تطيير الإعلام لك بالواقع على وجهه لتلاقي نائب الفرنصيص وتقرر له ما ذكر على وجهه التفصيلي ليعرف حقيقة القضية وسببها ومآلها ويمعن النظر في كلام الكمندار من أصله وفي الفرق بين نفس مخاطبة الرئيس للمرءوس وبين نفس مخاطبة المرءوس للرئيس وما يترتب على ذلك من سريان وجوه المضار العظيمة التي لا يبقى معها صيانة للتنظيمات العسكرية، وتعرفه بأن هذه الحادثة إنما هي واحدة من عدة قضايا سابقة لا يقابلهم المخزن فيها إلا بغض الطرف وعدم التشكي رعاية للمحافظة على الخواطر وعدم الخوض فيما يكدرها، وإن أراد شرحها له فتشرح، لكن لما علم أن هذه القضية بالخصوص لا بد أن يصل خبرها لنائب الجنس المذكور وربما تقلب فيها الحقيقة وتصل على غير وجهها،

تعين شرح الواقع لك لتقرره له ثم تكتب له إثر مفارقته بجميع صيرورتها وتعلم بالمآل، وعلى المحبة والسلام. في 19 محرم عام 1317. أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به".

وكان داء الامتيازات الأجنبية ينخر عظام الشعب المغربي ويحفر قبر الدولة المغربية، وكان رجال المخزن يسعون في تدارك الأمر، ولكن الداء كان قد استفحل وتمكن من الجسم العليل الذي لم يمكن علاجه.

ودونك رسالة كتبها السلطان إلى النائب الطريس، وفيها التعرض لبعض ما كان رجال الدولة المغربية يشعرون به من مفعول ذلك الداء الفتاك، وكيف كانوا يعملون لتلافي علاجه بالمفاوضة الودية مع نواب الأجناس التي كانت تتمتع بتلك الامتيازات، ولكن ذلك المسعى لم تكن له نتيجة، فسقطت الدولة المغربية صريعة، ونكب الشعب المغربي بالوقوع تحت السيطرة الأجنبية التي انقلبت معها الأوضاع وأدخلت الأمة المغربية في حياة لا عهد لها بمثلها، والبقاء والدوام لله وحده. والرسالة المذكورة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(ثم الطابع الكبير للسلطان المولى عبد العزيز)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فغير خفي ما ظهر من اتساع دائرة الخرق فيما عليه التجار وغيرهم من الأجانب القاطنين بإيالتنا السعيدة من التعرض على رعية المخزن في تنفيذ الأحكام اللازمة وبنائهم ذلك على ما لا يقتضيه شرط ولا قانون، حتى كاد تعرضهم يستأصل الخاص والعام من الإيالة، وأفضى إلى تعذير الأحكام وإفساد النظام، مع أن سيدنا الوالد قدس الله روحه كان أسس العمل مع نواب الأجناس في موضوع الحماية من أصلها وما يتفرع عنها بما يوقف الأمر في ذلك كله عند حدودها وينضبط به إجراء كل صورة من صور الحماية على مقتضياتها بحيث لا تنفتح على المخزن ذريعة مفسدة في رعيته ولا يتعذر له نفوذ حكم في إيالته حسبما يعلمه كل من وقف على فصول – 18 - وفق مادريد وحك ألفاظها وأعطاها من التأمل والنظر حقها وحرر المقصود من مطلقها بمقيدها والمراد من مجملها بمفصلها، لاكن لما قضى الله سبحانه بوفاة سيدنا الوالد قدس الله روحه، ظهر ما ظهر من الفساد في بعض القبائل ولا سيما القبائل الحوزية، فرددنا الوجهة لتمهيد أول مهم من تأمين السبل وتحصين أعراض وأموال الوطنيين والأجانب وتسكين روعة البلاد والعباد بردع الطغاة والتقاط جملة رايات الفساد وإجراء المخزن عليهم ما يستحقونه من العقاب لما ارتكبوه من الوقائع الفظيعة التي منها هجومهم على دور العمال ونهبهم ما كان بها من أمتعة بيت المال واستبدادهم بذلك وتقويهم به على مقابلة المخزن بما لم

يتدبروا عاقبة رجوعه عليهم بالوبال، إلى أن حل ركابنا الشريف الحضرة المراكشية بسلام وسكنت روعة الإيالة ونشر الله عليها ظلال الإنابة والهدوء والاطمئنان، لكن لما علم الخائضون ما أسلفوه وتيقنوا صرف الوجهة إليهم بإلزامهم رد ما هم متبوعون به من رد المظالم وأخذ الحقوق، صاروا يفرون من بلادهم ويتغيبون عنها، ولما سمعوا بتقييد الوقائع وتجريد أهل الجرائم فيها ومعرفتهم اسما وعينا وفعلا وأمر عمالهم بترصدهم للقبض عليهم، أكبوا على الفرار للثغور، ملتمسين التلبس بالسمسرة من غير اعتبار شروط تسويغها أو المخالطة على اتساع دائرتها، مع أنها لا أصل لها من الشرط في الحقيقة، وصارت مكاتيب عمال المراسي ترد على عمال القبائل بالتعريف بسمسرة فلان أو مخالطته، وكلما أجاب عامل القبيلة بما عنده في الرجل وعدم قبوله لأجل ما ذكر، يتصدى القنصل لمحاورته ومحاججته بتعليل كلام العامل وإن كان صحيحا، والانتصار والتعصب لمراده ومراد تاجره وإن كان في الشرط واهيا طريحا. وإذا رد الكلام لكبرائهم بطنجة صاروا لا يتكلمون إلا بكلام قناصلهم من غير تدبر لمعناه ولا اعتبار لشروط ولا قانون فيه، وحتى إن روجع أحدهم ببيان الواقع وتقرير منشأ المخالفة في فهم الحقيقة التي لا يسوغ لأحد أن يحيد عن مقتضاها، صار يرد تلك المراجعة بكلام جزافي لا مستند له من حقيقة الواقع ولا من مقتضيات الشروط، وإنما يستند في ذلك للوقوف مع ظاهر لفظ صاحبه حملا له على الصدق من غيره بحث معه فيما يدعيه، ويتصامم عن مقال خصمه الذي راجع به المخزن وعن تصديق حجته. فعظم الأمر معهم وكثرت المشاق وتوالت المكدرات ونحوها وانحلت عرى الأحكام وأفضى ذلك إلى الوقوع في أضرار عظيمة كتحمل المخزن من الغرامات الطائلة ما هو خارج عن دائرة الحق والإنصاف، وبذله أيضا الأموال التي لها بال في صوائر الحركات وغيرها من وجوه التمهيدات المنوطة بهذا الشأن، ومع هذا كله لم يتم التمكن من أهل الدعارة والفساد، بل لا زال فساد جلهم في ازدياد، حيث كان فسادهم قبل بمجرد المبارزة ويد المخزن من ورائهم، وقد صار اليوم بالتعرض عليهم وعلى أمثالهم والترامي بالباطل على كل من رام كفهم أو لم يبال به فيهم أو نحو ذلك. وبهذا لم تتم استقامة أحوال العامة التي بها يتم تمهيد الصلاح في الرعية ويحصل الأمن المطلوب في النفس والمال. وحيث تفاحش الأمر بما ذكر وتعين تدارك علاجه بالمتعين فيه، اقتضى نظرنا الشريف تكليف خديمنا الأرضى القائد عبد الله ابن سعيد السلوي بمباشرة الكلام مع نواب الأجناس في هذا الموضوع وما تفرع عنه من فصول المضار التي تذكر، بعد استيعابه النسخة الواصلة إليه صحبة كتابنا الشريف الصادر بتكليفه بما ذكر من وفق مادريد بمجالسها ليستوعب المجالس التي كالشرح لها حتى

يجري مبنى كل فصل من الفصول التي حرروها بطنجة ويتفاوض معك ومع الخديم الأمين الطالب بناصر غنام، ويتعاون بزيادة استفادة ما عندكما، حيث إن جزئيات المضار المتفرعة عن هذا الموضوع أربت على الحد. وقد أمرناه بذلك ليتوافق معكما على ما تفتح به المباشرة مع النواب، وتعلمهم أنت بما كلف به هو من الملاقاة معهم لغرض مخزني. وعليه فإذا استجمع تحرير مقدمات الشروع في العمل وتلاقى بالنواب، فلتكن مباشرته أولا بحسب ما يقتضيه كل فصل من الفصول من المشافهة أو الكتابة إن تعينت مع ملاحظة لمقتضيات الأحوال وزيادة تمام التثبت والتروي. والمقصود من هذا كله أن يقرر لهم أولا ما لحق المخزن من المضار الناشئة عما عليه الخائضون في أسبابها تقريرا إجماليا لأنهم أعرف الناس بتفاصيلها، بل هم المعينون لهم على إحداث هذه الخوارق التي لا زال أمرها في الزيادة، وينافس بعضهم فيها بعضا. فمن ذلك إقرار العمل في السمسار على حقيقته المقررة في وفق مدريد، وذلك إنما يكون لمن تكون له تجارة قائمة لا لغيره وإن المقصود به في كل أرض هو أن يكون واسطة في البيع والابتياع بين التاجر وبين البائع والمشتري، وذلك لا يتصور إلا في الحضري. وأما اتخاذ السماسرة من البادية الذين لا يفهمون معنى السمسرة ولا حدها، فلا يخفى ما تحلل هذه الإيالة من المضار بسببهم، لأن البدوي لا يفهم منها إلا جلوسه بخيمته لجمع المواشي وتسويغ حمايته للدوار كله مع جميع أقاربه من دواوير غيره فيتخذ بعضهم سراحا وبعضهم خماميس وبعضهم كذا وبعضهم كذا حتى صار كل من توهم التوصل إليها يكون هو الطالب الراغب فيها ويعطي عليها العطاء ليكون كالعامل في الأمر والنهي لكل من ينحاش إليه من العامة ويستخدمهم في شؤونه ويقبض على من شاء منهم ويتلصص بهم على من كان أجنبيا ويتعرض عليهم في الواجبات والكلف وأداء الحقوق، وإذا تكلم العامل في ذلك لبّس ذلك البدوي بالادعاء عليه بنوع من الأباطيل، فيصير العامل مطلوبا بعد أن كان طالبا. والمقصود هو أن السمسار لا يكون إلا للتاجر المعتبر في التجارة والعدد كل على نسبة متجره والنهاية محصورة في اثنين. وأما السمسار الثالث مع الكلام في السمسار البدوي فقد أمرنا الخديم المذكور باستفراغه جهده فيهما. وأما من لا تجارة له معتبرة في الوسق والوضع فلا سمسار له أصلا. وزاد الأمر فسادا بالمسمى مخالطا، فكان المخزن يجيب عنه من حيث إن التاجر إذا اشتكى يشد المخزن له العضد في متاعه فاتسعت الدائرة حتى صار ذلك المتعلق به الكلام يسمى بالمخالط، وصار هذا الاسم معدودا عندهم من أنواع الحماية، وصار تصرفه به مثل ما قرر في سمسار البادية أو أكثر من غير موجب لاحتمائه بمقتضى الشروط ولا غيرها. وهذا أول ما يتعين أن يحرر الكلام فيه حتى يضرب عن لفظه ويبطل عمله

بمقتضى الوفق المذكور، ثم إذا حرر المناط معهم في موضوع السمسار فليحدد معهم إجراء دفع ورقة السمسرة على مقتضى الوفق المذكور بأن يكون دفعها مقصورا على نائب الجنس بطنجة لك بحيث لا تقبل كتابة القنصل بالإعلام بها لعامل المدينة ولا يعمل بما فيها ولا تقوم حجة بها، وكذلك التقييد السنوي إنما يدفعه نائب الجنس بطنجة لك وأنت توجه الإعلام بذلك على يدك على مقتضى ما في الفصل السابع والثامن من الوفق المشار إليه. ومما يتعين الكلام فيه بعد تصفية أمر السماسرة وما ألحق بهم، الكلام في التاجر نفسه من هو، فإذا كان أجنبيا من إيالتنا السعيدة وليس من أبناء وطنها، فأمره مسلم، ويجري في تجارته على مقتضى الوفق، وأما إذا كان من أبناء المغرب ومن رعية المخزن مسلما أو يهوديا، فما وجه اتخاذه السمسار؟ وأي حيثية يستحق بها ذلك من الوفق المذكور مع رفع الحماية؟ فلتتأملوا في هذا الفصل وفيما يترتب على إهمال الكلام فيه من المضار، وفي تحرير الوجهة الموصلة للكلام فيه مع النواب، ليكون الكلام معهم في ذلك بوجه سائغ مقبول.

ومن ذلك الكلام في أهل الحماية المعروفة عندهم بالنطرلزيس، فإنه لا بد من جعل ضابط للمصارفة مع أصحابها يكون جاريا على مقتضى الوفق المذكور، وهو أن المتوجه يكون يقيد عندك بطنجة عند توجهه منها أو من غيرها لبلاد الأجانب، وتاريخ توجهه، وعند وروده بورقة الحماية المذكورة، تأخذ نسخة منها وتنظر ما في الأصل من المدة، بحيث إذا كانت موافقة جارية على قانونها، فتجريه على مقتضى الوفق في المدة المعينة، وتكتب لعامله بإجرائه على مقتضى الوفق في المدة، ثم بعد انصرافها يجري مجرى الرعية المخزنية أو يذهب لحال سبيله. ويكون أمناء كل مرسى من مراسينا السعيدة يضبطون تقييد البشاجير من المسلمين واليهود في الذهاب والإياب بمقتضى ما قرر أعلاه، ويعلمونك على رأس كل شهر بمن سافر ومن رجع ومن لم يرجع.

ومن ذلك ما هو غير خفي من وجوه الضرر الداخل على جانب المخزن ورعيته بسبب تعاطي بعض القناصل للتجارة، إذ من لازمها حدوث الدعاوي والمحاورة في الكلام بين جانب العامل وبين القنصل، وكل منهما حاكم، فيكون القنصل حاكما لنفسه، والخصم لا يستخرج الحق لنفسه إذا ترتب عليه، وحتى إن كانت دعاويه الخاصة به ترفع لكبيره بطنجة، فيلزم ضرر آخر هو تسببه في تصعيب وتعكيس ما يروج على يده من دعاوي جنسه، فيبقى عامل البلد معه في مشقة وحرج دائما، على كل حال فلا بد من جعل تاويل مع النواب بإجراء العمل في سائر القناصل أو من في معناهم من كل من بيده الحكم بمقتضى الشروط، على عدم تعاطي التجارة، وحتى إن لم تحصل مساعدة منهم

على ذلك بوجه ولا بحال، فلا أقل من أن تكون دعاوي القنصل أو من في معناه جارية مجرى دعاوي التجار، ولا تباشر إلا على يد كبيره ويدك بطنجة.

ومن ذلك ما صار التجار يرتكبونه في مدينة استقرارهم من إطلاقهم ما لهم في ذمم الأفاقيين من غير ضامن كأعراب البادية الذين لا يأتون تلك المدينة إلا لتسوقهم إن أرادوا، ثم إذا غاب ذلك المدين الأعرابي، يصير التاجر يطالب عامله بإحضاره أو أداء ما عليه، وهو إنما أطلقه بالمدينة وفرط في حكمه الجاري، حيث لم يأخذ ضامنا من أهل البلد عند معاملته، ليكون ضامنا لإحضاره عند الغيبة، فلا بد من جعل تاويل معهم في هذا الفصل أيضا، بحيث لا يطلق التاجر لمثل المذكورين إلا بضامن من أهل المدينة، ليرتفع ضرر هذه المشقة عن حكام المخزن وعن قناصلهم أيضا.

وقد أصدرنا كتابنا الشريف للخديم الأمين الطالب بناصر غنام بمضمن ما ذكر، لتجروا جميعا العمل في المفاوضة مع الخديم ابن سعيد المذكور على نحو ما قررناه، وتعلموا بالمآل، وبالله التأييد والتسديد في التدبر والمقال، والسلام. في 27 محرم عام 1317".

[66] "الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فغير خفي أن الفقيه السيد أحمد رحمه الله كان مصدرا عندنا لأمورنا الداخلية والخارجية، وكنا نقتدي بوساطته وبوساطتك معا في المصارفة مع نواب الأجناس المحبين كتابة فيما يعرض من بعض القضايا المتعلقة بهم، ولما قضى الله سبحانه بوفاته، اقتضى نظرنا الشريف تصديرك أنت للوساطة في جميع الأشغال الخارجية، وأن تكون المكاتبة مع النواب مقصورة عليك على المنوال الذي كان جاريا أولا مع الخديم بركاش رحمه الله، بحيث كلما عرض لأحد من النواب غرض لأحد من الأغراض المتعلقة بهم أو بتجارهم المقيمين بإيالتنا السعيدة فيكتبون لك به وتكون أنت الواسطة فيه وتكتب أنت بذلك لجانبنا الشريف، فيصدر لك الجواب عنه بالمتعين بحول الله لتجيب المتكلم بمقتضاه، لما في ذلك من المصالح للجانبين من وجوه، وعليه فبوصوله إليك نأمرك أن تكتب لكل واحد من النواب المذكورين بمضمنه ليكونوا على بال ويكون عملهم في المستقبل جاريا معك على مقتضاه، والسلام. في 20 محرم عام 1318".

---

[66]- {وهذه رسالة سلطانية إلى الحاج محمد بن العربي الطريس، في موضوع تعيينه للقيام بمهمة الوساطة في جميع الأشغال الخارجية والتعامل مع النواب الأجانب، وهي بتاريخ 20 محرم 1318 هـ ونصها:}

وقد رأيت في رسالة سابقة أن أهل قبيلة بقيوة الريفية كان منهم عصيان وافتيات، فبعث إليهم السلطان محلة على رأسها بوبكر بن الشريف والقائد محمد بوشتى بن البغدادي.

ومن المعلوم أن المحلة المذكورة قد قضت على عصيان أهل بقيوة وأحرقت منازلهم وشردتهم، وأنه قد ألقي القبض على عدد من كبار رجالهم، وسجن عدد آخر منهم، والتزم عدد من مرابطيهم وأعيانهم التزامات سجلت عليهم في شهادة عدلية هذا نصها:

"الحمد لله وحده وبعد فبالأعتاب الشريفة دام عزها وعلاها وفخرها، حضر القائد علال ابن منصور البخاري العامل على قبيلة بقيوة، والشريف الأبر الأرضى سيدي عبد الله بن سيدي إبراهيم الوزاني وأعيان القبيلة المذكوة وبعض المرابطين بها المذكورون بطرته، وأشهد الأعيان والمرابطون المذكورون أنهم التزموا عن أنفسهم وعن إخوانهم الذين بالقبيلة المذكورة كافة.

1- بترك الفلائك التي يستخدمونها بسواحل بلادهم رأسا، وإن رأوا أحدا شرع في استعمال شيء منها بقصد الاستخدام، بادروا إلى إعلام العامل به ليقبض عليه ويحوز ما يجده عنده من آلتها بشهادة عدلين ويعلم به.

2- وبأن لا يقبلوا فلائك غيرهم من القبائل والتي وصلت لترابهم يقبض على من فيها وتجر للبر ويعلم العامل بها وبهم بعد جعل موجب بذلك.

3- وإن كانت الفلوكة لأجنبي فكذلك إن نزل من فيها للبر وجعل ينزل منها ما فيها ويجعل موجب بذلك أيضا ويعلم العامل النائب الطريس بها ومن فيها ويوجه له نسخة من الموجب ويعلم الأعتاب الشريفة.

4- وإن كان مركب ألجأه الحال للساحل وحرث يبقى فيه في الأمان ويعلم العامل النائب الطريس بعدد الذين بالمركب وبالمغرب ليبين له العمل فيه وفيمن به من الآدمي.

5- وأن لا يحوم أحد منهم حمى بادس والنكور ولا يتصارفون مع أحد أجنبي كائنا من كان، ومن تشوف لشيء من ذلك يعلموا به العامل وهو يقبض عليه ويعلم به وبجريمته.

6- وما أداه المخزن عنهم في غرامة ما نهبوه للأجانب بالبحر يقسط عليهم على قدر ما يطيقون أداءه في كل عام بعد اجتماعهم وعمارة بلدهم بهم وذلك نحو ألفي ريال في العام. وبعد أن سردت عليهم الفصول المذكورة حتى فهموها واستوعبوها وصاروا من جميعها على بال، فقبلوها ورضوها والتزموها كلها الالتزام التام، عدا الفصل الأخير، وهو تقسيط المال المذكور على أهل القبيلة المذكورة، فلا دخول للمرابطين المذكورين فيه ويجرون فيه على مقتضى ما بأيديهم من الظهائر الشريفة، فمن سمع منهم ما ذكر وحكاه كما

سطر قيده بالأعتاب الشريفة شاهدا به عليهم وهم بأتمه، وعرف العامل والشريف المذكورين عرف بمن عداهما مع بعض أوصافهم بالمشار في ثالث صفر الخير عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، وأصلح على بشر ينزل وأصلح بالطرة أحمد فلان وعبد ربه تعلى فلان بشكله وعلامته وعقب ذلك الحمد لله أديا فقبلا وأعلم به فلان بعلامته. ثم الحمد لله أعلم بثبوته مع الحضور لانبرام الشروط المؤسسة أعلاه نيابة فلان بعلامته. وبطرة ذلك ما يلي:

المرابط السيد محمد بن محمد فتحا من زاوية أذزعربي مستدير قائم نقره الشيب ربعة 1

المرابط السيد أحمد بن علي من الزاوية المذكورة أزهر اللون أسيل أصهبه ربعة 1

المرابط السيد أحمد بن محمد من مدشر أسمّر عربي أسيل للاستدارة نقطة سوداء بإزاء عينه اليسرى ربعة 1

المرابط السيد محمد بن المختار من زاوية أذز أبيض أسيل متصل نقره الشيب ربعة 1

والأعيان بوطاهر بن الحاج عمرو من بني زمور أبيض أسيل للاستدارة غار ربعة 1

وعمرو بن سي محمد الازغاري أشقر أسيل للاستدارة قائم متصل أصهبه ربعة 1

وعمرو بن طاهر العزوزي عربي أسيل للاستدارة قائم أسوده مجدور الوجه ربعة 1

ومحمد بن مسعود من تفنسة عربي متصل أسوده مقرون الحاجبين ربعة 1

وعلوش بن مسعود من بني عثمان عربي متصل أسوده قائم ربعة للقصر 1

والحاج شعيب بن محمد العزوزي من تكلت عربي أسيل خفيفه غار العينين ربعة 1

والشيخ عمرو بن محمد من مدشر توسّرت عربي للبياض منكمش الوجه ربعة 1

وعلال بن سلام من مدشر ميّه عربي أسيل خفيف العارضين والذقن قائم منكمش الوجه ساقط الثنايا من الأسفل نقره شيب 1

وشعيب بن شعيب من مدشر تعزة أبيض يميل للشقرة أسيل للاستدارة قائم عاري العارضين خفيف الذقن يميل للصهوبة ربعة 1

الجميع ثلاثة عشر رجلا كذا ________________ 13

ويظهر أن المحلة التي كانت مرابطة على الريف، استمرت في رباطها. وهذه رسالة سلطانية لها تعلق بالمحلة المذكورة وعدم توصلها بالمؤنة، ونصها بعد الحمدلة والتصلية وطابع السلطان عبد العزيز:

" خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد كتب لجانبنا العالي بالله كبراء محلتنا السعيدة بالريف متشكين بما لحقهم من الضرر بقطع المؤنة عنهم هذه مدة دقيقا وشعيرا ودراهم، وعليه فبين السبب في ذلك ليظهر بعد أن توجه لهم جميع المدة التي يسئلون مع مؤنة الثلاثة أشهر التي تقدم لهم وفق الضابط المؤسس في ذلك ولا تعد إلى قطعها عنهم إلى أن ينهضوا ويأتوا بحرا ويصلوا، وقد كتبنا للأمناء بذلك أيضا وأكدنا عليهم في التعجيل والأخذ فيه بالحزم، وإن توقفوا على الدراهم لأجل ذلك يستسلفوها من خدامنا أمناء السكة السعيدة، فقد أمرناهم بمساعدتهم في ذلك، فلتقف في ذلك ولتحضهم على التعجيل وعدم المطل والسلام. وفي 19 رمضان عام 1317".

ويظهر أيضا أن مشكلة تموين هذه المحلة كانت عويصة، فبالرغم من مرور نحو ثمانية أشهر على تاريخ الرسالة الماضية، وبالرغم من الأوامر السلطانية المذكورة، كانت وضعية تلك المحلة من أقبح ما يكون، وذلك ما تجده مبينا في الرسالة الآتية التي كتبها رئيسا المحلة وهما بوبكر بن الشريف والقائد محمد بن البغدادي، ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"حبنا الأرضى نائب سيدنا المرتضى الفقيه الأجل سيدي الحاج محمد بن العربي الطريس، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فإن مؤنة العسكر السعيد تعذرت من مدة مديدة، أما الشعير فهذه اثنا عشر شهرا والدراهيم مؤنة شهرين واضطر العسكر غاية لمونته، وقد تكلمنا مع أمين المحلة السعيدة السيد محمد القناوي في شأنها قائلا وأن مونة العام من الشعير ومونة شهرين من الدراهيم لا زالت بيد الأمناء المكلفين ولم يتوصل بشيء منها، والذي وجه قرب تاريخه أخذه الأمين المذكور فيما كان أسلفه للعسكر من مال المخزن الذي تحت يده، وأفضى الأمر بالعسكر السعيد إلى أن زاولوا في المدافع السلطانية من كثرة ما لحق الجميع من المضرة مما في هذا القطر من غلاء الأسعار وعدم الحب والتبن والناس في الضيعة وكذلك الخيل والروام بحيث إن أصدر الأمر الشريف بتنقيل المحلة السعيدة لا تقدر على نصف مرحلة مما بالروام والخيل من الضعف، وها نحن وجهنا حملته اثنين قواد المائة يشافهك بالحال ويخبرك بالقضية من فضلك الوقوف كما هو المعهود منك والظن الجميل بك، وتعلم مع الأمناء المكلفين يوجهوا للعسكر مونته على الفور

بعد أن تعجل بأهبة الحاملين لمحل خدمتهما، وكما نحبك تنظر سبب تعذر مونتنا ومونة الأمين القناوي بعد أن أصدر الأمر الشريف بتنفيذها حسبما ذكرت في كتابك ولم يوجهوا إلا بمونة العسكر السعيد فقط، وعلى المحبة والسلام. في 4 جمدى الثانية عام 1318. بوبكر بن الشريف لطف الله به ومحمد بن البغدادي لطف الله به".

وهذه رسالة من أميني مرسى الصويرة في شأن الاستعداد لجعل الكرنطينة للحجاج، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأجل الأرضى ونائب سيدنا الفاضل الأحظى سيدي الحاج محمد بن العربي الطريس، رعاك الله وحفظك وسلام على رفيع مقامك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله وبعد فقد وصلنا كتاب سيادتك بأنه يرد علينا حامله الطبيب رينو الفرنسيسي المعين من قبل الجانب المخزني أعزه الله لمقابلة مرضى الحجاج الواردين للجزيرة هنا في هذه السنة صحبة المهندس السيد الزبير اسكيرج لنقف في تنضيض الأشغال المتعلقة بما وردا أجله وفق ضابط المخزن المقرر لدينا في هذا الشأن، وأن الطالب المهندس المذكور نحن أدرى بحاله لا نحتاج إلى تنبيه في حقه، إلى آخر كتابك الكريم، فلتعلم رعاك الله أن الطبيب المذكور وصل، وتذاكرنا معه فيما تدعو الحاجة إليه، ثم توجهنا نحن والقائد السيد محمد بريشة والمهندس السيد الزبير مع الطبيب المذكور للجزيرة، وطفنا معه بها وأوقفناه على مكينة التبخير التي بها وأمعن النظر فيها هو والمعلم الألماني الذي هنا، فألفاها تصلح، وطلب الكتابة على بعض أمور لها ناقصة، كما طلب البناء عليها ليتم القصد بها وتبقى بذلك محفوظة، وكتبنا على ما ذكر أنه يتم عملها به لوالب ومجانة الاختبار وغير ذلك، وأخذنا في تيسير إقامة البناء وبصدد الأخذ فيه بحول الله وفي تيسير الزرب لإحاطة محل الخزائن للحجاج، وفي إصلاح الكبيرة وتبييضها لمرضاهم وتبييض الأخرى إليه مدة الكرنطيلة وأوقفناه أيضا على ما تحت اليد من الأدوية فبين الخاص منها وكتب عليه وفيما قرب يتيسر الجميع إصلاحا وغيره. ونعلم سيادتك بحول الله وعلى الله الكمال وعلى المحبة والسلام. في 25 محرم الحرام عام 1318. أميني التعشير ج محمد بن المداني القباج لطف الله به. أحمد بن محمد مدينة لطف الله به".

وهذه رسالة سلطانية في شأن دعوى بين بعض سماسرة الأجانب وأشخاص مغربيين، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فإن نائب الفرنصيص كان كتب بأن بعض الفرسان من محلة

حركة الغرب التي كنا رددناها صحبة ابن عمنا سيدي محمد الأمراني وقت نهوض ركابنا الشريف من حركة الشاوية الماضية كانوا اختطفوا في طريق إيابهم بالشاوية جمالا – 6 – لأحمد بن العطار سمسار التاجر بكس بالدار البيضاء، وأنه لما دخلت المحلة المذكورة للرباط، عثر السمسار المذكور هنالك على بعض الجمال (3) في بعض فنادق المدينة، ولما وجه خليفة العامل بها الإذن بتثقيفها، تعرض عليها فرسان من بني حسن، وأجيب بأنه حيث لم يتضمن كتابه المذكور بيان المدعى عليهم باختطاف الجمال المذكورة من أي قبيلة وبيان عاملهم، وذكر نائبهم أن مباشرة القضية كانت على يد خليفة عامل سلا، فقد صدر الكتب للخليفة المذكور بتبيينه ما راج على يده ليعرف المدعى عليهم وعاملهم ويؤمر بالمتعين. وقد أجاب خليفة عامل سلا بأن الذي دار في القضية هو أن أحمد بن العطار المذكور عثر على جمال – 3 – وطلب منه تثقيفها، ثم ورد عليه أربابها من بني حسن أصحاب الخديم المختاري مدعين أنهم حازوها في سعاية فساد الشاوية وأنهم لا يسلمونها إلا بعد ثبوتها للشالي بالحجة المقبولة، ولما تم تحرير البحث في القضية من خارج، أصدرنا أمرنا الشريف للخديم المختاري بتوجيه الجمال – 6 - بعينها أو ثمنها بحسب ريال 50 للواحد ليدفع ذلك للمدعي بعد أن يحلف على الثلاثة التي لم يعثر عليها على يد الخديم الحاج عبد الخالق فرج المكلف بمباشرة القضية، فدفع الخديم فرج للمدعي على يد قنصلهم ثمن الثلاثة جمال وطلب منه اليمين على الثلاثة الأخرى فقبله ثم صار يدعي أخيرا بأحمالها مع أن ذلك لم يتقدم له ذكر في كتاب الشكوى أولا ولا في كتاب باشدور الجنس المذكور الوارد ثانيا، وها نسخة منهما معا تصلك طيه لتمعن النظر في القضية وتجيب المتكلم بمضمنه وتعرفه بخوض هؤلاء المتلبسين معهم مثل هذا المدعي بالجمال وما يسعون فيه وأن المخزن بعدما شد العضد في الدعوى على ما هي عليه لم يقنع بما ادعى به وصار يدعي بشيء آخر تعكيسا وتعلم بالمآل، والسلام. في 11 صفر الخير عام 1318".

وهذه رسالة من أمين الأمناء التازي إلى النائب الطريس يشكره على تعزيته ووقوفه على تجهيز أخي الأمين المذكور. ونصها بعد الحمدلة والتصلية:

"محبنا الأعز الأرضى خديم سيدنا الأحظى النائب الأجل السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصلنا كتابك معزيا في أخينا الصائر إلى عفو الله وسعة رحمته غفر الله له وأسكنه فسيح جنته وألحقنا به مسلمين وختم لجميعنا بالحسنى. وقد أخبرت بوقوفك وعدم تقصيرك في تجهيزه، فلا شك عندنا في اعتنائك وذلك جميل الظن بك، ونعرف حسن معاملتك وجميل مصارفتك مع من يستحقها، سيما مع

من إلى جانبنا، فالمولى سبحانه يجازيك خيرا عن الاعتناء ويجزلك برا عن الوقوف ولا يريك بأسا ولا مكروها ويبارك في عمرك ويديم النفع بك آمين. والطابع الذي وجهت صحبته وصل، وعلى المحبة والسلام. في 17 ربيع الثاني عام 1318. محمد التازي لطف الله به".

وكان النائب الطريس يتشكى من كثرة أشغاله ويطلب إعفاءه من وظيفه لكبر سنه، وكانت الدوائر العليا ترى أن في إجابة رغبته خسران معرفة ونزاهة لا يتمتع بهما كثير من الناس، فرأى السلطان أن يكون إلى جانب الطريس مجلسا يقوم أعضاؤه بمختلف الأعمال تحت إشراف الطريس نفسه.

وهذه رسالة سلطانية بذلك، وفيها المنهاج الذي يسير عليه المجلس المذكور، وبآخرها أسماء الأشخاص الذين يتكون منهم ذلك المجلس، مع بيان مرتباتهم الشهرية، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الطابع الكبير ونقشه (عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه)

وبدائرته بيتا البردة: ومن تكن الخ، من يعتصم الخ.

خدامنا الأرضين النائب الأنصح الحاج محمد بن الحاج العربي الطريس والقائد عبد الله ابن سعيد السلوي والأمين الطالب بناصر غنام والأمين الطالب عبد السلام أحرضان الطنجي والأمين الحاج عبد الحفيظ برادة الفاسي والطالب الطاهر ابن الحاج التهامي بناني السميرس الفاسي، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد، فغير خفي أن ذلك الثغر الطنجي حرسه الله هو أهم ثغور إيالتنا السعيدة ومرآتها، وهو مناط المصادر والموارد التي تدور بين جنابنا الشريف وبين دول الأجناس ونوابها، كما لا يخفى ما بذله خديمنا الأصلح الحاج محمد الطريس من النصح في خدمة جنابنا الشريف المتعلقة بأشغال الأجانيب وغيرها، واستفراغه في ذلك جهد طاقته منذ نصب لذلك حياة سيدنا الوالد قدس الله روحه إلى الآن، وطالما شرح ما يلحقه من المشاق في تكاثر أشغال الأجانيب وضعف قواه عن معاناتها لكبر سنه ووهن عظمه، وكانت تصدر له الأجوبة عن ذلك بالتسلية لما في تحمله من جزيل الثواب ورضوان الله ورسوله، إذ القيام بذلك من أعظم القربات، بل هو أنفس ما يدخره المؤمن في الحياة وبعد الممات. ولما نعلمه من متانة دينه ومراقبته الله في سره ونجواه. وطالما أمعنا النظر في تدبير كيفية تكون جامعة بين بقائه على تكليفه وحرمة منصبه ووظيفه، حيث لا غنى عن بركته، وبين تخفيف أعباء التعب عنه مع القيام بأشغال الأجانيب على الوجه المتعين فيها، إلى أن شرح الله صدرنا الآن لترتيب كيفية جامعة للمقاصد المذكورة بحول الله. وهي أن يكون خديمنا المذكور هو كبير المقام ورئيسه، وبعلامته تختم جميع المكاتيب الصادرة من

ثمة لجانب المخزن وولاته ولنواب الأجانيب، ويزاد المخاطبون أعلاه ليكونوا أعضاء المجلس معه على نحو ما يذكر، كما يزاد معكم فقيه المجلس الطالب عبد القادر بن قاسم المراكشي لتحرير المقبول والمردود من الحجج التي يدلي بها الأجانب وغيرهم، ومعه عدلان، أحدهما الطالب الطيب ابن كيران المراكشي، والآخر الطالب محمد بن محمد بن علي الهواري الفاسي، لما توسمناه في كل واحد من الأعضاء المذكورين من الأهلية لما ذكر، وليستعان به على تقريب التحرير فيما يرجع لأعراف بلده وأحوال أهلها مما عسى أن يخفى عن غيره. ويكون معكم كتاب ثمانية بنظركم، ولتنتخبوا أيضا ترجمانا أو ترجمانين بحسب ما يكفيكم ممن فيه أهلية المعرفة بأهم الألسنة خطابا وجوابا وقراءة، سواء كان بلديا أو أجنبيا، مع ملاحظتكم فيه شرط التمارة وكتمان الأسرار. وإن اقتضت المصلحة إبدال أحد من الترجمانين بغيره، فلكم النظر في ذلك، كما أن لكم النظر في إبدال من اقتضت المصلحة إبداله من الكتاب، حيث إن العهدة عليكم فيهم وفي الترجمانين. وها كتابنا الشريف لخدامنا أمناء المرسى هناكم بتنفيذ الراتب المعين لكم ولكل واحد من المتوظفين معكم على مقتضى ما سطر طرته يصلكم صحبته. وحيث تعينون الترجمان أو الترجمانين فاعلمونا بما اتفق عليه رأيكم في الأجرة التي تعين لكل منهما، لتصدر أمرنا الشريف بتنفيذها. وبقية المعينين من هذه الحضرة المراكشية ومن فاس سيردون عليكم في الإثر إن شاء الله.

والذي يكون عليه عملكم هو الاجتماع وقت الخدمة بمحلها صباحا وعشية ليعرض على جميعكم كل ما يرد على الفسينة من مكاتيب المخزن وولاته ومكاتيب الأجانب، وكذا ما يرد على الفسينة من الكلام الشفاهي، بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة إلا عرضت على جميعكم ليمعن كل واحد النظر في ذلك المعروض ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة، ثم إن اتفق الجميع على رأي واحد، فالأمر ظاهر، وإن تكلم بعضكم بكلام لم يسلمه بقيتكم من أهل المجلس، فلتبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بيانا شافيا حتى يفهمه ويسلم وجه رده، ولتكن مراجعتكم له في ذلك بليونة وتنزل لا بتعنت وتزبيف جزافي، لتبقى القلوب سليمة مجموعة على قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد إن شاء الله. ثم إن كان المعروض عليكم من دعاوي الأجانيب يقتضي البحث وسؤال العامل، وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مادريد، فيكتب خديمنا الحاج محمد الطريس لأمناء المرسى القريبة من محل الدعوى بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفقتم عليه في كيفية الكتابة لهم، وإن كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي، فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك، ويكتب للعامل أيضا بما يقتضيه المقام من حيث

السؤال. وإن كانت الدعوى متعلقة بالرعية فيما بينهم ولا تعلق لها بالعامل نفسه، فيقتصر فيها على البحث على يد الأمناء. وإن ظهر لكم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على من تعلمون له مزيد الاطلاع في القضية، فلتنصوا لهم عليه ليستعينوا به على تحرير البحث، والبحث يكون بتوجيههم من لهم الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى ودرايته بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه وبحثه من لا غرض له من الجانبين، وحيث يرد عليكم جواب الباحث بنتيجة البحث، فلتتفاوضوا في ذلك وفيما يحتج به المدعي، فإن ثبت لديكم بطلان الدعوى، فيجاب بها المتكلم فيها، وإن ثبتت صحتها كلا أو بعضا وكانت متعلقة بالرعية دون العامل، فيكتب خديمنا الحاج محمد الطريس بما أنتجته مفاوضتكم لذلك العامل من تقرير الدعوى وبيان حجة ثبوتها، ليستخرج الحق الثابت ممن تعلق به، ويدفعه لأربابه على يد المكلف بالبحث، ويبقى الفعال متبوعين بما يقتضيه نظرنا الشريف في أدبهم، فإن أجاب العاقل بالاعتراف بالواقع وتسليم ما كتب له به خديمنا المذكور ونفذ مقتضاه، فالأمر واضح ويجاب المتكلم بالمقتضي ويطلع علمنا الشريف حينئذ بصيرورة الدعوى بدءا وتماما، وإن أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم فيطلع علمنا الشريف بذلك لنصدر الحكم المتعين فيه، وإن كانت الدعوى متعلقة بالعامل نفسه فيعجل باطلاع علمنا الشريف بها وبحجة المدعي فيها وبما حرره البحث المعمول فيها، لنأمر فيها بالمقتضي كذلك إن شاء الله. وإن عرض عليكم ما هو مخصوص بالأحكام الشرعية، فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعي ويبين حكم الله في النازلة، وتبينون أنتم ما يظهر لكم فيها من جهة الأعراف البلدية والاعتبارات السياسية ويكتب بشرح الجميع لجانبنا الشريف لنأمر فيه بالمتعين بحول الله، وإن كان المعروض عليكم راجعا لقضايا الديون فيحضر المدعي حججه فيها وتعرض أولا على فقيه المجلس ليتصفحها ويبين التام المقبول شرعا منها وغير المقبول ويعرف أعضاء المجلس بوجه عدم قبوله، أما غير المقبول فيجاب به المدعي في الحين، وأما المقبول فيكتب الخديم الطريس بما توافق عليه رأيكم معه لعامل الغريم إن ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصمه، فإن فاصله العامل في حقه فذاك، وإلا فإن ظهر منه عدم سلوك الإنصاف فيعجل بإطلاع علمنا الشريف بالواقع. وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي كذلك بمقتضى ما ذكر وحذرناهم عاقبة التراخي في الأجوبة أو الجواب بغير مفيد، وإن ورد عليكم كتاب من شريف أعتابنا أو من أحد ولاتنا في حق لجانب المخزن أو لأحد من رعيتنا السعيدة على رعية الأجانيب أو أهل حمايتهم فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن

ورعيته. وإن كان المعروض عليكم مما يرجع لمطالب الأجانيب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم أو مما يبديه بعض النواب من الإشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو برعيته، فلتتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام ويطلع علمنا الشريف بما ظهر لكم فيه. وإن ورد عليكم أمر مخزني في بعض القضايا وظهر لكم فيه ما يقتضي مراجعة جانبنا الشريف لمصلحة، فلتؤخروا تنفيذه وطيروا الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه لنرى فيه ويصدر لكم الجواب بالمتعين بحول الله، ولتتخذوا لكل جنس من الأجناس كناشا مخصوصا به لترتبوا فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية بتواريخها وجميع ما يصدر عن كل أشغالكم من كتابة أو مشافهة تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين، وتضعون خطوط يدكم عقبه، ليكون عمل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها.

هذا وجميع الشروط والأوفاق التي بمحل أشغال المخزن هناكم نأمركم أن تجردوا أسماءها في تقييد ببيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله ووجهوا التقييد لشريف أعتابنا لينظر فيه ويقابل بالشروط التي بحضرتنا الشريفة، فما كان نظيره موجودا بها فأمره ظاهر، وما لم يوجد نأمركم بتوجيه نسخة منه، وإن وجد بأعتابنا الشريفة ما لم يكن عندكم توجه لكم نسخة منه بحول الله فنأمركم أن تشرعوا في ذلك من الآن على بركة الله وعونه، وأن تستفرغوا وسعكم وتبذلوا مجهودكم في القيام بهذا الشغل الذي لا أهم منه أتم قيام، وأن تبدوا جميع ما يظهر لكم فيه من النصائح لجانب المخزن وما ينتج من ذلك من المصالح لرعيته، وتعلموا أن الاعتناء بهذا الأمر بنية صالحة هو أجل ما يكتسبه العاقل في دنياه ويقتنيه لعقباه. نسئل الله لكم الإمداد بالإعانة والتسديد، وتظافر قلوبكم على التعاون في تشييد المصالح التي لا تبيد، إنه ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق. والسلام في 4 جمدى الأولى عام 1318".

واللائحة التي تشير إليها الرسالة السابقة، فيها بيان أعضاء المجلس المذكور ومرتباتهم الشهرية، وهذا نصها:

النائب الحاج محمد الطريس	300
ولده	150
غنام	200
ابن سعيد	200
أحرضان	150

الحاج حفيظ برادة	200
الطاهر بن الحاج التهامي بناني السميرس	200
الفقيه السيد عبد القادر بن قاسم الدكالي أصلا المراكشي دارا	150
العدل الطالب الطيب بن كيران	75
العدل الطالب محمد بن محمد ابن الفقيه القاضي السيد علي الهواري	75
الكتاب	600
	2300

والأعداد المذكورة هي من الريال المغربي المحتوي على خمس بسيطات أو عشرين بليونا على اصطلاح ذلك العهد.

وقد جعل رجال المجلس المذكور محتويات الرسالة السابقة أساسا للنظام الذي يسير عليه مجلسهم، وأضافوا إليها بعض المواد المكملة، وسموا ذلك النظام: "ضابط النيابة السلطانية بطنجة"، وهذا نصه:

ضابط النيابة السلطانية بطنجة:

«الحمد لله وحده

ترتيب أمور الفسينة السعيدة بطنجة، وذلك في جمدى الأولى عام 1318.

الفصل الأول: فتح الفسينة السعيدة يكون في الساعة التاسعة من النهار، ومنها إلى الساعة العاشرة تطالع المكاتيب الواردة عليها.

الفصل الثاني: ومن الساعة العاشرة إلى الساعة الثانية عشرة تقبل الدعاوي وتقيد ويذهب أربابها إلى أن يظهر فيها وتتصفح وجوهها.

الفصل الثالث: ثم بعد تمام النظر فيها يوجه على أربابها إما لإمضائها أو لسؤال.

الفصل الرابع: لا تقبل الدعاوي من الفسينات إلا كتابة.

الفصل الخامس: في الساعة الثانية عشرة تغلق الفسينة ويذهب كل واحد لقضاء مصالحه إلى أن تبلغ الساعة الثانية من الزوال.

الفصل السادس: في الساعة الثانية من الزوال تفتح الفسينة ولا تقبل الدعاوي حينئذ للاشتغال بتقييد المكاتيب والأجوبة عنها وترتيب الأمور والمفاوضة بين أعضاء المجلس والتأمل في القضايا إلا ما يذكر في الفصل العاشر.

الفصل السابع: يكون فقيه المجلس مع عدليه بمحل خاص بهم لتعرض عليه القضايا الشرعية ورسوم الدين ويتصفح المقبول والمردود منها.

الفصل الثامن: في الساعة الرابعة من الزوال تغلق الفسينة وتعطى مفاتيحها لمن يجتمع الراي عليه، ولا تفتح إلا إلى الغد.

الفصل التاسع: لا تفتح الفسينة يوم الجمعة بتمامه والمواسم والأعياد وثلاثة أيام بعدها.

الفصل العاشر: وإن كانت الدعوى مشافهة فتقيد ويطالب المشافه بالذهاب لنائبه ليكتب له بما شافه به.

الفصل الحادي عشر: يتخذ طابع لختم اللك نقشه: نيابة الحضرة الشريفة بطنجة.

الفصل الثاني عشر: جميع المكاتيب الخارجة من الفسينة يقيد ما بنمرتها بكناش الكمبيا وعدد الخارج منها.

الفصل الثالث عشر: جميع المكاتيب الموجهة لأحد إيالة سيدنا أعزه الله من العمال وغيرهم تكون مطوية طيا مخزنيا ومكاتيب الأجانيب في غشاء السوبري.

الفصل الرابع عشر: إذا أحد من الكتاب أو الترجمانين أو المخازنية ظهر عليه إفشاء سر للغير مما يروج في الفسينة، يؤخر من الخدمة الشريفة وتطلع الحضرة الشريفة بتأخيره وجريمته.

الفصل الخامس عشر: وهو مأخوذ من الكتاب الشريف كالفصول بعده. أن يكون خديم المقام العالي بالله النائب الحاج محمد الطريس هو كبير المقام ورئيسه.

الفصل السادس عشر: أن تختم بعلامته جميع المكاتيب الصادرة من هنا للجناب العالي بالله ولولاته ولنواب الأجانيب.

الفصل السابع عشر: يزاد الواضعون أسماءهم عقبه ليكونوا أعضاء المجلس على نحو ما يبين في الفصول بعد.

الفصل الثامن عشر: يزاد على المذكورين فقيه المجلس السيد عبد القادر بن قاسم المراكشي ومعه عدلان، الطالب السيد الطيب بن كيران المراكشي والطالب السيد محمد بن محمد بن علي الهواري الفاسي.

الفصل التاسع عشر: يكون في المجلس كتاب ثمانية ينظر أعضاء المجلس.

الفصل العشرون: ينتخب ترجمان أو ترجمانان بحسب ما يكفي له معرفة بأهم الألسنة خطابا وجوابا وقراءة ذو تمارة وكتمان أسرار.

الفصل الحادي والعشرون: إن اقتضت المصلحة إبدال الترجمان أو واحد من الكتاب فالنظر للأعضاء.

الفصل الثاني والعشرون: هو أن يكون الاجتماع وقت الخدمة ليعرض على الجميع كل ما يرد على الفسينة السعيدة من مكاتيب المخزن وولاته ومكاتيب الأجانب والكلام الشفاهي بحيث لا تبقى شاذة ولا فاذة من مكاتبة أو مشافهة إلا وتعرض على الجميع ويمعن كل واحد النظر في ذلك المعروض ويبين ما ظهر له في القضية عند المفاوضة وفق ما يذكر في الفصل 23.

الفصل الثالث والعشرون: ثم إن اتفق الجميع على رأي واحد فواضح، وإن تكلم البعض بكلام ولم يسلمه بقية أهل المجلس فيبينوا لقائله وجه عدم تسليمه بالحجة المقبولة بيانا شافيا حتى يفهمه ويسلم وجه رده.

الفصل الرابع والعشرون: تكون المراجعة للبعض المتقدم بليونة وتنزل لا بتعنت وتزييف جزافي لتبقى القلوب سليمة مجموعة على قلب رجل واحد في جلب المصالح ودرء المفاسد إن شاء الله.

الفصل الخامس والعشرون: إن كان المعروض عليهم من دعاوي الأجانب يقتضي البحث وسؤال العامل وكانت حماية المتكلم عليه مسلمة على وفق مدريد فيطلب الخديم النائب المذكور لأمناء المرسى القريبة من محل الدعوى بإعمالهم البحث عن الواقع على مقتضى ما اتفق عليه في كيفية الكتابة لهم.

الفصل السادس والعشرون: إن كانت الدعوى قريبة من المدن التي ليست بمراسي، فيكتب لأمناء الصائر بها كذلك، ويكتب للعامل أيضا بما يقتضيه المقام من حيث السؤال.

الفصل السابع والعشرون: إن كانت الدعوى متعلقة بالرعية فيما بينهم ولا تعلق لها بالعامل نفسه، فيقتصر فيها على البحث على يد الأمناء.

الفصل الثامن والعشرون: إن ظهر لهم في بعض القضايا التنصيص للأمناء على من يعلمون له مزيد الاطلاع في القضية فلينصوا لهم عليه ليستعينوا به على تحرير البحث.

الفصل التاسع والعشرون: يكون البحث بتوجيههم من له الثقة بصدقه ومعرفته بمحل الدعوى ودراية بأساليب التوصل لتحرير الواقع على وجهه وبحثه من لا غرض له من الجانبين.

الفصل الثلاثون: إذا ورد عليهم جواب الباحث بنتيجة البحث فليتفاوضوا في ذلك وفيما يحتج به المدعي.

الفصل الحادي والثلاثون: إن ثبت عندهم بطلان الدعوى، فيجاب به المتكلم فيها، وإن ثبت صحتها كلا أو بعضا وكانت متعلقة بالرعية دون العامل، فيكتب الخديم النائب المذكور بما أنتجته المفاوضة لذلك العامل من تقرير الدعوى وبيان حجة ثبوتها ليستخرج الحق الثابت ممن تعلق به ويدفعه لأربابه

على يد المكلف بالبحث ويبقى الفعال متبوعين بما يقتضيه النظر الشريف في الأدب.

الفصل الثاني والثلاثون: إن أجاب العامل بالاعتراف بالواقع وتسليم ما كتب له به الخديم المذكور ونفذ مقتضاه، فالأمر واضح ويجاب المتكلم بالمقتضي ويطلع العلم الشريف حينئذ بصيرورة الدعوى بدءا وتماما، وإن أجاب العامل بالمنازعة وعدم التسليم، فيطلع العلم الشريف بذلك ليصدر الحكم المتعين فيه.

الفصل الثالث والثلاثون: إن كان الدعوى متعلقة بالعامل نفسه فيعجل بإطلاع العلم الشريف بها وبحجة المدعي فيها وبما حرره البحث المعمول فيها ليومر فيها بالمقتضي إن شاء الله.

الفصل الرابع والثلاثون: إن عرض عليهم ما هو مخصوص بالأحكام الشرعية فيتصفح فقيه المجلس حجة المدعي ويبين حكم الله في النازلة ويبينون هم ما يظهر لهم فيها من جهة الأعراف البلدية والاعتبارات السياسية.

الفصل الخامس والثلاثون: يكتب بشرح الجميع للجناب الشريف ليومر فيه بالمتعين بحول الله.

الفصل السادس والثلاثون: إن كان المعروض عليهم راجعا لقضايا الديون فيحضر المدعي حججه فيها وتعرض أولا على فقيه المجلس ليتصفحها ويبين التام المقبول شرعا منها و غير المقبول ويعرف الأعضاء بوجه قبوله.

الفصل السابع والثلاثون: أما غير المقبول فيجاب به المدعي في الحين، وأما المقبول فيكتب الخديم النائب بما توافق عليه رأيهم معه لعامل الغريم إن ادعى رب الدين أنه رفع شكواه لذلك العامل ولم يفاصله مع خصمه، فإن فاصله العامل في حقه فذاك وإلا بأن ظهر منه عدم سلوك الإنصاف فيعجل بإطلاع العلم الشريف بالواقع.

الفصل الثامن والثلاثون: صدرت الأوامر الشريفة للأمناء المذكورين فيما يرجع للبحث وما يتبعه ولعمال المدن والقبائل المجاورة للمراسي بمقتضى ما ذكر وحذروا عاقبة التراخي في الأجوبة أو الجواب بغير مفيد.

الفصل التاسع والثلاثون: إن ورد عليهم كتاب من شريف الأعتاب أو من أحد الولاة في حق لجانب المخزن أو لأحد من الرعية السعيدة على رعية الأجانيب أو أهل حمايتهم فيسلك فيها ما سلك في دعاويهم على المخزن ورعيته.

الفصل الأربعون: إن كان المعروض مما يرجع لمطالب الأجانيب المنوطة بمصالح دولهم أو رعيتهم أو مما يبديه بعض النواب من الإشارات والتنبيهات التي يقصدون بها النصيحة لجانب المخزن فيما هو خاص به أو

برعيته فليتفاوضوا فيه بتأمل وإمعان نظر تام ويطلع العلم الشريف بما ظهر فيه.

الفصل الحادي والأربعون: إن ورد عليهم أمر مخزني في بعض القضايا وظهر لهم فيه ما يقتضي مراجعة الجانب الشريف لمصلحة فيؤخر تنفيذه ويطير الكتب بشرح الوجه الحامل على المراجعة فيه ليرى فيه ويصدر الجواب بالمتعين بحول الله.

الفصل الثاني والأربعون: يتخذ لكل جنس من الأجناس كناش مخصوص به ليرتب فيه نسخ ما يروج مع ذلك الجنس في كل قضية مع جميع متعلقاتها الكتابية والشفاهية بتواريخها.

الفصل الثالث والأربعون: جميع ما يصدر عن محل الأشغال من كتابة أو مشافهة تثبت نسخة منه بمحل قضيته من الكناش المعين. وتوضع خطوط يدهم عقبه ليكون محل الكنانيش أعون على تحرير المتعين في كل قضية عند مراجعتها.

الفصل الرابع والأربعون: جميع الشروط والأوفاق بمحل أشغال المخزن هنا تجرد أسماؤها في تقييد بيان موضوع كل واحد منها وتاريخه وعدد فصوله ويوجه التقييد لشريف الأعتاب لينظر فيه ويقابل بالتي بالحضرة الشريفة، فما كان نظيرها موجودا بها فأمره ظاهر، وما لم يوجد توجه نسخة منه، وإن وجد ثمه ما ليس هنا توجه من هناك نسخة منه بحول الله.

الفصل الخامس والأربعون: يكون الشروع في ذلك من رابع جمدى الأولى عام 1318. اهـ»

ويظهر أن الدوائر المخزنية كانت بالرغم من كثرة مشاكلها وإفلاس خزائنها، تجد من فراغ البال والوقت ما تشغله بالتفكير في شراء طواشية (عبيد) صغار السن وجلبهم من مصر إلى المغرب، ويكتب الوزير الصدر في ذلك رسائل إلى المشرق والمغرب، وهذه رسالة في هذا الموضوع:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

محبنا الأعز الأرضى النائب الأحظى السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فإن سيدنا أيده الله أمر الوكيل بمصر الحاج محمد الحلو بأن يشتري لجنابه الشريف عشرة طواشية صغار السن من خمسة عشر عاما للواحد إلى وراء، ويكونون من النباهة بمكان والنجدة والمعرفة بالغاية المرادة، وأذنه دام علاه بأن يوجههم إليك بحرا لتوجههم لشريف الأعتاب، وبمجرد وقوع الفصال فيهم وحوزهم يجعل لك السلك ببيان ثمنهم لتعلم به الجناب الشريف وينفذ له بحول الله على

يدك، وها الكتاب به يصلك لتوجهه له على يدك أيضا، وعلى المحبة والسلام في 6 جمدى الأولى عام 1318. المختار ابن عبد الله لطف الله به".

والمختار المذكور هو الشخص الذي تولى وزارة الصدارة بعد وفاة ابن عمه أحمد بن موسى (ابا أحمد) الشهير في أوائل عام 1318، ثم عزل في نفس العام ونكب وصودرت أمواله وغرب إلى مدينة تطوان تبكيتا له، فلبث بها مدة ينشر العلم بدروسه رحمه الله.

وهذه رسالة كتبها أمير مكة الشريف عون الرفيق إلى النائب الطريس ليقف مع مبعوث منه إلى سلطان المغرب لبعض الأغراض، ونصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده سبحانه عز شأنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ثم طابع مستدير نقش وسطه (عون الرفيق ابن محمد) وبدائرته (تجلى الله بالنصر، ووافى السعد باليسر، بعز دائم أبدا، وإقبال مدى الدهر)

عمدة ذوي الإجلال، المتسنم ذروة سنام الكمال، حضرة النائب الفقيه محمد بن العربي الطريس سلمه الله تعلى آمين، وبعد إهداء جزيل السلام الوافر، والثناء العاطر، غير خافي (على) حضرتكم أننا أرسلنا ناقل تحريرنا هذا الحاج محمد بن مسعود الدباغ مخصوصا من طرفنا في أشغال تخص الحرمين الشريفين لدى حضرة جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعلى، فنؤمل من حضرتكم إجراء المساعدة والتسهيلات اللازمة للمذكور، ودمتم في حفظ الله والسلام. تحريرا في يوم الأربعاء المبارك الموافق ليوم الحادي عشر من شهر جمدى الأولى عام الثامن عشر بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله تعلى عليه وسلم. تحريرا في يوم الربوع 11 جماد أول سنة 1318. أمير مكة المكرمة (طابع صغير مستدير نقشه: عون الرفيق)".

وهذه رسالة سلطانية في الأمر بإلحاق شخص رباطي بخدمة البابور الغربي "البشير"، ونصها بعد الثلاثة:

" خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد بن العربي الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد ورد على شريف أعتابنا الطالب راشد الموساوي الرباطي ذاكرا أن له معرفة بالغة في علم البحر ويتكلم باللسان النجليزي والفرنصيصي والصبنيولي وتقدمت له خدمة مع أهل المعرفة الماهرين في البحر ويشهدون له بذلك وطلب استخدامه في مركبنا "البشير" السعيد، وعليه فنأمرك أن تستخدمه فيه إن كانت فيه أهلية، والسلام. في 20 جمدى الأولى عام 1318".

وهذا جواب من النائب الطريس لحضرة السلطان في قضية بقر حجزت لبعض أصحاب الحمايات، ونصه:

"""الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بعد تقبيل الأرض بين يدي سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وأداء ما يجب لمقامه العالي بالله، فقد وصلنا كتاب سيدنا الشريف بأن باشدور الفرنصيص كتب شكاية بوعزة البحياوي وبوزيان الملياني من رعيتهم بأنهما كانا سائقين بقرا (255) ليبيعاه بمكناسة، ولما وصلا لأرض الحياينة ثقفه عليهما قواد القبيلة ثم ردوا له بقرا (144)، وبطيه نسخة مما كتب به الباشدور المذكور مع نسخ من جميع المكاتيب والأجوبة الرائجة مع بعض النواب في هذا الشأن، آمرا مولانا أيده الله أن نتفاوض في مضمونها مع أهل المجلس ونكلف الخديم ابن سعيد بمباشرته الكلام مع نائب الفرنصيص ونعلم بالمآل، وصرنا من ذلك كله بالبال. فليعلم مولانا أعزه الله أن قد كلفنا الخديم المذكور لمباشرة ذلك بعدما أطلعناه على الكتاب الشريف بعينه وجميع النسخ المشار لها ليكون على بصيرة من مضمنها، وبقي ذلك عنده نحو اليومين ورد لنا الجميع متعللا بأن مباشرته متوقفة على مفاوضة أهل المجلس، وحيث وقع التأخير فيه فلا يقدم على تصفية هذا الغرض فعارضناه عن جوابه هذا بأن تاريخ هذا الأمر المنيف مقدم على تاريخ الأمر الصادر بالتاني عن المجلس، فلم يقبل، ولكن الذي ظهر لنا من قرائن أحواله أن ذلك منه محض مدافعة، وإلا فلا يقدر على مباشرة القضية ولا يهتدي إلى ما يسلكه فيها لأنها عظمت في عينه ومن أجله تفصى من الدخول فيها بحجة ما اعتذر به فقبلناه منه، ثم لما عزمت على مباشرتها بنفسي رأيت من طريق السياسة أن لا كبير فائدة تنتج من تلك المباشرة إلا زيادة في المحاككة وتعكيس الأمور الواضحة التي تعرض لنا لدى الخصم في سائر القضايا، إذ الحجة له لا عليه، فتأخرت عنها ريثما ... وأعظم حجة يعارض بها جانب المخزن هي الحجة التامة لرعيتهم في التجارة في سائر الإيالة السعيدة من غير معارض على مقتضى الشروط وتثقيف هذه البقر على رعيتهم لا حجة فيه مقبولة يدافع الإنسان بها لأنه وقع في قبيلة الحياينة التي هي قريبة من فاس، ولا يسوغ التعرض على من يتعاطى التجارة بهذه الناحية المقصودة لجلب البقر منها، نعم لو كان وقع العثور عليها داخلة للإيالة الشرقية لكان في ذلك حجة ناهضة وتحاز على وجه الكنطربند، على أن موضوع الأوامر الشريفة الصادرة لعمال تلك الناحية بالقبض على ما يعثرون عليه من البقر داخلا لتراب الإيالة الشرقية لا في وسط الإيالة السعيدة كصورتنا هذه، فلا تعد حيازتها من قبيل الكنطربند لأنها ثقفت في قبيلة مقصودة للبيع والشراء في البقر وغيرها، فاتضح مما ذكر أن لا وجه للخديم ولد قدور بن بوشتى الحياني في تثقيف هذه البقر لصاحبيها المذكورين مع من كان في رفقتهما من أهل الحماية وغيرهم المقيدين بطرته الواردين على دار النيابة السعيدة مشتكين بتثقيف بقرهم عند من

ذكر في جملة العدد المذكور طالبين إصدار الأمر الشريف للقائد المذكور برد باقي عدد البقر التي تحت يده لمن هي له حيث أشير، ونظر مولانا في ذلك أوسع وأنفع، وعلى الخدمة الشريفة والسلام. في متم جمدى الثاني عام 1318.

ومنه فالمتعين في نصب العسة أن تكون عند انتهاء الحدادة صح به. خادم المقام العالي محمد بن العربي الطريس لطف الله به".

وكان سلطان المغرب قد أرسل الحاج أحمد الطريس، نجل النائب الحاج محمد الطريس، سفيرا إلى مدريد ليمثله في حفلات تتويج ألفونسو الثالث عشر ملك إسبانيا، فقام بمهمته، وبعد عودته أعلمت الدوائر المخزنية بذلك، فكتب الوزير عبد الكريم بن سليمان إلى والده رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى النائب الأجل السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك مخبرا برجوع الولد البار السيد الحاج أحمد من سفارته بالسلامة وحلوله محروس ذلك الثغر الطنجي على غاية الاعتناء والمبرة، وعلمنا ما شرحته مما حصل له من التنويه وما تضمنه التقييد الذي وجهت في شأن التحفة وما أكرم به من النيشان وكذا من كان في رفقته وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف به، وقد تقدم لك شريف الأمر بأن توجهه لشريف حضرة سيدنا على قاعدة السفراء أمثاله، فلتعجل به عن الأمر الشريف في حفظ الله وأمانه، وعلى المحبة والسلام. في 8 ربيع ل عام 1320. عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به".

وبعد وصوله كتب الوزير ابن سليمان إلى النائب الطريس رسالتين هذا نص الأولى بعد الحمدلة والتصلية:

"وبعد فإن الولد البار السفير الأجل السيد الحاج أحمد قد قضى الغرض بشريف حضرة مولانا ورجع بسلام مجبور الخاطر وفق المرام بعدما نال صالح أدعية مولانا لك وله التي هي المنى بما يتقبله الله ونطلبه تبارك وتعلى أن يمدنا وإياكم بمعونته ويوفقنا جميعا لمرضاته آمين، وعلى المحبة والسلام. في 20 ربيع الثاني عام 1320. عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به".

وهذا نص الثانية:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى النائب الأجل السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد وصل كتابك بسفر الولد البار السيد الحاج أحمد من هناك بقصد الحضرة الشريفة في اليوم الذي بينت وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف به، وقد وصل بالسلامة والعافية وقوبل بالتبجيل والجميل ونعم الرجل على قدمكم وذلك من عنايتكم به ورضاكم

زاد الله في معناه، وعلى المحبة والسلام. في 22 ربيع الأول عام 1320. عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به".

وكان الملك ألفونسو قد أرسل إلى سلطان المغرب عند عودة المبعوث الطريس من إسبانيا، رسالة امتنان للسلطان وتقدير لسفيره الطريس، وهذا نص ترجمتها الرسمية (على ما فيها):

"الحمد لله وحده

ضون ألفنص الثالث عشر بنعمة الله وقوانين الدولة

المحب الأشرف والأحمد بين جميع المسلمين سلطان مراكش وفاس وسوس ومكناس محبنا المعظم وصدقا. أما بعد فقد ورد علينا كتابكم الموجه لدينا بواسطة سفيركم الخاص السيد الحاج أحمد الطريس وأنعمتم عليه لحضورنا قرب ذاتنا في الفرح الواقع من خروجنا صغر السن، فلنا الفرح ننهي لجانبكم الشريف أن السيد الحاج أحمد الطريس مدة انقضاء سفره صار مترجما صديقا من محبتكم وتهنيتكم الموجه لنا من جانبكم، والشاهد على ذلك هو كتابكم الشريف العزيز. وأما سفيركم المذكور صاحب الفضائل المحمودة، فقد استهل حسن قبولنا ولنا الفرح ندفع الأمان بيدكم أننا رأينا بالسرور وطيبة الخاطر في تعيينكم للسفير المذكور، فنغتنم هذه الفرسة لنجدد لجانبكم الدعاء من الله تعلى بزيادة الخيرات ودوام الهناء لدى مقامكم ولإيالتكم السعيدة. حرر في سراية مدريد في 16 يونيه عام 1902".

وهذا التاريخ يوافق 9 ربيع الأول عام 1320 هـ.

وهذه رسالة يأمر السلطان فيها نائبه الطريس بالقدوم عليه، وفيها من الرقة واللطف والمجاملة شيء غير معتاد من السلطان للموظفين، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب النزيه الحاج محمد بن العربي الطريس، أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فبوصوله إليك نأمرك أن تقدم ببركة الله وعونه على شريف أعتابنا لغرض مهم أكيد لا يقبل المهلة ولا تمكن الكتابة فيه بقصد المفاوضة معكم فيه نحو عشرة أيام وترجعون لمحلكم بحول الله، وليكن ورودك مصحوبا بالخديم الطالب بناصر غنام، واترك مكانك ولدك الخليفة الحاج أحمد حتى ترجع بحول الله. ونحن عالمون بضعف جسمك ووهن عظمك وكون السفر يشق عليك، لاكن حيث كان في مصلحة المسلمين، فإن الله يمدك بعونه وينيلك ثواب من اغبرت قدماه في سبيل الله. وها كتابنا الشريف لخدامنا أمناء المرسى هناكم بتجهيزك وتجهيز الخديم الطالب بناصر غنام بما يكفيكما من البهائم بالكراء والزاد الموصل لحضرتنا الشريفة يصلك طيه، وحتى إن

كانت توافقك المحفة فاجعلها، فإن الأمناء مأمورون بالتصيير عليها، كما يصلك ظهير الطريق أيضا، والسلام. في 6 جمدى الثانية عام 1320".

وأصدر السلطان إلى جميع الولاة الذين يمر بهم النائب الطريس في طريقه من طنجة إلى فاس أمرا هذا نصه:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

نأمر الواقف على كتابنا هذا من خدامنا العمال أو خلائفهم الذين يمر بهم خديمنا النائب الحاج محمد الطريس والخديم الطالب بناصر غنام في طريق سفرهم من ثغر طنجة إلى فاس، أن يأخذ بيدهم فيما يتوقفون عليه من غير تكليف لهم بشيء، ويقوم من أواهم المبيت لديه بالعسة الكافية عليهم ليلا وإنهاض فارس معهم صباحا لمصاحبتهم في الطريق حتى يخرجوا من ترابه ويصلوا محل المبيت من تراب غيره، والسلام. في 6 جمدى الثانية عام 1320".

وقامت الحكومة العثمانية بمد السكة الحديدية بين الشام والحجاز لتسهيل الحج على جميع المسلمين، فتبرعت الحكومة المغربية على ذلك المشروع بمبلغ مالي قدره خمسمائة ألف درهم، وكتب النائب بذلك إلى الوزير الصدر بتركيا رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

جناب المحترم المكرم رئيس سياسة الدولة العثمانية الجليلة وصدرها الأعظم السيد سعيد باشا حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا الإمام ظل الله في أرضه على الأنام. وبعد فإن جلالة جانب الحضرة الشريفة دام علاها لما بلغها ما شرح الله سبحانه إليه صدر مجادة خديم الحرمين الشريفين السلطان الأفخم السيد عبد الحميد خان نصره الله من إنشاء السكة الحديدية الحجازية تسهيلا لإقامة شعائر فريضة الحج، أنعمت أعزها الله بخمسمائة ألف درهم 500000 إعانة على هذا الإنشاء الجليل، وصرفت ست إيطاري وجب فيها 184601,50 مائة ألف فرنك وأربعة وثمانون ألفا وستمائة وفرنك واحد وخمسون سنتيما حسبما بيانه مع الأبناك المخرجة عليها بالطرة. وها البطرات المذكورة توافيكم طيه لتأمروا بإرسال واجبها المذكور لصندوق إعانة تلك المشروعية السنية، راجين من الله سبحانه عموم نفعها لكافة الأمة الإسلامية وأن يديمكم في سلامته، وعلى المحبة والسلام. وحرر بطنجة في 13 شوال الأبرك عام 1320. محمد بن العربي الطريس لطف الله به.

ذكر البطرات المشار إليها:

نمر		سنطيم - فرنك	
7254	فعلى كنطوال باريز	40,000	كنطوال
85349	وعلى الكريدي السومي باريز	30,000	ناهون
15060	وعلى أنجلو إجبسيان باريز	50,000	التابوري
9041	وعلى أنكي ماريط انبين باريز	10,000	حسان
85574	وعلى الكريدي الهوني باريز	49,601.50	ناهون
45204	وعلى أنكلو إجبسيان باريز	05,000	هسبنير
الجميع		184,601.50	

معاهدة 1904 بين فرنسا وإنجلترا:

وحل عام 1322 الموافق لسنة 1904، فعقدت دولتا فرنسا وإنجلترا معاهدة اتفقتا فيها على إطلاق فرنسا لإنجلترا يد التصرف بمصر في مقابل إطلاق إنجلترا لفرنسا يد التصرف في المغرب. وقد وقفت بين أوراق النائب الطريس على تعريب تلك المعاهدة عن الإنجليزية، بقلم المرحوم السيد الزبير السكيرج، وهذا نصه:

«الفصل الأول: أعلنت الدولة النجليزية بأن لا غرض لها يقتضي تغيير الأحوال السياسية السلمية بمصر. ولأجل ذلك قررت الحكومة الفرنسوية أنها لا تتعرض لمامورية الدولة الإنجليزية بالأرض المذكورة لا بطلبها تعيين وقت انجلاء جنود الاحتلال ولا غير ذلك من الأحوال كيفما كانت، وأنها توافق الحكومة الخديوية المصرية على إضافة التراتيب المتضمنة للضمانة المعتبرة اللازمة لحماية منافع أرباب الدين المصري بشرط وقوع الإشهار بذلك. ولا يتأتى عمل من الأعمال فيها بوجه من الوجوه إلا إذا وقع عليه اتفاق الدول التي أبرمت العهود المنعقدة بلندرة بتاريخ 1885 مسيحية، ووقع الوفق أيضا على أن تستمر ولاية الناظر العام المكلف بالأمور العتيقة المصرية بيد عارف فرنسوي كما كانت. وكذلك المدارس الفرنصوية بمصر تستمر ممنوحة الحرية على الحالة التي تقدم لها العمل بها.

الفصل الثاني: أعلنت الجمهورية الفرنسوية بأن لا غرض لها يقتضي تغيير الأحوال السياسية السلمية بالمغرب. ولأجل ذلك اعترفت الحكومة النجليزية باختصاص افرنسا في حفظ نظام أرض المغرب ومد يد المساعدة لها على الوسائل الموصلة لجميع التدابير والتراتيب اللازمة الاقتصادية والمالية والجندية التي تمس الحاجة إليها لكون الدولة الفرنسوية أخص دولة جاءت مستعمراتها تلك الأرض على مسافة عظيمة. وأعلنت الحكومة الإنجليزية أيضا أنها لا تتعرض للحكومة الجمهورية الفرنسوية في أي أمر من تلك المأموريات، بشرط أن تبقى الحقوق التي لاكريت ابريطن مرعية على مقتضى المعاهدات والشروط والمخابرات التي لهم بالمغرب، وكذلك الحقوق التجارية الكائنة بين المراسي المغربية للسفن والبواخر الإنجليزية متمتعين بها منذ سنة 1901 مسيحية.

الفصل الثالث: لأجل ذلك تحترم حكومة حضرة سلطان اكريت بريطن الحقوق التي لافرنسا بمصر على مقتضى المعاهدات والشروط والمخابرات، وكذلك الحقوق التجارية التي بين سواحل مصر المنسوبة للسفن والبواخر الفرنسية.

الفصل الرابع: حيث إن الحكومة الإنجليزية والفرنسوية اتحدتا معا على التساوي في تقصيد أصول حرية التجارة بمصر والمغرب، أعلنتا أنهما لا يكونان إلا يدا واحدة في تلك الأقاليم، ولا يتخالفان في أمرها سواء في إعشار الديوانات أو الضرائب أو أسعار أكرية المنقولات بالسكة الحديدية. وحيث إن التجارة التي للدولة الإنجليزية والفرنسوية بالمغرب ومصر سيجري عملها على التساوي بينهما في مستعمراتهما بإفريقيا، سيقع بين الحكومتين اتفاق يعلم منه كيفية العمل وتعيين النقط التي تتخذ لذلك، تنعقد هذه المعاهدة المشتركة على أمد ثلاثين سنة على شرط أن يقع الإعلام قبل حلول الأجل بعام على الأقل كي يزاد في الأمد خمس سنين كلما انتهى ما قبلها، وعلى أن الحكومة الجمهورية الفرنسوية تحفظ لنفسها بالمغرب وكذلك الحكومة الانجليزية تحفظ لنفسها بمصر الحقوق المتعلقة بالرخص في إنشاء الطرق والسكك الحديدية وإصلاح الميناء بالمراسي وغير ذلك لا يصح الإنعام بشيء من ذلك إلا على شروط تقتضي سلامة المكلفين من طرف حكومة الإقليم من تلك المشروعات العظيمة التي هي من مصالح الرعية.

الفصل الخامس: أعلنت حكومة حضرة سلطان اكريت ابريطن أنها ستبالغ غاية المجهود ولا تقصر حتى لا تكون نتائج الموظفين الفرنسويين في الخدمة المصرية في الحالة الراهنة أقل من نتائج الموظفين الإنجليزيين بتلك

الخدمة. ولأجل ذلك لا تتعرض الحكومة الفرنسوية لأمر يماثل ذلك في شان الموظفين الإنجليزيين الآن بالخدمة المغربية.

الفصل السادس: لأجل زيادة التمكن والتكفل بحرية المرور بفتحة السويس، أعلنت حكومة سلطان اكريت ابريطن أنها لا تزال ملتزمة بالشروط المنبرمة بتاريخ 29 أكتوبر عام 1888، وأنها توافق على إجراء العمل بها، إلا أن حرية المرور بفتحة السويس المكفل بها على تلك الصورة لا يتم العمل بالجملة الأخيرة من الفصل الأول وكذلك الفصل الثاني من الشرط الثامن من تلك المعاهدة فتبقى موقوفة.

الفصل السابع: لأجل المحافظة على حرية ممر بوغاز جبل طارق اتفقت الحكومتان على أن لا تقع رخصة في إنشاء أي نوع من أنواع الخصوص أو بناء منوط بالتدابير الحربية على السواحل المراكشية ولا يشمل ذلك مرسى مليلية ولا الأراضي العالية التي هي عن يمين ساحل نهر سبو، ولا يشمل هذا الشرط أيضا الأماكن التي الآن بيد الإسبنيول بالبحر المتوسط.

الفصل الثامن: لما للحكومة الإنجليزية والفرنسوية من صدق المودة في الحكومة الإسبنيولية، التزمتا معا بصرف النظر الخاص فيما لأرض الحكومة المذكورة من الحقوق والمصالح بمراكزها الجغرافية وأملاكها التي على ساحل الأرض المراكشية بالبحر المتوسط، بأن تتوافق الحكومة الفرنسوية مع الحكومة الإسبنيولية في تلك الحقوق. نعم يلزم أن يقع الإعلام لحكومة سلطان اكريت ابريطن بالوفق الذي انبرم بين الحكومتين في الشأن المذكور.

الفصل التاسع: توافقت الحكومة الإنجليزية والفرنسوية بأن يعضد بعضهما بعضا ويتعاونا على إجراء أحوال سياستهما وتعضيدهما ليتأتى الحصول على إتمام هذا القرار لما يخص مصر ومراكش.

ولثبوت هذا القرار ختمه باشدور الجمهورية الفرنسوية بقصر حضرة سلطان المملكة المتحدة اكريت ابريطن وإيرلاندة وممالك ابريطانية وراء البحار ملك الهند، وكاتب حضرته الخاص للدولة بالوزارة الخارجية بأمر خاص له في ذلك وطبعا معا بالتدريز نسختين بطابعيهما بتاريخ 8 أبريل عام 1904».

وهكذا استراح ساسة فرنسا وقادتها من معارضة أنجلترا لهم في احتلال بلاد المغرب، ولكن بقيت أمامهم معارضة دولة أخرى لا يستهان بها وهي ألمانيا، فعقدوا معها اتفاقا خاصا رضيت فيه الدولة الألمانية باحتلال فرنسا للمغرب في مقابل مصالح حصلت عليها من فرنسا.

وهكذا كانت سياسة الدول القوية إزاء الضعفاء، والويل للضعيف على كل حال، ولكن دوام القوة والعظمة إنما هو لله وحده.

وتتميما للفائدة، أثبت هنا تعريب التصريحين الرسميين الصادرين من نائبي ألمانيا وفرنسا في هذا الموضوع، وقد وجدته بين أوراق النائب الطريس رحمه الله. ونص الأول منهما:

«برلين. 4 نوفمبر سنة 1911

أيها السفير العزيز

فلأجل تمام تدقيق الاتفاق المنبرم في 4 نوفمبر سنة 1911 المتعلق بالمغرب وتحديد أهميته، أتشرف بإخبار جنابكم أن الدولة الإمبراطورية الألمانية لا تجعل أي عائق في المسألة التي تريد فيها الدولة الفرنسوية التحمل بأعباء بسط حمايتها على المغرب.

وأن قبول الدولة الألمانية المصرح به للدولة الفرنسوية على وجه العموم في الفصل الأول من الاتفاق المذكور راجع طبعا إلى جميع المسائل المنصوص عليها في عقد الجزيرة والتي تحتاج إلى ضوابط فيها.

وقد تفضلتم بإبلاغنا أيضا أن الحكومة الفرنسية متهيئة لتسليمها لألمانيا حقوق الأفضلية التي لها بموجب المعاهدة المنعقدة في 27 يونيو سنة 1900 بينها وبين الدولة الإصبنيولية على الغنيى الإصبنيولية وجزيرة كورسيكو وجزور ايوبي في المسألة التي تريد فيها ألمانيا شراء هذه الأملاك من إصبانيا. وعليه فإني مسرور أسجل عليكم ما أكدتموه لنا هنا وأزيدكم أن الحكومة الألمانية ستبقى متجنبة للأوفاق الخصوصية التي سترى الدولتان الفرنسوية والإصبنيولية انعقادها واجبا بينهما بشأن المغرب من غير مداخلة فيها، والقطر المغربي حسب المتفق عليه هو ما اشتمل على مجموع النقطة الأرضية التي بإفريقيا الشمالية المحدودة بالجزائر وإفريقيا الفرنسية والمستعمرة الإصبنيولية المسماة ريو دي يورو.

إن الدولة الألمانية تعتقد بعدم طلبها سلفا تعيين خصوص لأصحاب الصناعة الألمانية في إنشاء سكك الحديد بالمغرب أن الحكومة الفرنسوية يسرها دائما أن ترى وقوع مشاركة في المصالح بين رعايا البلادين في الأشغال التي يمكن لكلي الطرفين الالتزام بها.

كما تعتقد أيضا أن طرح سكة حديد طنجة وفاس التي تعم جميع الأمم على بساط السمسرة لا يقدم عليها غيرها من أشغال أي سكة حديدية مغربية، وأن الحكومة الفرنسوية ستطلب من الحكومة المغربية فتح مرسى أكادير للتجارة الدولية.

ثم إنه لا يشرع في درس مد السكك الحديدية ذوات المصالح العمومية في المغرب فالدولة الألمانية تطلب من الدولة الفرنسوية أن تحافظ على أن يكون للإدارات المغربية الاهتمام الحقيقي بمصالح المغرب الاقتصادية، وبالخصوص

على أن يكون تخطيط السكك ذوات المصلحة العامة مسهلا قدر الإمكان لوصل الأراضي المعدنية مع تلك السكك أو مع المراسي التي ستصير مصبا لمحصولات تلك الأراضي.

وقد أكد جنابكم لنا أنه في علم بجري العمل بالقانون العدلي المنصوص عليه في الفصل التاسع من الاتفاق المذكور أعلاه. ولما تعوض المحاكم القنصلية بغيرها، فالدولة الفرنسوية ستجتهد في أن يكون الرعايا الألمانيون في نظر القانون العدلي الجديد مساويين للرعايا الفرنسويين تمام المساواة، وعليه فإني مسرور بتسجيل هذا الأمر، وأخبر جنابكم أيضا أنه لما يجري العمل بهذا القانون بعد الاتفاق فيه مع الدول فالدولة الألمانية ستساعد في وقت واحد مع الدول الأخرى على إسقاط محاكمها القنصلية. وأزيدكم أن جملة تغير نظام المحميين المذكورة في الفصل الثاني عشر من اتفاقية 4 نوفمبر سنة 1911، تستلزم في نظري نسخ جزء معاهدة مدريد المتعلق بالمحميين والمخالطين الزراعيين إذا اقتضته الضرورة.

والحاصل فرغبة في إعطاء الاتفاق المذكور صبغة عقد من شأنه الإعانة في زيادة تحسين العلائق بين بلادينا فضلا على ما هو معد له من إبعاد أي سبب للخلاف بينهما، فإننا مصرحون باتفاق بيننا بأن تطرح المنازعات التي ستطرأ بين الطرفين في شأن شرح فصول اتفاقية 4 نوفمبر سنة 1911 وإجرائها، والتي لم يمكن الوصول إلى فصلها بطريق سياسية على محكمة تحكيمية تشكل على حسب شروط معاهدة لاهاي المؤرخة بـ 18 أكتوبر سنة 1907، وذلك بتراض بين الطرفين وفق مواعد اتفاقية لاهاي المذكورة، ما لم يقصد العدول عنها باتفاق آخر في وقت وقوع الخلاف.

هذا والمرغوب منكم أيها السفير العزيز أن تقبلوا مني تأكيد عظيم اعتباري لكم.

التوقيع: كيدار لين».

ونص الثاني:

«برلين في 4 نوفمبر سنة 1911

أيها الوزير العزيز

إني متشرف بتسجيل التصريح الذي تفضل جنابكم به من كون الدولة الإمبراطورية الألمانية لا تجعل أي عائق في المسألة التي تريد معها الدولة الفرنسوية التحمل بأعباء بسط حمايتها على المغرب، وأن قبول الدولة الألمانية المصرح به للدولة الفرنسوية على وجه العموم في الفصل الأول من الاتفاق المؤرخ بـ 4 نوفمبر سنة 1911 راجع طبعا إلى جميع المسائل المنصوص عليها في عقد الجزيرة والتي تحتاج إلى جعل ضوابط فيها.

ثم إني أتشرف بتأكيدي لكم أنه مهما أرادت الدولة الألمانية شراء الغيني الإصبنيولية وجزيرة كورسيكو وجزر ايلوبي من إصبانيا فالدولة الفرنسوية متهيئة لأن تسلم لألمانيا في حقوق الأفضلية التي لها على الأملاك المذكورة بموجب اتفاقية 27 يونيو سنة 1900 المنعقدة بينها وبين الدولة الإصبنيولية.

كما أني مسرور أيضا حيث أكدتم لي أن ألمانيا ستبقى متجنية للأوفاق الخصوصية التي سترى الدولتان الفرنسوية والإصبنيولية انعقادها واجبا بينهما في شأن المغرب، من غير مداخلة فيها، والقطر المغربي حسب المتفق عليه هو ما اشتمل على مجموع القطعة الأرضية التي بإفريقيا الشمالية المحدودة بالجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسوية والمستعمرة الإصبنيولية المسماة ريو دي يورو.

وإني مسرور أيضا بإخباركم أنه حيث لم تطلب الدولة الألمانية تعيين حصص سلعا لأصحاب الصناعة الألمانية في إنشاء السكك الحديدية، فالدولة الفرنسوية يسرها دائما أن ترى وقوع مشاركة في المصالح بين رعايا البلادين في الأشغال التي يمكن لكلي الطرفين الالتزام بها.

وليكن متحققا لديكم أيضا أن طرح سكة حديد طنجة وفاس التي تهم جميع الأمم على بساط السمسرة لا يقدم عليها غيرها من أشغال أي سكة حديدية مغربية، وأن الحكومة الفرنسوية ستطلب من الحكومة المغربية فتح مرسى أكدير للتجارة الدولية.

ثم إنه لا يشرع في درس مد السكك الحديدية ذوات المصلحة العمومية في المغرب فالدولة الفرنسوية ستحافظ على أن يكون للإدارات المغربية الاهتمام الحقيقي بمصالح المغرب الاقتصادية، وبالخصوص على أن يكون تخطيط السكك ذوات المصلحة العامة مسهلا قدر الإمكان لوصل الأراضي المعدنية مع تلك السكك أو مع المراسي التي ستصير مصبا لمحصولات تلك الأراضي.

كما يمكن لجنابكم أن يعتقد أيضا لما يجري العمل بالقانون العدلي المنصوص عليه في الفصل التاسع من اتفاقية 4 نونبر سنة 1911 المتعلقة بالمغرب. ولما نصوص المحاكم القنصلية بغيرها فالدولة الفرنصوية ستجتهد في أن يكون الرعايا الألمانيون في نظر القانون العدلي الجديد مساويين للرعايا الفرنسويين تمام المساواة.

وإني مسرور حيث أسجل انه لما يجري العمل بهذا القانون العدلي بعد الاتفاق فيه مع الدول، فالدولة الألمانية ستساعد في وقت واحد مع الدول الأخرى على إسقاط محاكمها القنصلية. وإني أسجل أيضا أن جملة تغيير نظام المحميين المذكورة في الفصل الثاني عشر من الاتفاقية المذكورة أعلاه، تستلزم

في نظركم نسخ جزء معاهدة مدريد المتعلق بالمحميين والمخالطين الزراعيين إذا اقتضت الضرورة.

والحاصل فرغبة في إعطاء اتفاق 4 نونبر سنة 1911 المتعلق بالمغرب صبغة عقد من شأنه الإعانة في زيادة تحسين العلائق بين بلادينا فضلا على ما هو معد له من إبعاد أي سبب للخلاف بينهما، فإننا مصرحون باتفاق بيننا بأن تطرح المنازعات التي ستطرأ بين الطرفين في شأن شرح فصول الاتفاقية المذكورة أو إجرائها، والتي لم يمكن الوصول إلى فصلها بطريق سياسية على محكمة تحكيمية تشكل على حسب شروط معاهدة لاهاي المؤرخة بـ 18 أكتوبر عام 1907، وذلك بتراض بين الطرفين وفق قواعد اتفاقية لاهاي المذكورة، ما لم يقصد العدول عنه باتفاق آخر في وقت وقوع الخلاف.

هذا والمرغوب منكم أيها الوزير العزيز أن تقبلوا مني تأكيد عظيم اعتباري لكم.

التوقيع: جول كانبون».

وقام ملك إسبانيا ألفونسو الثالث عشر بزيارة ميناء سبتة، فأرسل إليه سلطان المغرب المولى عبد العزيز رسولا يستقبله فيها ويسلم عليه، وكتب معه رسالة هذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله القوي المعين المتوكل على مولاه في كل وقت وحين أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الخ 8 وهو (هنا الطابع) أيد الله نصره وزين بكل خير عصره. إلى المحب الأعز المفخم السامي القدر المعظم سلطان دولة إصبانيا المحبة الفخيمة ومظهر مفاخرها الوسيمة الراقي في مدارج علاه السنيور ضون ألفنش الثالث عشر بنعمة الله.

أما بعد حمد الله الكبير المتعال، المنفرد بالكبرياء والتنزه عن التشبيه والمثال، فإنه لما طرق سمعنا ما عزم عليه جنابكم من زيارة بعض مستعمراتكم والوصول إلى سبتة، حصل لنا سرور بهذه الوجهة الخيرة، حيث كان فيها وصولكم إلى أنحاء حدود مملكتنا المغربية، وانتخبنا خديمنا العاقل الحاج أحمد ابن خديمنا الفاضل الأرضى الحاج محمد الطريس لتوجيهه نيابة عن جنابنا الشريف في ملاقاتكم وتهنئتكم والترحيب بكم في مجاورة إيالتنا وتقريره لكم ما فيه تجديد لعلائق المحبة والمصافاة الراسخة بيننا وبينكم على مقتضى الواصلة القلبية الثابتة بين أسلافنا وأسلافكم، وما نحن لا زلنا عليه من الإحساسات الخيرة التي نرجو عود آثارها على المملكتين العظيمتين وعلى الإيالتين المتجاورتين. ومرحبا بجلالتكم السلطانية في مجاورة إيالتنا السعيدة. ونحن على يقين من معرفتكم لهذا السفير ومقابلتكم له ولمن معه بمزيد المبرة والقبول

وتصديقه في جميع ما يبلغه عنا من شواهد المحبة والصداقة التي لا تتحول ولا تزول، ونرجو لكم ولدولتكم تزايد العز والنجاح وتوالي المسرات والأفراح. وحرر بحضرتنا الشريفة الفاسية في 29 محرم عام 1322".

وفي جمدى الأولى سنة 1322 استدعى السلطان أمين الأمناء (وزير المالية) سابقا، وهو السيد عبد السلام بن محمد التازي الرباطي، وأسند إليه وظيف النائب السلطاني بطنجة بدلا من النائب الطريس، وذكر ابن زيدان في تاريخ مكناس أن التازي المذكور رجع للرباط لتهيئة الأسباب ومعه المكاتب السلطانية لعمال المغرب وولاته باعتماد أوامره في مأموريته، فدخله يوم الأحد 27 شعبان عامه (يعني عام 1322) في يوم مشهود وجمع محشود حيته فيه أبراج العدوتين وحصونها بالمدافع الرسمية، ثم توالت الأحداث التي اقتضت تأخير ذلك.

وبإثر ذلك كتب وزير الخارجية السيد محمد المفضل غريط إلى صديقه الطريس رسالة هنأه فيها ببيتين من شعره، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى النائب السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله وبعد فيصلك بطيه كتاب شريف بما تقف عليه من:

إن النيابة لا تبغي بكم بدلا ... وحكمها عنك لا نرضاه ينتقل

فاهنأ بها فلها فيكم ملاحظة ... ولا يطيب لها في غيركم أمل

والحمد لله على خاطر مولانا وجميل رضاه، وعلى المحبة والسلام. 11 رمضان عام 1322. محمد المفضل بن محمد غريط الله له".

وكان الحاج محمد الطريس بفاس في رجب عام 1323، ومنها كتب إلى ولده الحاج أحمد بطنجة رسالة أوصاه فيها بالسيد عبد الحي الكتاني الذي قصد طنجة للسفر منها إلى الحج، وقد وصفه فيها بالفقيه المنتسب، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ولدنا الأعز الأرضى الخليفة الأجل السيد الحاج أحمد الطريس أصلحك الله ورضي عنك وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فإن الشريف الفقيه المنتسب سيدي عبد الحي ابن الولي الشهير سيدي عبد الكبير الكتاني توجه يومه لطرفكم قاصدا بيت الله الحرام وزيارة جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وأعلمناك لتكون منه على بال وتنظر له محلا يناسبه للنزول وتقف معه حتى يتوجه بسلام، وتكتب للوكيل بمصر في شأنه ليأخذ بيده على نحو ما فعل مع أخيه الشيخ سيدي محمد بعد سلامهم عليك جميعا، والله

يأخذ بيد الجميع، والسلام. في 18 رجب عام 1323. محمد بن العربي الطريس لطف الله به".

وهذه رسالة في تحديد وقت انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، ونصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى النائب الأجل السيد الحاج محمد الطريس، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد أطلعنا علم مولانا الشريف بما كتب به السيد الحاج أحمد مما كتب له به باشدور الصبنيول في شان وقت افتتاح المؤتمر، وصار ذلك بباله الشريف ويأمره أعزه الله أن تكتب سكلارا لسائر نواب الدول المتقدم الكتب لهم، بأنه على مقتضى ما تقدم لهم الكتب به من طلب جانب المخزن أعزه الله حضور نوابهم في المؤتمر للمفاوضة معهم فيما عليه عزم جانب المخزن الشريف من الإصلاحات الممكنة واستخراج صوائرها، قد ترجح عند سيدنا أيده الله أن يكون الجمع المطلوب في مدينة الخزيرات من إيالة الدولة الصبنيولية المحترمة رعاية لما اقتضاه الحال من المصالح في جعله هناك، وحيث ساعدت الدولة الصبنيولية عليه ثمه، وكان على جانب المخزن الشريف حرج ومشقة في افتتاحه قبل فوات العشرين من شهر دجنبر الموالي، فإن جناب سيدنا أيده الله قد عين للافتتاح المذكور اليوم الحادي والعشرين من دجنبر المذكور، وجنابه الشريف يطلب من الدول المعظمين حضور نوابهم مع أعضاء الحضرة الشريفة في يوم افتتاحه المذكور بالمحل المذكور وتطيير الكتابة لهم صحبة رقاص خاص بالشرط على يد خليفتك ولا بد، وعلى المحبة والسلام. في 29 رمضان عام 1323. عبد الكريم ابن سليمان لطف الله به".

ويظهر أن الحالة المالية في أواخر العهد العزيزي، كانت متدهورة حتى إن موظفي النيابة السلطانية بطنجة من أكبر واحد فيهم إلى أصغر مستخدم معهم، لبثوا سبعة أشهر لم يتسلموا فيها شيئا من مرتباتهم، ثم دفع لهم مرتب بعض أشهر دون البعض، حتى إن بعضهم لم يقبض إلا واجب شهر أو شهرين، وبقي له على الحكومة مرتب عدة أشهر، ودونك لائحة بها بيان الموظفين المذكورين في ذلك التاريخ وبيان مرتباتهم وما توصل به كل واحد منهم، ونصها:

"الحمد لله بيان حساب مشاهرة دار النيابة السعيدة عن سبعة أشهر أولها ربيع الثاني[67]، وآخرها شوال، تحصل فيها بحساب 1828 يجب عنها 12796.

---

[67]- لم تذكر فيها السنة، ولعلها سنة 1325 والله أعلم.

الموظف	المرتب الشهري	الواجب له في المدة المذكورة	حاز من ذلك	عن أشهر	الباقي له
النائب	300	2100	600	2	1500
الخليفة	150	1050	300	2	0750
عمي حفيظ	·240	1680	875	3½ مع 35	0805
سي بناصر	331	2317	662	2	1655
سي السميحي	75	525	150	2	375
سي الرهوني	105	735	210	2	525
سي ملين	105	735	210	2	525
سي راغون	105	735	210	2	525
السنوسي	105	735	105	1	630
العشيري	50	350	250	5	100
أجزناي	35	245	175	5	70
بوصوف	35	245	175	5	70
الأصحاب	132	924	792	6	132
وكيل جبل طارق	60	420	60	1	360
الجميع		12,796	4774	حازه البقاش	
بحط المحوز		4774			
الباقي		8022			

وقام رؤساء ناحية مراكش بعزل السلطان عبد العزيز ومبايعة أخيه عبد الحفيظ، فغادر عبد العزيز عاصمة فاس وقصد رباط الفتح ليتخذ الإجراءات اللازمة لمقاومة الثائرين عليه، ووصل الرباط سالما، فهنأه النائب الطريس بذلك وكانت شمس الدولة العزيزية على أطراف النخيل، وقد أجاب السلطان نائبه المخلص الوفي على تهنئته برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك مهنئا جنابنا العالي بالله بهذه الحركة الميمونة العائدة مقاصدها بالنجاح والمسرات المأمولة، وحلول جنابنا الشريف هذا الثغر الرباطي في عز شامخ وفتح مبين وتأييد من رب العالمين، فهنأك الله ببلوغ الآمال ورضي عنك وسددك والسلام. في 28 شعبان الأبرك عام 1325".

وشعرت الدوائر العليا بتقدم النائب الطريس في السن تقدما يوجب التفكير في إجابة رغبته التي أبداها مرارا طالبا إراحته من عناء الأعمال المرهقة التي يقوم بها في النيابة السلطانية، ولكن تلك الدوائر لم تسمح بانسحابه نهائيا من تلك النيابة، بل فضلت أن تعمل معه مثل ما عملته من قبل مع سلفه المرحوم السيد محمد بركاش من تعيين شخص آخر إلى جانبه ليباشر الأعمال الرسمية تحت إرشاده وتوجيهاته. وقد كتب السلطان بذلك إلى الطريس رسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد اقتضى نظرنا الشريف جعل خديمنا الطالب محمد الجباص نائبا معك لإعانتك في أمور النيابة ومقابلة أشغالها وتحمل عظائم أمورها عنك تحت نظرك وإشارتك ومفاوضتك في كل شيء، إذ المقصود هو التعاون، ووجهنا له ظهيرنا الشريف بذلك لتجريه على مقتضاه وتكلفه بتفقد أشغال دار النيابة وأعمالها وكتابها وأعضائها وسائر ما يروج فيها، ولما كنت لا تقدر على مفارقة ولدك الحاج أحمد أصلحه الله، جعلناه أمينا ثالثا مستمرا بمرسى طنجة المحروسة لاقتضاء المصلحة إعفاءه من الخدمة بدار النيابة، وها كتابنا الشريف باستخدامه فيها يصلك طيه، والله يعينك ويسددك والسلام. في 13 شوال الأبرك عام 1325".

ولعل من الدواعي أيضا لتعيين هذا الخليفة الجديد للنائب الشيخ، هو الأمل في أن يتمكن ذلك الخليفة بنشاطه وسياسته من إيقاف تيار الحركة الحفيظية في الشمال المغربي، والله أعلم.

ومن الطبيعي أن يكون لكل من الأخوين السلطانين أنصار وأعوان، وكان من المعروف أن الطريس من أكبر أنصار الجانب العزيزي، وأنه بذل في تأييد هذا الجانب كل ما كان في إمكانه.

وكان السلطان عبد العزيز يبشر نائبه الطريس من حين لآخر بما يوجب التبشير، ومن هذا القبيل تلغراف أخبره فيه بانتصار قسم من الحملة التأديبية

التي قامت بها القوات الموالية له ضد القبائل التي والت أخاه الثائر عليه، وهذا التلغراف مؤرخ بخامس رجب عام 1326، وهذا تعريبه:

"بكل فرح وسرور نخبركم أن المحلتين السعيدتين اللتين توجهتا عضدا للخديم المتوكي قد انتصرتا انتصارا باهرا.

فالمحلة الأولى منهما سافرت من آسفي، وفي يوم 23 جمدى ني ضربت أولاد ابن السباع فقتلت منهم ستين نفسا وقبضت على اثني عشر بعد أن حرقت ست قرى من قراهم، وفي الحين حضروا خاضعين طائعين بعد أن عرقبوا على المدافع السعيدة وقبلوا ما وظف عليهم من الذعيرة وانضمت فرسانهم إلى الحركة السعيدة، وقد أثرت هذه الواقعة وهذا الانتصار تأثيرا عظيما على القبائل المجاورة جميعها.

أما المحلة الثانية فقد سافرت من الصويرة في السادس والعشرين من جمدى ني، ومرت على أدرا ثم على مسكالة آخذة طريق شيشت وسيدي أبو زرقطون، وهناك انضمت لها حركة أولاد الحاج، وكانت في طريقها كلها منصورة مظفرة حيث دمرت الفساد تدميرا، وشتتت جموعهم تشتيتا، ثم اجتمعت المحلتان معا وخربتا الكريمات فانتصرتا عليهم انتصارا عظيما والجأتاهم به لطلب الأمان وتقديم عدد كبير من فرسانهم للانضمام إلى المحلة السعيدة وتقديم عدد من الخيل والبغال وغيرها، كما التزموا دفع ذعيرة قدرها ثلاثون ألف ريال. وأعلمناكم بما يسره الله لمحلتنا السعيدة بمنه وجوده من النصر والفتح المبين، وإجرائنا على ما عودنا من الظفر المكين، لتأخذوا حظكم من الفرح والسرور، والكريم إذا بدأ كمل، وعليه سبحانه لا غيره المعول، والسلام".

وفي غد التاريخ المذكور (6 رجب 1326) بعث الحاج محمد راغون من طنجة إلى السيد أحمد مدينة بتطوان رسالة ذكر له فيها أن التلغراف المذكور ورد من المحلة السعيدة العزيزية، وأنه بعث إليه نسخة منه ليطلع عليها ويطلع عليها الصديقين السيد علي الخطيب والحاج العربي بنونة، كما أخبره بأن الفقيه الرهوني قرأ ذلك التلغراف على رؤوس الموظفين والأعيان، وأن مدافع الفرح أطلقت بتلك المناسبة، وقد أظهر الجميع غاية الفرح، وأن النيابة السلطانية عطلت أعمالها احتفالا بتلك البشرى ...

وهكذا توالى شريط حوادث عزل أهالي مراكش وقبائلها للسلطان عبد العزيز وبيعتهم لأخيه السلطان عبد الحفيظ، ثم متابعة أهل فاس لهم على ذلك وكتابتهم لأهالي تطوان ومتابعتهم لهم أيضا. وقد بذل النائب الطريس جهودا عظيمة ضد هذه الحركة الحفيظية، ولكن أنصار عبد الحفيظ بتطوان تغلبوا

على أنصار عبد العزيز في الأخير. وإن شئت فانظر كلامنا على هذه القضية في الفصل الأول من الباب التاسع من هذا الكتاب.

وتم نصر السلطان عبد الحفيظ في جل بلاد المغرب، على غير إرادة النائب الطريس، فكتب السلطان الجديد إلى النائب السلطاني بطنجة رسالة سياسية أثنى عليه فيها الثناء الجميل، ورغب منه العمل في سبيل بيعة أهل مدينة طنجة أيضا، وهذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

ثم الطابع الكبير للسلطان عبد الحفيظ، ونقش وسطه:

(عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى النائب الأنصح الأصلح الحاج محمد بن العربي الطريس، سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فالذي هو ثابت مقرر لدينا في ديانتك وخيرتك وحسن طويتك ومحبتك، أنك من الباذلين في صدق الخدمة الشريفة جهدهم، والمخلصين في طرق نصيحتنا قصدهم، وأنك قائم بتلك الوظيفة من حياة مولانا الوالد المقدس بالله أتم قيام لم يطرق في أثنائها خلل ولا قصر فيها اهتمام لاعتماده قدسه الله عليك في حسن المصارفة، التي لا ينشأ عنها ضرر ولا تعقبها مجازفة، حتى كنت عنده في ذلك علما فردا، ورسوم سيرتك لا تتعدى، ولا زال ذلك هو اعتقادنا في نصحك وديانتك، وعلمنا الجازم بحفظ أمانتك، ولو أظهرت الأيام حوادثها، وأبدت أغراض المتهورين بواعثها، لكونك منزها عندنا عن الرضى بما يقتضي خللا، فضلا عن الإسعاف في شيء منه قولا أو عملا، ونحن عارفون بمن نصبوا لذلك سهامهم، وظنوا أن يقلبوا على غيرهم ملامهم، وما علموا أن مقامك والحمد لله معروف، ووصفك عندنا في النزاهة مقرر مألوف، لصدق فراسة مولانا الوالد قدسه الله في انتخابك، واقتدائنا به في الاعتماد على تخصيصك وانتصابك، فحالك لدينا لا يتغير، وصفوك لا يتكدر، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم تزول الجبال من مواضعها ولا تزول الطباع من أهلها، ولقد صدق الله اعتقادنا بإرشادك لأهل تطوان وهدايتك إياهم لما فيه سعادة من الله ورضوان، حيث لا يخفى عنك جمع كلمة الإسلام على طاعتنا، واستخلاص أنفسهم وعقائدهم بالتمسك بشريف بيعتنا، فرارا مما دهمهم مما أنت به عارف، ولا تحتاج فيه لواصف، وفي الحديث لأن يهدي الله بك رجلا أحب إليّ مما تطلع الشمس عليه. فجزاك الله خير ما هو أهله، وعاملك على نصيحتك بما يقتضيه فضله، وسنى لنا مكافأتك بما تشمل مزيته الأصل والفرع، وتختص عوامله بدوام عمل الرفع، نعم فكما استخلص الله على يدك أهل تطوان حرسها الله، فكذلك اعتقادنا في تدبيرك أمر طنجة حتى يصفو أمرها، ويشرق بعد الأفول بدرها، وتتباشر الأسباب في ذلك

مباشرة الحبيب الطبيب، بعزمك الناجح ورأيك المصيب، فلا يخفاك أن أهلها كلهم في ذلك راغبون، وجلهم مخبرون به ومكاتبون، ولعل الله تعلى ما أمهلهم إلا لتكون على يدك مزيته، وتنسب إليك خصوصيته، ولا محالة أنك أكثر ترصدا واهتماما، وإنما زدناك بهذا التنبيه إلماما، ولا يبعدك من أين تؤكل الكتف، لأنك بكمال المهارة والإصابة لدينا متصف، والله يقضي بنصيحتك المراد، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، والسلام. في 18 رجب الفرد عام 1326".

وهذه الرسالة كما ترى كتبت قبل بيعة أهل طنجة للسلطان عبد الحفيظ، ومن المعلوم أنه لم يمر على تاريخ هذه الرسالة أسبوع واحد حتى بايعت المدينة المذكورة السلطان الجديد، وكان ذلك كما هو معروف في 24 رجب المذكور.

وكتب النائب الطريس مع السيد محمد الجباص إلى السلطان الجديد رسالة يهنئانه فيها ببيعته واجتماع كلمة المسلمين عليه، فأجابهما برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(عبد الحفيظ بن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضيين الحاج محمد الطريس والطالب محمد الجباص، وفقكما الله وسلام عليكما ورحمة الله، وبعد وصل كتابكم تهنئة لشريف جنابنا لما أظهر الله سبحانه من إنجاز وعده، وتصريف أقداره المبرزة لما خصصه بإرادته وخوله من عنده، شاكرين نعمته سبحانه على جمع كلمة الإسلام على بيعتنا الشريفة، وتدارك أهل ذلك الثغر وغيره بإلهامهم إلى التمسك بظلالنا الوريفة، وصار بالبال. فلقد حمدنا الله تعلى على ما ألهم إليه النفوس المتجبرة، وابتهجنا بهداية الله الداعية لالتماس المعذرة، ورأينا الكل بالله ومن الله، وأن قدرته سبحانه لا تدافع، ومراده لا يعارض ولا يمانع، فله الفضل سبحانه على عباده فيما أرشدهم إليه، وله المنة فيما خولنا من عوائد النصر المتعودة لديه، نسئله سبحانه أن يهنيكم بما فيه رضاه، ويوفقنا وجميع المسلمين لما أحبه وارتضاه، والسلام. 1 شعبان عام 1326".

وكان الحاج أحمد الطريس (نجل النائب الحاج محمد) قد كتب إلى السلطان أيضا يهنيه، فأجابه برسالة ذكر له فيها أنه قد قام بالواجب، وهذا نصها بعد الحمدلة والتصلية والطابع السلطاني:

خديمنا الأرضى الأمين الطالب أحمد ابن خديمنا النائب الحاج محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك تهني به جنابنا العالي بالله بما منح الله له سبحانه من مبايعة أهل طنجة جنابنا الشريف

ودخولهم في جماعة أهل الإسلام وتمسكهم بحبل الطاعة كسائر الخاص والعام، وصار بالبال. فقد أديت الواجب بذلك وجريت فيه على السنن القويم هنالك، أصلحك الله وأعانك، والسلام. في 2 شعبان الأبرك عام 1326".

ولم يمر على تاريخ تلك الرسالة نصف شهر حتى كان النائب الطريس قد فارق هذا العالم الفاني إلى العالم الباقي.

وكانت وفاته رحمه الله بمدينة طنجة ليلة سادس عشر شعبان عام 1326، وقد دفن بزاوية صالحها الشهير سيدي محمد الحاج البقال بوعراقية، وقد جعلت على قبره[68] رخامة نقش عليها كتابة هذا نصها:

"الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فهذا ضريح المرحوم برحمة الحي القيوم نائب الحضرة الشريفة السيد الحاج محمد بن الحاج العربي الطريس الأندلسي ثم التطواني. أجاب داعي مولاه ليلة سادس عشر شعبان الأبرك عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، جدد الله عليه الرحمات، وجعله في زمرة سيد السادات آمين".

وكتب الحاج أحمد الطريس إلى السلطان الجديد، بوفاة والده الحاج محمد، فأجابه السلطان المذكور برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(عبد الحفيظ ابن الحسن الله وليه ومولاه)

خديمنا الأرضى الحاج أحمد بن محمد الطريس، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك معلما بصيرورة والدك إلى سعة الله ورحمته في التاريخ الذي بينت وصار بالبال تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وجعله في جوار الأبرار، وقد حل بنا مصابه محل الأسف لما عاش عليه من صلابة الدين والسعي في مصالح المسلمين، آجركم الله وأحسن عزاءكم وجعلكم خير خلف والسلام. في 22 شعبان عام 1326".

وكتب الشيخ محمد الكتاني إلى الحاج أحمد الطريس يعزيه في والده المرحوم برسالة هذا نصها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إلى أخينا في الله تعلى ومحبنا من أجله الأمين الأرضى الوجيه المرتضى السيد ج أحمد بن حبيبنا البركة المقدس المنعم السيد الحاج محمد الطريس، سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا دام علاه وبعد فقد بلغنا ما كدر الخاطر وهو خبر انتقال المرحوم والدكم إلى دار البقاء تغمده الله بعميم رحمته وأسكنه فسيح

---

[68] - هذا القبر يقع خارج قبة السيد المذكور، في مسجد الصلاة عن يمين الداخل إليه من الباب الخارجي. والرخامة التي عليها الكتابة المذكورة ملصقة في الأسطوانة (السارية) المحمول عليها سقف المسجد.

جنته وعوضكم عنه خيرا وألهمكم تسليما وصبرا، وهنيئا له فقد انتقل إلى ربه وخلف بعده من الثناء الحسن ما يستوجب رضاء الله تعلى، ففي الحديث الشريف من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، وقد قيل في قوله تعلى واجعل لي لسان صدق في الآخرين هو الثناء الحسن يخلفه الإنسان من بعده، كما أن من خلف مثلكم والحمد لله ما مات، وغير خفي على مثلكم أن دار الآخرة هي دار القرار، وهذه إنما هي قنطرة ومجاز، وأن الموت حتم على الكبير والصغير، وبهذا مصير الأولين والآخرين، وبكل الأمور التسليم لحضرت .... أسلم. ولو لم تكن التعزية مندوبة ما صدر عنا بتذكاره خاطركم ولكن إظهارا للتأسف وعملا بالواجب قدمنا لكم ونحن على عهد الله وأخوته والسلام. في 11 شهر رمضان المعظم عام 1326. محمد الكتاني وقاه الله سبحانه آمين".

السيد الحاج محمد الخطيب، نائب قنصل إيطاليا بتطوان 1336:

[69]والحاج محمد الخطيب، قد شغل وظيف نائب قنصل الدولة الإيطالية بمدينة تطوان سنين عديدة، وقد وجدت في تقييد بخطه، أنه بتاريخ 16 صفر عام 1302 الموافق لـ 5 دجنبر سنة 1884، توصل من سفير إيطاليا في طنجة بكتاب يسند فيه إليه النيابة عنه بتطوان.

وبما أن الخطيب لم يكن عارفا باللغة الإيطالية، فلذلك كانت الرسائل والمستندات الرسمية التي ترد عليه من المراجع الإيطالية، إما أن تكتب باللغة العربية ـ وذلك هو الغالب ـ وإما أن يصحب نصها الإيطالي بترجمته العربية. وسأثبت هنا بعض ما وقفت عليه من تلك الرسائل نقلا من أصولها المحفوظة حتى الآن بتطوان، كما أثبت بعض التقاييد التي لها علاقة بالأعمال القنصلية التي كان الخطيب قائما بها في تطوان، ومن تلك الرسائل والتقاييد يعرف نوع المعاملة التي كانت جارية بين الطرفين في ذلك العهد، كما يعرف مبلغ تلك الأعمال القنصلية من الأهمية أو التفاهة، وفي كل ذلك فوائد مختلفة لمن تهمه أمثال هذه الموضوعات.

---

[69] - لم يسجل المؤلف معلومات عن السيد الحاج محمد الخطيب في أصل هذا المجلد، وإنما وقفت على مسودة له في حقه، مع مجموعة من الرسائل والوثائق الخاصة به، هي التي ساوردها في الفقرات الموالية.
واعتمادا على كتاب "عائلات تطوان" للمؤلف رحمه الله، فإن الحاج محمد بن محمد بن الحاج عبد الله الخطيب، كان من أعيان تطوان ووجهائها، وقد لبث عدة سنين قائما بأعمال القنصلية الإيطالية بتطوان، فكان يخاطب خطاب القناصل الأجانب، ويعامل معاملتهم، وقد توفي بتطوان في 26 شوال عام 1336 (غشت 1918)، بينما كان مولده في عام 1257، حسب ما ورد عند السيد علي الخطيب في كناشه) ح.د

فهذه رسالة من الوزير المفوض لإيطاليا بالمغرب إلى الخطيب حول توظيفه، ونصها:

«الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

العاقل الناصح الأعز الأجل الفقيه السيد محمد الخطيب خليفة قنصلاوي لدولة إيطالية بثغر تطوان، لا زال السؤال عنك وعن كافة أحوالك المرضية ومحبة أن تكون في أحسن حال على الدوام. أما بعد فالمطلوب منك ترد لنا الكتاب الذي كنا دفعناه لك قبل خروجك لتطوان بيوم واحد مقررا فيه أننا وليناك نائب قنصلاوي بالثغر المذكور بشرط أن يوافق عليه دولتنا المعظمة، وها يصلك طيه كتابا آخر بداله معناه يوافق معنى الأول حرفا بحرف، وإنما بدلنا فيه التاريخ لا غير.

نرد عليك نسخة التقييد الذي كنت وجهت لنا وأرسل لعندنا أصله بخط يدك وخط يد مسو ناهون، حيث لا بد يكتب ثلاثة أصول من التقييد المذكور، بخلاف ما كنا كتبنا لك في أمر ذلك، فأحد منهم يبقى عند مسو ناهون المذكور، والثاني تجعله بخزانة دار تلك النيابة القنصلاوية الملوكية، والثالث وهو ما نطلبه منك لتوجهه لنا بقصد حفظه بهذا القنصلات الملوكي والسلام، وبه ختم في 19 يناير 1885. St. Scovafso»

وكتب الوزير المذكور وثيقة تعيين الخطيب المذكور لوظيف نائب قنصل إيطاليا بتطوان، والترجمة الرسمية للوثيقة المذكورة التي سماها بطينطي، وهي التي أرسلت إلى الخطيب، هذا نصها:

«الحمد لله

باسم حضرة سلطان إيطالية

نحن كمندور اصطفان اسكوباص موجه فوق العادة ووزير مفوض لحضرة سلطان إيطالية قبل الحضرة الشريفة.

بناء على الفصل عدد 58 من القانون القنصلاوي المقبول بالظهير السلطاني تاريخ 7 يونيه عام 1866، وبناء على الإذن الوارد علينا بالظهير الصادر من جناب وزير الأمور البرانية تاريخ 20 يناير عام 1886. جعلنا ونجعل السيد محمد الخطيب، نائب قنصلاوي عنا بتطوان، ونعطي له حق التصرف بخطته المذكورة والاستمتاع بالخصوصيات المتعلقة بها. وعليه فنأمر معاشر الطليانيين وكل من هم في حكم حضرة سلطاننا المعظم بتعريف السيد محمد الخطيب وأنه نائب قنصلاوي عنا بتطوان.

ونطلب الولاة الراجع ذلك عليهم أن يتركونه يتصرف في خدمته الخاصة بخطته من غير تعرض يقع عليه في ذلك، ويمكنونه من جميع الخصوصيات والحقوق الواجبة له نظرا لخطته، ويشدون له العضد ويعطون له العناية كل ما

اقتضى الحال للحاجة إليه، وأعطيناه هذه البطينطي إشهادا لما ذكر أعلاه، شاملة على خط يدنا وطابع اللكاسيون.

طنجة 21 فبراير سنة 1886

المنسطر المفوض. الإمضاء. اس. اصكوباص».

وأرسل الوزير المذكور إلى الخطيب أيضا صحبة الوثيقة المذكورة رسالة يعرفه فيها بتعيينه رسميا في الوظيف المذكور، ويعين له ما يجب عليه القيام به من الأعمال. وهذه الرسالة مكتوبة باللغة العربية، ولكنها بلهجة تراجمة الأفرنج في ذلك العهد، ونصها الحرفي:

«الحمد لله

أيه النائب القنصلاوي

إن الكتاب الذي كنا كتبناك تاريخ 5 دشمبر عام 1884، صرحنا لك فيه أنني جعلتك نائبا قنصلاوي عن دولة إيطالية بتطوان بشرط موافقة دولتنا على ذلك، والآن نعلمك بأن حضرة الوزير الأمور البرنية في إيطالية تفضل في تاريخ 20 يناير المنصرم بقبول ما كان صدر منا من جعل جنابك في خطة نائب قنصلاوي عن دولة إيطاليا بتطوان، وعليه نوجه لك طيه البطينطي المنفذة لك المقام المذكور على الدوام. وهذه البطينطي وقعنا عليها بخط يدنا وطبعناها بطابع هذا اللكاسيون الملوكية.

وحيث يتعين عليك إعطاء الايمن على أنك تقوم بما يترتب عليك من الأمور المفروضة لك في خدمتك بالصدق والخاصة كونك نائبا قنصلاوي عن حضرة سلطان إيطالية، وهذه الأمور واجبة عليك بناء على أحكام دولتنا وقوانينها، فنرسل لك رسم اليمن بقصد أن تنزل عليه خط يدك، لأنه مع نزول خط يدك عليه، يعلم منه أنك حلفت على مضمنه. كما المطلوب منك توجه لنا مثال من خط يدك على ورقة بيضة من الكاغض لنوجهه على يدنا لوزارة الأمور البرنية لتكون على بال منه، وتعلمنا كذلك بالعام والشهار والنهار الذي تخلقت فيه، ودمت بخير، وبه ختم في 24 فبراير عام 1886.

المنسطر المفوض St. Scovafso

جناب السيد محمد الخطيب – نائب قنصلاوي عن دولة إيطالية بتطوان»

وقبل الخطيب ما أسند إليه من عمل، وما كلف به من أشغال، وأرسل بعض ما طلب منه إرساله وترك البعض الأخر، فكتب إليه الوزير الإيطالي رسالة هذا نصها:

«الحمد لله وحده

محبنا السيد محمد الخطيب خليفتنا في تطوان، لا زال السؤال عنك وعن أحوالك ومحبة أن تكون بأحسن حال على الدوام. أما بعد وصلنا كتابك المؤرخ

5 مارس المنصرم، وطيه ورقة فيها مثال خط يدك ورسم الايمن الذي كنا أرسلنا لك مثله في كتابنا المؤرخ 24 فبراير الماضي، وما وجدنا في كتابك المذكور التاريخ الذي تخلقت فيه. وعليه المطلوب منك تعلمنا بالتاريخ المذكور وهو العام والشهر واليوم الذي تخلقت فيه. في 17 مايو عام 1886. St. Scovafso»

وهذه رسالة في شان ما يتعلق ببعض المعاملات والدعاوي الخاصة ببعض أصحاب الحمايات الأجنبية:

«Legazioni d'Italia al Marocco
N 448 Tangeri
2790

طنجة في 11 شتنبر عام 1894

الحمد لله

إلى السيد محمد الخطيب نائب قنصلاوي إيطالياني بتطوان

قد أعلمنا بمضمن كتابك منسطر البرطقز وطلبنا منه أنه بمقتضى ما هو مقرر بوفق مدريد يلزم التاجر هرون السباج من حمايته بأن يحضر لدى الشرع كون دعوتك معه هي على ملك، فأجابنا الصنيور كولاصو بأن دولته يترجم الوفق المذكور بأن دعاوي الأملاك والدعاوي الناتجة من الأملاك الملاصقة بعضها بعضا هي من قبل الشرع، وأما الدعاوي الناتجة من فتح البيبان والطيقان في الديار بينها الزنقة ليسها من قبل الشرع. وحين أجابنا بمثل ذلك، فلا يمكن لنا جعل شيء في غرضك، لاكن من المفهوم بعد ما قاله منسطر البرطقيز إذا وقع أن أحدث من رعيتنا أو حمايتنا فتح باب أو طاقة أمام ملك شيء برطقيز والزنقة بينهما فلا ينشد. صح به في التاريخ أعلاه. نائب أشغال دولة إيطاليا: D'Ospumont ».

ونختم هذه المجموعة من الوثائق المتعلقة بأعمال السيد محمد الخطيب، نائب قنصل إيطاليا بتطوان، بهذه الوثيقة المتضمنة لبعض ما يسمى بالسكلارات – ولعل المقصود بهذه الكلمة هو جمع كلمة سركولار (Circular)، أي المذكرة أو الدورية – التي تتعلق بعمل القنصلية أو نيابتها، ونصها:

«الحمد لله. هذا تقييد اسكلارات الواردين من بشادور الطليان ومن النائب عنه ومن الوزير

أوله سكلار من وزير الأمور الخارجية: بقصد تعليق السنجاق 4 أربع مرات في العام:

1. 14 مارس، وهو يوم احتفال سلطان إيطالية.

2. يوم الأحد الأول من شهر يونيه، وقع فيه الشروط مع السلطان والرعية.
3. 20 شتمبر، وهو يوم افتتاح رومة.
4. 20 نونبر، وهو يوم خلق فيه السلطان.

سكلار النائب ميصي:

14 مارس نخبر بسكلار قناصل الأجناس أن ذلك اليوم يوم احتفال سلطان إيطالية، وأنا نعلق سنجاقنا ليعلقوا أيضا سناجقهم.

ونعلق سنجاق الطليان مرة في العام لكل يوم احتفال من سلاطين الأجناس، ويوم احتفال الريبوبليك الفرنصيص والمركان، وذلك حتى يخبروننا به قناصل الأجناس المذكورين.

6 شتنبر 87: أخبر النائب ميسي أن سكة الاصبنيول لا يقبض منها إلا الذي وقع تاريخه من بعد عام 68.

سكلار:

لا يعلق سنجاق الطليان لأحد مراكب الأجناس الحربيين، وإنما يعلق سنجاق الطليان لمراكب الحرب الطلياني.

سكلار ميسي:

جميع ما يقع بطرفنا الذي يفيد مخزن إيطاليا نعلم به في الحال.

سكلار من المنشطر خلموزي:

17 مارس 96: أرسل إلينا سبعة سيوس قدر ثمنهم فرنك 29. المقصود بهم حين يؤدي أحد مواجب قنصولاوية يلصق، وفي آخر كل ثلاثة أشهر، تتعين الكتابة للكسيون معلما بعدد المواجب المقبوضة وعدد السيوس المطبوعة عليها، ويتوجه للكسيون ثلاثين في المائة من قدر المواجب، والباقي هو للنائب القنصلاوي. وحين يتم السيوس نطلب آخرين للكثيون ونبين ثمن كل واحد منهم».

******

انتهى بعون الله
المجلد الثاني عشر والأخير
من كتاب "تاريخ تطوان"
للأستاذ محمد داود

فهرس هذا المجلد

الثمن : 80 درهما

العنوان

ساحة 9 أبريل تطوان. ص.ب. 633 . الهاتف: 25 20 70 39 05

www.asmir.web.ma   Email : tetouan.asmir@caramail.com